

عَلَى
رَأْسِ الْكِتَابِ وَشِئْ

تأليف
مُحْسِنِ الشَّكَاكِرِيِّ



دار النشر: دار الفکر
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

على
في الكتاب

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابطہ بدیل < mktba.net

علی

فی الکتاب و فی السیاسة

تألیف
جسین الساکری

الجزء الثاني

دار المورخ العربی

بیروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤١٢م - ١٩٩٢م

دار النشر في بيروت

بيروت - صرّب ١٢٤ / ٢٤ - تلکس ٤٠٥١٢ كمك - ت ٨٢٠٨٤٣

مقدمة الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، بارئ الخلائق أجمعين ، أرحم الراحمين ،
مالك يوم الدين والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمد وأهل بيته
الطاهرين ، وبعد .

ما كان في الحسبان قبل أن أشرع بتأليف هذا الكتاب المائل بين
يديك أخي القارئ الكريم ، والذي يضم بين دفتيه بعض ما انتقيته من
فضائل ومناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، سواء من
الآيات النازلة بشأنه ، أو الأحاديث التي نطق بها الصادق الأمين بحقه
عليه السلام ، في جميع مواقفه التي وقفها معه صلى الله عليه وآله ، منذ
حادثة سنه ابتداء من يوم الدار إلى مبيته على فراشه ليلة هجرته فادياً له
بنفسه ، إلى أن فاضت نفسه الزكية صلى الله عليه وآله في حجره ،
وملازمته الدائمة له سواء كان ذلك في حالة سلمه أو حربه التي كان
عليه السلام قطب رحاها وخيرة رجالها ، وما تخلف عن غزوة أو واقعة
منها ، إلا في غزوة تبوك التي أمره صلى الله عليه وآله وسلم أن يقوم مقامه
في المدينة المنورة ، وحيث توجه صلى الله عليه وآله وسلم بحديث المنزلة
قائلاً له :

« أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي

بعدي » وذلك بعدما شعر أمير المؤمنين عليه السلام بالأسى لتخلفه عن
نصرة دين الله بسيفه ، بيد أن ما تركه له رسول الله صلى الله عليه وآله كان
أعظم من أن يقارع الكافرين بسيفه ، حيث كان لأبد لهذه الدولة الفتية
والتي يترصب بها الأعداء من كل جانب وصوب من أن تدار بأيدي أمينة ،
وقلوب ذكية ، ونفوس زكية ، مؤمنة صلبة ، لا تهتز لأهوالها قيد أغلّة ولا
أمام العواصف العاتية .

كما إنه صلى الله عليه وآله أراد بذلك أن يترك في ذاكرة الأمة بعد
رحيله ، أنه لا يصلح لإدارتها غير علي بن أبي طالب عليه السلام ، وإلا
لترك غيره ، حيث أن سيف علي لا كباقي السيوف حين تشتد الحرب
ويحمي السوطيس ، بل كما لا يخفى على أحد من المسلمين في ذلك
خافية .

أعود من حيث ابتدأت ، أقول :

لم يدر في خلدي عند الشروع في تأليف هذا الكتاب وإعداده أن
أتوسع في البحث إلى هذا الحد ، وما يدريك لعله يتوسع بحدود أبعد ؟

بل كل ما كنت أبتغيه أن أؤلف كُتُباً صغيراً موجزاً ، يضم بعض
الآيات القرآنية النازلة بشأن أمير المؤمنين عليه السلام مع بعض الأحاديث
النبوية الشريفة التي توجه بها رسول الله صلى الله عليه وآله في مواقفه
المشهورة .

إلا أن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن ، حيث وجدت نفسي مندفعاً
تلقائياً نحو الاسترسال والتوسع في البحث عندما وجدت أمامي آفاقاً واسعة
رحبة .

ولا غرو فإن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام معين لا ينضب ، وبحر
متلاطم الأمواج لا يسبر غوره ، ولا يدرك ضفافه ، فهو كالشمس في رابعة
النهار ، يزداد تألقاً وتوهجاً وإشعاعاً ، وكالسييل المتدفق من

الإفاضة الربانية والعلوم المحمدية ، وقد عجز فطاحل الفلاسفة من العلماء والمفكرين والكتاب من الإحاطة بلحظة من لحظات إشعاعاته أو صفة من صفات إفاضاته ، وهل بإمكان الإنسان أن ينظر إلى شعاع الشمس أو التبخر فيه ؟

إذا أتى لمن خاض غمار بحره وتلمس نفائس كنوزه ، ومكنونات صفاته ، أن يكف نفسه عن الاسترسال ؟ وقلمه عن الإسهاب ؟ وخوفاً من الاستغراق اللامحدود في هذا الخضم العظيم ، أعدت النظر وألزمت نفسي على ما لا تريده من الاسترسال آخذاً بزمامها نحو الاكتفاء على المقدار الذي انتقته من اللآلي والجواهر المنتثرة حولي - وذلك على قدر معرفتي وإدراكي - ونضدته بحبل الولاء ، وجعلته في مائة وعشرة مورداً بقدر أرقام حروف اسمه الشريف (علي) بحساب الجمل ، وجعلت كل مورد يضم آية أو أكثر مع سبب نزولها ، كما انتقيت أربعة عشر مورداً آخراً من الآيات النازلة بشأن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تيمناً بعددهم وجعلته الجزء الأول .

وكان مقررأ في بادئ الأمر بعد أن توسعت في بحثي رأيت أن يكون كتابين منفصلين اسم الكتاب الأول منهما : (علي في الذكر الحكيم) لاشتغاله على بعض الآيات القرآنية النازلة بشأنه عليه السلام .

والكتاب الثاني بعنوان : (علي في الحديث الشريف) وهذا يشمل جزء من ترجمة حياته عليه السلام بصورة مجملة وموجزة ، ابتداءً من ولادته في الكعبة المشرفة إلى شهادته في مسجد الكوفة ، وذكّر بعض مناقبه ومواقفه وسجاياه التي لا تحصى من سيرته خلال حياته صلوات الله وسلامه عليه .

ولأبد لي أن أعترف بعجزتي وتقصيري عن إدراك جزء مما نزل

بحقه ، إذ عجز عن إدراكه فطاحل العلماء من الحفاظ والمؤرخين والرواة
« غير أن ما لا يدرك كله لا يُترك جلّه » .

إذ ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في عليّ عليه السلام ،
كما قال خبر الأمة عبد الله بن العباس ويزيد بن رومان .

وكذلك روى الضحاك عن ابن عباس أنه قال : نزل في عليّ بن أبي
طالب عليه السلام ثلاثمائة آية ، ورُوي أكثر من ذلك .

وروى ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
(ما أنزل الله آيةً فيها ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ إلا وعليّ شريفها
وأمرها)^(١) .

وقال الشافعي - في جواب رجل يسأله ، عن علي بن أبي طالب
عليه السلام - قال : ما أقول في رجلٍ أسرّ أولياؤه مناقبه تقيّةً ، وكنتمها
أعداؤه حنفاً وعداؤه ، ومع ذلك قد شاع منها ما ملأ الخافقين ؟ !^(٢) .

وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي النحوي : احتياج الكل إليه ،
واستغناؤه عن الكل دليل على أنه إمام الكل .

وسئل يوماً عن مدحه فقال : ما أقول في مدح امرئ كنتم أحباؤه
فضائله خوفاً ، وأعداؤه حسداً ، ثم ظهر ما بين الكتّمانين ما ملأ
الخافقين ؟ !

وقال ابن أبي الحديد في شرحه للنهج^(٣) : ما أقول في رجلٍ أقرّ له
أعداؤه وخصومه بالفضل ، ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله - إلى

(١) تفسير الحبري ج ٣ ص ٢٣٤ ، وحلية الأولياء ج ١ ص ٦٤ ، وشواهد التنزيل ص ٤٨
و ٥٤ .

(٢) روضات الجنان ح ٧ ص ٢٦١ .

(٣) شرح النهج : ج ١ من ص ٥ - ١٠ .

أن قال : - وما أقول في رجل تُعزى إليه كل فضيلة ، وتنتمي إليه كل
فرقة ، وتتجاذبه كل طائفة ، فهو رئيس الفضائل وينبوعها ، وأبو عذرتها
وسابق مضارها ، ومجلى حلتها ، كل من نزع فيها بعده فمته أخذ ، وله
اقتفى ، وعلى مثاله ومنهجه احتذى .

ولما شاهد مسودات الكتاب بعض العلماء والأدباء وأهل الخبرة من
أصدقائنا وسعة البحث ، اقترحوا علي أن أجعله كتاباً واحداً وأن أعنونه
وأسميه باسم واحد ، ليكون أساساً لموسوعة كاملة متصلة الأبحاث لا
أن ينتهي بثلاثة أجزاء فحسب بل لأجزاء آخر وقد سميته (علي في
الكتاب والسنة) ، وخصص الجزء الأول بالآيات النازلة بشأنه ، وأما
الجزء الثاني ، والثالث فقد خصصته في ترجمة حياته عليه السلام ابتداء
من يوم ولادته في الكعبة المشرفة إلى يوم شهادته ، وقد عززته بالأحاديث
الشريفة التي نطق بها الصادق الأمين ، صلوات الله وسلامه عليه ، في
جميع المواقف التي وقفها ابن عمه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب مع
صلّى الله عليه وآله منذ حادثة سنة - كما أسلفت - إلى آخر ساعات حياته
الشريفة ، مع ذكر أهم غزواته مفصلة قدر الإمكان في حياة النبي
صلّى الله عليه وآله - والحروب الثلاثة التي أجبر عليها بعد وفاته ،
وهي : حرب الجمل ضد الناكثين ، وحرب صفين ضد القاسطين ،
وحرب النهروان ضد الخوارج المارقين - الذين مرقوا من الدين كمروق
السهم من الرمية » وربما توسعت في البحث لتكون الأجزاء التالية
مخصصة بالأشعار والقصائد التي نظمت وما قيل من النثر في حقه
عليه السلام بحسب القرون .

وأخيراً ختم حياته بجهاده المتواصل مدافعاً عن بيضة الإسلام إلى
أن ضرج بدمه الطاهر في مسجد الكوفة على يد أشقى الأولين
والآخرين ، فجر يوم ١٩ من شهر رمضان المبارك سنة ٤٠ هـ منادياً :

« فزت ورب الكعبة » .

فإننا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ
العظيم » .

وأسأل الله أن يتقبل مني هذا السير وأن يعفو عني الكثير ، إنه
سميع بصير ، وأن يجعله ذخراً لي في معادي في يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا
بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، فإنه أرحم الراحمين » .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خير خلقه
محمد وآله الطاهرين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

العبد

المذنب المتيب

حسين الشاكري

تفضل سماحة آية الله العظمى العلامة المجاهد أستاذ
الحوزة العلمية بقم المقدسة السيد محمود الهاشمي ، بتقديمه
هذا الكتاب وتثمينه .

فله من الله القدير الأجر العظيم ، ومني الشكر الجزيل .

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء
 والمرسلين محمد وآله الميامين .

أما بعد : فإنّ هذا الكتاب القيم يمثل جهداً عظيماً ومباركاً قام به
فضيلة الأستاذ الحاج حسين الشاكري (حفظه الله) لعرض أهم ما ورد
من الآيات والأحاديث بشأن مولى الموحدين وإمام المتقين أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب عليه السّلام فحوى تراثاً ضخماً وثروة علمية كبيرة
ينتفع بها كل من يقصد الورود إلى رحاب شخصية هذا الإمام العظيم ،
وإن كانت أبعاد شخصية هذا الإمام لا يمكن أن ترسمها الكلمات
والسطور أو تحددها الروايات والمأثور . وكيف تُحدّد شخصيّة من قال
عنه النبي الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم « يا علي لا يعرفك إلاّ الله
وأنا » ، إلّا أنّ هذا لا يمنع أن يجدّ الجادون ويجتهد الباحثون
لاستكشاف ما يمكن كشفه ومعرفة من معالم هذا الرجل الإلهي العملاق
الذي حارت في دركه العقول والأفهام . ولا شك في أنّ أفضل سبيل
وأسلم منهج في هذا الصدد إنّما هو بالرجوع إلى كلام الله المجيد
وكلمات رسوله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حقه لأنهما أحق من عرفاه ،
وهذا ما صنعه مؤلفنا العزيز وسار عليه في هذا الكتاب الجليل .

وعلي عليه السّلام غني عن التعريف لأنّ شخصيته الفريدة تعرّف نفسها بنفسها على أوسع نطاق ، ولا غرو فقد امتدّ الإمام عليه السّلام وخلّد مع الزمن ليقود التاريخ كلّه والحضارات كلّها ، فيهيمن على القلوب والعقول ولتسترشد به كل الأفكار والمذاهب التي تناشد الحق والعدالة ، أو تروم الصّلاح والإصلاح في حياة البشر ، فتجد فيه قدوتها الصّالحة ومثلها الأعلى .

وعلي عليه السّلام أنشودة الثّائرين وسلوة المحرومين المستضعفين ومناجاة العارفين والوالهين وزاد العلماء والمتفقيين وإمام المتقين .

وعلي عليه السّلام نموذج إنساني عملاق لا يضاهيه أحد بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في كماله وشرافته ، ولا يبلغ مرتبته ودرجته أحد من الأولياء والصّالحين .

وعلي عليه السّلام ذلك المثل الحضاري الضخم الذي ملأ وجوده التاريخ البشري بكل جوانبه وصكّت كلماته وأقواله عبر القرون مسامع الأجيال كلّها ، وأشرقت صورته وسيرته في سماء قلوب الناس وضمائرهم بمختلف مذاهبهم وطبقاتهم وإلى الأبد .

ومن غريب المصادفات أن يخرج هذا الكتاب القيم إلى النور في وقت أطبق فيه ظلام البعث الكافر وظلمه على أرض الرافدين ومرقد هذا الإمام الطاهر ومراقد أبنائه الطاهرين عليهم السّلام ، حيث أقدم طاغوت العراق على هدم مرقدّه الشريف ومرقد ولديه الإمام الحسين والعباس عليهما السّلام وارتكاب أبشع الجرائم والمجازر فيهما ، والتي راحت ضحيتها الآلاف من النفوس البريئة من شيعة ومواليه لا شيء إلاّ لأنها هتفت بالولاء لعلي عليه السّلام ولأهداف علي عليه السّلام ، فطالبت بالحرية والعدالة والإسلام ورفضت الذلّ والخضوع للكفر والاستعمار

الذي أسقط الطاغوت نفسه فيه . ولا عجب فإن تاريخ حكم البعث المجرم في العراق تاريخ أسود مليء بالجرائم والموبقات ومحاربة كل ما يمت إلى الدين وإلى مدرسة أهل البيت ومنهج الإمام علي عليه السّلام بصلة ، فلقد حارب الحوزات العلمية وشُرِدَ وقتل الآلاف من أبنائها وشخصياتها ، وفي طليعتهم استشهاد المرجع المظلوم الشهيد الصدر وأخته العلوية الفاضلة بنت الهدى ، كما حارب الجامعات الدينية وطارد المثقفين والمتدينين فيها وفي كل مكان ، وأغلق المساجد والحسينيات ومنع الكتب والدراسات الإسلامية سيّما ما يطرح فيها أفكار أئمة أهل البيت وتعاليمهم حتى الفقهاء ، وزج بالآلاف من الشباب المؤمن المجاهد في السجون الرهيبة وأباد الكثير منهم في أروقة التعذيب الوحشية ، وهجّر مئات الآلاف من المواطنين والتجار والأخيار من أهل البلاد - وقد كان مؤلفنا الجليل أحد هؤلاء الأخيار ومن أجلتهم والذي شُرِدَ وجميع عائلته من العراق وصودرت ممتلكاته - وهكذا عاث هذا النظام الأسود بالعراق وشعبه ومقدساته من الفساد والإفساد والظلم والاضطهاد ما لا عين رأت ولا أذن سمعت به في التاريخ ، حتى انتهى به المطاف إلى أن يخضع ويستسلم للاستعمار الكافر فيذل ويخزى - وعذاب الله أشدّ وأخزى - وتلك نتيجة الظالمين الكافرين ، ولكن رغم كل تلك المحن والويلات ستبقى قيم علي عليه السّلام وكلمة علي عليه السّلام هي العليا وكلمة أعدائه ، أعداء الله وأعداء الإنسانية هي السفلى ، وستنصر مدرسة علي عليه السّلام التي هي مدرسة الإسلام الحق وأتباع علي عليه السّلام على شرذمة الكفر والبعث والضلال وستخفق راية الحق والعدالة على أرض العراق الحبيبة وسيعود مرقده الطاهر ومثواه الشريف مدينة النجف المقدسة وتكون كما كانت عاصمة الإسلام المحمدي ومركز الإشعاع العلوي في العالم ، فذلك حكم الله

في الأرض ووعده الصريح في كتابه للمؤمنين حيثما قال ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾
 فسلام الله عليك يا إمام المستضعفين وقائد الغر المحجلين ، وسلام على ضريحك الجريح ومرقدك الممنوع عنه زواره ومحبيه ، وسلام عليك من قلب موله مفجوع ورحمة الله وبركاته .

أيها الراكب المجدّ رويداً	بقلوب تقبّلت من جواها
ان تراءت أرض الغريين فاخضع	واخلع النعل دون وادي طواها
وإذا شمت قبة العالم الأعلى	وأنوار ربّها تغشاها
فتواضع فثمة دارة قدس	تتمنّى الأفلاك لشم ثراها
قل له والدموع سفح عقين	والحشا تصطلى بنار غضاها
يابن عمّ النبي أنت يد الله	التي عمّ كل شيء نداها
أنت قرآنه القديم وأوصافك	آياته التي أوحاها
خصّك الله في مآثر شتى	هي مثل الأعداد لا تتناهى
أنت بعد النبي خير البرايا	والسماخير ما بها قمرها
لك نفس من معدن اللطف صيغت	جعل الله كل نفس فداها
يا أبا النّيرين أنت سماء	قد محى كل ظلمة نيرها
لك ذات من الجلالة تحوي	عرش علم عليه كان استواها
فجعلت الرشاد فوق الثريا	ومقام الضلال تحت ثراها
يا أخا المصطفى لديّ ذنوب	هي عين القذى وأنت جلاها

محمود الهاشمي - قم المقدسة

الثالث من شهر جمادي الأولى ١٤١٢ هـ .

كما تفضل سماحة العلامة الجليل المجاهد السيد محمد
زكي السويج رئيس ومدير المركز الثقافي الإسلامي في
أمريكا ، بإيراد هذه المقدمة الرائعة ، لهذا الكتاب القيم
ومشجعاً هذا الجهد اليسير ، سائلاً المولى القدير أن يمن عليه
بالمزيد من التوفيق والسؤدد ، فله من الله الجزاء العظيم ومني
الشكر الجزيل .
المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

كنت قد سمعت الكثير عن الحاج حسين الشاكري قبل أن ألتقي به
وأتعرف عليه شخصياً . عرفته من خلال المشاريع التي أسسها وأشادها أو
ساهم في إحيائها في الكثير من مدن العراق كما كان يحمل الإسلام في
خارجه . وأخص بالذكر ما قام به من دعم خاص ومساعدة فعالة في إقامة
مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام العامة وكلية الفقه في النجف
الأشرف والمساهمة في تأسيس جامعة الكوفة .

فلا عجب أن تجد له كتاباً في سيد البلغاء وإمام العدل والقرآن
الناطق علي بن أبي طالب عليه السّلام ، فلقد عجن بدم الولاء لأهل
البيت الطاهر ونشأ في أعمال البر وعاشر العلماء والفقهاء فألفهم وكان
مورد اعتمادهم ومشورتهم بما يحمل من إيمان وتقوى وخلق وطيب نفس
وحب للعمل الصالح ، فتلقى من نسيم معارفهم وفيض منابهم . ولذا
آثر مجاورتهم في خريف عمره فأقام في مدينة العلم والاجتهاد قم
المقدسة يرتاد محافل علمائها ويتقي من جواهر كنوزها ، فكان أول
هدية له تلك الموعظة البليغة والنصيحة المشفقة إلى أبناء (كتاب
الكبائر) الذي أودعه عصارة عمره وتقييمه لهذه الحياة معبرة بكلمات
خرجت من قلب يحمل الرحمة والرفقة لأبناء هذا الجيل وإرشادهم بالعود

إلى الإسلام والتمسك به بعد أن قام عوده وعاد مجده وعزه بدل أن تلفهم تيارات التغريب والتهجير واللجوء بسبب الحملة السعורה التي شنّها أعداء الدين على أبنائه المخلصين بعد انتصار الثورة الإسلامية المباركة في إيران على يد الإمام الخميني (قده) كان ذلك الكتيب هو المنطلق والبداية وكان لا بد من تحديد المسير ، كيف وإلى أين فثنى أعماله الكتابية بالكتاب الذي بين يدينا (علي في الكتاب والسنة) ليكون بطاقة ولاء له عند حامل لواء الحمد وساقى الكوثر وقسيم الجنة والنار في يوم القيامة .

وحين وصلني الكتاب وأنا أقيم في بلاد الغربه كان أثنى هدية تلقيتها فتصفحته بشغف ولهفة ووجدت فيه طول باع وسعة اطلاع عما كتب وألف عن بطل الإسلام الخالد واليد الطولى التي كان يصول بها رسول الإنسانية . ومما زاد إعجابي به وإكباري له أنّ البحث قد جاوز الجزء الواحد عن أبي الأئمة عليه السّلام فإذا كان البحث قد تشعب فلعله سوف يتحفنا في أجزاءه الأخرى بالجديد فيما لم يكتب عن شخصية هذا البطل العظيم الذي اقترن اسمه بكل جوانب النبيل والفضيلة فكان النموذج الأول بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم في العلم والحكم والإيمان والعبادة والخلق والعطاء ، وإظهار عظمة الله في خلقه .

وإني إذ أثنى هذا الجهد المبارك وهذه الهمة العالية وهذا الولاء الصادق من أخي الشاكري شكر الله سعيه ، أسأل الله أن يجعله خير ذخيرة ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم .

محمد زكي السويج

المركز الثقافي الإسلامي - هيوستن - تكساس

م ١٩٩١/٩/١٠

هـ ١٤١٢/٣/٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

من خطبة لأمر المؤمنين عليه السلام في الزجر والموعظة والإرشاد قال صلوات الله وسلامه عليه :

عباد الله ، أين الذين عُمِرُوا فَنَعَمُوا ، وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا ؟ وأنظروا فلهوا ؟ وسلموا فَنَسُوا ؟ ، أمهلوا طويلاً ، ومنحوا جميلاً ، وحذروا أليماً ، ووعدوا جسيماً احذروا الذنوب المورطة ، والعيوب المسخطة ، أولي الأبصار والأسباع ، والعافية والمتاع ، هل من مناصٍ أو خلاصٍ أو معاذٍ أو ملاذٍ أو فرارٍ أو محارٍ ؟ أم لا ؟ فأنى تؤفكون أم أين تُصرفون أم بماذا تغترون ؟ وإنما حظ أحدكم من الأرض ذات الطول والعرض قيدُ قدمه ، متعفراً على خدّه ، الآن عباد الله والخناق مهمل والروح مرسل ، في فينة الإرشاد ، وراحة الأجساد وباحة الاحتشاد ، ومَهْلُ البقية وأنف المشية ، وإنظار التوبة ، وانفساح الحوبة قبل الضنك والمضيق والروع والزهوق ، وقبل قدوم الغائب المنتظر ، وإخذه العزيز المقتدر .

عباد الله ، زِنُوا أَنْفُسَكُمْ من قبل أن تُوزَنُوا ، وحاسبوها من قبل أن تُحَاسَبُوا ، وتنفسوا قبل ضيق الخناق ، وانقادوا قبل عُنف السياق واعلموا أنه من لم يُعِنِ على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها لا زاجر ولا واعظ . .

عباد الله ، إن أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربه ، وإن أغشهم لنفسه
أعصاهم لربه ، والمغبون من غَبَنَ نفسه ، والمغبوط من سلم له دينه ،
والسَّعِيد مَنْ وُعِظَ بغيره والشقي من انخدع لهواه وغروره ، واعلموا أن
يسير الرياء شرك ، ومجالسة أهل الهوى منساة للإيمان ، ومحضرة للشيطان ،
جانبوا الكذب فإنه مُجَانِبٌ للإيمان ، الصادق على شفا منجاة وكرامة ،
والكاذب على شرف مهواة ومهانة ، ولا تحامدوا فإن الحسد يأكل الإيمان
كما تأكل النار الحطب ولا تباغضوا فإنها الحالقة ، واعلموا أن الأمل يُسهي
العقل وينسي الذكر فاكذبوا الأمر فإنه غرور ، وصاحبه مغرور .

ولادة علي عليه السلام في الكعبة

تميّز عليه السلام بمناقب وفضائل لم تكن لأحد قبله ولا بعده ، وكان الصحابة يتمنون ولو واحدة منها ، على قول أحدهم « لكنت أحبُّ إليَّ من حُمُر النِعم » ومن هذه الخصوصيات ولادته في بيت الله الحرام ، تلك الفضيلة التي طفحت بها الكتب وتظافر على نقلها كبار المحدثين والمؤرخين ، كالمسعودي في « مروج الذهب » ، وسبط ابن الجوزي في « تذكرة الخواص » ، وابن طلحة الشافعي في « مطالب السؤول » وغيرهم ، أذكر هنا نص كلام الحافظ الحاكم النيسابوري على ما أورده عنه الحافظ الكنجي الشافعي في « كفاية الطالب » قال :

« ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بمكة في بيت الله الحرام ، ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل ، ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه ، إكراماً له بذلك ، وإجلالاً لمحلّه في التعظيم » .

وقال شهاب الدين الألوسي صاحب التفسير المشهور ، في « الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية » لعبد الباقي أفندي العمري عند قول الشاعر :

أنت العليُّ الذي فوق العُلَى رفعا بطن مكة عند البيت إذ وضعما

وكون الأمير - كرم الله وجهه - ولد في البيت أمر مشهور في الدنيا ، وذكر في كتب الفريقين السنّة والشيعّة . . . ولم يشتهر وضع غيره - كرم الله وجهه - كما اشتهر وضعه ، بل لم تتفق الكلمة عليه ؛ وما أحرى بإمام الأئمة أن يكون وضعه فيها هو قبلة للمؤمنين ، وسبحان من يضع الأشياء في مواضعها وهو أحكم الحاكمين .

وقال عند قول الشاعر العمري :

وأنت أنت الذي حُطت له قدّم في موضع يده الرحمان قد وضعها
« أحبّ عليه الصلاة والسلام أن يكافئ الكعبة حيث ولد في بطنها بوضع الصنم عن ظهرها » .

وقد ذكرت في باب مستقل قصّة صعود علي عليه السلام على منكب النبي صلى الله عليه وآله ورميه الأصنام ، فلاحظه .

أمّا تفاصيل حادثة الولادة الميمونة فمروية في مصادر معتبرة كثيرة ، منها :

أمالي الشيخ الصدوق - المتوفى سنة ٣٨١ هـ - ص ١١٤ ح ٩ ط مؤسسة الأعلمي - بيروت .

ورواها في « علل الشرائع » ص ١٣٥ ح ٣ ط المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف .

وفي « معاني الأخبار » ص ٦٢ ح ١٠ ط قم .

والشيخ الفقيه عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي الطبري - من أعلام القرن السادس - في كتابه « بشارة المصطفى » ص ٧ ط المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف -

والشيخ الأديب بهاء الدين علي بن عيسى الأربلي ، المتوفى في بغداد

سنة ٦٩٢ هـ ، في كتابه « كشف الغمة » ج ١ / ٦٠ ط تبريز .

ومصادر أخرى كثيرة ، يضيق المجال بذكرها ، وإليك متن حديث الولادة المباركة .

روى هؤلاء جميعاً بإسنادهم إلى سعيد بن جبير قال : قال يزيد بن قعنب :

كنتُ جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من بني عبد العزى بإزاء بيت الله الحرام ، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد - أم أمير المؤمنين عليه السلام - وكانت حاملةً به لتسعة أشهر ، وقد أخذها الطلق فقالت :

ربّ ، إنّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب ، وإنّي مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل ، وإنّه بنى البيت العتيق ، فبحقّ النبيّ الذي بنى هذا البيت ، وبحقّ المولود الذي في بطني لما يسّر عليّ ولادتي .

قال يزيد بن قعنب : فرأينا البيت وقد انفتح من ظهره ، ودخلت فاطمة فيه ، وغابت عن أبصارنا ، والتزق الحائط ، فرمنا أن يفتح لنا قفل الباب فلم يفتح ، فعلمنا أنّ ذلك أمرٌ من أمر الله عزّ وجلّ .

ثمّ خرجت في اليوم الرابع وبيدها أمير المؤمنين علي عليه السلام ، ثمّ قالت :

إنّي فضّلتُ على مَنْ تقدّمني من النساء ، لأنّ آسية بنت مزاحم عبدت الله عزّ وجلّ سرّاً في موضع لا يحبّ أن يعبد الله فيه إلّا اضطراراً .

وأنّ مريم بنت عمران هزّت النخلة اليابسة بيدها حتّى أكلت منها رطباً جنيّاً ، فلمّا دخلتُ بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأوراقها ، فلمّا أردتُ أن أخرج هتف بي هاتف :

يا فاطمة ، سَمِّيه عَلِيًّا فهو عَلِيٌّ ، والله العَلِيُّ الأَعْلَى يقول : إِنِّي شَقِقتُ اسْمه من اسمي ، وأَدَبْتُهُ بِأَدَبِي ، ووقفته على غامض علمي ، وهو الَّذِي يَكْسِرُ الأصْنَامَ في بيْتِي ، وهو الَّذِي يُوَدِّنُ فوق ظَهْرِ بيْتِي وَيَقْدَسُنِي وَيُعْجِدُنِي ، فَطَوَّبَ لِمَنْ أَحَبَّهُ وَأَطَاعَهُ ، وَوَيْلَ لِمَنْ أَبْغَضَهُ وَعَصَاهُ .

وروى الحافظ الفقيه ابن المغازلي في « المناقب » ص ٦ ح ٣ طدار الأضواء - بيروت ، بإسناده إلى أبي طاهر يحيى بن الحسن العلوي ، قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّارِمِيُّ ، حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ جَعْفَرٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا مَعَ أَبِي وَنَحْنُ زَائِرُونَ قَبْرَ جَدِّنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَهَنَّا نِسْوَانُ كَثِيرَةٌ ، إِذْ أَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ فَقُلْتُ لَهَا : مَنْ أَنْتِ يَرْحَمُكَ اللَّهُ .

قالت : أنا زيدة بنت قُريْبة بن العجلان من بني ساعدة .

فقلت لها : فهل عندك شيءٌ تَحْدِثُنَا ؟

فقالت : إي والله ، حَدَّثَنِي أُمِّي أَنَّ عَمَّارَةَ بِنْتَ عِبَادَةَ بِنْتَ نَضْلَةَ بِنَ مَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانِ السَّاعِدِيِّ أَنَّهَا كَانَتْ ذَاتَ يَوْمٍ فِي نِسَاءٍ مِنَ الْعَرَبِ ، إِذْ أَقْبَلَ أَبُو طَالِبٍ كَثِيبًا حَزِينًا ، فَقُلْتُ لَهُ : مَا شَأْنُكَ يَا أَبَا طَالِبٍ ؟

قال : إِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ أَسَدٍ فِي شِدَّةٍ مِنَ الْخَاضِ . ثُمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى وَجْهِهِ .

فبينما هو كذلك ، إِذْ أَقْبَلَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَهُ : مَا شَأْنُكَ يَا عَمُّ ؟

فقال : إِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ أَسَدٍ تَشْتَكِي الْخَاضَ .

فأَخَذَ بِيَدِهِ وَجَاءَ مَعَهُ ، فَجَاءَ بِهَا إِلَى الْكَعْبَةِ فَأَجْلَسَهَا فِي الْكَعْبَةِ ، ثُمَّ قَالَ : اجْلِسِي عَلَى اسْمِ اللَّهِ !

قال : فطلقت طليقة فولدت غلاماً مسروراً نظيفاً منظفاً لم أر كحسن وجهه ، فسماه أبو طالب علياً ، وحمله النبي صلى الله عليه وآله حتى أذاه إلى منزلها .

قال علي بن الحسين عليهما السلام : فوالله ، ما سمعت بشيء قط إلا وهذا أحسن منه .

وتسابق الشعراء إلى نظم بدائع القصائد في هذه الحادثة الميمونة ، أذكر منها مقاطع من موشحة الشاعر ميرزا اسماعيل الشيرازي المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ ، التي ذكرها العلامة الأميني في كتابه « الغدير » ج ٦ / ٢٩ - ٣١ :

رغد العيش فزده رغداً بسلافٍ منه تشفي سقمي
حبّذا أناء أنس أقبلتُ أدركت نفسي بها ما أملتُ
وضعت أمّ العُلى ما حملتُ طاب أصلاً وتعالى محمداً
مالكاً ثقل ولاء الأممِ

أنست نفسي من الكعبة نور مثل ما أنس موسى نار طوز
يوم غشي الملأ الأعلى سرور قرع السّمع نداء كندا
شاطيء الوادي طوى من حرمِ

ولدت شمس الضحى بدر التمام فانجلت عنا دياجير الظلام
نادٍ : يا بشراكم هذا غلام وجهه فلقة بدر يهتدى
بسنا أنواره في الظلمِ

هذه فاطمة بنت أسد أقبلت تحمل لاهوت الأبد
فاسجدوا ذلاً له فيمن سجد فله الأملاك خرت سُجداً

إذ تجلّى نوره في آدمِ
كُشف السر عن الحقّ المبين وتجلّى وجه ربّ العالمين

وبدا مصباح مشكاة اليقين وبدت مشرقة شمس الهدى
فانجلي ليل الضلال المظلم

نسخ التابد من نفي ترى فأرانا وجهه ربُّ الورى
ليت موسى كان فينا فيرى ما تمناه بطور مجهدا
فانثني عنه بكفى معدم

هل درت أم العلى ما وضعت أم درت ثدي الهدى ما أرضعت ؟
أم درت كف النهي ما رفعت أم درى ربُّ الحجى ما ولدا ؟
جلُّ معناه فلما يعلم

سيّد فاق علأ كل الأنام كان إذ لا كائن وهو إمام
شرّف الله به البيت الحرام حين أضحى لعلاه مولدا
فوطا تربته بالقدم

إن يكن يجعل لله البنون وتعالى الله عما يصفون
فوليد البيت أحرى أن يكون لولي البيت حقاً ولدا
لا عزيز لا ولا ابن مريم

هو بعد المصطفى خير الورى من ذرى العرش إلى تحت الثرى
قد كست عليائه أم القرى غرة تحمي حماها أبدا
حيث لا يدنوه من لم يحرم

سبق الكون جميعاً في الوجود وطوى عالم غيب وشهود
كلما في الكون من يمه جود إذ هو الكائن لله يدا
ويد الله مدر الأنعم

سيّد حازت به الفضل مضر بفخار فسما كل البشر
وجهه في فلك العليا قمر فبه لا بالنجوم يهتدى
نحو مغناه لنيل المغنم

هو بدر وذراريه بدور عقت عن مثلهم أم الدهور

كعبة الوفاء في كلِّ الشُّهُورِ فاز من نحو فناها وفدا
 بمطافٍ منه أو مُستلمٍ
 ورثوا العلياء قدماً من قُصَيٍّ ونزار ثَمَّ فهِرٍ ولويٍّ
 لا يبارى حيَّهم قطُّ بحيٍّ وهم أذكى البرايا محتدا
 واليهم كلُّ فخر يتمي

رسول الله وعلي صلوات الله عليهما خلقا من شجرة واحدة

روى جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم بعرفات وعليّ تجاهه ، إذ قال له : أدن مني يا علي ، خلقت أنا وأنت من شجرة واحدة ، صنع جسمك من جسمي ؛ خلقت أنا وأنت من شجرة ، فأنا أصلها ، وأنت فرعها والحسن والحسين أغصانها ، فمن تعلّق بغصن منها أدخله الله الجنة .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا وعليّ من شجرة واحدة ، والناس من أشجار شتى .

ونحوهما روي عن عبد الله بن مسعود وأبي أمامة ، وقد ذكرنا بعض الأحاديث المتعلقة بهذا الباب في الجزء الأول من كتابنا «عليّ في الكتاب والسنة» ص ١٥٥ فراجع .

القاب وكُنَى امير المؤمنين عليه السلام ونعوته

إِنَّ لَامِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ الْقَابُ
وَكُنَى وَنَعُوتًا يَتَعَذَّرُ حَصْرُهَا أَوْ الْإِلْمَامُ بِهَا ، وَكُلُّهَا صَادِرَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِشَقَى الْمَوَاقِفِ وَالْمُنَاسِبَاتِ ، وَقَدْ اسْتَطَاعَ الْحَبْرُ الْحُجَّةُ
السَّيِّدُ الْمَرْعُوشِيُّ النَّجْفِيُّ ذِكْرَ بَعْضٍ مِنْهَا فِي مُوسُوْعَتِهِ الْجَلِيلَةِ إِحْقَاقَ الْحَقِّ ،
وَفِي بَعْضِ أَجْزَائِهِ مِنْهَا ج ٤ مِنْ ص ١١ إِلَى ص ٣٨٨ ، وَفِي ج ٦
ص ٥٣٨ ، وَفِي ج ١٥ ذِكْرَ مِائَةِ وَأَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ نَعْتًا ، وَلِكُلِّ نَعْتٍ ذِكْرُ
أَكْثَرِ مِنْ ثَلَاثِينَ مُصَدَّرًا وَحَدِيثًا ، رَاجِعِ الْجُزْءَ الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ إِحْقَاقِ
الْحَقِّ ابْتِدَاءً مِنْ أَوَّلِ الْمَجْلَدِ السَّادِسِ إِلَى آخِرِهِ ، وَالَّذِي يَقَعُ فِي أَكْثَرِ مِنْ
سَبْعِمِائَةِ صَفْحَةٍ ، فَرَاجِعِ فِي الْجُزْءِ الْعِشْرِينَ تَجِدُ مِائَةً وَسِتَّةَ وَعِشْرِينَ نَعْتًا
ابْتِدَاءً مِنْ ص ٢٢٢ إِلَى ٥٩٠ ، بَعْدَهَا يَذْكُرُ دَعَاءَهُ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَلِأَهْلِ بَيْتِهِ فِي عِدَّةِ مَنَاسِبَاتٍ إِلَى آخِرِ الْمَجْلَدِ ص ٦٢٦ وَغَيْرِهَا .

هَذَا بَعْضُ مَا ذَكَرَ فِي كِتَابِ إِحْقَاقِ الْحَقِّ ، وَلَا أَدْعِي الْحَصْرَ ، وَإِنَّمَا
ذَكَرْتُ هَذَا عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ وَالْإِيْجَازِ ، أَمَّا الْأَعْلَامُ الَّذِينَ ذَكَرُوا الْأَلْقَابَ
وَالْكُنَى وَالنُّعُوتَ مِنْ أَعْلَامِ الْقَوْمِ وَحَفَاطِهِمْ فَلَا يُمْكِنُ حَصْرُهُمْ بِهَذِهِ الْعِجَالَةِ
وَالْإِيْجَازِ لِأَنَّ كُلَّ لِقَبٍ وَكُنْيَةٍ وَنَعْتٍ يَذْكُرُهُ عِدَدٌ كَبِيرٌ مِنْهُمْ ، رُبَّمَا يَصِلُ إِلَى

أكثر من أربعين مصدراً ، وما أظن أن أحداً تخلّف منهم في ذكره ، وأهم ألقاب أمير المؤمنين عليه السلام وكناه ونعوته أذكرها على سبيل المثال لا الحصر ، وكلها صادرة من الرسول الأعظم صلوات الله عليه وآله وسلّم . . . منها : علي :

أمير المؤمنين	إمام المتقين	يعسوب الدين	قائد الغر المحجلين
أبو الحسين	أبو الحسن	أبو تراب	أبو السبعين
إمام البررة	قاتل الفجرة	حامل لواء الحمد	النبا العظيم
باب مدينة علم النبي	قسيم الجنة والنار	الصراط المستقيم	أبو اليتامى والمساكين
أخو رسول الله	خليفة رسول الله	وارث رسول الله	ولي كل مؤمن
			بعد رسول الله
الفاروق الأعظم	الصدّيق الأكبر	أرحم الناس بالرعية	أبصر الناس بالقضية
أشجع الناس قلباً	أحسن الناس خلقاً	أصدق الناس لساناً	أعلم الناس حكماً

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم يوم فتح خيبر : يا علي ، لولا أن تقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرّ بمبلى من المسلمين إلا أخذوا تراب رجلك ، وفضل طهورك يستشفون به ، ولكن حسبك أن تكون مني وأنا منك ، ترثني وأرثك ، أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي . . . إلى آخر حديثه صلى الله عليه وآله عليه وآله مذكور في ج ٤ ص ٤٨٤ من إحقاق الحق .

ولإى هنا نكتفي بهذا القدر ، ومن أراد الاتساع فعليه بمراجعة ما ذكرناه في أول الحديث من المصادر وإليك بعض أسماء أعلام القوم ومحدثيهم الذين ذكروا ألقاب وكُنَى ونعوت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، منهم :

١ - الحافظ أحمد بن حنبل في « المناقب » وفي « المسند » وفي « فضائل الصحابة » .

- ٢ - العلامة النسائي في « الخصائص » .
- ٣ - العلامة الترمذي في « الصحيح » .
- ٤ - الحاكم النيسابوري في « المستدرک » .
- ٥ - الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في « حلية الأولياء » .
- ٦ - الفقيه أبو الحسن ابن المغازلي في « المناقب » .
- ٧ - العلامة أخطب خوارزم في « المناقب » .
- ٨ - العلامة ابن الأثير في « أسد الغابة » .
- ٩ - العلامة محب الدين الطبري في « ذخائر العقبى » وفي « الرياض النضرة » .
- ١٠ - العلامة جمال الدين الزرندي في « نظم درر السمطين » .
- ١١ - العلامة ابن أبي الحديد في « شرح النهج » .
- ١٢ - العلامة الحموي في « فرائد السمطين » .
- ١٣ - العلامة الذهبي في « تاريخ الإسلام » وفي « تلخيص المستدرک » .
- ١٤ - العلامة الحافظ ابن كثير في « البداية والنهاية » .
- ١٥ - الحافظ جلال الدين السيوطي في « الخصائص » وفي « الجامع الصغير » .
- ١٦ - العلامة ابن حجر العسقلاني في « الإصابة » وفي « الكاف الشاف » .
- ١٧ - العلامة ابن عبد البر في « الاستيعاب » .
- ١٨ - العلامة فخر الدين الرازي في « نهاية العقول » .
- ١٩ - العلامة البغوي في « التفسير » .

- ٢٠ - العلامة جابر الله الزمخشري في « الكشاف » .
- ٢١ - العلامة القندوزي في « ينابيع المودة » .
- ٢٢ - الحافظ أبو بكر الهيثمي في « مجمع الزوائد » .
- ٢٣ - العلامة المولى المتقي الهندي في « كنز العمال » .
- ٢٤ - المؤرخ ابن سعد في « الطبقات الكبرى » .
- ٢٥ - العلامة الميرزا محمد خان المعتمد البدخشي في « مفتاح النجا » .
- إلى هنا نكتفي بذكر من أورد وروى من القاب وكفى ونعوت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وآله وسلم .

مقدمة في ذكر مناقب أمير المؤمنين عليه السلام

كما قال الشاعر المرحوم السيّد رضا الهندي النجفي في قصيدته الكثرية المشهورة التي هي خمسة وخمسين بيتاً ، ألقاها يوم عيد الغدير الأغر في الحفلة التي أقامها سادن الروضة المطهرة حينذاك السيّد جواد الرفيعي التي مطلعها :

أمفليح ثغرك أم جوهر ورحيق رضا بك أم سكر
قد قال لشغرك صانعه إنا أعطيناك الكوثر
أذكر منها محل الحاجة : إلى أن قال :

- ١ - هذا عملي فاسلك سبلي إن كنت تُقرّ على المنكر
- ٢ - فلقد أسرفت وما أسلفت لنفسي ما فيه أعذر
- ٣ - سوّدت صحيفة أعمالي ووكلت الأمر إلى حيدر
- ٤ - هو كهفي من نوب الدنيا وشفيعي في يوم المحشر
- ٥ - قد تمت لي بولايته نِعَمٌ جُمْتُ عن أن تشكر
- ٦ - لأصيب به الحظ الأوفى وأخصّص بالسهم الأوفر
- ٧ - بالحفظ من النار الكبرى والأمن من الفزع الأكبر
- ٨ - هل يمنعي وهو الساقى أن أشرب من حوض الكوثر
- ٩ - أم يطردني عن مائدة وضعت للقانع والمعتز
- ١٠ - يا مَنْ قد أنكر من آيات أبي حسنٍ ما لم ينكر

- ١١ - إن كنت لجهلك بالآيام
 ١٢ - فاسأل بدرأ واسأل أحدأ
 ١٣ - مَنْ دَبَّرَ فِيهَا الْأَمْرَ وَمَنْ
 ١٤ - مَنْ هَذَا حِصُونُ الشَّرْكِ وَمَنْ
 ١٥ - مَنْ قَدَّمَهُ طَهْ وَعَلَى
 ١٦ - قَاسُوكَ أَبَا حَسَنِ بِسَوَاكِ
 ١٧ - أَنَّى سَاوُوكَ بِمَنْ نَاوُوكَ
 ١٨ - مَنْ غَيْرُكَ مَنْ يُدْعَى لِلْحَرْبِ
 ١٩ - أَفْعَالُ الْخَيْرِ إِذَا انْتَشَرَتْ
 ٢٠ - وَإِذَا ذَكَرَ الْمَعْرُوفَ فَمَا
 ٢١ - أَحْيَيْتَ الدِّينَ بِأَبْيَضٍ قَدْ
 ٢٢ - قَطَباً لِلْحَرْبِ يَدِيرُ الضَّرْبَ
 ٢٣ - فَاصْدَعْ بِالْأَمْرِ فَنَاصِرَكَ
- جحدت مقام أبي شبر
 وسل الأحزاب وسل خير
 أردى الأبطال ومن دمر
 شاد الإسلام ومن عمر
 أهل الإيمان له أمر
 وهل بالطود يُقاس الذر
 وهل ساووا نعلي قنبر
 وللمحارب وللمنبر
 في الناس فأنت لها مصدر
 بسوك به شيء يذكر
 أودعت به الموت الأحمر
 ويجلو الكرب بيوم الكر
 البتار وشائك الأبر

وهاك مقتطفات من أقوال سيد الحكماء وأمير البلغاء وإمام المتقين علي
 أمير المؤمنين عليه السلام :

١ - إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ، ولا طمعاً في جنتك ، ولكني
 وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك .

٢ - لو كُثِفَ لي الغطاء ما ازددت يقيناً .

٣ - سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عن طرق السماوات ، فلاني
 أعلم بها من طرق الأرض .

٤ - التوحيد أن لا تتوهمه ، والعدل أن لا تتهمه .

قال الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) : ثلاث كلمات لأمر المؤمنين
 فقثن عين البلاغة :

٥ - في الحكمة : قيمة كل امرئ ما يحسنه ، الناس أعداء ما جهلوا ، المرء محبوبٌ تحت لسانه .

٦ - في الأخلاق : أحسن إلى مَنْ شئت تكن أميره ، واستغنِ عمن شئت تكن نظيره .

٧ - واحتج إلى مَنْ شئت تكن أسيره .

٨ - في الدعاء : إلهي كفى بي عزاً أن أكون لك عبداً ، وكفى بي فخراً أن تكون لي رباً .

٩ - أنت كما أحب فاجعلني كما تحب .

من كتاب (حق اليقين) للسيد عبد الله شبر من ص ٢٩٩ إلى ص ٣٠٧ استمع إلى مقطعات منه ، يقول :

لما دخل أمير المؤمنين الكوفة ، دخل عليه حكيمٌ من العرب فقال :
والله يا أمير المؤمنين ، لقد زينت الخلافة وما زينتك ، ورفعتها وهي كانت
أحوج إليك منك إليها .

أخرج السلفي في (الطبريات) عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال :
سألت أبي عن علي ومعاوية ، فقال :

اعلم أنّ علياً كان كثير الأعداء ، ففتش له أعداؤه شيئاً فلم يجدوا ،
فجاؤوا إلى رجل قد حاربه وقتله فاطروه ، كيداً منهم له .

ومن كراماته الباهرة :

١ - أن الشمس ردت عليه لما كان رأس النبي صلى الله عليه وآله في حجره ، والوحي ينزل عليه ، وعلي لم يصل العصر ، فما
سرى عنه صلى الله عليه وآله وسلم إلا وقد غربت الشمس ، فقال النبي :
يا علي ، هل صليت العصر ؟ قال : لا . فقال النبي : اللهم إنه كان في

طاعتك وطاعة رسولك ، فاردد عليه الشمس ، فطلعت بعدما غربت ،
وحديث رَدَّهَا صَحَّحَهُ الطَّحَاوِيُّ وَالْقَاضِي فِي الشَّفَاء .

٢ - وأخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري أَنَّ النبي صَلَّى الله عليه
وآله وسلَّم قال : « وقفوهم إنهم مسؤولون » عن ولاية علي .

وكان هذا هو مراد الواحدي بقوله في قوله تعالى : ﴿ وقفوهم إنهم
مسؤولون ﴾ ^(١) عن ولاية علي عليه السلام وأهل البيت ، لأنَّ الله تعالى
أمر نبيّه أن يعرف الخلق أنّه لا يسألهم عن تبليغ الرسالة أجراً إلاّ المودة في
القربى ، والمعنى أنّهم يُسألون : هل والوهم حق الموالاتة كما أوصاهم النبي
صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم أم أضاعوها وأهملوها ، فتكون عليهم المطالبة
والتبعة ؟

٣ - أخرج الطبراني عن علي عليه السلام قال : إنّ خليلي رسول الله
صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال : يا علي ، إنك ستقدم على الله وشيعتك
راضين مرضيين ، ويقدم عليه أعداؤك غضاباً مقمحين .

٤ - وأخرج ابن سعد عن علي عليه السلام - قال : أخبرني
رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم أنّ أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة
والحسن والحسين ، قلت : يا رسول الله : فمحبّونا ؟ قال : من ورائكم .
« اللهم اجعلنا منهم » .

٥ - وقال في الصواعق المحرقة في قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا
وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾ سورة البينة آية ٧ : أخرج
الحافظ جمال الدين ، عن ابن عباس أنّ هذه الآية لما نزلت قال النبي لعليّ
عليه السلام : أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة راضين مرضيين ، ويأتي
أعداؤك غضاباً مقمحين .

(١) الصافات : ٢٤ .

فقال : ومن عدوي ؟

قال : من تبرأ منك ولعنك .

٦ - وأخرج أحمد والترمذي ، عن جابر قال : ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغضهم علياً . ولورمنا الإتيان بجميع الأخبار التي رواها أعلام القوم ، فضلاً عن الإمامية ، في كتبهم وصحاحهم وزبرهم وبيناتهم لاحتجنا لجمعها كتباً كثيرة ، فإن الفضائل التي ذكروها لا تُحصى ، والمناقب التي سَطَروها لا تستقصى ، ولو كان البحر مداداً ، والأشجار أقلاماً والثقلان كتاباً ، والملائكة حساباً لما أحصوا عشر معشار مناقبه ، صلوات الله عليه ، كما ورد في الأثر والعيان يغني عن النقل والبيان ، ولعمري لو لم يقع عليه نص بالخلافة ، لكانت صفاته الطاهرة ، ومناقبه الباهرة ، وأخلاقه الفاخرة ، ونعوته الزاهرة نصوصاً صريحة ، وبراهين واضحة صحيحة ، فكيف وقد وقع ذلك ؟ !

٧ - قال الخليل بن أحمد النحوي : احتياج الكل إليه واستغناؤه عن الكل دليل على أنه إمام الكل .

وسُئِلَ عن مدحه فقال : ما أقول في مدح امرئ كتمت أحباؤه فضائله خوفاً ، وأعداؤه حسداً ، ثم ظهر ما بين الكتانين ما ملأ الخافقين ؟ !

ولله در ابن أبي الحديد المعتزلي حيث قال في شرحه^(١) :

أما فضائله فإنها قد بلغت من العِظَم والجلالة والانتشار والاشتهار مبلغاً يسمح معه التعرُّض لذكرها والتصدي لتفصيلها ، وما أقول في رجل أقر له أعداؤه وخصومه بالفضل ، ولم يمكنهم جحد مناقبه ولا كتمان فضائله ؟ !

وقد غلب واستولى بنو أمية على سلطان المسلمين في شرق الأرض

(١) شرح النهج : ج ١ من ص ٥ - ١٠ .

وغربها ، واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره ، والتحريف عليه ، ووضع المعائب والمثالب له ، ولعنوه على جميع المنابر ، وتوعدوا مادحيه ، بل حبسوهم وقتلوه ، ومنعوا من رواية حديث يتضمن فضيلة أو يرفع له ذكر ، حتى حظروا أن يسمى أحد باسمه ، فما زاده ذلك إلا رفعة وسمواً وشموخاً ، وكان كالمسك كلما ستر انتشر عرفة ، وكلما كتم تضرع نشره ، وكالشمس لا تستر بالراح ، وكضوء النهار إن حجبت منه عين واحدة أدركته عيون كثيرة أخرى .

وما أقول في رجل تُعزى إليه كل فضيلة ، وتنسب إليه كل فرقة ، وتتجاذبه كل طائفة ؟ ! فهو رئيس الفضائل وينبوعها ، وأبو عذرها ، وسابق مضارها ، ومجلى حليتها ، كل من نزع فيها بعده فمته أخذ ، وله اقتفى ، وعلى مثاله احتذى .

ثم قال : ومن العلوم : (علم الفقه) وهو أصله وأساسه ، وكل فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ، ومستفيد من فهمه .

ومن العلوم (علم التفسير) ، وعنه أخذ ومنه تفرع ، وعن ابن عباس وهو المرجع .

قيل له : أين علمك من ابن عمك ؟

فقال : كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط .

ومن العلوم : (علم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوف) وأرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون وعنده يقفون ، وقد صرح بذلك الشبلي والجنيد والبسطامي والكرخي وغيرهم .

ومن العلوم (علم النحو والعربية) وهو الذي ابتدعه ووضعه .

وإن رجعت إلى الخصائص الخلقية والفضائل النفسانية والدينية وجدته ابن جلاها وطلاع ثناياها .

أما الشجاعة فإنه أنسى الناس فيها مَنْ كان قبله ، وعفى اسم من يأتي بعده ، ومقاماته في الحرب مشهورة ، تضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة ، وهو الشجاع ما فرُّ قط ولا ارتاع من كتيبة ، ولا بارز أحداً إلا قتل ، ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى إلى ثانية ، وفي الحديث (كانت ضرباته وترأ) .

ولما دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح الناس من الحرب بقتل أحدهما ، قال ابن العاص : لقد أنصفك ، فقال معاوية : ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم ، أأمرني بمبارزة أبي الحسن وأنت تعلم أنه الشجاع المطرق ؟ ! وأراك طمعت في إمارة الشام بعدي .

وكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته ، ومن جملة الأمر أن كل شجاع إليه ينتهي وباسمه ينادى في مشارق الأرض ومغاربها .

وأما القوة والأيد فبه تضربُ الأمثال فيهما وهو الذي قلع باب « قلعة » خيبر واجتمع عليه عصبة من الناس ليقبلوه فلم يقبلوه .

وهو الذي قلع الصخرة العظيمة في أيام خلافته بيده بعدما عجز الجيش كله عنها ، وانبط الماء من تحتها .

أما السخاء والجود فحاله فيه ظاهر ، وكان يصوم ويطوي ويؤثر بزاده ، وفيه أنزل الله تعالى في كتابه المجيد : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾ آية ٨ الإنسان .

وروي المفسرون أنه لم يملك إلا أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلاً ، وبدرهم نهاراً ، وبدرهم سراً ، وبدرهم علانية ، فأنزل الله تعالى فيه : ﴿ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِالْأَيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً ﴾ ٢٧٤ البقرة .

وروي عنه أنه كان يستقي بيده لنخل قومٍ من يهود المدينة حتى

مجلت يده ، ويتصدق بالأجرة ، ويشد على بطنه حجراً .

وأما الحلم والصفح فكان أحلم الناس عن ذنب ، وأصفحهم عن مسيء ، وقد ظهر صحة ما قلناه يوم الجمل حيث ظفر بمروان بن الحكم ، وكان أعدى الناس له ، وأشدّهم بغضاً ، فصفح عنه .

وأما الجهاد في سبيل الله فمعلوم عند صديقه وعدوه أنه سيّد المجاهدين ، وهل الجهاد لأحد من الناس إلّا له ؟ وهذا من المعلومات بالضرورة ، كالعلم بوجود الشمس في رابعة النهار .

وأما الفصاحة ، فهو إمام الفصحاء ، وسيّد البلغاء ، وعن كلامه قيل : دون كلام الخائق وفوق كلام المخلوق - « بعد كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم » .

وأما سجاحة الأخلاق وبشر الوجه وطلاقة المحيا والتبسّم ، فهو المضروب به المثل .

وأما زهده في الدنيا فهو سيّد الزهاد ، وبدل الأبدال ، وإليه تشدّ الرجال ، ما شيع من طعام قط ، وكان أخشن الناس مأكلًا وملبسًا ، وكان ثوبه مرقعاً بجلد تارة وبليف أخرى ، ونعلاه من ليف ، وكان يلبس الكرايس الغليظة ، فإذا وجد كمّه طويلاً قطعه بشفرة ولم يخطه ، وكان يأتدّم إذا ائتدّم بملح أو خلّ ، فإذا ترقّى عن ذلك فبعض نبات الأرض ، فإذا ارتفع عن ذلك فقليل من ألبان الإبل ، ولا يأكل اللحم إلّا قليلاً ، وهو الذي طلق الدنيا ، « ثلاثاً » .

وقال ابن أبي رافع : دخلت عليه يوم عيد فقَدّم جراباً مختوماً ، فوجدنا فيه خبز شعير مرضوضاً فأكل ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، كيف تختمه وما عهدتك بخيلاً ؟ قال : خفت هذين الولدين أن يلتآه بسمن أو بزيت .

وأما العبادة ، فكان أعبد الناس ، وأكثرهم صلاةً وصوماً ، ومنه تعلم الناس صلاة الليل وملازمة الأوراد وقيام النافلة ، وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصفتين ليلة الهريز فيصلي عليه ورده والسهم تقع بين يديه وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً ، فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من ورده ، وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير لطول سجوده .

وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام وكان الغاية في العبادة : أين عبادتك من عبادة جدك ؟ فقال : عبادتي عند عبادة جدي كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله .

وأما قراءة القرآن والإشتغال به ، فهو المنظور إليه في هذا الباب ، واتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن غيره يحفظه حينذاك ، ثم هو أول من جمعه ، وأتمه القرآن كلهم يرجعون إليه .

وأما الرأي والتدبير فكان من أسدّ الناس رأياً وأصحهم تدبيراً ، وهو الذي أشار على عمر لما عزم أن يتوجّه بنفسه إلى حرب الروم والفرس بما أشار ، وهو الذي أشار على عثمان بأمور كان صلاحه فيها ولو قبلها وعمل بها لم يحدث عليه ما حدث .

وما أقول في رجل يحبه أهل الذمة على تكذيبهم بالنبوّة ، وتعظيمه الفلاسفة على معاندتهم لأهل الملة ، وتصوّر ملوك الإفرنج صورته في بيعها وبيوت عبادتها حاملاً سيفه مشمراً لحربه ، وتصوّر ملوك الترك والديلم صورته على أسيافها ، وكان على سيف عضد الدولة وركن الدولة صورته ، وكان على سيف ألب أرسلان وابنه ملك شاه صورته ، وكأثم يتفاءلون به بالنصر والظفر .

وما أقول في رجل أحب كل أحدٍ أن يتكثر به ، ووُدَّ كلَّ أحدٍ أن يتجمل ويتحسن بالانتساب إليه .

وما أقول في رجل أبوه أبو طالب سيّد البطحاء وشيخ قريش ورئيس مكة ، وهو الذي كفل رسول الله صلى الله عليه وآله صغيراً وحماه كبيراً ومنعه من مشركي قريش ، ولقى لأجله عتاً عظيماً ، وقاسى بلاءً شديداً ، وصبر على نصره والقيام بأمره .

وقد جاء في الخبر أنّه لما توفي أبو طالب عليه السلام أوحى الله تعالى إليه : اخرج منها - يعني من مكة - فقد مات ناصرك .

وله مع شرف هذه الأبوة أن ابن عمّه سيّد الأولين والآخرين ، وأخاه جعفر ذو الجناحين « يطير بهما في الجنة » ، وزوجته سيّدة نساء العالمين ، وابنيه سيّدا شباب أهل الجنة ، وآباؤه آباء رسول الله صلى الله عليه وآله وأمهاته أمّهات رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو مسوط بلحمه ودمه لم يفارقه منذ خلق الله تعالى آدم إلى أن مات عبد المطلب بين الأخوين عبد الله وأبي طالب وأُمهما واحدة ، فكان منها سيّد الناس هذا الأوّل وهذا التالي ، وهذا المنذر وهذا الهادي إنّما أنت منذر ولكل قوم هاد .

وما أقول في رجل سبق الناس إلى الهدى ، وآمن بالله وعبده وكل من في الأرض يعبد الحجر ويوجد الخالق .

ولو أردنا شرح مناقبه وخصائصه لاحتجنا إلى كتاب مفرد يماثل هذا الكتاب بل يزيد عليه ، انتهى كلامه ملخصاً ، وبالجمل ففضائله الباهرة ومناقبه الظاهرة وكراماته الفاخرة قد ملأت الأقطار واشتهرت اشتهاً الشمس في رابعة النهار ، انتهت هذه المقدمة .

مقتطفات من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام

وهي خمسة وعشرين حديثاً من أربعين حديثاً انتقيتها من الجزء
العاشر من كتاب الغدير من ص ٢٧٨ - ٢٨١ .

١ - قال صلى الله عليه وآله : « عليّ مني بمنزلة هارون من موسى إلا
أنه لا نبيّ بعدي » .

٢ - وقال صلى الله عليه وآله وسلّم : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ ،
اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ ، وَعَاد مَنْ عَادَاهُ ، وَانصُر مَنْ نَصَرَهُ وَاخْذَلْ مَنْ
خَذَلَهُ » .

٣ - وقال صلى الله عليه وآله وسلّم : (مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ،
وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ ، وَمَنْ أَطَاعَ عَلِيًّا فَقَدْ أَطَاعَنِي ، وَمَنْ عَصَى عَلِيًّا
فَقَدْ عَصَى اللَّهَ) .

٤ - وقال صلى الله عليه وآله وسلّم : (إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ الثَّقَلَيْنِ :
كِتَابَ اللَّهِ وَعِترتي أَهْلَ بَيْتِي ، وَإِنَّمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرْدَا عَلِيَّ الْحَوْضَ ،
فَانظُرُونِي ، بِمَ تَخْلَفُونِي فِيهَا) .

٥ - وقال صلى الله عليه وآله وسلّم : (مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَجِيئَ حَيَاتِي ،

وَمَيُوتَ مَمَاتٍ ، وَيَسْكُنُ جَنَّةَ الْخُلْدِ الَّتِي وَعَدَنِي رَبِّي ، فَلْيَتَوَلَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، فَإِنَّهُ لَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ هُدًى ، وَلَنْ يَدْخُلَكُمْ فِي ضَلَالٍ .

٦ - وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (غَنَوَانُ صَحِيفَةِ الْمُؤْمِنِ حُبُّ عَلِيَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ) .

٧ - وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَظَرَ إِلَى عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ : « أَنَا حَرْبٌ لِمَنْ حَارَبَكُمْ وَيُسَلِّمُ لِمَنْ سَالَكُمْ » .

٨ - وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (عَلِيٌّ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ ، وَهُوَ وَلِيَّ كُلِّ مُؤْمِنٍ بَعْدِي) .

٩ - وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثٍ لَهُ : (عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِمَامُ الْمُتَّقِينَ ، وَقَائِدُ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ إِلَى جَنَّاتِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، أَفْلَحَ مَنْ صَدَّقَهُ ، وَخَابَ مَنْ كَذَّبَهُ ؛ وَلَوْ أَنَّ عَبْدًا عَبْدَ اللَّهِ بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ أَلْفَ عَامٍ وَالْفَ عَامٍ ، حَتَّى يَكُونَ كَالشَّنِّ الْبَالِيِّ ، وَلَقَى اللَّهَ مَبْغُضًا لَأَلَّ مُحَمَّدٌ أَكْبَهُ اللَّهَ عَلَى مَنْخَرِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ) .

١٠ - وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (لَا يَجِبُكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَبْغِضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ) .

١١ - وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (يَا عَلِيُّ ، طَوَّبَ لِمَنْ أَحَبَّكَ وَصَدَّقَ فِيكَ ، وَوَيْلٌ لِمَنْ أَبْغَضَكَ وَكَذَّبَ فِيكَ) .

١٢ - وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (هَذَا أَمِيرُ الْبَرَّةِ ، قَاتِلُ الْفُجْرَةِ ، مَنْصُورٌ مَنْ نَصَرَهُ ، مُخْذُولٌ مَنْ خَذَلَهُ) .

١٣ - وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا فَقَدْ أَبْغَضَنِي) .

١٤ - وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : (أَوْحَى (اللَّهُ) إِلَيَّ فِي عَلِيٍّ

ثلاث ، أَنه سَيِّدُ الْمُسْلِمِينَ ، وإمامُ الْمُتَّقِينَ ، وقائدُ الْغَرِّ الْمُحْجَلِينَ) .

١٥ - وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : (لَا يَجُوزُ أَحَدٌ عَلَى الصَّرَاطِ إِلَّا مَنْ كُتِبَ لَهُ عَلَى الْجَوَازِ) .

١٦ - وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : (لَا يَجُوزُ أَحَدٌ عَلَى الصَّرَاطِ إِلَّا وَمَعَهُ بَرَاءَةٌ بَوْلَايَتِهِ وَوَلَايَةُ أَهْلِ بَيْتِهِ ؛ يَشْرَفُ عَلَى الْجَنَّةِ ، فَيَدْخُلُ مَحَبَّيْهِ الْجَنَّةَ ، وَمُبْغَضِيهِ النَّارَ) .

١٧ - وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : (مَعْرِفَةُ آلِ مُحَمَّدٍ بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ ، وَحُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ جَوَازٌ عَلَى الصَّرَاطِ ، وَالْوَلَاءُ لِآلِ مُحَمَّدٍ أَمَانٌ مِنَ الْعَذَابِ) .

١٨ - وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : (سَيَكُونُ بَعْدِي قَوْمٌ يَقَاتِلُونَ عَلِيًّا ، عَلَى اللَّهِ جِهَادُهُمْ ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ جِهَادَهُمْ بِيَدِهِ فَبِلِسَانِهِ ، فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ بِلِسَانِهِ فَبِقَلْبِهِ ، لَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ شَيْءٌ) .

١٩ - وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : (أَنْتَ وَشِيعَتُكَ تَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْتَ وَهُمْ رَاضِينَ مُرْضِيينَ ، وَيَأْتِي أَعْدَاؤُكَ غَضَابًا مُقْمَحِينَ .
قال : وَمَنْ عَدُوِّي ؟ قال : مَنْ تَبَرَّأَ مِنْكَ وَلَعَنَكَ) .

٢٠ - وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : (مِثْلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ مِثْلُ سَفِينَةِ نُوحٍ ، مَنْ رَكِبَهَا نَجَا ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا غَرِقَ) .

٢١ - وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : (الزَّمُوا مُوَدَّتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ ، فَإِنَّهُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ يُوَدُّنَا دَخَلَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِنَا ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا عَمَلَهُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ حَقِّنَا) .

٢٢ - وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ : (لَوْ أَنَّ رَجُلًا صَفَنَ بَيْنَ

الركن والمقام ، فصلّى وصام ، ثمّ لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمّد دخل النار) .

٢٣ - وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم : (إنّ الله جعل أجري عليكم المودة في أهل بيتي ، وإنّي سائلكم غداً عنهم) .

٢٤ - وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم : (وقفوهم إنهم مسؤولون عن ولاية علي) .

٢٥ - وقال صلّى الله عليه وآله وسلّم : (إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة ، ونصب الصراط على جسر جهنم ، ما جازها أحدٌ حتّى كانت معه براءة بولاية علي بن أبي طالب) .

هذا مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، وهذا غيض من فيض ممّا جاء في ولّائه وأعدائه ، فأنيّ صحابي عادلٍ عاصر نبيّ الرحمة ، ووعى منه هاتيك الكلمات الدرّية ، وشاهد مولانا عليه السلام وعرف انطباقها عليه بتمام معنى الكلمة ، ثمّ تجاوز عنه ، واتخذ سبيلاً غير سبيله ، فبغي به الغوائل ، وتربّص به الدوائر ، ويقع فيه بملء فمه ، وحشو فؤاده ، ويرميه بقذائف الحقد والشنّاثان إلّا مطعون في طهارة مولده ، مثل ابن هند لافظة الأكباد ؟ » .

نِعَمُ الأخ أخوك علي

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « إذا كان يوم القيامة نوديت من بطنان العرش : يا محمّد ، نِعَمُ الأب أبوك إبراهيم ، ونِعَمُ الأخ أخوك علي بن أبي طالب » .

رواه : ابن المغازلي في « المناقب » ص ٤٢ وص ٤٤ ح ٦٦ وص ٦٧ ح ٩٦ بعدة طرق - طبع دار الأضواء بيروت .

ابن عساكر في ترجمة الإمام علي عليه السلام من « تاريخ دمشق »
ج ١ / ١٣١ ح ١٥٩ طه المحمودي - بيروت .

الحموي في « فرائد السمطين » ج ١ / ١١٠ ح ٧٧ وح ٧٨ ط -
بيروت .

الكنجي في « كفاية الطالب » ص ١٨٥ ط طهران ، وللمزيد من
المصادر راجع إحقاق الحق ج ٤ / ١٨٢ - ١٨٦ وج ١٥ / ٤٨٢ - ٤٨٧ .

أحبُّ إخواني إليَّ علي

روى الحافظ ابن المغازلي في « المناقب » ص ٢٩٩ ح ٣٤٢ ط دار
الأضواء - بيروت ، بإسناده إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال :
« أحبُّ إخواني إليَّ علي بن أبي طالب .

مكتوب علي باب الجنة : عليُّ أخو رسول الله

روى جابر بن عبد الله ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال :
مكتوب علي باب الجنة قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بألفي عام
« محمد رسول الله وعليُّ أخوه » .

رواه الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في « حلية الأولياء » ج ٧ / ٢٥٦
ط مصر ، والعلامة أخطب خوارزم في « المناقب » ص ٨٦ ط تبريز .
والحافظ ابن المغازلي في « المناقب » ص ٩١ ح ١٣٤ ط دار الأضواء -
بيروت والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » ج ٧ / ٣٨٧ ط مصر .
ومحب الدين الطبري في « الرياض النضرة » ج ٢ / ٦٩٤
ط مصر ، وفي « ذخائر العقبى » ص ٦٦ .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عليُّ أخي . في عدة مواضع
يصعب حصرها ، ونحن نذكر نبذةً منها للاختصار ، وهي مذكورة في

مجلدات (إحقاق الحق) وأشير إلى بعض صفحاتها اختصاراً ، يمكنك أن تراجع المصادر فيها وهي في ج ٤ ص ١٨ وص ٥٤ إلى ص ٧٠ ، وص ٧٨ ، وص ٩٠ ، وص ٩٢ إلى ص ٩٤ ، وص ٩٩ ، وص ١٠١ ، وص ١٣١ ، وص ١٦٦ إلى ص ١٦٩ ، وص ١٧١ إلى ص ٢١٧ ، وص ٢٢٣ إلى ص ٢٢٥ ، وص ٢٢٧ إلى ص ٢٣١ ، وص ٢٣٦ ، وص ٢٤٥ ، وص ٢٧٧ ، وص ٢٢٨ وص ٢٩٧ ، وص ٣٣١ ، وص ٢٤١ ، وص ٣٤٢ ، وص ٣٥٠ ، وص ٣٥٧ ، وص ٣٦٣ ، وص ٣٦٦ ، وص ٣٦٨ ، وص ٣٧٤ ، وص ٣٨١ ، وص ٣٨٤ ، وص ٣٨٥ ، وص ٣٨٧ ، وص ٣٨٨ ، وفي ج ١٥ ص ٤٥٠ إلى ص ٤٦٣ ، ونقل هنا بعض ما رواه أعلام القوم في مصادرهم المعتبرة ، أولها :

عن ابن عباس قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله بيدي وأخذ بيد علي عليه السلام فصلّى أربع ركعات ثم رفع يده إلى السماء فقال : اللهم سألك موسى بن عمران ، وإن عمداً يسألك أن تشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، وتحلل عقدة من لساني ، يفقهوا قولي ، واجعل لي وزيراً من أهلي ، عليّاً أخي ، أشدد به أزري ، وأشرکه في أمري .

قال ابن عباس : فسمعت منادياً ينادي : يا أحمد ، قد أوتيت ما سألت .

فقال النبي صلى الله عليه وآله : يا أبا الحسن ، ارفع يدك إلى السماء وادع ربك ، واسأله يعطيك .

فرفع عليّ يده إلى السماء وهو يقول : اللهم اجعل لي عندك عهداً ، واجعل لي عندك ودّاً .

فأنزل الله تعالى على نبيّه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

سَيَجْعَلُ لَكُمْ الرِّحْمَنُ وِدًّا ﴿١﴾ فتلاها النبي صَلَّى الله عليه وآله على أصحابه ، فمعجبوا من ذلك عجباً شديداً .

فقال النبي صَلَّى الله عليه وآله : مم تعجبون ؟ إن القرآن أربعة أرباع : فربع فينا أهل البيت خاصة ، وربع حلال ، وربع حرام ، وربع فرائض وأحكام ، والله أنزل فينا كرائم القرآن .

روى هذا الحديث عدة من أعلام القوم وحفاظهم منهم :
الحافظ أحمد بن حنبل في « فضائل الصحابة » ص ٢٩٩ مخطوط نظن كتابتها في المائة السادسة .

العلامة ابن المغازلي المتوفى في سنة ٤٨٢ في (المناقب) ص ٣٢٨ ح ٣٧٥ .

العلامة سبط ابن الجوزي في « التذكرة » ص ٢٧ ط الغري .
العلامة محب الدين الطبري المتوفى في سنة ٦٩٤ في « ذخائر العقبى » ص ٦٣ ط مصر .

العلامة الشيخ سليمان القندوزي المتوفى سنة ١٢٩٣ في « ينابيع المودة » ص ٦٢ ط اسلامبول .

وللمزيد راجع المجلد الرابع من إحقاق الحق ص ٥٦ حديث الدار ص ٦٦ ج ٢ .

حديث الدار

لما نزلت آية : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ (١) جمع رسول الله صَلَّى الله عليه وآله بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً ، الرجل منهم

(١) مريم : ٩٦ .

(٢) الشعراء : ٢١٤ .

يأكل الجذعة « المسنة » ويشرب العيس « العرق » ، فأمر علياً برجل شاة فأدمها « أي فصنعها » وفي رواية : فصنع لهم مُدّاً من الطعام . وقال عليه السّلام : فأتيتهم بثرید . ثم قال لهم : أدنوا باسم الله . فدنا القوم عشرة عشرة ، فأكلوا حتى صدروا .

ثم دعا بقعب من لبن ، فجرع منه جرعةً ، ثم قال لهم : اشربوا بسم الله فشرّبوا حتى رووا ، فبدرهم أبو لهب فقال : هذا ما سحركم به الرجل . فسكت النبي يومئذ فلم يتكلّم فتفرّقوا .

فلبثوا أياماً ثم صنع لهم مثله ، ثم أمرني فجمعتهم ، فطعموا وشرّبوا ، ثم قال لهم : يا بني عبد المطلب ، إِنِّي بُعِثْتُ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً وَإِلَى النَّاسِ عَامَّةً ، وَإِنِّي جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، فَأَسْلَمُوا وَأَطَاعُونِي تَهْتَدُوا ، وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ أَنْ أَدْعُوَكُمْ إِلَيْهِ ، فَأَيْكُمْ يَوزُرُنِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَخِي وَوَصِيِّي - وفي رواية : وَمَنْ يَؤَافِقُنِي وَيَؤَافِرُنِي وَيَكُونُ وَلِيِّي وَوَصِيِّي وَخَلِيفَتِي وَيَقْضِي دِينِي ؟ - فسكت القوم ، وأعاد ذلك ثلاثاً ، كل ذلك يسكت القوم ويقوم علي عليه السّلام ويقول : أنا يا رسول الله ؛ - وَإِنِّي لِأَحْدَثُهُمْ سَنًا وَأَرْمَصُهُمْ عَيْنًا وَأَعْظَمُهُمْ بَطْنًا وَأَخْمَشُهُمْ سَاقًا - أَكُونُ وَزِيرَكَ عَلَيْهِ .

فأخذ برقبتني ثم قال : إن هذا أخي ووزيرني ووصي ووارثي وخليفتي من بعدي . ثم قام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب : قد أملك أن تسمع لابنك وتطيع .

هذا ملخص الواقعة « واقعة الدار » نقلتها لك بعد جمع خلاصة الروايات التي ذكرها أعلام القوم من الحفاظ والرواة للاختصار أذكر قسماً منهم :

العلامة المحدث أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ في « المسند » ج
ص ١٥٩ ط مصر .

ومنهم العلامة الطبري المتوفى سنة ٣١٠ في تفسيره ج ١٩ ص ٦٨
ط مصر .

وفي « تاريخ الأمم والملوك » ج ٢ ص ٦٢ ط مصر .

ومنهم العلامة الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ وقيل ٤٣٧ في « تفسيره »
ص ٧٥ مخطوط .

ومنهم العلامة سبط بن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ في « التذكرة »
ص ٤٤ ط النجف .

ومنهم العلامة الحموي المتوفى سنة ٧٢٢ في كتابه « فرائد
السمطين » .

ومنهم المؤرخ الشهير بابن سعد في كتابه « الطبقات الكبرى » ج ١
ص ١٨٧ ط بيروت .

ومنهم الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ في تفسيره .
وغيرهم وغيرهم وللمزيد راجع المجلد الرابع من إحقاق الحق من
ص ٦٠ إلى ص ٧٠ .

قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله :
لكلِّ نبيٍّ وصيٌّ ووارثٌ ،
وإن وصيي ووارثي علي بن أبي طالب

رواه جماعة من أعلام القوم وحفاظهم بطرق متعددة والفاظ مختلفة ،
منهم :

الفقيه ابن المغازلي الواسطي المتوفى سنة ٤٨٢ في كتابه « مناقب أمير المؤمنين عليه السلام » ص ٢٠٠ ح ٢٣٨ .

ومنهم العلامة أخطب خوارزم المتوفى سنة ٥١٨ في كتابه « المناقب » ص ٥٠ ط تبريز .

ومنهم العلامة الترمذي في « فتح المين » .

ومنهم محب الدين الطبري المتوفى سنة ٦٩٤ في كتابه « ذخائر العقبي » ص ٧١ ط مصر .

ومنهم الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ « لسان الميزان » ج ٤ ص ٤٨٠ ط حيدرآباد .

وللمزيد راجع المجلد ٤ من إحقاق الحق من ص ٧١ - ٨٤ .

وخلاصة الحديث عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله لأُمّ سلمة : هذا علي بن أبي طالب لحمه

لحمي ، ودمه دمي ، وهو مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي .

يا أم سلمة ، هذا عليُّ أمير المؤمنين ، وسيّد المسلمين ، ووصي وعية علمي ، وبابي الذي أُوتِيَ منه ، أخِي في الدنيا والآخرة ، ومعِي في لسان الأعلى ، يقتل القاسطين والمارقين والناكثين .

وفي رواية العلامة الحمويّ المصري المتوفى سنة ٧٢٢ في كتابه « فرائد السمطين » عن ابن عباس ، قال : قدم يهودي يقال له (نعثل) فقال : يا محمد ، أسألك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين ، فإن أجبتني عنها أسلمت على يديك قال صلّى الله عليه وآله وسلم : سل يا أبا عمارة .

فسأله عدّة مسائل وكلما يجيبه عليها يقول له : صدقت إلى أن قال : أخبرني عن وصيّك من هو ؟ فما من نبي إلا وله وصي ، وإن نبينا موسى بن عمران أوصى إلى يوشع بن نون ؟

فقال صلّى الله عليه وآله وسلم : إن وصي علي بن أبي طالب ، وبعده الحسن والحسين تتلوهُ تسعة أئمة من صلب الحسين .

قال : يا محمّد ، فسّمهم لي .

قال : إذا مضى الحسين فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه محمّد ، فإذا مضى محمّد فابنه جعفر ، فإذا مضى جعفر فابنه موسى ، فإذا مضى موسى فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه محمّد ، فإذا مضى محمّد فابنه علي ، فإذا مضى علي فابنه الحسن ، فإذا مضى الحسن فابنه الحجة محمّد المهدي ، فهؤلاء اثنا عشر ، عدد نساء بني إسرائيل .

قال : فأين مكانهم في الجنة .

قال : معي في درجتي .

قال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت عبده ورسوله ، وأشهد أنهم الأوصياء بعدك ، ولقد وجدتُ هذا في الكتب المتقدمة ، وفيها عهد إلينا موسى بن عمران أنه إذا كان آخر الزمان يخرج نبيّ يقال له (أحمد) خاتم الأنبياء لا نبي بعده ، فيخرج من صلبه أئمة أبرار عدد الأسباط .

قال : فقال : يا أبا عمار ، أتعرف الأسباط .

قال : نعم يا رسول الله ، إنهم كانوا اثني عشر .

قال : إن أولهم لأوي بن برخيا ، وهو الذي غاب عن بني إسرائيل غيبةً ثم عاد ف أظهر الله شريعته بعد دراستها ، وقاتل مع قرسطبا الملك حتى قتله .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : كأين في أمتي ما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ، وإن الثاني عشر من ولدي يغيب حتى لا يرى ويأتي على أمتي زمن لا يبقى من الإسلام إلا اسمه ، ومن القرآن إلا رسمه ، فحينئذ يأذن الله تعالى له بالخروج ، فيظهر الإسلام ويحدّد .

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم : طوبى لمن أحبهم ، والويل لمبغضهم ، وطوبى لمن تمسك بهم .

انتهى ما اخترته من الحديث ، فراجع السند في صدر الحديث .

ذكر العلامة الحموي المتوفي سنة ٧٢٢ في « فرائد السمطين » مخطوط وغيره ، عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدي الإثنا عشر ، أولهم أخي ، وآخرهم ولدي .

قيل : يا رسول الله ، ومن أخوك ؟

قال : علي بن أبي طالب .

قيل : فَمَنْ ولدك ؟

قال : المهدي الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .
والذي بعثني بالحق بشيراً ، لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدي المهدي ، وينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه ، وتشرق الأرض بنور ربها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب .

وهناك روايات بطرق مختلفة وألفاظ متفاوتة ، راجع ج ٤ من إحقاق الحق من ص ٩٠ إلى ١٢٧ .

حديث زيد بن أبي أوفى - روى عنه أعلام القوم -
منهم : العلامة ابن الأثير الجزري في « أسد الغابة » ج ٢ ص ٢٢٠ ط مصر .

ومنهم العلامة القندوري في « ينابيع المودة » ص ٥٦ دل إسلامبول عن أحمد في مسنده ، عن زيد بن أبي أوفى ، قال :

لما آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه ، قال علي : يا رسول الله ، آخيت بين أصحابك ولم تواخ بيني وبين أحد ! فقال صلى الله عليه وآله : والذي بعثني بالحق نبياً ، ما أخرتك إلا لنفسي ، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، وأنت أخي ووارثي وأنت معي في قصري في الجنة مع ابنتي فاطمة ، وأنت أخي ورفيقي .

ثم تلا : ﴿ اخواناً على سررٍ مُتقابلين ﴾ ^(١) المتحابون في الله ينظر بعضهم إلى بعض .

للمزيد راجع كتاب « إحقاق الحق » ج ٦ ص ٤٧٥ .

(١) سورة الحجر : آية ٤٧ .

علي مع الحق والحق مع علي

عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال : دخلتُ على أم سلمة ، فرأيتها تبكي وتذكر علياً ، وقالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : عليٌّ مع الحق ، والحق مع علي ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض يوم القيامة .

ذكر هذا الحديث معظم حفاظ ورواة القوم بدرجة التواتر ويسطرقت متعددة ألفاظ مختلفة ، ومتقاربة ، منهم :

الحافظ أبو بكر البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ في « تاريخ بغداد » ج ١٤ ص ٣٢١ ط مصر .

ومنهم العلامة الدولاقي المتوفى سنة ٣١٠ في « الكنى والأسماء » ج ٢ ص ٨٩ ط حيدر آباد .

ومنهم الحافظ ابن عساكر الدمشقي المتوفى سنة ٥٧١ في « تاريخ دمشق » ج ٦ ص ١٠٧ ط دمشق .

ومنهم العلامة الحموي المتوفى سنة ٧٢٢ في « فرائد السمطين » .

ومنهم الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩ .

والبيهقي المتوفى سنة ٣٠٠ .

والنيشابوري الشافعي المتوفى سنة ٤٠٥ ، وغيرهم في كتبهم
ومستدركاتهم .

وللمزيد يمكنك مراجعة المصادر المذكورة في كتاب إحقاق الحق ج ٥
من ص ٦٢٣ إلى ٦٣٨ ، وهي اثنا عشر مصدراً .

وكذلك في ج ٤ ص ٢٧ و ٢٨٧ وغيرها ، وكذلك مثبت في ج ١٦
من ص ٣٨٤ إلى ٣٩٧ الباب التاسع عشر ، بعشرة طرق وألفاظ مختلفة
ومتقاربة .

علي مع القرآن والقرآن مع علي

وأما حديث «علي مع القرآن ، والقرآن مع علي» فلا يقل تواتراً عن الحديث السابق ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر .

عن أم سلمة ، قالت : سمعت رسول الله عليه السلام يقول : علي مع القرآن والقرآن مع علي ، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض . ذكره العلامة أخطب خوارزم المتوفى سنة ٥٦٨ في « المناقب » ص ١٠٧ ط تبريز .

والحاكم النيشابوري المتوفى سنة ٤٠٥ في « المستدرک » ج ٢ ص ١٢٤ ط حيدرآباد .

والحافظ الكنجي الشافعي المتوفى ٦٥٨ في « كفاية الطالب » ص ٢٥٣ ط الغري .

والعلامة الحموي المتوفى سنة ٧٢٢ في « فرائد السمطين » مخطوط وغيرهم .

وللمزيد راجع المصادر المذكورة في موسوعة إحقاق الحق ج ٥ من ص ٦٣٩ إلى ص ٦٤٥ ، وج ١٦ من ص ٣٩٨ إلى ص ٤٠١ وغيرها .

من احب علياً فقد احب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مَنْ أَحَبَّنِي فَلِيحِبَّ عَلِيّاً ، وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيّاً فَقَدْ أَبْغَضَنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَمَنْ أَبْغَضَ اللَّهُ أَدْخَلَهُ النَّارَ .

رواه عدة من حفاظ القوم ورواتهم ، بسبعة عشر طريقاً ، وبمختلف الألفاظ .

منهم الحافظ أخطب خوارزم في « تاريخ بغداد » ج ١٢ ص ٣٢ ط مصر .

سبط ابن الجوزي في « التذكرة » ص ٣٢ .

والعلامة الحموي في « فرائد السمطين » المخطوط .

وابن الأثير الجزري في « أسد الغابة » ج ٤ ص ٣٨٣ ط مصر .

والحاكم النيسابوري في « المستدرک » ج ٢ ص ١٢٠ ط حيدر آباد .

والعلامة الذهبي في « تلخيص المستدرک » ج ٢ ص ١٢٠ -

والسيوطي والقندوزي وغيرهم .

للمزيد راجع كتاب إحقاق الحق الباب المائة ج ٦ ص ٤٠٠ إلى

٤١٨ - وغيرها .

حب علي عليه السلام

١ - إنَّ الله تعالى أمر النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم بحبِّ أربعة أولهم علي .

عن بريدة قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم : إنَّ الله أمرني بحبِّ أربعة من أصحابي ، وأخبرني أنَّه يحبُّهم . فقلنا : يا رسول الله ، من هم ، فكلنا نحبُّ أن نكون منهم ؟

فقال : إنَّ علياً منهم . ثمَّ سكت ساعة ، ثمَّ قال : إنَّ علياً منهم ، وسلمان الفارسي ، وأبا ذر الغفاري ، والمقداد بن الأسود الكندي .

رواه جماعة من أعلام القوم ، أذكر بعضهم كنموذج وللإيجاز : منهم أحمد بن حنبل في « مسنده » ج ٥ ص ٣٥١ ط مصر . ومنهم الحافظ البخاري المتوفى سنة ٢٥٦ في « الكنى » ص ٣١ ط حيدر آباد .

ومنهم الحافظ ابن ماجه في « سنن المصطفى » ج ١ ص ٦٦ ط مصر .

ومنه الحافظ الترمذي في « صحيحه » ج ١٣ ط مصر .

ومنه الطبري .

ومنه النيسابوري .

ومنه الحافظ أبو نعيم .

ومنه أخطب خوارزم .

وللمزيد راجع كتاب إحقاق الحق ج ٦ من ص ٢٠٠ إلى

ص ٢٠٨ .

٢ - إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِحُبِّ عَلِيٍّ وَحُبِّ مَنْ يُحِبُّهُ

عن أبي ذر ، عن علي عليه السَّلام ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ،

قال : إِنَّ جِبْرِيلَ نَزَلَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَحِبَّ عَلِيًّا وَتَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ .

رواه العلامة القندوزي في « ينابيع المودة » ص ١٢٥ ط إسلامبول .

٣ - مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِي

عن أم سلمة ، قالت : أشهد أنني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَآلِهِ يَقُولُ : مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِي ، وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللَّهَ ، وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا فَقَدْ أَبْغَضَنِي ، وَمَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ .

وزاد في رواية أخرى : وَمَنْ أَحَبَّنِي أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ أَبْغَضَنِي

أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ .

هناك روايات وأحاديث عديدة ، وبالألفاظ مختلفة متقاربة ، يصعب

حصرها ، وإنما أذكر منها نماذج ، فمن يريد المزيد ، فليراجع ما رواه

أعلام القوم في مسانيدهم ومؤلفاتهم ، ذكر بعضاً منها في موسوعة إحقاق

الحق ج ٦ من ص ٧٩ إلى ١٠٠ ، وص ٢٠٠ إلى ٤٠٠ - ٤١٩ ، وفي ج ٧

ص ٥٦٦ ، وفي ج ١٥ ص ٥٧ و ٥٨٤ ، وفي ج ١٦ في ١٤ باب ، باب

٣١ - ص ٤٤٧ إلى باب ٣٧ ص ٤٧٨ ، ومن باب ٥٧ ص ٥٣٠ إلى باب ٦٠ في ص ٥٣٨ ، ومن باب ٦٧ في ص ٥٨٨ إلى باب ٦٩ في ص ٦٠٦ ، من ج ١٦ .

- ومنهم العلامة القندوزي في « ينابيع المودة » .
- العلامة ابن حجر العسقلاني في « لسان الميزان » .
- العلامة الزرندي في « نظم درر السمطين » .
- العلامة ابن الأثير في « أسد الغابة » .
- العلامة البدخشي في « مفتاح النجا » .
- الحافظ الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » .
- العلامة الحموي في « فرائد السمطين » .
- العلامة الذهبي في « تلخيص المستدرک » .
- أخطب خوارزم في « المناقب » .
- العلامة السيوطي في « الجامع الصغير » وغيرهم .

علي قسيم الجنة والنار

انتخبنا منها خمسة أحاديث :

الحديث الأول : لما مرض الأعمش مرضه الذي مات فيه ودخل عليه ابن شبرمة ، وابن أبي ليلى ، وأبو حنيفة فقالوا : يا أبا محمد ، هذا آخر يوم من أيام الدنيا ، وأول يوم من أيام الآخرة ، وكنت تروي في علي عليه السلام ، وكان السلطان يعترضك عليها ، وفيها تعبير بني أمية ، ولو كنت أمسكت عنها لكان الرأي . فقال : إليّ تقولون هذا ؟ ! أسندوني : فسندوه ، فقال : حدّثني المتوكل الناجي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إذا كان يوم القيامة ، قال الله تعالى لي ولعلي : ادخلا الجنة من أحبكما ، وأدخلا النار من أبغضكما ؛ فيجلس عليّ على شفير جهنم فيقول : هذا لي وهذا لك .

رواه جماعة من أعلام القوم بطرق متعددة وألفاظ متقاربة .

منهم العلامة ابن المغازلي في « المناقب » .

ومنهم العلامة الشهير بابن حسنويه في « در بحر المناقب » ص ١٣٢

مخطوط .

ومنهم العلامة القندوزي في « ينابيع المودة » ص ٨٤ .

ومنهم العلامة الكشفي في « المناقب المرتضوية » ص ١١٥ ط بومباي ، وغيرهم .

للمزيد راجع كتاب إحقاق الحق ج ٦ من ص ٢١٠ إلى ٢٢٤ .

الحديث الثاني: عن جعفر الصادق، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي، أنت مني بمنزلة شيث من آدم ، ومنزلة سام من نوح ، ومنزلة إسحاق من إبراهيم ، كما قال تعالى : ﴿ ووصى بها إبراهيم بنه ويعقوب ﴾ (١) الآية ، ومنزلة هارون من موسى ، ومنزلة شمعون من عيسى .

وأنت وصيي ووارثي ، وأنت أقدمهم سلماً ، وأكثرهم علماً ، وأوفرهم حلماً ، وأشجعهم قلباً ، وأسخاهم كفاً ، وأنت إمام أمتي وقسيم الجنة والنار ؛

بمحبتك يعرف الأبرار من الفجار ، ويميز بين المؤمنين والمنافقين والكفار .

رواه أعلام القوم منهم العلامة القندوزي المتوفى سنة ١٢٩٣ في « ينابيع المودة » ص ٨٦ ط إسلامبول .

والحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ في « المستدرک » ج ٣ ص ١٣٦ ط حيدر آباد .

ومنهم العلامة ابن عبد البر المتوفى سنة ٤٦٣ في « الاستيعاب » ج ٢ ص ٤٥٧ ط حيدر آباد . وغيرهم .

وللمزيد من التفاصيل راجع كتاب إحقاق الحق ج ٤ ص ١٥٠ إلى ١٧٠ ، وص ٢٥٩ وص ٢٦٤ وص ٢٨٧ .

(١) سورة البقرة : آية ١٣٢ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله ، لعلي عليه السلام : إنك قسيم الجنة والنار ، وأنت تفرع باب الجنة وتدخلها بغير حساب .
رواه جماعة من أعلام القوم :

منهم العلامة ابن الأثير في كتابه « النهاية » ج ٣ ص ٢٨٤ .
ومنهم العلامة الحموي المتوفى سنة ٧٢٢ في فرائد السمطين .

ومنهم الحافظ ابن كثير القرشي المتوفى سنة ٧٧٤ في « البداية والنهاية » ص ٣٥٥ ج ٧ ط مصر ؛ وغيرهم ما يقرب من الأربعين محدثاً وعالمًا ، كلهم ينقلون حديث رسول الله صلى الله عليه وآله في أمير المؤمنين علي عليه السلام بشئ الطرق وبالنسب المذكورة أدناه .

الحديث الثالث : يا علي أنت قسيم الجنة والنار ، حامل اللواء الأكبر ، صاحب لواء رسول الله في الدنيا والآخرة ، الذائد عن الحوض يوم القيامة ، حامل لواء الحمد أنت ، وأنت أول من يفرع باب الجنة أنت صاحب حوض رسول الله صلى الله عليه وآله ، يوم القيامة ، وأول من تنشق عنه الأرض ، الرؤوف بالناس ، الأواه ، الحليم ، أفضل الناس منزلةً ، أقرب الناس قرابةً ، أعظم الناس غنىً .

وللمزيد من التفاصيل والأحاديث راجع كتاب إحقاق الحق ج ٤ ص ٢٥٩ إلى ٢٧٢ .

الحديث الرابع : إن المأمون العباسي ، قال للإمام أبا الحسن الرضا عليه السلام : بأي وجه جدك علي بن أبي طالب قسيم الجنة والنار .
قال : ألم تروي عن أبيك ، عن عبد الله بن عباس ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ، يقول : حُبُّ علي إيمان ، وبغضه كفر ؟ قال : بلى ، فقال : بهذا ظهر كونه قسيم الجنة والنار .

فقال المأمون : لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن ، أشهد أنك وارث

علوم رسول الله صلى الله عليه وآله .
قال أبو الصلت عبد السلام الهروي : ما أحسن ما أجت به يا بن
رسول الله .

فقال عليه السلام : يا أبا الصلت ، إنها كلمة من حيث يهوى ،
ولقد سمعت أبي ، عن آبائه ، عن جدي علي أمير المؤمنين عليه السلام ،
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنت قسيم الجنة والنار ، فيوم
القيامة تقول للنار : هذا لي فذريه ، وهذا لك فخذيه .

بالمعنى نقلته من كتاب إحقاق الحق ، ج ٤ ص ٢٦٤ .

الحديث الخامس : روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال :
لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ، يقول : إن في علي خصال ،
لو كانت واحدة في رجل اكتفى بها فضلاً وشرفاً ، منها : ولي علي ولي
الله ، وعدو علي عدو الله ، ومنها : علي حجة الله على عباده ، ومنها :
حب علي إيمان وبغضه كفر ، ومنها : حزب علي حزب الله ، وحزب
أعدائه حزب الشيطان ، ومنها : علي مع الحق والحق مع علي لا يفترقان ،
ومنها : علي قسيم الجنة والنار .

أخرج الدارقطني أن علياً قال لل ستة الذين جعلهم عمر بن الخطاب
أهل الشورى : أنشدكم الله ، هل فيكم أحد قال رسول الله صلى الله عليه
وآله : يا علي أنت قسيم الجنة والنار ، فيوم القيامة ، تقول للنار : هذا
لي ، وهذا لك ؟ فقالوا : لا .

الجزء العشرون من كتاب إحقاق الحق ص ٣٩٥ وبهذه المناسبة ،
قال الشافعي :

علي حُبُّه جُنَّة قسيم النار والجنة
وصي المصطفى حقاً إمام الإنس والجنة

ولمزيد من التفاصيل ، راجع موسوعة إحقاق الحق ج ٤ ص ١٦٠
وص ٢٥٩ وص ٢٦٤ ، وص ٢٨٧ ، وص ٣٧٩ ، وج ١٥ ص ١٨٥ -
١٨٦ .

عليّ وحديث الثقلين

وهو حديث متواتر مشهور ، صحيح ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، رواه أئمة الحديث وكبار الحفاظ بطرق كثيرة متعددة عن بضعة وعشرين صحابياً منهم الإمام أمير المؤمنين والحسن وفاطمة صلوات الله عليهم ، وأبو أيوب الأنصاري وأبو ذر الغفاري وأبو رافع وجابر بن عبد الله الأنصاري وجبير بن مطعم وحذيفة بن أسيد الغفاري وحذيفة بن اليمان وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن الزبير وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص وغيرهم حث فيه رسول الله صلى الله عليه وآله على التمسك بهما واتباعهما وحذر من مخالفتهمما والتخلف عنهما ، كرره في الأشهر الثلاثة الأخيرة من عمره الشريف أربع مرات وهذا دليل على شدة اهتمامه بهذا الأمر وأنه أهم الأمور لديه ومؤشر الهداية والضلالة بعده ، وصدر منه صلى الله عليه وآله في أربعة مواقف :

- ١ - يوم عرفة في حجة الوداع على ناقته القصواء .
- ٢ - يوم غدیر خم لما رجع من حجة الوداع .
- ٣ - في مسجده بالمدينة في آخر خطبة خطبها وهو مريض .
- ٤ - على فراشه في حجرته وقد امتلأت من أصحابه .

والإليك نص ما قاله رسول الله صَلَّى الله عليه وآله في هذه المناسبات :

١ - عن جابر بن عبد الله ، قال : رأيت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم في حجَّته يوم عرفة ، وهو على ناقته القصواء يخطب ، فسمعتة يقول :

« يا أيُّها الناس ، إنِّي تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلُّوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي » .

٢ - عن أبي الطفيل ، عن زيد بن أرقم ، قال : لما رجع رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم عن حجَّة الوداع ونزل غدير خمَّ أمر بدوحات فقمم ثم قال :

« كأنِّي دعيت فأجبت ، وإنِّي قد تركتُ فيكم الثقلين ، أحدهما أكبر من الآخر : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فإنَّهما لن يتفرقا حتَّى يردا عليَّ الحوض » .

ثم قال : « إنَّ الله مولاي وأنا وليُّ كلِّ مؤمن » ثم أخذ بيد علي فقال :

« مَنْ كُنْتُ وَلِيَّه فهِذَا وَلِيَّه ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهِ وَعَادِ مَنْ عَادَاه » .

قال أبو الطفيل : فقلت لزيد : سمعتة من رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ؟ !

فقال : ما كان في الدوحات أحدٌ إلَّا رآه بعينه وسمعه بأذنيه .

٣ - عن جابر بن عبد الله ، قال : أخذ النبي بيد علي والفضل بن عبَّاس في مرض وفاته ، خرج يعتمد عليهما حتَّى جلس على المنبر فقال :

« أيُّها الناس ، تركت فيكم ما إن تمسَّكتم به لن تضلُّوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، فلا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ، وكونوا إخواناً

كما أمركم الله ، ثم أوصيكم بعترتي وأهل بيتي .

٤ - عن عبد الله بن عباس وأُم سلمة أنها سمعا رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الذي قبض فيه وقد امتلأت الحجرة من أصحابه ، يقول :

« أيها الناس ، يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي ، وقد قدّمت إليكم القول معذرة إليكم ؛ ألا إنّي خلّفت فيكم الثقلين : كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي » .

ثم أخذ بيد علي عليه السّلام فرفعها وقال : « هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ ، لا يفترقان حتّى يردا عليّ الخوض فأسألهما ما خلّفت فيهما » .

فهذه أربعة نصوص قالها رسول الله صلى الله عليه وآله في أربع مناسبات تأكيداً لفضل أهل بيته ووجوب تقديمهم ، ونصّاً على إمامتهم وأهليتهم لقيادة الأمة من بعده .

أمّا مصادر حديث الثقلين فكثيرة جداً لا يسع المجال لذكر جلّها فضلاً عن كلّها ، ولكن أذكر هنا شيئاً يسيراً ، فممن رواه :

١ - الحافظ مسلم في « صحيحه » ، ج ٧ / ١٢٢ و ١٢٣ ط مصر بأربعة طرق .

٢ - الحافظ الدارمي في « سننه » ج ٢ / ٤٣١ ط دمشق .

٣ - الحافظ الترمذي في « صحيحه » ج ١٣ / ١٩٩ و ٢٠٠ ط مصر بعدة طرق .

٤ - الحاكم النيسابوري في « المستدرک » ج ٣ / ١٠٩ و ١٤٨ و ٥٣٣ ط حيدر آباد الدكن بعدة طرق .

٥ - شيخ السنّة أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي في « الاعتقاد » ص ١٦٣ ط القاهرة .

٦ - وفي « السنن الكبرى » ج ٢ / ١٤٨ وج ٧ / ٣٠ وج ١٠ / ١١٣ ط حيدر آباد الدكن .

٧ - الحافظ محيي السنّة البغوي في « مصابيح السنّة » ج ٤ / ١٨٥ وص ١٨٩ وص ١٩٠ ط دار المعرفة بيروت .

٨ - الحافظ المؤرّخ ابن سعد في « الطبقات الكبرى » ج ٢ / ١٩٤ ط مصر .

٩ - الحافظ الطبراني في « المعجم الصغير » ج ١ / ١٣١ و ١٣٥ ط المدينة .

١٠ - وفي « المعجم الكبير » ج ٥ / ١٧١ و ١٩٠ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٥٣٧ و ٥٣٨ ط بغداد ، بعدة طرق .

١١ - الحافظ البسوي في « المعرفة والتاريخ » ص ٥٣٦ ط بغداد .

١٢ - الحافظ ابن المغازلي في « المناقب » ص ٢٣٤ - ٢٣٦ بعدة طرق ، ط دار الأضواء - بيروت .

هذه بعض مصادر حديث الثقلين ، ولزيد من الطرق والأسانيد والمصادر راجع « بحار الأنوار » ج ٢٣ / ١٠٤ - ١٦٦ ، ومجلّد حديث الثقلين من موسوعة « عبقّات الأنوار » للمير سيّد حامد الموسوي ، و « إحقاق الحق » ج ٩ / ٣٠٩ - ٣٧٥ وج ١٨ / ٢٦١ - ٢٨٩ .

صعود علي عليه السّلام على منكب النبي صلى الله عليه وآله

وقد ذكرناه مع بعض مصادره في الجزء الأول من كتابنا «علي في الكتاب والسنة» ص ١٧٨ في قوله تعالى : ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل﴾^(١) ، وأشرنا إلى أسماء بعض المؤلفات الخاصّة بهذا الحديث الشريف ، وإليك هذا الحديث برواية الحافظ ابن المغازلي ، مع مصادر أخرى .

روى في «المناقب» ص ٢٠٢ ح ٢٤٠ طدار الأضواء - بيروت ، بإسناده إلى سعيد بن المسيّب ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعليّ بن أبي طالب يوم فتح مكّة : أما ترى هذا الصّنم بأعلى الكعبة ؟

قال : بلى يا رسول الله .

قال : فأحملك فتناوله .

فقال : بل أنا أحملك يا رسول الله .

فقال صلى الله عليه وآله : والله ، لو أنّ ربيعة ومضر جهدوا أن يحملوا مني بضعة وأنا حيّ ما قدروا ، ولكن قف يا عليّ .

(١) سورة الإسراء ١٧ - آية ٨١ .

فَضْرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِيَدِهِ إِلَى سَاقِي عَلِيٍّ فَوْقَ الْقُرْنُوسِ ، ثُمَّ اقْتَلَعَهُ مِنَ الْأَرْضِ بِيَدِهِ فَرَفَعَهُ حَتَّى تَبَيَّنَ بَيَاضُ إِبْطِيهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَا تَرَى يَا عَلِيُّ ؟

قَالَ : أَرَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ شَرَّفَنِي بِكَ حَتَّى أَنِّي لَوْ أَرَدْتُ أَنْ أَمْسُ السَّمَاءَ لَمَسْتُهَا .

فَقَالَ لَهُ : تَنَاوَلِ الصُّنَمَ يَا عَلِيُّ ! فَتَنَاوَلَهُ ثُمَّ رَمَى بِهِ .

ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ تَحْتِ عَلِيٍّ وَتَرَكَ رَجْلِيهِ ، فَسَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ ، فَضَحَكَ فَقَالَ لَهُ : مَا أَضْحَكَكَ يَا عَلِيُّ ؟

فَقَالَ : سَقَطْتُ مِنْ أَعْلَى الْكَعْبَةِ فَمَا أَصَابَنِي شَيْءٌ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : وَكَيْفَ يَصِيبُكَ شَيْءٌ وَإِنَّمَا هَمَلَكَ مُحَمَّدٌ ، وَأَنْزَلَكَ جَبْرِيلُ !

وَرَوَى فِي ص ٤٢٩ ح ٥ بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَبِي مَرْيَمَ ، عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : انْطَلَقْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَتَّى أَتَيْنَا الْكَعْبَةَ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : اجْلِسْ لِي ! فَصَعِدَ عَلَيَّ مِنْكِبِي ، فَذَهَبَتْ أَنْهَضُ بِهِ فَرَأَيْتُ مِنْ ضَعْفِي ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَجَلَسَ لِي ، وَقَالَ : اصْعِدْ عَلَيَّ مِنْكِبِي .

قَالَ : فَهَضَبْتُ بِي ، فَإِنَّهُ يَخِيلُ إِلَيَّ لَوْ شِئْتُ لَنَلْتُ أَفْقَ السَّمَاءِ ، حَتَّى صَعَدْتُ عَلَى الْبَيْتِ ، وَعَلَيْهِ تَمَثَالُ صَفَرٍ - أَوْ نَحَاسٍ - فَجَعَلْتُ أَزِيلُهُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، حَتَّى إِذَا اسْتَمَكَنْتُ مِنْهُ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : اقْذِفْ بِهِ ! فَقَذَفْتُهُ ، فَتَكَسَّرَ كَمَا تَتَكَسَّرُ الْقَوَارِيرُ .

رواه جماعة من كبار حفاظ العامة وأبناءهم .

١ - الحافظ أحمد بن حنبل في « المسند » ج ١ ص ٨٤ ط مصر .

٢ - النسائي في « الخصائص » ص ٣١ ط التقدم - مصر .

٣ - الخوكوشي في « شرف النبي » .

٤ - سبط ابن الجوزي في « تذكرة الخواص » ص ٣١ ط النجف .

٥ - أبو الفرج ابن الجوزي في « صفة الصفوة » ج ١ / ١١٩

ط حيدر آباد . وفي « التبصرة » ص ٤٤٢ .

٦ - محب الدين الطبري في « ذخائر العقبى » ص ٨٥ ط مصر .

٧ - أبو عبد الله محمد بن عثمان البغدادي في « المنتخب من صحيحي

البخاري ومسلم » ص ١٩٦ مخطوط .

٨ - الحافظ نور الدين الهيثمي في « مجمع الزوائد » ج ٦ / ٢٣

ط مصر .

٩ - الحاكم النيشابوري في « المستدرک » ج ٢ / ٣٦٧ وج ٣ / ٥

ط حيدر آباد .

١٠ - الخطيب البغدادي في « موضع أوهام الجمع والتفريق »

ج ٢ / ٤٣٢ ط حيدر آباد .

وفي « تاريخ بغداد » ج ١٣ / ٣٠٢ ط القاهرة .

١١ - أخطب خوارزم في « المناقب » ص ٧١ ط تبريز .

١٢ - الصفوري في « نزهة المجالس » ج ٢ / ٨٧ .

١٣ - الديار بكري في « تاريخ الخميس » ج ٢ / ٨٦ ط مصر .

١٤ - المتقي الهندي في « كنز العمال » ج ١٥ / ١٥١ ط حيدر آباد

الدكن .

١٥ - جلال الدين السيوطي في « أنيس الجليس » ص ١٨٤ .

ولمزيد من المصادر راجع « إحقاق الحق » ج ٨ / ٦٧٩ - ٦٩١ ،
وج ١٨ / ١٦٢ - ١٧٠ ، والغدير ج ٧ / ٩ - ١٣ .

وفي بعض المصادر المتقدمة وردت هذه الأبيات منسوبة للشافعي :

قيل لي قل في علي مدحاً	ذكره يحمّد ناراً مؤصّدة
قلت لا أقدم في مدح امرئ	ضلّ ذو اللبّ إلى أن عبده
والنبي المصطفى قال لنا	ليلة المعراج لما صعد
وضع الله بظهري يده	فأحسّ القلب أن قد برده
وعليّ واضع أقدامه	في محل وضع الله يده

وللشيخ الشاعر البارص صالح بن عبد الوهاب بن العرندس الحليّ ،
أحد أعلام الشيعة ومن مؤلّفي علمائها في الفقه والأصول ، المتوفّي في الحلة
حدود سنة ٨٤٠ هـ ، والمدفون فيها وقبره شاخص يزار ويتبرك به ، له
قصيدة طويلة ذكر فيها جملة وافرة من مناقب أمير المؤمنين عليه السّلام ،
ومنها :

وصعود غارب أحمد فضل له دون القرابة والصحابة أفضل

إلى أن قال :

هذا الذي حاز العلوم بأسرها	ما كان منها مجملًا ومفصّلا
هذا الذي بصلّاته وصلّاته	للدين والدنيا أتمّ وأكملا
هذا الذي بحسامه وقناته	في خيبر صعب الفتوح تسهلا
وأباد مرحب في النزال بضربة	ألقت على الكفار عبثاً مُثقلا
وكتائب الأحزاب صيرَ عَمروها	بدمائه فوق الرمال مُرمّلا
وتبوك نازل شوسها فأبادهم	ضرباً بصارم عزيمة لن يُفلا

فضائل الإمام علي عليه السلام ومناقبه

١ - عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : لو أن الغياض أقلام ، والبحر مداد ، والجن حساب ، والإنس كتاب ، ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب .

ونظم هذا المعنى الإمام الشافعي فقال :
يقولون لي قل في علي مدائحاً فإن أنا لم أفعل يقولوا معانداً

إلى أن قال ونعم ما قال :

خلقن مداداً والسموات كاغداً	فلو أن ماء الأبحر السبعة التي
إذا الخط أفناهاهنَّ عُدن عوائد	وأشجار أرض الله أقلام كاتب
إذا كُلَّ منهم واحد قمام واحد	وكان جميع الجن والإنس كتباً
لما خطَّ من تلك المناقب واحد	وراموا جميعاً منقباً أثر منقب

وقال العوفي ونعم ما قال :

تقطع أقلاماً وتُبرى وتحضر	ولو كانت الأجسام كلُّ بأسرها
وكانت بأمر الله تطوى وتنشر	وكانت سماء الله والأرض كاغداً
وكان مداد القوم سبعة أبحر	وكان جميع الإنس والجن كتباً

لكُتْ أَيْادِهِمْ وَغَارَ مَدَادِهِمْ وَلَمْ يَعْطِ عَشْرَ الْعُشْرِ مِنْ فَضْلِ حَيْدِرٍ

٢ - عَنْ أَبِي الْحَمْرَاءِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ :

مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى آدَمَ فِي عِلْمِهِ ، وَإِلَى نُوحٍ فِي فَهْمِهِ ، وَإِلَى يُحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا فِي زَهْدِهِ ، وَإِلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ فِي بَطْشِهِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

٣ - قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى

إِسْرَافِيلَ فِي هَيْبَتِهِ ، وَإِلَى مِيكَائِيلَ فِي رَتْبَتِهِ ، وَإِلَى جِبْرِئِيلَ فِي عَظَمَتِهِ وَجَلَالَتِهِ ، وَإِلَى آدَمَ فِي سَلَامَتِهِ ، وَإِلَى نُوحٍ فِي حُسْنِهِ ، وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي خُلُقَتِهِ وَسَخَاوَتِهِ ، وَإِلَى يَعْقُوبَ فِي حُزْنِهِ ، وَإِلَى يُوسُفَ فِي جَمَالِهِ ، وَإِلَى سُلَيْمَانَ فِي مُلْكِهِ ، وَإِلَى مُوسَى فِي مَنَاجَاتِهِ وَشَجَاعَتِهِ ، وَإِلَى أَيُّوبَ فِي صَبْرِهِ ، وَإِلَى يُحْيَى فِي زَهْدِهِ ، وَإِلَى عِيسَى فِي سِيَاحَتِهِ وَسُنَنِهِ ، وَإِلَى يُونُسَ فِي وَرَعِهِ ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - فِي خُلُقِهِ وَجِسْمِهِ وَشَرَفِهِ وَكِبَالِ مَنَزَلَتِهِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

رواه جماعة من أعلام القوم ومحدثيهم بطرق متعددة وألفاظ متقاربة ، أذكر منهم :

العلامة أخطب خوارزم المتوفى سنة ٥٦٨ هـ في « المناقب » ص ١٨

ط تبريز وص ٢٢٩ ط تبريز .

ومنهم : الحافظ الكنجي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨ هـ في « كفاية

الطالب » ص ١٢٣ ط الغري .

ومنهم العلامة أبي بكر بن حمويه الحموي المتوفى سنة ٧٢٢ هـ في كتابه

« فرائد السمطين » مخطوط .

منهم : الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ في « لسان

الميزان » ج ٥ ص ٦٢ ط حيدر آباد الدكن .

منهم : العلامة محب الدين الطبري الشافعي المتوفى سنة ٦٩٤ في
 « الرياض النضرة » ج ٢ ص ٢١٧ ط مصر .
 ومنهم : العلامة الواقدي المتوفى سنة ٤٦٨ في صحيحه .
 ومنهم الحافظ البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ في « فضائل الصحابة » .
 ومنهم الحافظ ابن كثير القرشي المتوفى سنة ٧٧٤ في كتابه « البداية
 والنهاية » ج ٧ ص ٣٥٦ ط مصر .
 ومنهم : العلامة الترمذي المتوفى سنة ١٠٢٥ في « المناقب المرتضوية »
 ص ٨١ ط بومباي .
 ومنهم : العلامة القندوزي المتوفى سنة ١٢٩٣ في « ينابيع المودة »
 ص ١٢١ ط إسلامبول .
 وللزمزيد يمكنك مراجعة كتاب إحقاق الحق ج ٤ من ص ٣٨٩ إلى
 ص ٤٠٥ .

٤ - عن عمر بن ميمون ، قال : إنِّي لجالس إلى ابن عباس إذ أتاه
 تسعة رهط فقالوا : يا بن عباس ، إنا أن تقوم معنا ، وإنا أن نخلو بنا عن
 هؤلاء . قال : فقال ابن عباس : بل أقوم معكم .

قال : وهو يومئذ صحيح قبل أن يعمى .
 قال : فابتدأوا فتحدثوا ، فلا ندري ما قالوا ؛ قال : فجاء ينفض
 ثوبه ، ويقول : أفٍ وتف وقعوا في رجلٍ له بضعة عشر منقبة وقعوا في
 رجل ، قال له النبي صلى الله عليه وآله يوم خير : لأبعثن رجلاً لا يخرجه
 الله أبداً ، يحب الله ورسوله ، قال : فاستشرف لها من استشرف ، فقال :
 أين علي ؟ قالوا : هو في الرحل يطحن . قال : وما كان أحدكم ليطحن !
 قال : فجاء وهو أرمد ، لا يكاد يبصر ، قال : فنفت في عينه ، ثم
 هز الراية ثلاثاً ، فأعطاه إياه ، فجاء بصفية بنت حبي .

قال : ثم بعث أبا بكر بسورة التوبة ، فبعث علياً خلفه ، فأخذها منه ، وقال : لا يذهب بها إلا رجل مني وأنا منه .

قال : وقال صلى الله عليه وآله (لعمومته) لبني عمه : أيكم يوالي في الدنيا والآخرة ؟ قال : وعليّ معه جالس ، فأبوا ، فقال علي : أنا أواليك في الدنيا والآخرة . قال : أنت وليي في الدنيا والآخرة .

قال : فتركه ، ثم أقبل على رجل منهم فقال : أيكم يوالي في الدنيا والآخرة ؟ فأبوا .

قال : فقال عليّ عليه السلام : أنا أواليك في الدنيا والآخرة . فقال : أنت وليي في الدنيا والآخرة .

قال : وكان أول من أسلم من الناس بعد خديجة عليها السلام .

قال : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ثوبه (كساءه) فوضعه على عليّ وفاطمة والحسن والحسين ، فقال : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً .

قال : وشرى عليّ نفسه ، ولبس ثوب النبي صلى الله عليه وآله ثم نام مكانه .

قال : وكان المشركون يرمون علياً بالحجارة ، كما كانوا يرمون رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو يتضرّع ، فدلف رأسه في الثوب ، لا يخرج حتى أصبح ، ثم كشف عن رأسه فقالوا : إنك للثيم ، كان صاحبك نراميه ، فلا يتضرّع وأنت تتضرّع ، وقد استكرنا ذلك .

قال : وخرج الناس في غزوة تبوك ، قال : فقال له عليّ عليه السلام : اخرج معك ؟ قال : فقال له النبي : لا ، فبكى عليّ .

فقال له : أما ترضى أن تكون مني بمتزلة هارون من موسى إلا أنك

لست بنبي ، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خلفتي .

قال : وقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : أنت وليي في كل مؤمن بعدي .

وقال : سُدُّوا أبواب المسجد غير باب عليّ . قال : فكان يدخل المسجد جنباً ، وهو طريقه وليس له طريق غيره .

قال : وقال : مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَإِنَّ مَوْلاهُ عَلِيٌّ .

هذا حديث ابن عباس ذكره العلامة المحدث أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ في كتابه « المستند » ج ١ ص ٣٣٠ ط مصر ، كما مذكور في « كتابه الفضائل » ج ٢ ص ٢٤ مخطوط ورواه العلامة النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ في كتابه « الخصائص » ص ٨ ط مصر .

كما ذكره العلامة أخطب خوارزم المتوفى سنة ٥٦٨ في كتابه المناقب ص ٧٤ ط تبريز ، كما ذكره العلامة محب الدين الطبري المتوفى سنة ٦٩٤ في « ذخائر العقبى » ص ٨٦ ط مصر ، كما ذكره العلامة الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨ في تلخيص المستدرک ج ٢ ص ١٣٢ كما ذكره العلامة الحموي المتوفى سنة ٧٢٢ في فرائد السمطين هذا بعض من رواه من أعلام القوم ومحدثيهم وإن شئت المزيد راجع لإحقاق الحق ج ٤ من ص ٤٠٦ إلى ص ٤٢٥ .

٥ - سيأتيك - قارئ العزیز - حديث ضرار الصدائي ، في ص ١٢٩ و١٣٠ لما طلب منه معاوية أن يصف له أمير المؤمنين وأصرَّ على ذلك في الأحاديث والروايات عن عبادته عليه السَّلام ودعائه وتهجده .

٦ - عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السَّلام ، عن آبائه ، عن علي بن أبي طالب عليهم السَّلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه

وآله : يا علي أعطيت ثلاث خصال ، فقلت : فذاك أبي وأمي ، ما أعطيت ؟ قال : أعطيت صهراً مثلي ، وأعطيت زوجة مثل فاطمة ، وأعطيت ولدين مثل الحسن والحسين صلوات الله عليهم أجمعين .

هذا ما رواه جماعة من أعلام القوم ومحدثيهم ، منهم :
العلامة موفق بن أحمد المتوفى سنة ٥٦٨ في « مقتل الحسين عليه السلام » ص ١٠٩ ط الغري ، وفي « المناقب » .
ومنه : العلامة النيشابوري المتوفى سنة ٤٠٦ في « شرف النبي » ص ٧٢ مخطوط .

ومنه : العلامة الزرندي الحنفي المتوفى سنة ٧٥٠ في « نظم در السمطين » ص ١٣ ط مصر . انظر كتاب إحقاق الحق ج ٤ ص ٤٤٤-٥٠٣ .

٧- عن الإمام الباقر عليه السلام ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : قال رسول الله : كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله تعالى من قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما خلق الله آدم سلك ذلك النور في صلبه ، فلم يزل الله ينقله من صلب إلى صلب حتى أقتره في صلب عبد المطلب ، ثم أخرجه من صلب عبد المطلب ، وقسمه قسمين : قسماً في صلب عبد الله ، وقسماً في صلب أبي طالب ، فعلي مني وأنا منه ، لحمه لحمي ، ودمه دمي ، فمن أحبه فبحبي أحبه ، ومن أبغضه فببغضي أبغضه .

رواه جماعة من أعلام القوم وحفاظهم ، منهم : العلامة الحموي المتوفى سنة ٧٢٢ في « فرائد السمطين » مخطوط .

ومنه : العلامة الزرندي الحنفي المتوفى سنة ٧٥٠ في « نظم در السمطين » ص ٧٩ ط مصر .

ومنهم : العلّامة الشيرازي الهروي المتوفى سنة ١٠٠٠ في كتابه
« الأربعين حديثاً » مخطوط .

ومنهم العلّامة الترمذي المتوفى سنة ١٠٢٥ في « المناقب المرتضوية »
ص ٧١ ط بومباي .

ومنهم العلّامة سليمان القندوزي سنة ١٣٩٢ في « ينابيع المودة »
ص ١٠ ط الأستانة .

ومن أراد المزيد فليراجع كتاب إحقاق الحق ج ٥ ص ٢ الحديث
الحادي والخمسون .

٨ - روى العلّامة المحدث الحنفي الموصلي الشهير بابن حسنويه المتوفى
سنة ٦٨٠ في « در بحر المناقب » مخطوط ، قال :

روي عن جماعة ثقات أنه لما وردت حُرّة بنت حليمة السعدية على
الحجاج الثقفي ومثلت بين يديه ، قال لها : أنتِ حُرّة بنت حليمة
السعدية ؟ فقالت له : فراصة من غير مؤمن .

فقال لها : الله جاء بك ، فقد قيل عليك أنك تفضلين علياً على أبي
بكر وعمر وعثمان .

قالت : لقد كذب الذي قال أنّي أفضله على هؤلاء خاصّة .

قال : وعلى من غير هؤلاء ؟ !

قالت : أفضله على آدم ونوح ولوط وإبراهيم ، وموسى ، وداود ،
وسليمان ، وعيسى بن مريم .

فقال لها : أقول لك أنك تفضلينه على الصحابة فتزيدين عليهم
سبعة من الأنبياء من أولي العزم ! فإن لم تأتيني ببيان ما قلتِ وإلا ضربتُ
عنقك .

فقالت : ما أنا فضّلته على هؤلاء الأنبياء ، بل الله عز وجل فضّله في القرآن عليهم ، في قوله تعالى في حق آدم : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ ^(١) وقال في حق علي عليه السلام : ﴿ وَكَانَ سَمْعِيكُمْ مَشْكُوراً ﴾ ^(٢) .

فقال : أحسنت يا حرّة ، فبِمَ تفضّليه على نوح ولوط ؟ قالت : الله تعالى فضّله عليهما بقوله : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا ﴾ ^(٣) وعلي بن أبي طالب كان ملائكة تحت سدرة المنتهى زوجته بنت محمد صلى الله عليه وآله فاطمة الزهراء ، الذي يرضى الله لرضاها ، ويسخط لسخطها .

فقال الحجاج : أحسنت يا حرّة ، فبِمَ تفضّليه على أبي الأنبياء إبراهيم خليل الله ؟

فقالت : الله ورسوله فضّله بقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنحِي الْمَوْتِ قَالَ أُولِمُ تَأْوِيلُنَّ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ﴾ ^(٤) وأمير المؤمنين عليه السلام قال قولاً لم يختلف فيه أحد من المسلمين : « لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً » وهذه كلمة لم يقلها قبله ولا بعده أحد .

قال : أحسنت يا حرّة ، فبِمَ تفضّليه على موسى نجي الله ؟
قالت : يقول الله عز وجل : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ ^(٥) وعلي بن أبي طالب بات على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يخف حتّى أنزل الله في حقّه : ﴿ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ ﴾ ^(٦) .

(١) سورة طه : آية ١٢١ .

(٢) سورة الإنسان : آية ٢٢ .

(٣) سورة التحريم : آية ١٠ .

(٤) سورة البقرة : آية ٢٦٠ .

(٥) سورة القصص : آية ٢٠ .

(٦) سورة البقرة : آية ٢٠٧ .

قال : أحسنت يا حرّة ، فبِمَ تفضّليه على داود ؟
قالت : الله فضّله عليه بقوله : ﴿ يا داود إنّنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحقّ ولا تتبع الهوى ﴾ (١) .

قال لها : في أي شيء كانت حكومته ؟
قالت : في رجلين : أحدهما كان له كرم ، وللآخر غنم ، فنفتش الغنم في الكرم فرعته ، فاحتكما إلى داود ، فقال : تباع الغنم وينفق ثمنها على الكرم حتّى يعود إلى ما كان عليه ، فقال له ولده : لا يا أبة ، بل نأخذ من لبنها وصوفها . فقال الله عزّ وجلّ : ﴿ ففهمناها سليمان ﴾ (٢) .

وإنّ مولانا أمير المؤمنين عليه السّلام قال : اسألوني عمّا فوق ، اسألوني عمّا تحت ، اسألوني قبل أن تفقدوني ، وإنّ عليه السّلام دخل على النبي صلّى الله عليه وآله يوم فتح خيبر ، فقال النبي صلّى الله عليه وآله للحاضرين : أفضلكم وأعلمكم عليّ .

فقال لها : أحسنت يا حرّة ، فبِمَ تفضّليه على سليمان ؟

وقالت : الله فضّله عليه بقوله : ﴿ ربّ اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي ﴾ (٣) ومولانا عليّ عليه السّلام قال : يا دنيا قد طلقتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك ، فعند ذلك أنزل الله تعالى فيه : ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ﴾ (٤) .

قال : أحسنت يا حرّة ، فبِمَ تفضّليه على عيسى ؟
قالت : الله فضّله عليه بقوله : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أنت

(١) سورة ص : آية ٢٦ .

(٢) سورة الأنبياء : آية ٧٩ .

(٣) سورة ص : آية ٣٥ .

(٤) سورة القصص : آية ٨٣ .

قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب ﴿١﴾ إلى آخر الآية ، فأخر الحكومة ؛ ومولانا علي بن أبي طالب عليه السلام لما ادعوا النصيرية فيه ما ادعوا قاتلهم ولم يؤخر حكومتهم ، فهذه كانت فضائله لا تعدل بفضائل غيره .

قال : أحسنت يا حرّة ، خرجت من جوابك ، ولولا ذلك لكان ذلك . ثم أجازها وأعطاهَا وسرّحها تسريحاً حسناً ، رحمة الله عليها .

٩ - عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من سرّه أن يحيي حياتي ويموت مماتي ، ويسكن جنّة عدن ، غرسها ربّي فليوالي عليّاً من بعدي ، وليوالي وليّه ، وليقتد بالأئمة من بعدي ، فإِنَّهم عترتي ، خُلِقُوا من طينتي ، رزقوا فهماً وعِلْماً ، وويل للمكذّبين بفضلهم من أمّتي ، القاطعين فيهم صلّتي ، لأنّهم الله شفّاعتي .

رواه الحافظ أبو نعيم الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ هـ في حلية الأولياء ، ج ١ ص ٨٦ ط مصر .

والعلامة ابن أبي الحديد المتوفى سنة ٩٥٥ هـ في « شرح نهج البلاغة » ج ٢ ص ٤٥٠ .

والعلامة الحموي المتوفى سنة ٧٢٢ هـ في « فرائد السمطين » مخطوط .
والعلامة المتقي الحنفي المتوفى سنة ٩٧٥ هـ في « كنز العمال » ج ٦ ص ٢١٧ ط حيدر آباد الدكن .

والعلامة البدخشي من أعلام القرن الثاني عشر في « مفتاح النجا » ص ٦٠ مخطوط .

(١) سورة المائدة : آية ١١٦ .

والعلامة سليمان القندوزي المتوفى سنة ١٢٩٣ في « ينابيع المودة »
ص ١٢٦ ط إسلامبول .

ومن يريد التفاصيل فعليه بكتاب إحقاق الحق ج ٥ ص ١١١ .
١٠ - عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، عن آبائه ،
عن جدّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : قال :
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله تعالى جعل لأخي علي فضائل
لا تحصى كثرة ، فمن ذكر فضيلة من فضائله مقراً بها غفر الله له ما تقدّم
من ذنبه ، ومن كتب فضيلة من فضائله لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي
لتلك الكتابة رسم ، ومن استمع إلى فضيلة من فضائله غفر الله له الذنوب
التي اكتسبها بالاستماع ، ومن نظر إلى كتاب من فضائله غفر الله له
الذنوب التي اكتسبها بالنظر .

ثم قال : النظر إلى عليّ عبادة ، وذكره عبادة ولا يقبل الله إيمان عبدي
إلا بولايته والبراءة من أعدائه .

رواه جماعة من أعلام القوم ومحدثيهم ، منهم :

العلامة أخطب خوارزم المتوفى سنة ٥٦٨ في كتابه « المناقب » ص ٢
ط تبريز .

ومنهم : العلامة الكنجي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨ في « كفاية
الطالب » ص ١٢٣ ط الغري .

ومنهم : العلامة الحموي المتوفى سنة ٧٢٢ من « فرائد السمطين »
مخطوط ، وغيرهم ، وللمزيد راجع الجزء الخامس من كتاب إحقاق الحق
ص ١٣٠ .

١١ - قام أبو ذر وأخذ بحلقة باب الكعبة فقال : من عرفني فقد

عرفني ، وَمَنْ لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة أبو ذر . ثُمَّ قال : أَيُّهَا
الناس ، إِنِّي سمعت نبيكم صَلَّى الله عليه وآله يقول : مثلُ أهل بيتي فيكم
كمثل سفينة نوح ، مَنْ ركبها نجا ، وَمَنْ تركها غرق .

ويقول : مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل ، مَنْ
دخله غفر له .

ويقول : إِنِّي تارك فيكم ما إنْ تمسّكتم به لن تضلّوا : كتاب الله ،
وعترتي ، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض .

رواه العلامة الحموي المتوفى سنة ٧٢٢ في « فرائد السمطين »
مخطوط .

ورواه العلامة سليمان القندوزي المتوفى سنة ١٢٩٣ في « ينابيع
المودة » ج ١ ص ٢٧ ط دار الفرقان .

وراجع كتاب « إحقاق الحق » ج ٥ ص ٨٦ حديث ٩٠ .

حديث الطائر المشوي

١٢ - عن أنس بن مالك أَنَّ النبي صَلَّى الله عليه وآله كان عنده طائر
مشوي ، فقال : اللهم آتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير
فجاء أبو بكر فردّه ، ثُمَّ جاء عمر فردّه ، ثُمَّ جاء عليٌّ فأذِنَ له .

وفي لفظ آخر ذكره العلامة الكنجي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨ في
« كفاية الطالب » ص ٥٨ ، ورواه جمعٌ من أعلام القوم ومحدّثيهم ،
منهم : العلامة الترمذي ، والعلامة ابن المغازلي ، والعلامة ابن الأثير ،
وأخطب خوارزم ، والعلامة سبط ابن الجوزي ، والعلامة محبّ الدين
الطبري ، والعلامة الحموي وغيرهم ، وهو أشهر الأحاديث ، عن أنس
كنت أخدم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم وقال :

أهدي لرسول الله صَلَّى الله عليه وآله طائر فوضع بين يديه ، فقال :

اللهم ائني بأحب خلقك إليك يأكل معي .

فجاء علي عليه السلام فدق الباب فقلت : من ذا ؟ فقال : أنا علي . فقلت : إن النبي على حاجة .

فرجع ثلاث مرّات كلّ ذلك يميء .

قال : فضرب الباب برجله فدخل ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : ما حبسك ؟

قال : جئت ثلاث مرات ، كلّ ذلك يقول : النبي على حاجة . فقال النبي صلى الله عليه وآله : ما حملك على ذلك ؟

قال : قلت : كنت أحب أن يكون رجلاً من قومي .

وفي رواية قال صلى الله عليه وآله : إن الرجل قد يحب قومه .

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .

١٣ - في « بشائر المصطفى » مرفوعاً إلى يزيد بن قعنب ، قال : كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب وفريق من بني هاشم وفريق من بني عبد العزى ، بإزاء بيت الحرام إذ أقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين عليها السلام تطوف حول البيت وكانت حاملاً به تسعة أشهر ، وقد أخذها الطلق ، فقالت : يا رب ، إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب ، وإني مصدقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل عليه السلام الذي بنى البيت العتيق ، فبحق الذي بنى هذا البيت ، والمولود الذي في بطني إلا ما يسرّ علي ولادتي .

قال يزيد بن قعنب : فرأيت البيت قد انشق عن ظهره ، ودخلت فاطمة فيه ، وغابت عن الأبصار ، وعاد إلى حاله ، فعزمنّا أن يفتح لنا قفل الباب فلم يفتح ، فعلمنا أن ذلك من أمر الله تعالى ، ثم خرجت في

اليوم الرابع على يديها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب .

قالت فاطمة بنت أسد : إني فضّلت على مَنْ تقدّمني من النساء لأنّ آسية بنت مزاحم عبدت الله سرّاً في موضع لا يحبّ الله أن يعبد فيه إلّا اضطراباً ، وإنّ مريم بنت عمران هزّت النخلة اليابسة بيدها حتّى أكلت منها رطباً جنيّاً ، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها ، فلمّا أردت أن أخرج هتف بي هاتف : يا فاطمة ، سمّيه عليّاً ، فهو عليّ والله العليّ الأعلى ، شققت اسمه من اسمي ، وأدبته بأدبي ، وأوقفته على غامض علمي ، وهو الذي يكسر الأصنام ، وهو الذي يؤدّن فوق ظهر بيتي ويقدّسني ويمجدني ، طوبى لمن أحبه وأطاعه ، وويل لمن أبغضه وعصاه .

قال : فولد عليّاً ولرسول الله صلّى الله عليه وآله ثلاثون سنة فأحبه رسول الله حبّاً شديداً ، وقال لها : اجعلي مهده قرب فراشي .

وكان صلّى الله عليه وآله يلي أكثر تربيته ، وكان يطهر عليّاً في وقت غسله ، ويؤجره اللبن عند شربه ، ويحرّك مهده عند نومه ، ويناغيه في يقظته ، ويحمله على صدره ورقبته ويقول : هذا أخي وولي وناصري ووصي وزوج كريمي وذخري وكهفي وصهري وأميني على وصيتي وخليفتي .

وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يحمله دائماً ويطوف به في جبال مكّة وشعابها وأوديتها وفجاجها ، صلّى الله على الحامل والمحمول .

ورواه العلامة الدهلوي العظيم آبادي الهندي المتوفي سنة ١٣٠٠ في كتابه « تجهيز الجيش » ص ١١٠ مخطوط . راجع لإحقاق الحق ج ٥ ص ٥٦ .

١٤ - وروي بالأسانيد عن علي بن أبي طالب عليه السّلام قال : قدم على رسول الله خبر من أحبار اليهود فقال : يا رسول الله ، أرسلوني إليك

قومي ، وقالوا : عهد إلينا نبينا موسى بن عمران عليه السّلام أنّه قال : إذا بُعثَ بعدي نبي اسمه محمّد ، وهو عربي فامضوا إليه واسألوه أن يخرج لكم من جبل هناك سبع نوق حمراء الوبر ، سود الحديق ، فإن أخرجها لكم فسلموا عليه وآمنوا به وآتبعوا النور الذي أنزل معه ، فهو سيّد الأنبياء ، ووصيّ سيّد الأوصياء ، وهو منه بمنزلة هارون من موسى . فعند ذلك قال : الله أكبر ، قم بنا أخا اليهود .

قال : فخرج صلى الله عليه وآله والمسلمون حوله إلى ظاهر المدينة ، وجاء إلى جبل فبسط البردة وصلى ركعتين وتكلّم بكلام خفي ، وإذا الجبل يصرّ صريراً عظيماً ، وانشقّ ، وسمع الناس حنين النوق ، فقال اليهودي : مَد يدك ، أنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنك محمّد رسول الله ، وأن جميع ما جئت به صدقاً وعدلاً ، يا رسول الله ، أمهلني حتّى أمضي إلى قومي وأجيهم ليقضوا عدتهم منك فيؤمنوا بك .

قال : فمضى الخبر إلى قومه فأخبرهم بذلك ، فنفروا بأجمعهم ، وتجهّزوا للمسير ، فساروا يطلبون المدينة ليقضوا عدتهم ، فلمّا دخلوا المدينة وجدوها مظلمة مسودة لفقد رسول الله صلى الله عليه وآله وقد انقطع الوحي من السماء وجلس مكانه أبو بكر ، فدخلوا وقالوا : أنت خليفة رسول الله ؟ قال : نعم .

قالوا : أعطنا عدتنا من رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال : وما عدتكم ؟

قالوا : أنت أعلم بعدتنا إنّ كنت خليفة ، وإن لم تكن خليفة فكيف جلست مجلس نبيّك بغير حقّ لك ولست له أهلاً ؟ !

قال : فقام وتخيّر في أمره ، ولم يعلم ماذا يصنع ، وإذا برجل من المسلمين قد قام وقال : اتبعوني حتّى أدلّكم على خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله .

قال : فخرج اليهود من بين يدي أبي بكر وتبعوا الرجل حتى أتوا منزل الزهراء وطرقوا الباب ، فإذا بالباب قد فتح ، وقد خرج عليهم عليٌّ وهو شديد الحزن على رسول الله صلى الله عليه وآله فلما رآهم قال : أيها اليهود ، تريدون عدتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ قالوا : نعم .

فخرج بهم إلى ظاهر المدينة إلى الجبل الذي صلى عنده رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما رأى مكانه تنفّس الصعداء وقال : بأبي من كان بهذا الجبل عنده هنيئة . ثم صلى ركعتين وإذا بالجبل قد انشق وخرجت النوق منه ، وهي سبع نوق .

فلما رأوا ذلك قالوا بلسان واحد : نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأن ما جاء به من عند ربنا هو الحق ، وأنت خليفة حقاً ووصيه ، ووارث علمه ، فجزاك الله جزاءه عن الإسلام خيراً ، ثم رجعوا إلى بلادهم مسلمين موحدين .

ذكره العلامة المحدث أحمد الحنفي الموصلي الشهير بابن حسويه المتوفى سنة ٦٨٠ في كتابه « در بحر المناقب » ص ٧٢ مخطوط ، راجع كتاب إحقاق الحق ج ٥ ص ٦٧ .

١٥ - عن الإمام جعفر بن محمد الصادق ، عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي ، مثلك في أمتي مثل المسيح عيسى بن مريم ، افترق قومه ثلاث فرق ، فرقة مؤمنون وهم الحواريون ، وفرقة عادوه وهم اليهود ، وفرقة غلوا فيه فخرجوا من الإيمان ؛ وإن أمتي ستفترق فيك ثلاث ، فرقة شيعتك وهم المؤمنون ، وفرقة أعدائك وهم الناكثون ، وفرقة غلوا فيك وهم الجاحدون والضالون .

فأنت يا علي وشيعتك في الجنة ومحبو شيعتك في الجنة ، وعدوك والغالي فيك في النار .

رواه العلامة أخطب خوارزم المتوفى سنة ٥٦٨ في كتابه « المناقب » ص ٢٢١ .

كما رواه العلامة الشيخ سليمان القندوزي المتوفى سنة ١٢٩٣ في « ينابيع المودة » ص ١٠٩ ط إسلامبول .

١٦ - روى سليم بن قيس الهلالي في كتابه عن سعد بن عباد ، قال : ﴿ ومن عنده علم الكتاب ﴾ ^(١) علي .

قال : معاوية بن أبي سفيان : هو عبد الله بن سلام .

قال سعد : أنزل الله : ﴿ إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ﴾ ^(٢) .

وأنزل : ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ﴾ ^(٣) فالهادي من الآية الأولى والشاهد من الآية الثانية علي ، لأنه نصبه يوم الغدير وقال : من كنت مولاه فعلي مولاه .

وقال : أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي . فسكت معاوية ولم يستطع أن يردّها .

رواه العلامة الشيخ سليمان البلخي القندوزي المتوفى سنة ١٢٩٣ في « ينابيع المودة » ص ١٠٤ ط إسلامبول .

١٧ - عن أسماء ابنة عميس ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يوحى إليه ورأسه في حجر علي ، فلم يصلّ العصر حتى غربت الشمس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : صليت يا علي ؟ قال : لا .

(١) سورة الرعد : آية ٤٣ .

(٢) سورة الرعد : آية ٧ .

(٣) سورة هود : آية ١٧ .

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : اللهم إِنْه كَانَ فِي طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ
رَسُولِكَ فَأَرَدَدَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ . قَالَتْ أَسْمَاءُ : فَرَأَيْتَهَا غَرَبَتْ ثُمَّ رَأَيْتَهَا
طَلَعَتْ بَعْدَمَا غَرَبَتْ (١) .

روى هذا الحديث جماعة من أعلام القوم وحفاظهم بعدة طرق
وبالفاظ مختلفة ومتقاربة .

راجع المجلد الخامس من كتاب إحقاق الحق من ص ٥٢١ إلى
ص ٥٣٩ .

وهنا أذكر بعض من رواه من أعلام القوم وحفاظهم :
منهم : العلامة القندوزي المتوفى سنة ١٢٩٣ في كتابه « ينابيع
المودة » ص ٢٥٤ ط إسلامبول .
ومنهم : العلامة الطحاوي المتوفى سنة ٣٢١ في « مشكل الآثار »
ج ٢ ص ٨ ، وج ٤ ص ٣٨٨ ط حيدرآباد دكن .
ومنهم العلامة سبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ في « تذكرة
الخواص » .

ومنهم : الحافظ الكنجي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨ في « كفاية

(١) قال العلامة سبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ في « تذكرة الخواص » ص ٩٥ .

وفي الباب حكاية عجيبة ، حدثني بها جماعة من مشايخنا بالعراق ، قالوا : شاهدنا أبا
منصور المظفر بن أردشير العبادي الواعظ وقد جلس بالناحية « مدرسة بيباب أبرز علة
بيغداد » وكان بعد العصر وذكر حديث ردّ الشمس لعلّ عليه السّلام وطرزه بعبارته ونمّقه
بألفاظه ، ثم ذكر فضائل أهل البيت عليهم السّلام فنشأت سحابة غطّت الشمس حتّى
ظنّ الناس أنّها قد غابت ، فقام أبو المنصور على المنبر قائماً وأومى إلى الشمس وأنشد ،
قائلاً :

مدحي لآل المصطفى ولنجليه
أنسيت إن كان الوقوف لأجله
هذا الوقوف لحيله ولرجله

لا تغرب يا شمس حتّى ينتهي
واثني عنانك إن أردت ثنائهم
إن كان للمولى وقوفك فليكن

الطالب » ص ٢٤٠ و ٢٤٣ ط الغري .

ومهم : أخطب خوارزم المتوفى سنة ٥٦٨ في « المناقب » ص ٢٤٢ ط تبريز .

منهم : العلامة ابن حجر الهيتمي المتوفى سنة ٩٧٢ .

منهم : العلامة ابن المغازلي المتوفى سنة ٤٨٣ في « المناقب » .

ومهم : العلامة محب الدين الطبري المتوفى سنة ٦٩٤ .

ومهم العلامة الحموي المتوفى سنة ٧٢٢ في « فرائد السمطين » .

وللمزيد راجع كتاب « إحقاق الحق » المجلد الخامس من ص ٥٢١

إلى ص ٥٣٩ وج ١٦ باب ١٥ من ص ٣١٠ إلى ٣٣١ .

١٨ - روى الحافظ أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١ في « مسنده »

ج ٤ ص ٣٦٩ ط مصر ، عن زيد بن أرقم ، والفقير ابن المغازلي

الواسطي المتوفى سنة ٤٨٢ في كتابه « مناقب أمير المؤمنين » المخطوط ، عن

البراء بن عازب بنفس اللفظ ، قال :

كان لنفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أبواب شارعة

في المسجد .

قال : فقال يوماً : سدّوا هذه الأبواب إلّا باب علي .

قال : فتكلّم في ذلك الناس ، قال : فقام رسول الله صلى الله عليه

وآله فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أمّا بعد ، فإني أمرتُ بسدّ هذه

الأبواب إلّا باب عليّ ، وقال فيه قائلكم ، وإني والله ما سدّدت شيئاً ولا

فتحت ، ولكنني أمرت بشيء فاتبعته .

ذكر هذا الحديث ورواه عدد كبير من رواة القوم وحفظاهم بعدة

طرق وبألفاظ متقاربة ، بعضها موجزة وبعضها مطوّلة وعلى ثلاثة أقسام ،

القسم الأول منها يحتوي على عشرين طريقاً رواه مائة محدّث وعالم ،
والقسم الثاني سبعة أحاديث بطرقها ، ويحتوي على أربعة وأربعين راوٍ
ومحدّث ، والقسم الثالث يحتوي على اثني عشر راوٍ ومحدّث ، منهم :
الحافظ الترمذي المتوفى سنة ٢٩٠ في « صحيحه » ج ١٣ ص ١٧٣
ط مصر .

ومنها : العلامة النسائي المتوفى سنة ٣٠٣ في « الخصائص » ص ١٣
ط مصر .

ومنها : الحافظ أبو نعيم المتوفى سنة ٤٣٠ في « حلية الأولياء » ج ٤
ص ١٥٣ ط مصر .

ومنها : الفقيه ابن المغازلي الواسطي المتوفى سنة ٤٨٢ في « مناقب
أمير المؤمنين » .

ومنها : العلامة سبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤ في « تذكرة
الخواص » ص ٤٦ ط الغري .

ومنها : العلامة محب الدين الطبري المتوفى سنة ٦٩٤ في « ذخائر
العقبى » .

ومنها : العلامة الحموي في « فرائد السمطين » .

ومنها : العلامة ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ في « البداية
والنهاية » ج ٧ ص ٣٣٨ ط حيدر آباد ، وغيرهم ، ومن يريد
التوسّع في البحث فليراجع كتاب « إحقاق الحق » ج ٥ ص ٥٤٠ إلى
ص ٥٨٦ ، وج ١٦ باب ١٦ من ص ٣٣٢ إلى ص ٣٧٥ .

١٩ - ذكر العلامة القندوزي المتوفى سنة ١٢٩٣ في « ينابيع المودة »
ص ٥٢ ط اسلامبول في المناقب ، عن الإمام الحسن بن علي الهادي ، عن

آبائه ، عن أمير المؤمنين عليهم السّلام ، قال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم خطبنا « وهي خطبته المشهورة التي ذكرها الرواة ، ألفاها في آخر جمعة من شعبان » فقال : أيّها الناس ، إنّهُ قد أقبل إليكم شهر الله بالبركة والرحمة والمغفرة ، وذكر فضل شهر رمضان ، إلى آخر الخطبة ، ثمّ بكى فقلت : يا رسول الله ، ما يبكيك ؟ قال : يا علي ، أبكي لما يستحل منك في هذا الشهر ، كأنّي بك وأنت تريد أن تصلي ، وقد انبعث أشقى الأولين والآخرين ، شقيق عاقر ناقة صالح يضربك على رأسك فيخضب بها لحيتك .

فقلت : يا رسول الله وذلك في سلامة من ديني ؟

قال : سلامة من دينك .

قلت : هذا من مواطن البشري والشكر .

ثمّ قال : يا علي ، من قتلك فقد قتلني ، ومن أبغضك فقد أبغضني ، ومن سبّك فقد سبّني ، لأنك منّي كنفي ، روحك من روحي ، وطينتك من طينتي ، وإنّ الله تبارك وتعالى خلّقني وخلقك من نوره ، واصطفاني واصطفاك ، فاختارني للنبوّة واختارك للإمامة ، فمن أنكر إمامتك فقد أنكر نبوتي .

يا علي ، أنت وصي ووارثي ، وأبو ولدي ، وزوج ابنتي ، أمرك أمري ونهيك نهبي ، أقسم بالله الذي بعثني بالنبوّة وجعلني خير البريّة أنّك حجة الله على خلقه وأمينه على سرّه وخليفة الله على عباده .

وللمزيد راجع كتاب إحقاق الحق ج ٥ ص ٥٠ ، وغيره .

٢٠ - روى أحمد بن حنبل في كتاب « فضائل علي » يرفعه بسنده عن علي عليه السّلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنا أول من يُدعى به يوم القيامة ، فأقوم عن يمين العرش في ظلّة ، ثمّ أكنى حلّة ،

ثم يُدعى بالنبيين بعضهم على أثر بعض ، فيقومون عن يمين العرش ويكسّون حلالاً ، ثم يُدعى بعلي بن أبي طالب لقرابته مني ومنزلته عندي ويدفع إليه لواء الحمد ، آدم من دونه تحت ذلك اللواء ، ثم قال لعلي : فتسير به حتى تقف بيني وبين إبراهيم الخليل عليه السّلام ثم تُكسى حلّة وينادي منادٍ من بطنان العرش : «نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك علي» أبشر يا علي فإنك تُدعى إذا دُعيت ، وتكسى إذا كُسيّت ، ونحيا إذا حييت .

رواه جماعة من أعلام القوم ، منهم : العلامة حسام الدين المردي الحنفي في كتابه «آل محمد» ص ٩ .

والعلّامتان الشريف عباس أحمد صقر والشيخ أحمد عبد الجواد في «جامع الأحاديث» ج ٤ ص ٢٧٦ ط دمشق .

ومنها : العلامة المولى ولي الله اللكهنوي في «مرآة المؤمنين» ص ٣٤ .

ومنها العلامة ابن المغازلي .

ومنها العلامة الخوارزمي في «مقتل الحسين» من ٤٨ و ٤٩ .

وفي «المناقب» ص ٨٣ ط تبريز ، وغيرهم ، وللتفاصيل راجع كتاب إحقاق الحق ج ٤ من ص ٢٦٤ إلى ص ٢٧١ وج ٦ ص ٥٦١ وج ١٦ باب ٦٥ ص ٥٥٧ وج ٢٠ ص ٣٢١ .

٢١ - عن سلمان الفارسي مرفوعاً ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : خلقت أنا وعلي بن أبي طالب من نورٍ عن يمين العرش .

وفي رواية أخرى عنه أيضاً ، قال : سمعت حبيبي محمداً رسول الله

صلى الله عليه وآله يقول : كُنْتُ أَنَا وَعَلِيٌّ نَوْرًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَسْجُ اللَّهُ وَنَقْدَسُهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ آدَمَ بِأَرْبَعَةِ عَشَرَ أَلْفَ سَنَةٍ ، فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ نَقَلْنَا إِلَى أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ الطَّاهِرَاتِ ، ثُمَّ نَقَلْنَا إِلَى صُلْبِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَقَسَمْنَا نِصْفَيْنِ ، فَجَعَلْنَا النِّصْفَ فِي صُلْبِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ، وَجَعَلْنَا النِّصْفَ الْآخَرَ فِي صُلْبِ عَمِّي أَبِي طَالِبٍ ، فَخَلَقْتُ مِنْ ذَلِكَ النِّصْفِ ، وَخُلِقْتُ عَلَى مِنَ النِّصْفِ الْآخَرِ .

واشتق الله تعالى لنا من أسمائه أَسْمَاءَ ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَحْمُودُ وَأَنَا مُحَمَّدٌ ، وَاللَّهُ تَعَالَى الْأَعْلَى وَأَخِي عَلِيٌّ ، وَاللَّهُ الْفَاطِرُ وَابْنَتِي فَاطِمَةُ ، وَاللَّهُ الْمُحْسِنُ وَابْنَايَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ ، وَكَانَ اسْمِي فِي الرِّسَالَةِ وَالنَّبُوءَةِ ، وَكَانَ اسْمُهُ فِي الْخِلَافَةِ وَالشَّجَاعَةِ ، فَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ وَعَلِيٌّ سَيْفُ اللَّهِ .
رواه جماعة من أعلام القوم منهم : العلامة ابن المغازلي في « مناقب أمير المؤمنين » ص ٨٧ ط طهران .

ومنها : العلامة الحموي في « فرائد السمطين » ص ٢٩ ط النجف .

ومنها : العلامة الثعلبي في « تفسيره » ص ٨٩ مخطوط .
ومنها : العلامة القندوزي في « ينابيع المودة » ص ١٠ ط الأستانة .
راجع كتاب إحقاق الحق ج ٤ - ص ٩١ وج ١٥ ص ١٩٨ - ٢٠٠ .

٢٢ - روي عن محمد بن منصور الطوسي أنه قال : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من الفضائل ما جاء لعلي بن أبي طالب عليه السلام .

ذكره الحاكم النيشابوري المتوفى سنة ٤٠٥ في « المستدرک » ج ٣ ص ١٠٧ ط الهند .

والعلامة الثعلبي المتوفى سنة ٤٢٧ و قيل سنة ٤٣٧ « في تفسيره » على ما في مناقب الشافعي ص ١١٢ .

والعلامة ابن عبد البر في « الاستيعاب » ج ٢ ص ٤٦٦ . وراجع كتاب إحقاق الحق ج ٥ ص ١٢٢ .

٢٣ - آخر حديث لأمير المؤمنين عليه السلام مع الأصبغ بن نباتة ، والله أعلم :

روى هذا الحديث العلامة المحذث محمد بن أحمد الحنفي الموصلي الشهير بابن حسنويه في كتابه « در بحر المناقب » ص ٨٦ مخطوط ، بالإسناد يرفعه إلى الأصبغ بن نباتة ، قال : لما ضرب أمير المؤمنين عليه السلام الضربة التي كانت وفاته فيها ، اجتمع الناس إليه بباب داره وكانوا يريدون قتل ابن ملجم لعنه الله ، قال : فخرج الحسن عليه السلام وقال : معاشر الناس ، إن أبي قد أوصاني أن أترك أمره إلى وفاته ، فإن كان له وفاة ، وإلا نظر هو في حقّه ، فأنصرفوا رحمكم الله . فلم أنصرف .

وخرج ثانية وقال : يا أصبغ ، أما سمعت قولي عن أمير المؤمنين عليه السلام .

قلت : بلى ، ولكني رأيت حاله فأحببت أن أردد النظر إليه واستمع منه حديثاً ، استأذن لي رحمك الله . فدخل ولم يلبث أن خرج فقال لي : ادخل . فدخلت وإذا أنا بأمير المؤمنين عليه السلام معصّب بعصابة صفراء ، وقد علت صُفرة وجهه على تلك العصابة ، فإذا هو يقلع فخذاً ويضع أخرى من شدة الضربة وكثرة السم .

فقال لي : يا أصبغ أما سمعت قول الحسن عن قولي .

قلتُ : بلى يا أمير المؤمنين ، ولكني رأيتك في حالةٍ فأحببت النظر إليك ، وأن أسمع منك حديثاً .

فقال لي : اقعد فما أراك تسمع مني حديثاً بعد يومك هذا .
اعلم يا أصبغ ، أني أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله عائداً كما إليَّ جئت الساعة ، فقال لي : يا أبا الحسن ، نادِ في الناس : الصلاة جامعة ، واصعد منبري وقم دون قومي بمرقاة ، وقل للناس : ألا من عقر والديه فلعنة الله عليه ، ألا من أبى عن والديه فلعنه الله ، ألا من ظلم أجيراً أجرته فلعنة الله عليه . يا أصبغ ، فقلت ما أمرني به جيبى رسول الله صلى الله عليه وآله فقام من أقصى المسجد رجل فقال : يا أبا الحسن تكلمت بثلاث كلمات ، وأجزتهن فاشرحهن لنا .

فلم أرد جواباً حتى أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت له : ما كان من الرجل .

قال الأصبغ : فأخذ بيدي فقال : يا أصبغ ، أبسط يدك . فبسطت يدي ، فتناول اصبعاً من أصابع يدي فقال :

يا أصبغ ، كذا تناول رسول الله صلى الله عليه وآله إصبعاً من أصابعي كما تناولت إصبعاً من أصابعك ، ثم قال :

يا أبا الحسن ألا أنا وأنت أبوا هذه الأمة ، فمن عقرنا فلعنة الله عليه .

ألا وإني وأنت موالي هذه الأمة فمن أبى منا فلعنة الله عليه .

ألا وإني وأنت أجيرا هذه الأمة فمن ظلمنا أجرتنا فلعنة الله عليه ، قل : آمين ؛ فقلت : آمين .

قال الأصبغ : ثم أغمى عليه عليه السَّلام ثم أفاق ، فقال لي :

أقاعد أنت يا أصبغ ؟ فقلت : نعم يا مولاي .

قال : أزيدك حديثاً آخر ؟ قلت : نعم زاد الله مزيد كل خير .

قال : يا أصبغ لقيني رسول الله صلى الله عليه وآله في بعض طرقات المدينة وأنا مغموماً ، قد تبين الغم في وجهي ، فقال لي النبي صلى الله عليه وآله : أراك مغموماً ، ألا أحدثك بحديث لا تغتم بعده أبداً ؟ قلت : نعم .

قال : إذا كان يوم القيامة ، نصب الله منبراً يعلمو منابر النبيين والشهداء ، ثم يأمرني الله تعالى فأصعد فوقه ، ثم يأمرني الله يا علي أن تصعد دوني بمِرْقاة ، ثم يأمر الله ملكين فيجلسان دونك بمِرْقاة ، فإذا استقللنا على المنبر لا يبقى أحد من الأولين والآخرين إلا يرانا ، فينادي الملك الذي دونك بمِرْقاة : معاشر الناس ، مَنْ عرفني فقد عرفني وَمَنْ لم يعرفني فأنا أعرفه إِيَّاي ، أنا رضوان خازن الجنان ، ألا إن الله بمُنَّه وجلاله أمرني أن أدفع مفاتيح الجنة إلى محمد صلى الله عليه وآله ، وإن محمداً قد أمرني أن أدفع إلى علي عليه السلام فاشهدوا لي عليه .

ثم يقوم ذلك الملك الذي تحت ذلك الملك بمِرْقاة منادياً ، يُسْمِعُ أهل الموقف : معاشر المسلمين ، مَنْ عرفني فقد عرفني ، وَمَنْ لم يعرفني فأنا أعرفه إِيَّاي ، أنا مالك خازن النيران ، ألا إن الله بفضله ومنه وكرمه أمرني أن أدفع مفاتيح النار إلى محمد صلى الله عليه وآله ، وقد أمرني أن أدفع إلى علي ، فاشهدوا لي عليه .

فتأخذ مفاتيح الجنة والنار ، وتأخذ بحجزتي ، وأهل بيتك يأخذون بحجزتك ، وشيعتك يأخذون بحجزة أهل بيتك .

قال : فصفت بكلتا يدي وقلت : إلى الجنة يا رسول الله ؟ قال : إي ورب الكعبة .

قال الأصمغ : فلم أسمع من مولاي غير هذين الحديثين ، ثم توفي صلوات الله عليه .

نقلته من كتاب إحقاق الحق ج ٥ ص ٩٤ فراجع .

٢٤ - حديث (أنا وأنت أبوا هذه الأمة) .

ذكر العلامة القندوزي المتوفى سنة ١٢٩٣ في كتابه (ينابيع المودة) ص ١٢٣ ط إسلامبول : في المناقب عن أبي سعيد بن عقيصا ، عن سيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

يا علي ، أنت أخي وأنا أخوك ، أنا المصطفى للنبوّة ، وأنت المجتبي للإمامة ، أنا وأنت أبوا هذه الأمة ، وأنت وصي ووارثي وأبو ولدي ، أتباعك أتباعي ، وأوليائك أوليائي ، وأعدائك أعدائي ، وأنت صاحبي على الخوض ، وصاحبي في المقام المحمود ، وصاحب لوائي في الآخرة ، كما أنت صاحب لوائي في الدنيا ، لقد سعدت من تولّك وشقي من عاداك ، وإن الملائكة لتتقرب إلى الله تعالى بمحبتك وولائتك ، وإن أهل مودتك في السماء أكثر من أهل الأرض .

يا علي ، أنت حجة الله على الناس بعدي ، قولك قولي ، وأمرك أمري ، ونهيك نهبي ، وطاعتك طاعتي ، ومعصيتك معصيتي ، وحزبك حزبي ، وحزبي حزب الله .

ثم قرأ الآية : ﴿ ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإنّ حزب الله هم الغالبون ﴾ (١) .

(١) سورة المائدة : آية ٥٦ .

كما ذكره العلامة ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ في «أسد الغابة» ج ٥ ص ١٠١ ط مصر .

والعلامة محب الدين الطبري المتوفى سنة ٦٩٤ في كتابه «ذخائر العقبى» ص ٦٦ ط مصر .

والعلامة الحافظ الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ في كتابه «مجمع الزوائد» ج ٩ ص ١٢١ ط مصر .

وللمزيد راجع كتاب إحقاق الحق ج ٤ ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

٢٥ - حديث (أنا وعلي من شجرة واحدة)

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى ، وخلقني وعلياً من شجرة واحدة ، فأنا أصلها وعلي فرعها ، وفاطمة لقاحها ، والحسن والحسين ثمرها ، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ، ومن زاع عنها هوى .

ولو أن عبداً عبد الله بين الصفا والمروة (وفي روايات بين الركن والمقام) ألف عام ، ثم ألف عام ، ثم ألف عام ، ثم لم يدرك صحبتنا أكبه الله على منخره في النار ، ثم تلا الآية : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ﴾ (١) .

قلت : هذا حديث حسن عال ، رواه الطبراني في معجمه .

ورواه جماعة من أعلام القوم ، منهم : العلامة الكنجي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨ في «كفاية الطالب» ص ١٧٨ .

ومنه : الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ في «لسان الميزان» ج ٤ ص ٤٣٤ ط حيدر آباد .

(١) سورة الشورى : آية ٢٣ .

ومنهم العلامة القندوزي في كتابه « ينابيع المودة » ص ٢٤٥ و ٢٥٦ .

وللمزيد راجع موسوعة إحقاق الحق ج ٥ ص ٢٦٢ إلى ٢٦٦ .

٢٦ - حديث أداء دين النبي صلى الله عليه وآله

روى الحافظ أبو نعيم في « حلية الأولياء » ج ١ ص ٦٣ ط مصر عن أنس مرفوعاً ، قال النبي لعلي : أنت تؤدي عني ديني ، وتسمعهم صوتي ، وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي .

٢٧ - حديث الكساء

عن عبد الله بن جعفر الطيار ، عن أبيه ، قال : لما نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الرحمة هابطة ، قال : أدعوا لي ، ادعوا لي .

فقلت صفية : من يا رسول الله ؟

قال : أهل بيتي : علياً وفاطمة والحسن والحسين . فجاء بهم ، فلقى عليهم النبي صلى الله عليه وآله كساءه ، ثم رفع يديه ، ثم قال : اللهم هؤلاء آلي ، فصل على محمد وعلى آل محمد . فأنزل الله عز وجل الآية : ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ ^(١) .

٢٨ - عن أبي برزة ، قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وآله سبعة عشر شهراً فإذا خرج من بيته أتى باب فاطمة فقال : الصلاة عليكم ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً ﴾ الآية .

رواه الطبراني ، ورواه العلامة الثعلبي في كتابه « الكشف والبيان » غلطوط .

(١) سورة الأحزاب : آية ٣٣ .

ورواه أيضاً العلامة ابن حجر العسقلاني الشافعي في « الإصابة »
ج ٢ ص ١٦٩ ط مصر .

راجع كتاب إحقاق الحق ج ٩ ص ٥٢ .

٢٩ - عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : اشتد غضب الله على اليهود ، واشتد غضب الله على النصارى ، واشتد غضب الله على من آذاني في عترتي .

رواه ابن المغازلي في « مناقبه » ص ٣٩٣ ط دار الأضواء - بيروت -
وراجع إحقاق الحق ج ١٨ ص ٤٣٥ .

٣٠ - روى الثعالبي عن الإمام أبي الحسن الرضا ، عن آبائه ، عن جده علي بن أبي طالب عليهم السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي ، ومن اضطنع صنيعاً إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه أحد عليها فأنا أجازيه غداً إذا بعثني يوم القيامة .

هذا في « فصل الخطاب » ذكره العلامة المولوي الهندي في « وسيلة النجاة » ص ٥٥ ط لکنهو ، راجع إحقاق الحق ج ١٨ ص ٤٦ .

٣١ - روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الإمام علي عليه السلام من « تاريخ دمشق » ج ١ ص ١٠٧ ط بيروت بسنده عن حصين التغلبي ، عن أسماء بنت عميس ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أقول كما قال أخي موسى : رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري ، واجعل لي وزيراً من أهلي - علياً - أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً .

وذكر ذلك أيضاً العلامة المولى الهروي في « مرقاة المفاتيح في شرح

مشكاة المصابيح « ج ١١ ص ٣٣٧ ط ملتان .

والحاكم الحسكاني في « شواهد التنزيل » ص ٣٦٩ ط بيروت .

والعلامة النقشبندی في « مناقب العشرة » ص ١١ مخطوط .

والعلامة القندوزي في « ينابيع المودة » ص ٢٠٤ ط إسلامبول .

وراجع كتاب إحقاق الحق ج ١٥ ص ٢٤٥ إلى ٢٤٧ .

٣٢ - روى العلامة فضل الله بن أبي الخير في « تنمة الأسئلة » عن علي عليه السلام أنه قال : يقول الله عز وجل : ولاية علي بن أبي طالب حصني ، فمن دخل حصني آمن من عذابي .

٣٣ - حديث : « من مات ولم يعرف إمام زمانه » .

روى هذا الحديث جماعة من أعلام القوم وحفاظهم بعدة طرق ، وبالألفاظ متقاربة من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهلية ، ومن نزع يداً من طاعة جاء يوم القيامة لا حجة له .

منهم : الحافظ الطيالسي في « مسنده » ص ٢٥٩ ط حيدر آباد .

ومنهم : الحافظ مسلم القشيري في « صحيحه » ج ٨ ص ١٠٧ .

ومنهم : العلامة الكركي في « نفحات اللاهوت » ص ١٢

ط الغري .

ومنهم : العلامة القندوزي المتوفى سنة ١٢٩٣ في « ينابيع المودة »

ص ١١٧ ط إسلامبول ، حيث قال :

في المناقب بالسند عن عيسى بن السري ، قال : قلت لجعفر الصادق عليه السلام حدثني عما ثبت عليه دعائم الإسلام إذا أخذت بها زكا عملي ولم يضرني جهل ما جهلت .

قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنَّ مُحَمَّدًا رسول الله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ، وحق في الأموال من الزكاة ، والإقرار بالولاية التي أمر الله بها ، ولاية آل مُحَمَّد ، قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : « مَنْ مات ولم يعرف إمامه مات ميتةً جاهلية » .

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ^(١) فكان عليُّ صلوات الله عليه ، ثُمَّ صار من بعده الحسن ، ثُمَّ من بعده الحسين ، ثُمَّ من بعده علي بن الحسين السَّجَّاد ، ثُمَّ من بعده مُحَمَّد بن علي الباقر ، ثُمَّ من بعده جعفر بن مُحَمَّد الصادق ، ثُمَّ من بعده موسى بن جعفر الكاظم ، ثُمَّ من بعده علي بن موسى الرضا ، ثُمَّ من بعده مُحَمَّد بن علي الجواد ، ثُمَّ من بعده علي بن مُحَمَّد الهادي ، ثُمَّ من بعده الحسن بن علي العسكري ، ثُمَّ من بعده الإمام الحُجَّة بن الحسن المنتظر ، الذي يملأ الله به الأرض عدلاً بعدما مُلئت جوراً ، وهكذا يكون الأمر ، إِنَّ الأرض لا تصلح إلَّا بإمام ، وَمَنْ مات لا يعرف إمامه مات ميتةً جاهلية . راجع كتاب إحقاق الحق ج ١٣ ص ٨٥ إلى ٨٦ .

٣٤ - في تفسير آية : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ^(٢) عن جعفر بن مُحَمَّد الصادق عليه السَّلام ، قال : نحن حبل الله الذي قال الله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ الآية فالمستمسك بولاية علي بن أبي طالب ، المستمسك بالبرِّ ، فَمَنْ تَمَسَّكَ به كان مؤمناً ، وَمَنْ تركه كان خارجاً من الإيمان .

٣٥ - وعن علي بن موسى الرضا عليه السَّلام ، عن آبائه ، عن علي عليه السَّلام قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْكَبَ

(١) سورة النساء : آية ٥٩

(٢) سورة آل عمران : آية ١٠٣ .

سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقى ، ويعتصم بحبل الله المتين ،
فليوالِ عليّاً ، وليأتم بالهداة من ولده .

ذكره الحاكم الحسكاني في « شواهد التنزيل » ج ١ ص ١٣٠
ط بيروت ، راجع كتاب إحقاق الحق ج ١٤ ص ٥٢١ .

٣٦ - حديث الرطب الصيحاني .

روى العلامة الحموي المتوفى سنة ٧٢٢ في « فرائد السمطين » بسنده
إلى جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : كنت يوماً مع النبي صلى الله عليه
 وآله في بعض حيطان المدينة ويد علي عليه السلام في يده ، فمررنا
 بنخلٍ ، فصاح النخل : هذا محمد سيّد الأنبياء ، وهذا عليّ سيّد
 الأوصياء ، وأبو الأئمة الطاهرين .

ثم مررنا بنخل فصاح النخل هذا المهدي ، وهذا الهادي .
ثم مررنا بنخلٍ فصاح النخل : هذا محمد رسول الله ، وهذا عليّ
 سيف الله .

فالتفت النبي إلى علي فقال : يا علي ، سمّه الصيحاني ، فسَمي من
 ذلك اليوم الصيحاني .

ولا يزال إلى اليوم يعرف بهذا الاسم في المدينة .
وروى هذا الحديث العلامة جمال الدين الزرندي الحنفي المتوفى سنة
 ٧٥٠ في « نظم درر السمطين » ص ١٢٤ ط مصر .

والعلامة السمهودي المتوفى سنة ٩١١ في « خلاصة الوفاء » ص ٣٩
مخطوط .

والعلامة الترمذي المتوفى سنة ١٠٢٥ في « المناقب المرتضوية »
 ص ١٢٧ ط بومباي .

والعلامة الدارقطني « في صحيحه » ص ١١٩ مخطوط .

والحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢ في « لسان الميزان »
ج ١ ص ٤٨٠ ط حيدر آباد .

العلامة أخطب خوارزم المتوفى سنة ٥٦٨ في « مقتل الحسين »
ص ٩٦ ط الغري .

وقد رواه الكثير غيرهم ، وللمزيد راجع كتاب « إحقاق الحق »
ج ٤ من ص ١١٤ - ١١٦ .

٣٧ - حديث « حب آل محمد »

روى العلامة الخوارزمي في « المناقب » ص ٤٣ ط تبريز بالإسناد إلى
مالك بن أنس ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وآله : مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ صَلَاتَهُ وَصِيَامَهُ وَقِيَامَهُ ، وَاسْتَجَابَ
دَعَاؤَهُ .

أَلَا وَمَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِكُلِّ عَرَقٍ فِي بَدَنِهِ مَدِينَةً فِي الْجَنَّةِ .

أَلَا وَمَنْ أَحَبَّ آلَ مُحَمَّدٍ أَمِنَ مِنَ الْحِسَابِ وَالْمِيزَانِ وَالصَّرَاطِ .

أَلَا وَمَنْ مَاتَ عَلَى حُبِّ آلِ مُحَمَّدٍ فَأَنَا كَفِيلُهُ بِالْجَنَّةِ مَعَ الْأَنْبِيَاءِ .

أَلَا وَمَنْ أَبْغَضَ آلَ مُحَمَّدٍ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : آيِسَ

مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ . ورواه أيضاً في « مقتل الحسين » ص ٤٠ ط الغري . ورواه

الحافظ ابن حجر العسقلاني في « لسان الميزان » ج ٥ ص ٦٢
ط حيدر آباد .

والعلامة الأمرتسري في « أرجح المطالب » ص ٥٢٦ ط لاهور ،

وغيرهم .

وللمزيد راجع كتاب « إحقاق الحق » ص ١٦٢ ج ٧ .

٣٨ - روى العلامة الترمذي في « المناقب المرتضوية » ص ٢٠٦ ط بومباي قال : روي في بشائر المصطفى بإسناد طويل أنه دخل رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم ضاحكاً في بيت علي عليه السلام ، فقال : قدمت لأبشرك يا أخي : بأن جبرئيل نزل إلي في ساعتي هذه برسالة من عند الله ، وهي :

إن الله تعالى يقول : يا أحمد ، أبشر علياً بأن أحبائك مطيعهم وعاصيهم من أهل الجنة ، فسجد علي شكراً لله ، وقال : اللهم اشهد ، فلاني قد أعطيتهم نصف حسناتي .

فالت فاطمة : اللهم اشهد ، وأنا قد أعطيتهم نصف حسناتي .

فقال الحسن والحسين عليهما السلام : ونحن قد أعطيناهم نصف حسناتنا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ولستم بأكرم مني ، وأنا قد أعطيتهم حسناتي .

فنزل جبرئيل ، فقال : يا رسول الله ، إن الله تبارك وتعالى يقول : لستم بأكرم مني ، وقد غفرت سيئات محبي علي ، وأرزقهم الجنة ونعيمها .

٣٩ - روي عن علي عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي ، إن الله غفر لك ولأهلك ، ولشيعتك ، ولمحبي شيعتك ، ولمحبي محبي شيعتك ، فابشر فإنك الأنزع البطين ، منزوع من الشرك ، بطين من العلم .

رواه جماعة من أعلام القوم وحفاظهم ، منهم : الحافظ ابن المغازلي في « المناقب » .

ومنهم : العلامة الخوارزمي في « المناقب » ص ٢٣٤ ط تبريز .

ومنهم : العلامة الحموي في « فرائد السمطين » .

ومنهم العلامة ابن حجر الهيتمي في « الصواعق » ص ٩٦ ط مصر .

ومنهم العلامة الترمذي في « المناقب المرتضوية » ص ٩٩ ط بمباي .

ومنهم : العلامة البدخشي ، والقندوزي وغيرهم .

للتفاصيل راجع إحقاق الحق ج ٧ ص ٣٧ - ٣٨ .

٤٠ - روي عن علي أمير المؤمنين عليه السّلام أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

يا عليّ ، أنت أمير المؤمنين ، وإمام المتقين .

يا عليّ ، أنت سيّد الوصيين ، ووارث علم الأولين ، وخير الصّديقين ، وأفضل السابقين .

يا عليّ ، أنت زوج سيّدة نساء العالمين ، وخليفة خير المرسلين .

يا عليّ ، أنت مولى المؤمنين .

يا عليّ ، أنت الحجّة بعدي على الخلق أجمعين ، استوجب الجنة مَنْ تولّاك ، واستحقّ النار مَنْ عاداك .

يا عليّ ، والذي بعثني بالنبوة ، واصطفاني على جميع البريّة ، لو أن عبداً عبد الله ألف عام ، ما قبل الله ذلك منه إلّا بولايتك ، وبولاية الأئمة من ولدك ، وإنّ ولّايتك لا يقبلها الله تعالى ، إلّا بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمة من ولدك .

بذلك أخبرني الأمين جبرائيل ، فمَنْ شاء فليؤمن ومَنْ شاء فليكفر .

أقول : إستناداً إلى هذا الحديث وغيره من الأحاديث النبويّة

الصحيحة ، الواردة في شأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السّلام
نظم العلامة الجليل الخواجة نصير الدين الطوسي ، رضوان الله عليه هذه
الآبيات الرائعة :

لو أن عبداً أتى بالصالحات غداً	وودّ كدُّ نبيّ مرسل ووليّ
وصام ما صام صوماً بلا مللٍ	وقام ما قام قواماً بلا كسلٍ
وعاش في الناس آلفاً مؤلفاً	خلواً من الذنب معصوماً من الزّللِ
وطار في الجوّ لا بأوي إلى كنفٍ	وغاص في البحر لا يخشى من البللِ
ما كان ذلك يوم الحشر ينفعه	إلاّ بحب أمير المؤمنين عليّ

يقول المؤلف :

اللّهم اجعلنا من شيعتهم ومحبيهم ، آمين يا رب العالمين .

مرج البحرين يلتقيان

اقتران النور من النور عليّ من فاطمة الزهراء عليهما السّلام .
من أوّل المبادئ التي تبنّاها رسول الله صلّى الله عليه وآله في بداية بعثته هو الحث على النكاح ، ودفع الشباب المسلم على تأسيس الأسرة وبناء اللبنة الصالحة للمجتمع المؤمن الواعي ، وتحمل المسؤولية في تربية الجيل الصاعد ، كما أمر الله تعالى في محكم كتابه المجيد إذ قال : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾^(١) .

كما وردت أحاديث شريفة كثيرة عن النبي صلّى الله عليه وآله ، وروايات عديدة عن الأئمة الطاهرين عليهم السّلام في الحث على الزواج وتكوين الأسرة النظيفة .

منها ما قاله صلّى الله عليه وآله : « مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدْ أَحْرَزَ نِصْفَ دِينِهِ ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي النِّصْفِ الْآخَرِ » .

ولم يكتف بالحث على الزواج كلامياً فحسب ، بل عمد إلى تطبيق الأمر بنفسه عملياً ، وبأبسط الجهد والتكاليف ، التي كان يتهيأها الشباب

(١) سورة النور : آية ٣٢ .

ويحجم عن الإقدام عليها ، وجاء هذا التطبيق مع مَنْ ؟ مع ابنته سيّدة
نساء العالمين عليها السلام ، وإليك وصف الواقعة بصورة موجزة
ومختصرة :

لَمَّا أدركت فاطمة الزهراء سلام الله عليها مدرك النساء ، خطبها
أكابر المسلمين من قريش ومن أهل الفضل والسابقة في الإسلام ، ومن
أهل الشرف والمال ، وكلّمها ذكرها رجل من قريش لرسول الله صَلَّى الله
عليه وآله أعرض عنه بوجهه ، حتّى أصبح الرجل منهم يظن في نفسه ربّما
أنّه ساخط عليه ، أو قد نزل فيه وحي من السماء ، كما خطبها أبو بكر ،
ومن بعده عمر ، فكان جوابه صَلَّى الله عليه وآله : « أمرها إلى ربها » .

جاء أبو بكر وسعد بن معاذ يوماً إلى علي عليه السّلام ، وهو في
حائط له خارج المدينة يسقي الزرع ، وسألاه عمّا يمنعه من خطبته فاطمة
عليها السلام ، فقال لها : ما يمنعني إلّا الحياء ، وقلة ذات اليد . فقال له
سعد : اذهب إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ، واخطب منه فاطمة ،
فإنّه يزوّجك إيّاها ، والله ما أرى أنّه يحبسها عليك .

فأقبل عليّ عليه السّلام يقصد دار النبي صَلَّى الله عليه وآله ، فهبط
الأمين جبرائيل على رسول الله وأخبره بمجيء علي وقصده ، وكان صَلَّى الله
عليه وآله في دار أمّ سَلَمَةَ رضوان الله عليها ، فطرق الباب ، فنادت أمّ
سلمة : مَنْ بالباب ؟ فقال لها صَلَّى الله عليه وآله قبل أن يجيبها عليّ
عليه السّلام : قومي يا أمّ سلمة ، وافتحي له الباب ، ومريه بالدخول ؛
فهذا رجل يحبّه الله ورسوله ويحبّها .

فقالت أم سلمة : فذاك أبي وأمي : ومن هذا الذي تذكر فيه هذا
وأنت لم تره ؟ !

فقال : مه ، يا أم سلمة ، فهذا رجل ليس بالخرق ولا بالنزق^(١) ،
هذا أخي وابن عمي ، وأحبّ الخلق إليّ .

فقامت أم سلمة وفتحت الباب ، وإذا به علي بن أبي طالب
عليه السّلام .

قالت أم سلمة : والله ما دخل حين فتحت الباب حتّى علم أنّي
رجعت إلى خدري ، ثمّ دخل على رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فقال :
السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته . فأجابه النبي :
وعليك السلام ، اجلس . فجلس ورأسه مطّاطاً ينظر إلى الأرض ، كأنه
قصد حاجة وهو يستحي أن يديها حياة .

فقال رسول الله : إنّني أرى أنّك أتيت حاجة ، فقل ما حاجتك ،
وابدّ ما في نفسك فكلّ حاجة لك مقضية .

فقال عليه السّلام : فداك أبي وأمي ، إنّك لتعلم ، أخذتني من
عمّك أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبي ، فغذيتني بغدائك ،
وأدبتني بأدبك ، فكنت إليّ أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في
البر والشفقة ؛ وإنّ الله تعالى هداني بك وعلى يدك ، وأنت - والله - يا
رسول الله ، ذخري وذخيري في آخرتي ودنياي ، يا رسول الله ، وقد
أحببت ، مع ما شدّ الله من عضدي بك - أن يكون لي بيت ، وأن تكون
لي زوجة أسكن إليها ، وقد أتيتك خاطباً راعباً ، أخطب إليك ابنتك
فاطمة ، فهل أنت مزوّجي يا رسول الله ؟

فتهلّل وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله فرحاً وسروراً ، ثمّ تبسّم
في وجه عليّ عليه السلام وقال : فهل معك شيء أزوّجك به ؟

(١) الخرق : سيء التصرف والجاهل ، والنزق : الرعن الخفيف في كل أمره ، المجول
الاعمى .

فقال عليّ عليه السّلام : فداك أبي وأُمّي ، والله ما يخفى عليك من أمر شيء ، أملك سيفي ودرعي ، وناضح^(٢) ، وما لي شيء غير هذا . فقال صلّى الله عليه وآله : يا علي ، أَمَا سيفك فلا غنى بك عنه ، تجاهد به في سبيل الله ، وأَمَا ناضحك تنضح به على نخلك وأهلك ، وتحمل عليه رحلك في سفرك ، ولكني قد زوّجتك بالدرع ، ورضيت بها منك .

يا عليّ أبشرك ؟

فقال : نعم فداك أبي وأُمّي بشرني فإنك لم تزل ميمون النقية ، مبارك الطائر ، رشيد الأمر ، صلّى الله عليك .

فقال صلّى الله عليه وآله : أبشر ، فإن الله تعالى قد زوجكها في السماء من قبل أن أزوّجك في الأرض . إلى آخر كلامه .

وهناك أحاديث عديدة عن الرسول صلّى الله عليه وآله ، في قصة الزواج في السماء أكثر منها في الأرض .

ثم قال : يا علي ، إنّه ذكرها قبلك رجال ، فذكرت ذلك لها ، فرأيت الكراهة في وجهها ، ولكن على رسلك حتّى أخرج إليك . فدخل عليها ، فقامت فأخذت رداءه ، ونزعت نعله ، وأتت بالوضوء فتوضّأ وغسّلت رجله ، ثمّ قعدت ، فقال لها : يا فاطمة ! فقالت : لييك ، ما حاجتك يا رسول الله ؟

قال : إنّ علي بن أبي طالب من قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه ، وإنّي قد سألت ربّي أن يزوّجك خير خلقه ، وأحبّهم إليه ، وقد ذكر عن أمرك شيئاً ، فما ترين ؟ فسكتت ، ولم تول وجهها ولم يرها كراهة ،

(١) البعير الذي ينقل عليه الماء .

فقام وهو يقول : الله أكبر ، سكوتها إقرارها .

فمضى علي عليه السّلام إلى المسجد ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله في أثره ، وفي المسجد جلّ المهاجرين والأنصار ، فصعد المنبر وارتقى أعلى درجته ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

معاشر المسلمين ، إن جبرئيل أتاني آنفاً ، فأخبرني عن ربّي جلّ جلاله أنّه جمع الملائكة عند البيت المعمور ، وأنّه أشهدهم جميعاً أنّه زوج أمته فاطمة من عبده علي بن أبي طالب ، وأمرني أن أزوجه في الأرض ، وأشهدكم على ذلك .

ثمّ جلس وقال لعلي عليه السّلام : قم يا أبا الحسن فاخطب أنت لنفسك . فقام وحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله ، وقال :

الحمد لله شكراً لأنعمه وإياديه ، ولا إله إلا الله شهادةً تبلغه وترضيه ، وصلى الله على محمد صلاة تزلفه وتحظيه ، والنكاح مما أمر الله به ورضيه ، ومجلسنا هذا بما قضاه الله وأذن فيه ، وقد زوجني رسول الله صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة ، وجعل صداقها درعي هذا ، وقد رضيت بذلك ، فاسألوه واشهدوا .

فقال المسلمون لرسول الله صلى الله عليه وآله : زوجته يا رسول الله ؟ فقال : نعم .

فقالوا : بارك الله لهما شملهما .

وانصرف رسول الله إلى أزواجه ، فقال : يا علي ، انطلق الآن فبع درعك وأتني بشمعة حتى أهيء لك ولايتي فاطمة ما يصلحكما .

قال علي عليه السّلام : فانطلقت ، فبعت الدرع بأربعمائة درهم سود هجرية - وفي رواية أخرى : أربعمائة وثمانين ، أو خمسمائة درهماً - من

عثمان بن عفان ، فلما قبض الدراهم أقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وطرح الدراهم بين يديه ، فدعا أبا بكر فدفَعَ إليه حفنة منها ، وقال : اشترِ بهذه الدراهم لابنتي فاطمة ما يصلح لها في بيتها . وبعث معه سلمان وبلال ليعينه على حمل ما يشتريه من متاع .

قال أبو بكر : أحصيت الدراهم التي أعطانيها النبي فكانت ثلاثاً وستين درهماً ، فانطلقت واشتريت فراشاً من خيش مصر محشواً بالصوف ، ونطعاً من آدم ، ووسادة من آدم ، حشوها من ليف النخل ، وعباءة خيبرية ، وقربة ماء ، وكيزان ، وجرار ، ومطهرة للماء ، وستر صوف رقيق ، وحملناه جميعاً حتى وضعناه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما نظر إليه بكى وجرت دموعه ، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : اللهم بارك لقومٍ جل أنيتهم الخرف .

قال الإمام علي عليه السلام : ودفع رسول الله صلى الله عليه وآله باقي ثمن الدرع إلى أم سلمة ، وقال لها : اتركي هذه الدراهم عندك . ومكثت بعد ذلك شهراً لا أعاد رسول الله في أمر فاطمة بشيء استحياء منه ، غير أنني كنت إذا خلوت به يقول لي : يا أبا الحسن ، ما زوجتك وما أجملها ؟ أبشر يا أبا الحسن فقد زوجتك سيّدة نساء العالمين .

قال الإمام علي عليه السلام : فلما كان بعد شهر دخل عليّ أخي عقيل ، فقال : يا أخي ، ما فرحت بشيء كفرحي بتزويجك فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله ، يا أخي ، فما بالك لا تسأل رسول الله يدخلها عليك فتقرّ عيناً باجتماع شملكما ؟

فقلت : يا أخي والله ، إنّي أحبّ ذلك ، وما يمنعني من مسألته إلّا الحياء منه .

فقال عقيل : أقسمت عليك إلّا قمت معي .

فقمنا نريد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ، فلقينا في طريقنا أم أيمن مولاة رسول الله فذكرنا لها ذلك ، فقالت : لا تفعل ، دعنا نحن نكلمه ، فإن كلام النساء في هذا الأمر أحسن وأوقع بقلوب الرجال .

ثم اثنت راجعة ، فدخلت على أم سلمة فأعلمتها بذلك ، وأعلمت نساء النبي فاجتمعن عند رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ، وكان في بيت عائشة ، فأحدقن به وقلن : فدينك بآبائنا وأمّهاتنا يا رسول الله ، قد اجتمعنا لأمرٍ لو أن خديجة في الأحياء لقرّت بذلك عيناها .

قالت أم سلمة : فلمّا ذكرنا خديجة بكى صَلَّى الله عليه وآله ، ثم قال : خديجة ؟ وأين مثل خديجة ؟ صدّقني حين كذّبتني الناس ، وآزرتني على دين الله ، وأعانتني عليه بماها ، وإن الله عزّ وجلّ أمرني أبشر خديجة ببيت في الجنة من قصب الزمرد ، لا صخب فيه ولا نصب .

قالت أم سلمة : فقلنا : فدينك بآبائنا وأمّهاتنا يا رسول الله ، إنك لم تذكر من خديجة أمراً إلّا وقد كانت كذلك ، غير أنها قد مضت إلى ربّها فهناها الله تعالى بذلك ، وجمع بيننا وبينها في درجات جتّه ورضوانه ورحمته .

يا رسول الله ، وهذا أخوك وابن عمّك علي بن أبي طالب ، يحبّ أن تدخل عليه زوجته فاطمة تجمع بها شمله .

فقال : يا أمّ سلمة ، فما بال عليّ لا يسألني ذلك ؟
فقلت : الحياء منك .

قالت أم أيمن : فقال لي رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : انطلقني إلى عليّ فأتييني به .

فخرجتُ من عنده فإذا عليّ عليه السّلام ينتظرني ، ليسألني عن

الجواب ، فحضر عليّ عنده ، فقال صلى الله عليه وآله : هيء منزلاً حتى تحول فاطمة إليه .

فقال عليّ عليه السلام : يا رسول الله ، ما ها هنا منزل إلا منزل حارثة بن النعمان .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : والله ، لقد اسحينا من حارثة بن النعمان فقد أخذنا عامة منازل .

فبلغ ذلك حارثة فجاء إلى النبي ، فقال : يا رسول الله ، أنا ومالي لله ولرسوله ، والله ما شيء أحب إليّ مما تأخذه ، والذي تأخذه أحب إليّ مما تتركه ، فجزاه الرسول خيراً .

فحول فاطمة إلى علي عليه السلام في منزل حارثة ، وبسطوا على أرض البيت كثيباً من الرمل ، ونصبوا عوداً يوضع عليه السقاء (القربة) وستروه بكساء ، ونصبوا خشبة من حائط إلى حائط للثياب ، وبسط جلد كبش ومخدة ليف .

فقال النبي صلى الله عليه وآله : يا علي ، اصنع لأهلك طعاماً فاضلاً . وجاء أصحابه بالهدايا .

وأمر النبي فطحن البر (الحنطة) وخبزه ، وذبح الكبش ، واشترى عليّ تمرأً وسمناً ، وأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وحسر عن ذراعه ، وجعل يشدخ التمر بالسمن فقال : يا علي ، أدع من أحببت .

قال عليّ عليه السلام : فأتيت المسجد وهو غاص بالناس ، فنادت : أجيئوا إلى وليمة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله . فأجابوا من النخلاء والزروع ، وأقبل الناس إرسالاً وهم أكثر من أربعة آلاف رجل ، وسائر نساء المدينة ورفعوا منها ما أرادوا ، ولم ينقص من الطعام

شيء ، ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وآله بالصحاف والأواني ، فملئت ، ووجه بها إلى منازل أزواجه ، ثم أخذ صحيفة ، وقال : هذه لفاطمة ويعلها .

وكان لفاطمة عليها السلام يوم بنى بها علي بن أبي طالب عليه السلام تسع سنين .

عن ابن بابويه : أمر النبي صلى الله عليه وآله بنات عبد المطلب ونساء المهاجرات والأنصار أن يمضين في صحبة فاطمة عليها السلام ، وأن يفرحن ، ويرجزن ويكبرن ، ويحمدن ، ولا يقولن ما لا يرضي الله تعالى .

قال جابر : فأركبها رسول الله على ناقته - وفي رواية على بغلته الشهباء - وأخذ سلمان زمامها والنبي وحمزة وعقيل وجعفر وأهل البيت يمشون خلفها مشهورين سيوفهم ، ونساء النبي قدامها يرجزن .

فأنشأت أم سلمة تقول :

سيرن بعمون الله جاراتي	واشكرنه في كلِّ خالات
واذكرن ما أنعم ربُّ العلى	من كشف مكروه وآفات
فقد هدانا بعد كفر وقد	أنعشنا ربُّ السماوات
وسيرن مع خير نساء الورى	تُفدنى بعماتٍ وخالات
يا بنت من فضله ذو العلى	بالوحي منه والرسالات

وأنشأت عائشة تقول :

يا نسوة استترن بالمعاجر	واذكرن ما يحسن في المحاضر
واذكرن ربَّ الناس إذ خصنا	بدينه مع كل عبدٍ شاكِر
والحمد لله على أفضاله	والشكر لله العزيز القادر
سرن بها فالله أعطى بها	وخصَّها منه بطهر طاهر

وأنشدت حفصة قائلة :

فأطمة خير نساء البشر	ومن لها وجهٌ كوجه القمر
فضلك الله على كل السورى	بفضل من خصَّ بأبي الزمير
زوّجك الله فتىً فاضلاً	أعني علياً خير من في الحضر
فسرن جاراتي بها فلانها	كريمة بنت عظيم الخطر

وأنشدت معاذة أم سعد بن معاذ :

أقول قولاً فيه ما فيه	وأذكر الخير وأبديه
عمد خير بني آدم	ما فيه من كبر ولا تيه
بفضله عرفنا رشدنا	فالله بالخير يجازيه
ونحن مع بنت الهدى	ذي شرفٍ قد مكّنت فيه
في ذروة شامخة أصلها	فما أرى شيئاً يدانيه

وكانت النسوة يرجعن أول البيت من كل رجز ثم يكبرن ، ودخلن الدار ، ثم أنفذ الرسول صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام ، ثم دعا فاطمة عليها السلام فأخذ يدها ووضعها في يده ، وقال : بارك الله في ابنة رسول الله . وقال : يا علي ، نعم الزوجة فاطمة ، ويا فاطمة نعم الزوج علي .

ثم قال : يا علي ، هذه فاطمة وديعتي عندك ، ثم دعا وقال : اللهم اجمع شملهما ، وألف بين قلوبهما ، واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم ، وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة ، واجعل في ذريتهما البركة ، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك ، ويأمرون بما رضىت .

اللهم إنهما أحب خلقك إليّ ، فأحبهما واجعل عليهما منك حافظاً ، وإنّي أعيدهما بك وذريتهما من الشيطان الرجيم .

ثم خرج إلى الباب وهو يقول : طهركما وطهر نسلكما ، أنا سلم لمن

سالمكما ، وحرب لمن حاربكما ، أستودعكما الله ، وأستخلفه عليكما .
وبانت أسماء بنت عميس عندها في البيت ، وأصبح الصباح ، فجاء
رسول الله صلى الله عليه وآله إلى زيارة العروسين ، وقال : السلام
عليكما ، أَدْخِل .

فتحت أسماء الباب ، فدخل ، فسأل علياً عليه السلام : كيف
وجدت أهلِكَ ؟ قال : نعم العون على طاعة الله . وسأل فاطمة ،
فقالت : خير بعل .

وجاء النبي صلى الله عليه وآله بعس (قدح) فيه لبن ، فقال
لفاطمة : اشربي فداك أبوك وقال لعلي : اشرب ، فداك ابن عمك .

ثم قال : يا علي ، اثني بكوز من ماء ، فجاء علي بكوز فيه ماء ،
فتفل فيه ثلاثاً ، وقرأ عليه آيات من كتاب الله تعالى ، ثم قال : يا علي
اشربه ، واترك فيه قليلاً . ففعل علي ذلك ، فرش النبي باقي الماء على رأسه
وصدره ، ثم قال : أذهب الله عنك الرجس يا علي ، وطهرك تطهيراً .
وأمره بالخروج من البيت ، وخلا بابنته فاطمة عليها السلام ، وقال : كيف
أنت يا بنية ؟ وكيف رأيت زوجك^(١) ؟

قالت : يا أبة خير زوج ، إلا أنه دخل علي نساء من قريش وقلن
لي : زوجك رسول الله من فقير لا مال له .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا بنية ، ما أبوك بفقير ، ولا
بعلك بفقير ، ولقد عرضت علي خزائن الأرض من الذهب والفضة ،
فاخترت ما عند الله عز وجل .

(١) كرر سؤاله صلى الله عليه وآله هذا بعد ثلاثة أيام فأجابته بهذا الجواب ، أو لم يكن
دخل عليها أحد قبل رسول الله صلى الله عليه وآله صبيحة ليلة زفافها .

يا بنية لو تعلمين ما علم أبوك لمسخت الدنيا في عينيك .
والله يا بنية ، ما ألوتك نصحاً ، إني زوّجتك أقدمهم سلماً وأكثرهم
علماً ، وأعظمهم حليماً .

يا بنية ، إن الله عز وجل أطلع إلى الأرض أطلاعةً فاختار من أهلها
رجلين ، فجعل أحدهما أباك ، والآخر بعلك .
يا بنية ، نعم الزوج زوجك لا تعصي له أمراً .

هذه واقعة اقتران النورين ، أو ما نسميها (مرج البحرين يلتقيان)
انتقيت بعض بنودها من كتاب (عليّ من المهد إلى اللحد) للسيد
القزويني ، مع بعض التصرف روماً للاختصار ، كما ذكر المؤلف أنه نقلها
واقتطفها من الأحاديث ، والبحث المذكور في المجلد العاشر من كتاب بحار
الأنوار لشيخنا العلامة الجليل المجلسي رحمه الله .

ملاحظة : في هذا البحث كرر رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر
اسم (أبا الحسن) مخاطباً بها أمير المؤمنين عليه السلام ، وذلك قبل أن يبيّن
بالصدّيقة الزهراء عليها السلام ، هل هذه الكنية كان يُدعى بها قبلاً ؟ أم
أن رسول الله كنّاه بها أيام زفافه ؟ أو أنه من قبل الناقل مجازاً ؟ هذه
الملاحظة مجرد استفسار وسؤال .

عبادة علي عليه السّلام ومناجاته في تهجده

ما عساني أن أقول في رجلٍ أفنى زهرة شبابه بل حياته كلها في طاعة الله ، منذ اللحظة التي تنشق فيها نسيم الحياة وولد في بيت الله الحرام بالكعبة ، إلى أن استشهد في محرابه في مسجد الكوفة مصلياً طائعاً لله وما بينهما كان كلّ عمرة قضاها في طاعة الله .

وما عساني أن أقول في رجلٍ قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله : «يا علي، ما عرف الله إلّا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلّا الله وأنا» ؟ ! ولقد عجز فلاسفة الدنيا وحكماء العالم وعلماء ومفكري الأُمّة في وصف صفةٍ واحدةٍ من صفاته الحميدة ، ونظم في بعض مواقف العلماء والشعراء فأجادوا منهم الإمام الشافعي والعلامة ابن أبي الحديد المعتزلي وغيرهم . ناهيك عن عبادته .

عن علي عليه السّلام قال : عبدتُ الله قبل أن يعبدّه أحد من هذه الأُمّة سبع سنين ؟

عن الإمام الباقر عليه السّلام أنّه قال : اعتق عليّ عليه السّلام ألف عبد ، وكان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة .

وروي عن عليٍّ عليه السَّلام أَنَّهُ كان إذا حضر وقت الصلاة ارتعدت فرائضه وتغيَّر لونه ، فسئل عن ذلك فقال : جاء وقت الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال ، فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان فلا أدري أحسن أداء ما مُحِّلْت أم لا ؟

كما روى ذلك أيضاً عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السَّلام .

روي أَنَّ عليّاً قد أصاب رجله في غزوة أحد سهم صعب إخراجهِ ، فأمر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله بإخراجه حين اشتغاله بالصلاة ، فأخرجوه من رجله ، فقال بعد فراغه من الصلاة ، بأنَّه لم يلتفت بذلك

قيل لعليّ بن الحسين عليه السَّلام وكان الغاية في العبادة : أين عبادتك من عبادة جدِّك ؟

قال : عبادتي عند عبادة جدِّي ، كعبادة جدِّي عند عبادة رسول الله صَلَّى الله عليه وآله .

وأما عبادة علي عليه السَّلام فكان أعبد الناس وأكثرهم صلاةً وصوماً ، ومنه تعلَّم الناس صلاة الليل ، وملازمة الأوراد ، وقيام النافلة .

وما ضَنَك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يسط له نطع بين الصَّفَّين ليلة الحرير فيصلي عليه ورده ، والسهم تقع بين يديه ، وتمرَّ على صباخيه يميناً وشمالاً ، فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتى يفرغ من وظيفته ؟ !

وما ظَنَك برجل كانت جبهته كثفة بغير لطول سجوده ؟ ! وأنت إذ تأملت دعواته ومناجاته ، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله وما يتضمَّنُه من الخضوع لهيبته والخشوع لعزِّته والاستخذاء له عرفت ما ينطوي عليه من إجلال وإخلاص ، فهمت من أي قلب خرجت ، وعلى أي لسان جرت ، كما قال الشاعر :

هو البكاء في المحراب ليلاً هو الضحك إذا اشتدَّ الضرابُ
كان إذا أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، مثل في محرابه قابضاً
على لحيته ، يتململ تملل السليم ، يناجي ربه :
إلهي غارت نجوم سرائك ، وأغلقت الملوك أبوابها ، وطاف عليها
حرَّاسها ، وأبوابك مفتحات .

أو يبكي بكاء الحزين ، ويقول :
يا دنيا غرِّي غيري ، أبي تعرضتي ، أم إليَّ تشوّقت ؟ ! هيهات
هيهات قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك حقير ، آوِ
آوِ من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق .

ومن مناجاته في شعبان :
« اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّد وآل مُحَمَّد ، واسمع دعائي إذا دعوتك ،
واسمع ندائي إذا ناديتك ، واقبل عليَّ إذا ناجيتك ، فقد هربتُ إليك
ووقفت بين يديك مستكيناً لك ، متضرعاً إليك ، راجياً لما لديك ثوابي ،
وتعلم ما في نفسي ، وتخبر حاجتي ، وتعرف ضميري ، ولا يخفى عليك أمر
مُنقَلبي ومشوأي » إلى أن يقول : « إلهي أعوذ بك من غضبك وحلول
سخطك ، إلهي إن كنتُ غير مستأهل لرحمتك فأنت أهلُّ أن تجود عليَّ
بفضل سعتك » .

إلى أن يقول : « إلهي إن أخذتني بجرمي أخذتكَ بعفوك ، وإن
أخذتني بذنوبي أخذتكَ بمغفرتك ، وإن أدخلتني النار أعلمتُ أهلها أنَّي
أحبُّكَ » .

إلى أن يقول : « إلهي أنظر إليَّ نظر من ناديتَه فأجابك ، واستعملته
بمعونتك فأطاعك ، يا قريباً لا يبعد عن المغتر به ، ويا جواداً لا يبخل
عَمَّن رجا ثوابه » .

إلى أن يقول : « إلهي إن أنامتني الغفلة عن الاستعداد للقائك فقد نبهتني المعرفة بكرم آلائك ، إلهي إن دعائي إلى النار عظيم عقابك ، فقد دعائي إلى الجنة جزيل ثوابك » .

ومن مناجاته عليه السّلام : « إلهي تعرّض لك في هذا الليل المتعرّضون ، وقصدك القاصدون وأمل فضلك ومعروفك الطالبون ، ولك في هذا الليل نفحات وجوائز وعطايا ومواهب تمنّ بها على مَنْ تشاء من عبادك ، وتمنعها مَنْ لم تسبق له العناية منك ، وها أنا ذا يا إلهي عبّيدك ، الفقير إليك ، المؤمل فضلك ومعروفك ، فإن كنت يا مولاي تفضّلت في هذه الليلة على أحدٍ من خلقك ، وعدت عليه بعائدة من عطفك فصل على محمّد وآل محمّد الطيبين الطاهرين الخيّرين الفاضلين ، وجد عليّ بطولك ومعروفك يا رب العالمين » إلى آخر الدعاء .

ومن الأدعية الماثورة : « يا ذا الذي كان قبل كل شيء ثم خلق كل شيء ، ثم يبقى ويفنى كل شيء ، يا ذا الذي ليس كمثله شيء ويا ذا الذي ليس في السموات العلّى ولا في الأرضين السفلى ولا فوقهن ولا تحتهن ولا بينهن إلّه يعبد غيره ، لك الحمد حمداً لا يقوى على إحصائها إلّا أنت ، فصلّ على محمّد وآل محمّد صلاة لا يقوى على إحصائها إلّا أنت يا أرحم الراحمين .

رواه جماعة من أعلام القوم ، منهم : العلّامة ابن حجر الهيتمي المكي المتوفى سنة ٩٧٣ في كتابه « الفتاوى الحديّثية » ص ٤١ ط مصر .
ومنهم : العلّامة الترمذي ، في « المناقب » ص ١٦١ ط بومباي .
ومنهم : العلّامة ابن الصبان في « إسعاف الراغبين » ص ١٦٥ ط مصر .

ومنهم : العلّامة الأمرتسري في « أرجح المطالب » ص ٤٠٢ ط لاهور .

ومنهم : الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في « حلية الأولياء » ج ١
ص ٨٤ ط مصر .

ومنهم : العلامة ابن عبد البر في « الاستيعاب » ج ٢ ص ٤٦٣
ط حيدر آباد .

ومنهم : العلامة الزمخشري الحنفي في « ربيع الأبرار » ص ١٥
مخطوط .

ومنهم العلامة محب الدين الطبري في « الرياض النضرة » ج ٢
ص ٢١٢ ط مصر .

وغيرهم ، وللمزيد راجع كتاب إحقاق الحق ج ٨ ص ٥٩٦ وبقية
أجزائه .

زهد علي عليه السّلام

أما زهده في الدنيا ، فكان سيّد الزهاد ، وبذل الأبدال ، وإليه تشدّ الرحال ، وعنده تنفض الأحلاس ، ما شبع من طعام قط ، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً قال عليه السّلام : لقد رفعت مدرعتي هذه حتّى استحييت من رُقعها - أو : من راقعها . قال الإمام الباقر عليه السّلام في زهد أمير المؤمنين علي عليه السّلام أنّه وليّ - أيام خلافته - خمس سنين ، وما وضع آجرة ، ولا لبنه على لبنه ، ولا قطع قطيعاً ، ولا ورث بيضاء ولا صفراء .

وترصدّ غذاءه عمرو بن حريث ، فأنت فضّة بجراب مختوم ، فأخرج منه خبزاً متغيّراً خشناً ، فقال عمرو : يا فضّة ، لو نخلت هذا الدقيق وطيبته .

قالت : كنت أفعل فنهائي ، وكنت أصنع في جرابه طعاماً طيباً فختم جرابه .

ثمّ إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام فُتّه في قصعة ، وصبّ عليه الماء ، ثمّ ذرّ عليه الملح ، وحسر عن ذراعه ، فلمّا فرغ عليه السّلام قال : يا عمرو ، لقد حانت هذه - ومدّ يده إلى محاسنه - وخسرت هذه أن أدخلها

النار من أجل الطعام ، وهذا يجزيني .

ورآه عدي بن حاتم وبين يديه شنة فيها قراح ماء وكسرات من خبز شعير وملح ، فقال : إِنِّي لَا أَرَى لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِتُظِلَّ نَهَارَكَ طَاوِيًا مجاهدًا ، وبالليل ساهراً مكابداً ، ثُمَّ يَكُونُ هَذَا فَطُورَكَ ! فقال عليه السَّلام :

علل النفس بالقنوع وإلّا طلبت منك فوق ما يكفيها وقال الإمام الباقر عليه السَّلام : إِنَّ عَلِيًّا أَتَى الْبَزَازِينَ فَقَالَ لِرَجُلٍ : بعني ثوبين ، فقال الرجل : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، عِنْدِي حَاجَتُكَ : فَلَمَّا عَرَفَهُ مضى عنه ، فوقف على غلام ، فأخذ منه ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم ، والآخر بدرهمين ، فقال : يَا قَنْبَرُ ، خُذْ الَّذِي بَثَلْتُ دِرَاهِمَ .

فقال : أَنْتَ أَوْلَى بِهِ ، تَصْعَدُ الْمَنْبَرَ ، وَتُخَاطِبُ النَّاسَ . فقال : أَنْتَ شَابٌ ، وَلَكَ شَرُّ الشَّبَابِ ، وَأَنَا أَسْتَحْيِي مِنْ رَبِّي أَنْ أَفْضَلَ عَلَيْكَ ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : الْبُسُومُ مِمَّا تَلْبَسُونَ ، وَأَطْعَمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ .

فلَمَّا لَبَسَ عَلِيُّ الْقَمِيصَ مَذْكُومَ الْقَمِيصِ ، فَأَمَرَ بِقِطْعَةٍ وَانْخَاذَهُ قَلَانِسَ لِلْفُقَرَاءِ ، فَقَالَ الْغُلَامُ : هَلُمَّ أَكْفِهِ . قَالَ : دَعَهُ كَمَا هُوَ ، فَلَمَّا أَسْرَعَ مِنْ ذَلِكَ .

فجاء أبو الغلام - أي صاحب الدكان - وقال : إِنَّ ابْنِي لَمْ يَعْرِفْكَ ، وَهَذَانِ دَرَاهِمَانِ رِبْحَهُمَا .

فقال عليه السَّلام : مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ، قَدْ مَاكَسْتُ وَمَاكَسَنِي ، وَاتَّفَقْنَا عَلَى رِضَا .

وروى ابن عبد البر المالكي في الاستيعاب بسنده وغيره أَنَّ مَعَاوِيَةَ

قال لضرار بن ضمرة : صف لي علياً .

قال : اعفني . قال : لتصفنه .

قال : أما إذا كان لا بد من وصفه فإنه كان بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالليل ووحشته .

كان غزير الدمعة طويل الفكرة يقلب كفه ، ويخاطب نفسه ، يعجبه من اللباس ما خشن ، ومن الطعام ما جشب ، وكان فينا كأحدنا ، يجيئنا إذا سألناه ، ويأتينا إذا دعوانه ، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له ، يعظم أهل الدين ، ويقرب المساكين ، لا يطمع القوي في باطله ، ولا يئأس الضعيف من عدله .

وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله ، وغارت نجومه ، وقد مثل في محرابه ، قابضاً على لحيته ، يتململ تملل السليم ، يبكي بكاء الحزين ، وهو يقول :

يا دنيا ، غري غيري ، أبي تعرضت ؟ أم إلي تشوقت هيهات
هيهات ، قد بتت ثلاثاً ، لأ رجعة لي فيها ، فعمرك قصير ، وخطرك
كبير ، وعيشك حقير ، أو آه من قلة الزاد ، وبعد السفر ، ووحشة
الطريق .

فبكى معاوية وقال : رحم الله أبا الحسن ، كان والله كذلك ؛
فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟

قال : حزن من ذبح ولدها بحجرها ، فهي لا ترقأ عبرتها ، ولا
يسكن حزنها .

وفي المناقب : ثم قام وخرج باكياً فقال معاوية : أما إنكم لو

فقد تموني لما كان فيكم من يثني عليّ هذا الشاء . فقال بعض من حضر :
الصاحب على قدر صاحبه . نقل هذا المقطع من كتاب علي من المهد إلى اللحد
للسيد محمد كاظم القزويني ص ٢٤٠ .

هذا غيض من فيض وخلاصة ما ذكره رواة أعلام القوم من حفاظ
ومحدثين في كتبهم ومسانيدهم . راجع كتاب إحقاق الحق ج ٤ ص ٤٢٥
وج ٨ ص ٢٧٢ - ٢٧٤ و ٥٩٨ - ٦٠٠ وج ١٥ ص ٦٣٨ إلى ٦٤٤ . فقد
أحصى فيها أحاديث كثيرة عن مصادر معتبرة وغزيرة .

جود علي عليه السلام وكرمه

وكان عليه السلام غاية في الجود ، وقد وردت آيات بينات كثيرة تشير إلى سخائه وإنفاقه وإيثاره وكرمه ذكرتها في الجزء الأول من كتابي هذا « علي في الكتاب والسنة » منها في سورة الإنسان ﴿ هل أتى ﴾ .

كما وردت أحاديث مروية عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعن الأئمة من أهل بيته عليهم السلام ، والصحابة ، أذكر هنا نزرأ يسيراً منها :

١ - روى ابن شاذان القمي في « المائة منقبة » حديث ١٢ ، بإسناده إلى الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وآله إذ أقبل علي بن أبي طالب عليه السلام فقال النبي : يا أبا هريرة ، أتدري من هذا ؟

قلت : نعم يا رسول الله ، هذا علي بن أبي طالب .

فقال النبي صلى الله عليه وآله : هذا البحر الزاخر ، هذا الشمس الطالعة ، أسخى من الفرات كفاً ، وأوسع من الدنيا قلباً ، فمن أبغضه فعليه لعنة الله .

٢ - وعن أبي هريرة أيضاً أنه قال : كان في المدينة مجاعة ، ومربى

يوم وليلة لم أذق شيئاً ، وسألت أبا بكر آية كنت أعرف بتأويلها منه ، ومضيت معه إلى بابه وردعني ، وانصرفت جائعاً يومئذ ، وأصبحت وسألت عمر آية كنت أعرف منه بها ، فصنع كما صنع أبو بكر .

فجئت اليوم الثالث إلى عليّ عليه السلام وسألت ما يعلمه فقط ، فلما أردت أن أنصرف . دعاني إلى بيته فأطعمني رغيفين وسمناً ، فلما شبعت إنصرفت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فلما بصر بي ضحك في وجهي وقال : أنت تحدّثني أو أحدثك ؟ ثم قصّ عليّ ما جرى ، وقال لي : جبرئيل عرفني .

رواه ابن شهر آشوب في المناقب ج ٢/ ٧٣ ط دار الأضواء - بيروت .

٣ - عن ابن عباس أنّ المقداد قال له : أنا منذ ثلاثة أيام ما طعمت شيئاً ، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام وباع درعه بخمس مائة ، ودفع إليه بعضها ، وانصرف متحيراً ، فناداه أعرابي : اشتري مني هذه الناقة مؤجلاً . فاشترها بمائة درهم ، ومضى الأعرابي ، فاستقبله آخر وقال : يعني هذه بمائة وخمسين درهماً ، فباع وصاح : يا حسن ويا حسين ، امضيا في طلب الأعرابي وهو على الباب .

فراه النبي صلى الله عليه وآله وهو يتبسّم ويقول : يا عليّ ، الأعرابي صاحب الناقة جبرئيل والمشتري ميكائيل ، يا عليّ المائة عن الناقة ، والخمسين بالخمس التي دفعتهما إلى المقداد ، ثم تلا : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ﴾ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴿ (١) .

رواه ابن شهر آشوب أيضاً في المناقب ج ٢/ ٧٨ .

٤ - قال الحافظ أبو الفداء ابن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ ،

(١) سورة الطلاق ، آية ٢ - ٣ .

في « البداية والنهاية » ج ٨ / ١٠ : روى الحافظ ابن عساكر من طريق أبي زكريا الرملي : ثنا يزيد بن هارون ، عن نوح بن قيس ، عن سلامة الكندي ، عن الأصمغ بن نباتة ، عن علي أنه جاءه رجل فقال : يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة ، فرفعتني إلى الله قبل أن أرفعها إليك ، فإن أنت قضيتها حمدت الله وشكرتُك ، وإن أنت لم تقضها حمدتُ الله وعذرتك .

فقال علي : اكتب حاجتك على الأرض ، فبأي أكره أن أرى ذلك السؤال في وجهك .

فكتب : إني محتاج .

فقال علي : علي بحلة ، فأتى بها ، فأخذها الرجل فلبسها ، ثم أنشأ يقول :

كسوتني حلة تبلى محاسنها فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إن نلت حسن ثنائي نلت مكرومة ولست أبغي بما قد قلت بدلا
إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه كالغيث يحيي نداء السهل والجبالا
لا تزهد الدهر في خير تواقعه فكل عبد سيجزى بالذي عملا

فقال علي : علي بالدنانير . فأتى بمائة دينار ، فدفعها إليه .

قال الأصمغ : فقلت : يا أمير المؤمنين ، حلة ومائة دينار !
قال : نعم ! سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « أنزلوا الناس منازلهم » وهذه منزلة هذا الرجل عندي .

ورواه الشيخ الصدوق في « الأمالي » ص ٣٣٥ ح ١٠ ط الأعلمي - بيروت ، وزاد فيه : ثم قال علي عليه السلام : إني لأعجب من أقوام يشترون الممالك بأموالهم ولا يشترون الأحرار بمعروفهم .

ورواه العلامة أبو الحسن القيرواني في « العمدة » ص ١٦ .

٥ - روى الشيخ الكليني في « الكافي » ج ٤ / ٣٤ ح ٤ بإسناده إلى الحارث الهمداني ، قال : سامرتُ أمير المؤمنين عليه السلام فقلت : يا أمير المؤمنين ، عرضت لي حاجة .

قال : فرأيتني لها أهلاً .

قلت : نعم يا أمير المؤمنين .

قال : جزاك الله عني خيراً .

ثم قام إلى السراج فأغشاها وجلس ، ثم قال : إنما أغشيت السراج لئلاً أرى ذلَّ حاجتك في وجهك ، فتكلم ، فلإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول :

« الحوائج أمانة من الله في صدور العباد ، فمن كتبها كتب له عبادة ، ومن أفشاها كان حقاً على من سمعها أن يعينه .

٦ - عن أبي الطفيل ، قال : رأيت علياً عليه السلام يدعو اليتامى فيطعمهم العسل ، حتى قال بعض أصحابه : لوددت أني كنت يتيماً .

٧ - عن محمد بن الصمّة ، عن أبيه ، عن عمّه قال : رأيت في المدينة رجلاً على ظهره قربة ، وفي يده صحيفة ، يقول : اللهم وليّ المؤمنين ، وإله المؤمنين ، وجار المؤمنين ، إقبل قرباتي اللبلة ، فما أمسيت أملك سوى ما في صحفتي وغير ما يواريني ، وإنك تعلم أني منعت نفسي مع شدة سغبتي^(١) أطلب القربة إليك غنياً ، اللهم فلا تخلق وجهي ولا تردّ دعوتي .

فاتيته حتى عرفته ، فإذا هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام فاتى رجلاً فاطعمه .

(١) السغب : الجوع .

رواهما ابن شهر آشوب في « المناقب » ج ٢/ ٧٥ و ٧٦ .

٨ - وفيه في ص ٨٠ قال : وفيه يضرب المثل في الصدقات ، يقال في الدعاء : تقبل الله منه كما تقبل توبة آدم ، وقربان إبراهيم ، وحج المصطفى ، وصدقة أمير المؤمنين .

وكان يأخذ من الغنائم لنفسه وفرسه ، ومن سهم ذي القربى ، وينفق جميع ذلك في سبيل الله .

٩ - وفيه في ص ١٢٢ عن الصادق عليه السلام قال : إنّه عليه السلام أعتق ألف نسمة من كدّ يده ، جماعة لا يحصون كثرة . ووقف مالاً بخير وبوادي القرى .

ووقف مال أبي نيزر ، والبغيفة^(١) ، وأرباحاً ، وأرينة ورعداً ، ورزينا ، ورباحاً على المؤمنين ، وأمر بذلك أكثر ولد فاطمة من ذوي الأمانة والصّلاح .

وأخرج مائة عين بينبع وجعلها للحجيج ، وهو باق إلى يومنا هذا . وحفر آباراً في طريق مكّة والكوفة .

وبنى مسجد الفتح في المدينة ، وعند مقابل قبر حمزة ، وفي الميقات ، وفي الكوفة ، وجامع البصرة ، وفي عبادان وغير ذلك ، وعمر طريق مكّة .

وقد ورد ذكر صدقات أخرى لأمر المؤمنين عليه السلام ، نقلها العلامة السيد المرعشي النجفي في كتابه « إحقاق الحق » ج ٨/ ٥٨٣ - ٥٩٢ عن مصادر معتبرة كثيرة ، أذكرها هنا على نحو الإجمال .

- عين البحر .

- عين نولا ، وهي التي يقال أن علياً عليه السلام عمل فيها بيده ،

(١) البغيفة : قرية في المدينة ، وقيل : عين كثيرة النخل ، غزيرة الماء .

وفيهما مسجد النبي صَلَّى الله عليه وآله وهو متوجه إلى ذي العشرة .

- عين جبير .
- عين خيف الأراك .
- عين خيف ليلي .
- عين خيف بسطاس .
- بئر الملك ، وهي من صدقاته بالمدينة .
- عيون بالمدينة وينبع وسويعة .
- وادي ترعة بناحية فذك بين لابتى حرّة .
- الفقران بالعالية .
- كلُّ مال له في ينبع .
- كلُّ مال له في وادي القرى .
- كلُّ مال له في الأدنية .
- كل مال له في رعييف .

١٠ - روى الحافظ أحمد بن حنبل في « المسند » ج ١/١٥٩ ط الميمنية - مصر ، بإسناده إلى محمد بن كعب القرظي أن علياً عليه السلام قال : لقد رأيتني مع رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وإني لأربط الحجر على بطني من الجوع ، وإن صدقتني اليوم لأربعون ألفاً .

ورواه :

- ١ - الزمخشري في « ربيع الأبرار » ص ٢٠٩ مخطوط .
- ٢ - ابن الأثير الجزري في « أسد الغابة » ج ٤/٢٣ ط مصر .
- ٣ - محب الدين الطبري في « الرياض النضرة » ج ٢/٢٢٧ ط

مصر .

- ٤ - الذهبي في « تاريخ الإسلام » ج ٢/١٩٩ ط مصر .

٥ - الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » ج ٩/ ١٢٣ ط القاهرة ،

وغيرهم .

قال ابن الأثير بعد نقله هذا الحديث : لم يرد بقوله : « أربعين ألفاً » زكاة ماله ، وإنما أراد الوقوف التي جعلها صدقة كان الحاصل من دخلها صدقة هذا العدد ، فإن أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه لم يدخر مالا .

١١ - روى أبو حامد الغزالي في « مكاشفة القلوب » ص ١١٧ قال : وضع علي كرم الله وجهه درهماً على كفه ثم قال : أما إنك ما لم تخرج عني لا تنفعني .

١٢ - روى العلامة الزنجشيري في « ربيع الأبرار » ص ٢١٠ عن محمد بن الحنفية قال : كان أبي يدعو قنبراً بالليل فيحمله دقيقاَ وتمراً ، فيمضي به إلى أبيات قد عرفها ، ولا يطلع عليها أحداً ، فقلت له : يا أبة ، ما يمنعك أن تدفع إليهم نهاراً ؟ قال : يا بني ، إن صدقة السر تطفئ غضب الرب .

١٣ - روى العلامة عبد الكريم القشيري في « الرسالة القشيرية » ص ١٢٥ ط مصر قال : قيل : بكى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً فقليل له : ما يبكيك .

قال : لم يأتيني ضيف منذ سبعة أيام ، وأخاف أن يكون الله قد أهانني .

ورواه بنحو آخر العلامة ابن المعيار البغدادي في « الفتوة » ص ١٥٧ ط القاهرة .

والعلامة الأمرتسري في « أرجح المطالب » ص ١٧٠ ط لاهور .

١٤ - قال ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة » ج ١/ ٢١ و ٢٢ ط عيسى الحلبي - القاهرة :

وأما السخاء والجود : فحاله فيه ظاهرة ؛ وكان يصوم وَيَطْوِي وَيُؤْتِر بزاده ؛ وفيه أنزل : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا . إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾ (١) .

وروى المفسرون أنه لم يكن يملك إلا أربعة دراهم ؛ فتصدق بدرهم ليلاً ، وبدرهم نهاراً ، وبدرهم سرّاً ، وبدرهم علانية ؛ فأنزل فيه : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ (٢) .

وروى عنه أنه كان يَسْقِي بيده لنخل قوم من يهود المدينة ، حتى جَلَّتْ يَدُهُ ، وتصدق بالأجرة ، ويشدُّ على بطنه حجراً .

وقال الشعبيّ وقد ذكر عليّ عليه السلام : كان أسخى الناس ؛ كان على الخلق الذي يحبه الله : السخاء والجود ، ما قال : « لا » لسائل قط .

وقال عدوّه ومُبْغِضُهُ الذي يجتهد في وَضْمِهِ وعييه معاوية بن أبي سفيان لِمُحَقِّن بن أبي عُقْمَن الضبيّ لما قال له : جئتُكَ مِنْ عند أبخل الناس ، فقال : ويحك ! كيف تقول إنه أبخل الناس ، لو مَلَكَ بيتاً من تَبَرٍ وبيتاً من تَبْنٍ ، لأنفذ تَبَرَهُ قبل تَبْنِهِ .

وهو الذي كان يَكُنُس بيوت الأموال ويصلي فيها .

وهو الذي قال : يا صفراء ، ويا بيضاء ، غَرِي غيري .

وهو الذي لم يَخْلُف ميراثاً ، وكانت الدنيا كلها بيده ، إلا ما كان من

الشام .

(١) سورة الدهر : ٨ - ٩ .

(٢) سورة البقرة : ٢٧٤ .

عشرون حديثاً في علم علي عليه السلام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

١ - لفاطمة الزهراء عليها السلام - : زوجتك خير أمتي ، أعلمهم علماً ، وأفضلهم حلماً ، وأولهم سلماً .

أخرجه الخطيب في المتفق ، والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٢٩٨ .

٢ - وقال صلى الله عليه وآله : أعلم أمتي من بعدي علي بن أبي طالب .

أخرجه الديلمي عن سلمان ، ورواه الخوارزمي في المناقب : ٤٩ ، ومقتل الحسين ج ١ ص ٤٢ ، والمتقي في كنز العمال ٦ ص ١٥٢ .

٣ - وقال صلى الله عليه وآله : علي وعاء علمي ووصي وبابي الذي أوثق منه .

كفاية الطالب ص ٧٠ و ٩٢ ، شمس الأخبار ص ٢٩ .

٤ - وقال صلى الله عليه وآله : علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي .

رواه الديلمي عن أبي ذر كما في كنز العمال ٦ ص ١٥٦ ، وكشف
الخفاء ج ١ ص ٢٠٤ .

٥ - وقال صلى الله عليه وآله : علي خازن علمي .

رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج .

٦ - وقال صلى الله عليه وآله : علي عيبة علمي .

رواه السيوطي في الجامع الصغير وجمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦

ص ١٥٢ ، ومصباح الظلام ج ٢ ص ٥٦ ، وشرح العريزي ج ٢
ص ٤١٧ .

٧ - وقال صلى الله عليه وآله : أفضى أمتي علي .

رواه البغوي في المصابيح ج ٢ ص ٢٧٧ ، والطبري في الرياض

النضرة ج ٢ ص ١٩٨ ، والخوارزمي في المناقب ص ٥٠ ، ورواه في فتح
الباري ٨ ص ١٢٦ وبغية الوعاة ص ٤٤٧ .

٨ - وقال صلى الله عليه وآله : أقضاكم علي .

رواه في الإستيعاب ج ٢ ص ٢٨ ، والمواقف للأبي ج ٢ ص ٢٧٦

وشرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٣٥ ، مطالب السؤول ص ٢٣ ، تمييز
الطيب من الخبيث ص ٢٥ ، كفاية الشنقيطي ص ٤٦ .

٩ - وقال صلى الله عليه وآله : قسّمت الحكمة عشرة أجزاء ،

فأعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً .

حلية الأولياء ج ١ ص ٦٥ ، أسنى المطالب ص ١٤ ، وللحديث

مصادر أخرى كثيرة مذكورة في إحقاق الحق ج ٥ ص ٥١٦ - ٥٢١ وج ١٦
ص ٣١٠ - ٣١٤ .

١٠ - وقال عمر : لولا علي هلك عمر .

أخرجه أحمد والعقيلي وابن السَّمَّان ، ورواه في الإستيعاب ج ٢ ص ٢٩ ، والرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٤ ، وتفسير النيسابوري في سورة الأحقاف ، مناقب الخوارزمي ص ٤٨ ، تذكرة الخواص ٨٧ ، مطالب السؤول ١٢ ، فيض القدير ج ٤ ص ٢٥٧ .

١١ - وقال صَلَّى الله عليه وآله : أنا مدينة الحكمة وعليُّ بابها ، فمن أراد الحكمة فليأت الباب .

١٢ - وقال صَلَّى الله عليه وآله : أنا مدينة العلم وعليُّ بابها .
هذان الحديثان من الأحاديث المتواترة الصحيحة التي اتفق على روايتها كبار حفاظ وعلماء الفريقين ، واستقصى جل مصادرها في إحقاق الحق ج ٥ ص ٥٠٢ - ٥١٦ وج ١٦ ص ٢٩٨ - ٣٠٩ . وج ٥ ص ٤٦٩ - ٥٠١ وج ١٦ ص ٢٧٧ - ٢٩٧ وج ٢١ ص ٤١٥ - ٤٢٨ .

١٣ - وقال صَلَّى الله عليه وآله : ليهنك العلم أبا الحسن ، لقد شربت العلم شرباً ونهلته نهلاً .

رواه ابن المغازلي في المناقب ص ٤٢٠ ، وابن عساكر في ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ج ٢ ص ٤٩٨ ، وأخرجه في إحقاق الحق ج ٦ ص ٤٤ وج ١٦ ص ٤٢٩ - ٤٣١ عن مصادر كثيرة .

١٤ - وقال صَلَّى الله عليه وآله : أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه بعدي .

رواه الحاكم في المستدرک ج ٢ ص ١٢٢ ، والذهبي في ميزان الاعتدال ج ١ ص ٤٧٢ والقندوزي في بنابيع المودة ص ٢٠٣ ، وللحديث مصادر أخرى مذكورة في إحقاق الحق ج ٦ ص ٥٢ - ٥٥ وج ١٦ ص ٤٣٥ و٤٣٦ وج ٢٠ ص ٣٠٤ ، ٣١٨ ، ٤١٦ .

١٥ - وقال صلى الله عليه وآله : ملئت علماً وحكماً ، يا أبا الحسن ، بارك الله فيك .

رواه مؤلف كتاب السواد والبياض ص ٢٠٨ ، وعنه في إحقاق الحق ج ١٧ ص ٢٢ .

١٦ - وقال صلى الله عليه وآله : إِنَّ الله خلقني وعلياً من شجرة ، أنا أصلها ، وعلي فرعها ، والحسن والحسين ثمرتها ، والشبعة ورقها ، فهل يخرج من الطيب إلّا الطيب ؟ ! وأنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها .

أشرنا إلى مصادر حديث مدينة العلم في الرقم (١٢) .

١٧ - عن أنس ، قال : قيل : يا رسول الله ، عمّن نأخذ العلم بعدك ؟

قال صلى الله عليه وآله : عن علي .

رواه العلامة قطب الدين أحمد شاه في قرة العينين ص ٢٣٤ .

١٨ - عن عبد الله بن مسعود ، قال : إِنَّ القرآن أنزل على سبعة أحرف ، ما منها حرف إلّا وله ظهر وبطن ، وإنّ علياً عليه السلام عنده علم الظاهر والباطن .

رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ٦٥ ، وأخرجه في إحقاق الحق ج ٥ ص ٥١٥ وص ٥١٦ عن بعض المصادر .

١٩ - قال عليّ عليه السلام : علّمني رسول الله ألف باب من العلم ، ففتح لي من كلّ باب ألف باب .

رواه السيد أحمد المغربي في فتح الملك العلي ص ١٩ ، والمحدث الهروي في الأربعين ص ٤٧ (مخطوط) والقندوزي في ينابيع المودة ص ٧٢ .

٢٠ - وقال صلى الله عليه وآله : أعلم أمتي بالسنة والقضاء بعدي
علي بن أبي طالب .
رواه الكنجي في كفاية الطالب ص ١٩٠ .

هذه عشرون حديثاً منتخبة من مئات الأحاديث المروية في علم علي
عليه السلام وحكمته ، وقد قال فيه أبو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي
لهب :

ما كنت أحسب أن الأمر منصرف عن هاشم ثم منها عن أبي حسن
أليس أول من صلى لقبلكم وأعلم الناس بالقرآن والسنن ؟!

عدل عليّ عليه السلام

من أبيات لسودة بنت عماره الهمدانية :

صَلَّى الإله على روحِ تَضَمَّنْهَا قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً فصار بالحق والإيمان مقرونا

ماذا أقول في عدل عليّ وهو إمام العدل ، وكل عدل في الدنيا هو عيال على عدالته ، ولولا أن أصول العدالة جارية في نفسه مجرى الدم في عروقه لما أمكن تطبيقه لأصول العدالة في جميع سلوكه ومدى حياته ؛ ومن مستلزمات تطبيق العدالة وتنفيذها قوة الإيمان بالله تعالى والتقوى ، مقرونة بحزم وعزم يفوق كل عاطفة ومصانعة ، وعدم الخوف من المشاكل المحتمل وقوعها ، وقد تجسدت هذه المؤهلات كلّها في نفسية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه ، وإليك بعض النماذج من حكمه ، وتطبيقه لها متميزاً في حديثه عليه السلام :

النموذج الأول : في حديث لأمير المؤمنين عليه السلام : والله ، لأن أبيتَ على حَسَنِ السَّعْدَانِ مُسَهِّداً ، أو أجزَّ في الأغلالِ مُصَفِّداً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد ، وغاصباً لشيء من

الحطام . وكيفَ اظلمَ احداً لنفسٍ يُسرِعُ إلى البلى قُفُوها ويطولُ في الثرى حُلُوها .

والله لقد رأيتُ عقيلاً وقد اُملقَ حتَّى استباحني من بُركمُ صاعاً ،
ورأيتُ صبيانه شُعَثَ الشعور ، غُبرَ الألوان من فقرهم ، كأنما سُودت
وجوههم بالعُظلم ، وعادوني مؤكّداً ، وكرّر عليّ القول مُردداً فأصغيت إليه
سَمعي ، فظنُّ أني أبيعُهُ ديني ، وأتبعُ قِيَادَةَ مُفَارِقاً طريقي ، فاحيْتُ له
حديدَةً ، ثم أدنيتها من جِسمه ليعتبر بها ، فضجُّ ضجيجَ ذي ذَنَبٍ من
المها وكادَ أن يحترق من ميسمها فقلتُ له : ثكلتك الثواكل يا عقيل ، أثبتُّ
من حديدَةٍ أحماها إنسانها لِلْعَبِي ، وتجُرُّني إلى نارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِعُضْبِي ،
أثبتُّ من الأذى ولا أثبتُّ من لظى ؟ ! والله لو أعطيتُ الأقاليمَ السبعة بما
تحت أفلاكها على أن أعصي الله في غلّة أسلبها جلب شعيرة ما فعلته ، وإن
دُنْيَاكُمْ لأهونَ عندي من ورقةٍ في فَمٍ جَرَادَةٍ تقضمُها ، ما لِعليّ ولنعيم يَفْنَى
ولَذَّةٍ لا تبقى ، نعوذُ بالله من سُبَاتِ الْعَقْلِ وقُبْحِ الزللِ .

النموذج الثاني : روي أن سودة بنت عمارة الهمدانية دخلت على معاوية بعد
شهادة علي عليه السلام ، فجعل يؤنبها على تخريضها عليه أيامَ صِفِّين ،
وآل أمره إلى أن قال : ما حاجتك ؟ قالت : إنَّ الله مسائلك عن أمرنا ،
وما افترض عليك من حقنا ، ولا يزال يتقدّم علينا من قبلك من يسمو
بمكانك ، ويبطش بقوة سلطانك ، فيحصدنا حصداً السنبُل ، ويدوسنا دوس
الحرمل ، يسومنا الخسف ، ويذيقنا الحتف هذا بسر بن أرطاة قدم علينا
فقتل رجالنا ، وأخذ أموالنا ولولا الطاعة لكان فينا عزٌّ ومنعة ، فإن عزلته عنّا
شكرناك وإلا كفرناك . فقال معاوية : إيتاي تهديدين بقومك يا سودة ؟ لقد
هممت أن أحملك على قتب أشوس فأردك إليه فينفذ فيك حكمه . فاطرقت
سودة ساعة ثم قالت :

صَلَّى إِلَهْهُ عَلَى رُوحِ تَضَمُّنِهَا قَبْرَ فَأَصْبَحَ فِيهِ الْعَدْلُ مَدْفُونَا

قد حالف الحق لا ينبغي به بدلاً فصار بالحق والإيمان مقرونا
فقال معاوية : مَنْ هذا يا سودة ؟ قالت : هو ، والله ، أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب والله لقد جثته في رجلٍ كان قد ولّاه صدقاتنا ، فجار علينا ،
فصادفته قائماً يصلي ، فلما رأيته انقلبت من صلاته ، ثم أقبل عليّ برحمة
ورفق ورأفة وتعطف ، وقال : ألك حاجة ؟ قلت : نعم ، فأخبرته الخبر ،
فبكى ثم قال : اللهم أنت الشاهد عليّ وعليهم ، وإنّي لم أمرهم بظلم
خلقك ، ثم أخرج قطعة جلد فكتب فيها :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، قد جاءتكم بينة من ربكم ، فأوفوا
الكيل والميزان ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تفسدوا في الأرض بعد
إصلاحها ، ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين ، فإذا قرأت كتابي هذا
فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتى يقدم عليك مَنْ يقبضه منك ،
والسلام . »

ثم دفع الرقعة إلى فوالله ما ختمها بطين ، ولا خزنها ، فجثت
بالرقعة إلى صاحبه ، فانصرف عنا معزولاً .

فقال معاوية : اكتبوا لها كما تريد ، واصرفوها إلى بلدها غير
شاكية .

النموذج الثالث : عن ميسرة ، عن شريح القاضي ، قال : لما توجه
أمير المؤمنين عليه السلام إلى قتال معاوية افتقد درعاً له ، فلما رجع وجدها
في يد يهودي يبيعها بسوق الكوفة ، فقال : يا يهودي ، الدرع درعي ، لم
أهب ولم أبع .

قال اليهودي : درعي ، وفي يدي .

فقال : بيني وبينك القاضي .

قال : فأتيتاني ، ففقد عليّ إلى جنبي ، واليهودي بين يدي ، وقال عليه السلام : لولا أنّ خصمي ذمّي لاستويت معه في المجلس ؛ ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : أصغروا بهم كما أصغر الله بهم .

ثمّ قال : هذا الدرع درعي ، لم أبع ، ولم أهب .
فقال لليهودي : ما تقول .

قال : درعي وفي يدي .

قال شريح : يا أمير المؤمنين ، هل من بينة ؟

قال : نعم ، الحسن ابني وقنبر يشهدان أنّ الدرع درعي .

قال شريح : يا أمير المؤمنين ، شهادة الابن للأب لا تجوز .

فقال عليّ : سبحان الله ، أرجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة .

فقال اليهودي : أمير المؤمنين قدّمني إلى قاضيه . وقاضيه يقضي عليه ؛ أشهد أنّ هذا الدين على الحق ، وأشهد أنّ لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وأنّ الدرع درعك يا أمير المؤمنين ، سقط منك ليلاً .

وتوجّه مع عليّ يُقاتل معه بالنهروان فقتل .

النموذج الرابع : كان أمير المؤمنين علي عليه السلام دخل ليلة في بيت المال ليكتب قسمة الأموال ، فورد عليه طلحة والزبير ، فأطفأ عليه السلام السراج الذي بين يديه ، وأمر بإحضار سراج آخر من بيته ، فسألاه عن ذلك ، فقال : كان زيتي من بيت المال ، لا ينبغي أن نصاحبكم في ضوئه .

النموذج الخامس : روى أبو إسحاق الهمداني أن امرأتين أتتا علياً عليه السلام إحداهما من العرب ، والأخرى من الموالي ، فسألته ، فدفع إليهما دراهم وطعام بالسواء ، فقالت إحداهما : إنِّي امرأة من العرب ، وهذه من العجم .

فقال : إنِّي ، والله ، لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق .

النموذج السادس : قدم عبد الله بن زمعة على علي عليه السلام في خلافته ، وكان من شيعته ، فطلب منه مالاً ، فقال : إنَّ هذا المال ليس لي ولا لك ، وإنما هو فيء للمسلمين ، وجلب أسيافهم ، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم ، وإلا فجنة أيديهم لا تكون لغير أفواههم .

وكان أمير المؤمنين عليه السلام لا يعطي ولديه الحسن والحسين عليهما السلام أكثر من حقهما ، فانظر إلى رجل حمله ورعه على هذا الصنيع لولديه ، وبأخيه من أبويه ، أعني عقيلًا .

النموذج السابع : عن حميد بن هلال ، أن عقيلًا سأل علياً عليه السلام فقال : أني محتاج وفقير .

فقال : حتى يخرج عطائي .

فقال له عقيل : بيوت المال بيدك وأنت تسوفني بعطائك .

فقال : أأمرني أن أدفع إليك أموال المسلمين قد ائتمنوني عليها ؟ ! فآلج عليه ، فقال لرجل : خذ بيده وانطلق به إلى الحوانيت ، فقل : دقّ الأقفال وخذ ما في الحوانيت .

وبعبارة أخرى : قال له : انطلق فخذ ما في حوانيت الناس .

فقال : تريد أن تتخذني سارقاً .

قال : وأنت تريد أن تتخذني سارقاً ! وأعطيك أموال الناس ؟

فقال : لآتين معاوية . قال : أنت وذاك .

فأتى معاوية ، فأعطاه مائة ألف ، ثم قال : اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك علي ، وما أوليتك .

قال : فصعد المنبر ، فحمد الله ثم قال : أيها الناس ، إني أخبركم أني أردت علياً على دينه فاخترت دينه علي ، وأردت معاوية على دينه فاخترتني على دينه .

فقال معاوية : هذا الذي تزعم قريش أنه أحق !

النموذج الثامن : يحكى أن أمير المؤمنين عليه السلام ولّى أبا الأسود الدؤلي القضاء ساعة من نهار ثم عزله ، فقال له : لم عزلتني ؟ فوالله ما خنت ولا خونت . قال : بلغني أن كلامك يعلو كلام الخصمين إذا تحاكما إليك .

ويروى أن علياً عليه السلام أرسل أبا أمامة الباهلي - عثمان بن حنيف - بحكومة البصرة ، فأخبره رجل بأنه دُعي إلى ضيافة ، فكتب إليه : « أما بعد يابن حنيف ، فقد بلغني أن رجلاً من فتيّة أهل البصرة دعاك إلى مأدبة ، فأسرعت إليها ، تستطاب لك الألوان ، وتنقل إليك الجفان ، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوّ ، وغنيهم مدعو ، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم ، فما اشتبه عليك علمه فالفظه ، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه .

ألا وإن لكل مأموم إماماً يُقتدى به ، ويستضيء بنور علمه ، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طُعمِهِ بقرصيه ، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن أعينوني بورع واجتهاد ، وعفّة وسداد ، فوالله ما كترت من دنياكم تَبَرّاً ، ولا ادخرت من غنائمها وَفراً ، ولا أعددت لبالي ثوبي طِمراً . إلى آخر كتابه المذكور في « نهج البلاغة » كتاب رقم . « ٤٥ » .

إلى هنا نكتفي من عرض نماذج لعدل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
صلوات الله وسلامه عليه ، وقد رواها جمع كثير من أعلام القوم وحفاظهم
في كتبهم ومسانيدهم .

ومنهم العلامة أبو الفرج الأصفهاني في « الأغاني » ج ١٦ ص ٣٦
ط محمد الساسي .

ومنهم العلامة ابن كثير الدمشقي في « البداية والنهاية » ج ٨ ص ٤
ط مصر .

ومنهم العلامة السيوطي في « تاريخ الخلفاء » ص ٧١ ط مصر .
ومنهم العلامة العسقلاني في « لسان الميزان » ج ٢ ص ٣٤٢
ط حيدر آباد .

ومنهم العلامة ابن الأثير الجزري في « الكامل » ج ٣ ص ٢٠١
ط مصر .

ومنهم العلامة ابن حجر الهيتمي في « الصواعق المحرقة » ص ٧٨
ط مصر .

وللمزيد من التفاصيل والمصادر راجع كتاب إحقاق الحق ج ٨ من
ص ٥٣٢ إلى ص ٥٧٣ .

قضاء علي عليه السلام

قول النبي صَلَّى الله عليه وآله في عليّ عليه السلام : الحمد لله الذي مَنْ على العباد بمن يقضي قضاء النبي .

الأحاديث والروايات في قضاء الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام كثيرة ، لا يمكن حصرها ، أذكر هنا بعضاً منها على سبيل المثال :

كان أول قاضٍ بعثه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله إلى اليمن علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : يا رسول الله ، أتبعثني إلى كهول اليمن ولا أعلم لي بالقضاء ؟ ! فقال صَلَّى الله عليه وآله : انطلق ، فإن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك ، إن الناس سيتقاضون إليك ، فإذا أتاك الخصمان فلا تقضِ لواحدٍ حتى تسمع كلام الآخر ، فإنه أجدر إن لم تعلم لمن الحق .

فقال عليه السلام : فما شككتُ في قضاءٍ بين اثنين حتى الساعة .
هذه خلاصة ما ذكره أعلام القوم من محدثين وحفاظ بألفاظ شتى وطرق متعددة ، وهي المذكورة في كتاب إحقاق الحق ج ٨ من ص ٢٥ إلى ٨٥ أذكر نماذج منها :

١ - ثورٌ قتل حماراً

على عهد النبي صلى الله عليه وآله فرغ ذلك إليه ، وهو في أناس من أصحابه ، منهم أبو بكر وعمر وعثمان ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : يا أبا بكر ، إقض بينهما .

فقال : يا رسول الله ، بهيمة قتلت بهيمة ، ما عليها شيء .

فقال النبي صلى الله عليه وآله لعمر : يا عمر ، اقض بينهما . فقال كقول صاحبه أبي بكر .

فالتفت النبي صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام وقال له : يا علي ، اقض .

فقال : حباً وكرامة ، إن كان الثور دخل على الحمار فقتله في مستراحه ضمن أصحاب الثور دية الحمار ، وإن كان الحمار دخل على الثور في مستراحه فلا ضمان على صاحب الثور .

فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله يده إلى السماء وقال : الحمد لله الذي من على العباد بمن يقضي قضاء النبيين .

ذكره الحافظ أبو الفوارس في الأربعين - ص ١٣ مخطوط ، وكذلك ذكره العلامة القندوري في « ينابيع المودة » ص ٧٦ ط اسلامبول .

عن زيد بن أرقم ، قال : كان علي عليه السلام باليمن فأتي بامرأة وطأها ثلاثة نفر في طهر واحد ، فسأل اثنين : أتقران لهذا بالولد ؟ فلم يقرأ ، ثم سأل اثنين : أتقران لهذا بالولد ؟ فلم يقرأ ، ثم سأل اثنين اثنين حتى فرغ فلم يقرأوا ، ثم أقرع بينهم فالزم الولد الذي خرجت عليه القرعة ، وجعل عليه ثلثي الدية ، فرُفِعَ ذلك للنبي صلى الله عليه وآله فضحك حتى بدت نواجذه ، ثم قال : لا أعلم فيها إلا ما قضى علي . هذا ملخص ما ذكره رواة الحديث من أعلام القوم .

منهم الحافظ أحمد بن حنبل في «مسنده» ج ٤ ص ٣٧٣ ط مصر .
ومنهم الحافظ النسائي في «السنن» ج ٢ ص ١٠٧ ط مصر ،
وغيرهم .

للمزيد راجع كتاب إحقاق الحق ج ٨ ص ٤٩ إلى ٥٥ .

٢ - قضاؤه عليه السلام في واقعة ثلاثة سقطوا عن الرُّبِيَّةِ (١) :

عن عليّ عليه السلام قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن فانتبهنا إلى قومٍ قد بنوا زبية للأسد فبيناهم يتدافعون إذ سقط رجل فتعلق بآخر ، ثم تعلق رجل بآخر حتى صاروا أربعة ، فجرحهم الأسد ، فانتدب له رجل بحرية فقتله ، وماتوا من جراحهم كلهم ، فقام أولياء الأول إلى أولياء الآخر ، فأخرجوا السلاح ليقتلوا ، فأتاهم عليّ عليه السلام على تفيئة ذلك ، فقال : تريدون أن تقاتلوا ورسول الله صلى الله عليه وآله حي ؟ ! إنّي أقضي بينكم قضاءً إن رضيتم فهو القضاء ، وإلاّ حجز بعضكم عن بعض حتى تأتوا رسول الله صلى الله عليه وآله فيكون هو الذي يقضي بينكم ، فمن عدا بعد ذلك فلا حق له .

اجمعوا من قبائل الذين حضروا البئر ربع الدية ، وثلاث الدية ، ونصف الدية ، والدية كاملة .

فللأول الربع لأنّه هلك من فوقه ، وللثاني ثلث الدية ، وللثالث نصف الدية .

فأبوا أن يرضوا ، فأتوا النبي صلى الله عليه وآله وهو عند مقام إبراهيم ، فقصّوا عليه القصّة فقال : أنا أقضي بينكم وأحتبي .

فقال رجل من القوم : إنّ عليّاً قضى فينا . فقصّوا عليه القصّة فأجازه رسول الله صلى الله عليه وآله . انتهى .

(١) الرُّبِيَّة : حفرة في موضع عالٍ تغطّي فوهتها ، فإذا وطأها الأسد وقع فيها .

رواه جماعة من أعلام القوم وحفاظهم .
منهم العلامة أحمد بن حنبل في « المسند » ج ١ ص ٧٧ ط مصر .
ومنهم العلامة الطحاوي في « مشكل الآثار » ج ٢ ص ٥٨
ط حيدر آباد .

ومنهم العلامة البيهقي في « السنن الكبرى » ج ٨ ص ١١١
ط حيدر آباد . -

ومنهم سبط ابن الجوزي في « تذكرة الخواص » ص ٤٩
ط الغري . -

ومنهم العلامة محب الدين الطبري في « ذخائر العقبى » ص ٨٤
ط مصر ، وغيرهم .

وللمزيد راجع المصادر في الجزء ٨ من كتاب إحقاق الحق من
ص ٦٧ إلى ص ٧٠ - الباب الرابع .

٣ - في واقعة رجلين يتغديان لأحدهما خمسة أرغفة وللآخر ثلاثة

عن زرّ بن حبیش ، قال : جلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة
أرغفة ، ومع الآخر ثلاثة أرغفة ، فلما وضعّا « الطعام » الغذاء بين أيديهما
مرّ بهما رجل فسلم ، فقالا : اجلس للغذاء . فجلس وأكل معهما ،
واستوا في أكلهم الأرغفة الثمانية ، فقام الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم ،
وقال : خذا هذا عوضاً عما أكلت وثلثه من طعامكما .

فتنازعا ، وقال صاحب الخمسة أرغفة : لي خمسة دراهم ولك
ثلاث . وقال صاحب الثلاثة أرغفة : لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننا
نصفين . وارتفعا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقصّوا
عليه قصتهما .

فقال لصاحب الثلاثة أرغفة : قد عرض عليك صاحبك ما عرض
وخبزه أكثر من خبزك ، فارض بثلاثة .

فقال : لا ، والله ، لا رضيت منه إلا بمرّ الحق .

فقال علي عليه السلام : ليس لك في مرّ الحق إلا درهم واحد ، وله
سبعة .

فقال الرجل : سبحان الله يا أمير المؤمنين ، هو يعرض عليّ ثلاث
دراهم فلم أرض ، فأشرت عليّ بأخذها فلم أرض ، وتقول لي الآن أنّه لا
يجب في مرّ الحق إلا درهم واحد .

فقال له الإمام علي عليه السلام : عرض عليك صاحبك الثلاثة
صلحاً فقلت له : لم أرض إلا بمرّ الحق ، ولا يجب لك بمرّ الحق إلا درهم
واحد .

فقال الرجل : فعرفني بالوجه في مرّ الحق حتى أقبله .

فقال علي عليه السلام : أليس للثمانية أرغفة أربعة وعشرون سهماً
ثلثاً ، أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ، ولا يعلم الأكثر منكم أكلاً ، ولا
الأقل ، فتحملون في أكلكم على السواء ؟ قال : بلى .

قال : فأكلت أنت ثمانية أثلاث ، وإنما لك تسعة أثلاث ؛ وأكل
صاحبك ثمانية أثلاث ، وله خمسة عشر ثلثاً ، أكل منها ثمانية ويبقى له
سبعة ، وأكل لك واحدة من تسعة ، فلك واحد بواحدك ، وله سبعة
بسبعته .

فقال له الرجل : رضيت الآن . انتهى .

رواه جماعة من أعلام القوم وحفاظهم .

منهم الحافظ ابن عبد البر في « الاستيعاب » ج ٢ ص ٤٦٢

ط حيدر آباد دكن .

ومنه العلامة محب الدين الطبري في « ذخائر العقبى » ص ٨٤ ط مصر .

ومنه العلامة السيوطي في « تاريخ الخلفاء » ص ١٧٩ ط مصر .

ومنه العلامة ابن حجر العسقلاني في « الصواعق المحرقة » ص ٧٧ ط مصر .

ومنه العلامة القندوزي في « ينابيع المودة » ص ٢٨٨ ط إسلامبول .

وللمزيد راجع بعض المصادر الأخرى في كتاب إحقاق الحق ج ٨ - من ص ٧١ إلى ص ٧٣ .

٤ - قضاؤه عليه السلام في خُنثى تزوّجت برجلٍ فحبلت ، وتزوج بإمرأة فاحبلها

رواه جماعة من أعلام القوم وحفاظهم - وخلاصة القضية :
لما ولي علي عليه السلام إمرة المؤمنين رفعت إليه واقعة حارت عقول العلماء في حكمها ، وحارت أفهامهم عن إدراكها وفهمها ، فوقّعت يد معرفته لكشف إشكالاتها صائب سهمها ، فانجلت بنور علمه ، وتأييد حكمه ظلمة اشتباهها وغمة غمها فإنّه :

تزوَّج رجل بامرأة لها فرج النساء وفرج الرجال ، وهي التي تسمّيها العلماء « بالخنثى » وكان للرجل جارية مملوكة له ، فجعل تلك الجارية صداقاً للمرأة التي تزوّجها ، فدخل بها ووطأها ، فحبلت منه ، وولدت له ولداً ، وأنها وطأت بفرج الرجال الجارية التي أخذتها صداقاً فحبلت الجارية من وطئها ، فولدت ولداً ، فصارت المرأة التي هي « خنثى » أمّاً للولد الذي ولدته من زوجها ، وأباً للولد الذي ولدته جارتها من وطئها .

فاشتهرت قضيتها ، ورفعت إلى أمير المؤمنين عليه السلام فحضروا

لديه ، وشرحت له حقيقة القضية وأن المرأة التي هي خنثى تحبض وتمني وتوطأ وتوطأ ، وقد حُبِلَتْ وأحبِلت ، وسار الناس متحيري الأفهام في ذلك ، وفي إصابة صوابها ، مضطربى الأفكار في كيفية جوابها ، منتظرين من علوم أمير المؤمنين ما يعلمون به حكم فصل خطابها .

فاستدعى عليه السَّلام غلاميه يرفا وقنبر وأمرهما أن يعتبرا أضلاع الخنثى اعتباراً لا يعترضه شك ، ولا يبقى معه ريب ، ويعدّاهما من الجانبيين ، فإن كانت الأضلاع متساويتين في الجانب الأيمن والأيسر فهي امرأة ، وإن كانت متفاوتتين والأيسر انقص من الأيمن بضلع فهو رجل ، فأدخل الخنثى كما أمر أمير المؤمنين فلما أطاقا عن أضلاعه لباسها وجرداها وأحاطا علماً باعتبارها وعدّاهما وجدا أضلاع الجانب الأيسر تنقص عن أضلاع الجانب الأيمن بضلع واحد ، فشهدا بذلك عنده على الصورة التي شاهداها ، فحكم عليه السَّلام بكون الخنثى رجلاً ، وفرّق بينهما وقضى بطلان ذلك العقد ، وألحقها بالرجال .

فقال الزوج : يا أمير المؤمنين ، ابنة عمي وامراتي ألحقتهما بالرجال ! ممّن أخذت هذه القضية .

فقال له علي عليه السَّلام : اني ورثتها من أبي آدم ، إن حواء أمنا خُلِقَتْ من آدم ، فأضلاع الرجل أقل من أضلاع المرأة . قال العلامة المحدث الشهير بابن الصَّبَّاح المالكي في « الفصول المهمة » ص ١٧ ط الغري : فانظر ، رحمك الله ، إلى استخراج أمير المؤمنين علي عليه السَّلام بنور علمه وثاقب فهمه ، ما أوضح به سبيل السداد وطريق الرشاد ، وأظهر به جانب الذكر على الأنوثة من مادة الإيجاد ، وحصلت له هذه المنّة الكاملة ، والنعمة الشاملة بملاحظة النبي له وتربيته وحنّوه على علمه وشفقته فاستعد لقبول الأنوار وتبياً لفيض العلوم والأسرار ، فصارت الحكمة من ألفاظه ملتقطة ، والعلوم الظاهرة والباطنة بفؤاده مرتبطة ، لم

تزل بحار العلوم تتفجر من صدره ، ويظفي حباها ، حتى قال صلى الله عليه وآله : أنا مدينة العلم وعلي بابها .

رواه جماعة من أعلام القوم وحفاظهم .

منهم العلامة أخطب خوارزم في « المناقب » ص ٦٠ ط تبريز .

ومنهم العلامة محمد بن طلحة الشافعي في « مطالب السؤل »

ص ١٢ .

ومنهم العلامة المحدث الشهير بابن الصبّاغ في « الفصول المهمة »

ص ١٧ .

ومنهم الحافظ البلخي الشافعي في كتابه على ما في تلخيصه ص ١٧

ط الحيدري .

ومنهم العلامة الشبلنجي في « نور الأبصار » ص ٧٣ ط مصر .

وللاستقصاء راجع كتاب إحقاق الحق ج ٨ من ص ٧٣ إلى

ص ٧٧ .

٥ - في قضائه عليه السلام في امرأة انكرت ولدها

روى هذه القصة العلامة المحدث العارف الموصل في كتابه « در بحر

المناقب » ص ٢٠ مخطوط ، قال : أخبرنا الواقدي ، عن جابر ، عن سلمان

الفارسي : قيل جاء إلى عمر بن الخطاب غلام يافع فقال له : إن أمي

جحدت حقّي من ميراث أبي وأنكرتني ، وقالت : لست بولدي .

فأحضرها وقال لها : لمْ جحدتْ ولدك هذا - الغلام - وأنكرتني ؟

فقلت : إنّه كاذبٌ في زعمه ، ولي شهود بأنني بكر عاتق ما عرفت

بعلاً .

وكانت قد أرشت سبع نسوة ، كلّ واحدة بعشرة دنانير ، وقالت

لهن : اشهدن بأنني بكر لم أتزوج ، ولا عرفت بعلاً .

قال عمر : أين شهودك ؟ فأحضرنه بين يديه ، فقال : بيم تشهدن ؟

فقلن : نشهد بأنها بكر لم يمسه بعلم ولا ذكر .

فقال الغلام : بيني وبينها علامة أذكرها عسى تعرف ذلك . قالت له : قل ما بدا لك . فقال الغلام : قد كان والدي شيخ سعد بن مالك ، يقال له (الحارث المزني) ووضعت في عام شديد المحلّ وبقيت عامين أَرْضَع شاة ، ثم إنني كبرت ، وسافر والدي في تجارة مع جماعة ، فعادوا ولم يعد والدي معهم ، فسألتهم عنه ، فقالوا : درج . فلما عرفت والدتي أنكرتني وأبعدتني ، وقد أضرتني الحاجة .

فقال عمر : هذا مشكل ، ولا يحلّه إلا نبيٌّ أو وصي نبي ، فقوموا بنا إلى أبي الحسن عليه السّلام فمرّ الغلام وهو يقول : أين منزل كاشف الكروب ، وعبد علّام الغيوب ؟ أين خليفة نبي هذه الأمة حقاً ؟

فجاءوا به إلى منزل أمير المؤمنين علي عليه السّلام فقال : أين كاشف الكربات ؟ أين محلّ المشكلات عن هذه الأمة ؟

فقال علي بن أبي طالب : ما بك يا غلام ؟ فقال : يا مولاي أمّي جحدت حقّي من ميراث أبي .

فقال الإمام عليه السّلام : أين قنبر ؟ فأجابه : لبيك لبيك .

قال : امض وأحضِر المرأة في مسجد رسول الله صلّى الله عليه وآله .

فمضى قنبر وأحضرها بين يدي الإمام عليه السّلام فقال لها :

ويلك ، لم جحدت ولدك ؟ !

فقالت : يا أمير المؤمنين ، أنا بكر ليس لي ولد ، ولم يمسيني بشر .

فقال لها : لا تطيلين الكلام ، فأنا ابن عم بدر التهام ، أنا مصباح

الظلام ، وإنَّ جبرئيل أخبرني بقصَّتكَ . قالت : يا مولاي ، احضر قابلة تنظرني ، أنا بكر عاتق .

فأحضر قابلة أهل المدينة ، فلمَّا دخلت بها أعطتها سواراً كان في عضدها وقالت : اشهدي بأنني بكر .

فلمَّا خرجت من عندها قالت : يا مولاي ، إنَّها بكر . فقال : كذبت ؛ يا قنبر عرَّ العجوز وخذ منها السوار .

قال قنبر : فأخرجت السوار من كتفها ، فعند ذلك ضجَّ الخلائق ، فقال الإمام عليه السَّلام : أسكتوا ، أنا عيبة علم النبوة .

ثمَّ أحضر الجارية ، وقال : يا جارية ، أنا زين الزين ، أنا قاضي الدين ، أنا أبو الحسن والحسين ، فإني أريد أن أزوجك من هذا الغلام المدَّعي عليك ، فتقبله مِنِّي زوجاً ؟ فقالت المرأة : أتبطل شرع محمد بن عبد الله النبي المصطفى صلى الله عليه وآله ، فقال لها : بماذا ؟

قالت : تزوِّجني بولدي ، كيف يكون ذلك ؟ !
فقال الإمام عليه السَّلام : الله أكبر ، جاء الحق وزهق الباطل ، إنَّ الباطل كان زهوقاً ، ما كان هذا منك قبل هذه الفضيحة ؟ قالت : يا مولاي ، خشيت على الميراث .

ثم قال : استغفري الله ، وتوبِي إليه ، ثمَّ إنَّه عليه السَّلام أصلح بينهما وألحق الولد بوالدته ويأرث أبيه - انتهت القضية بسلام .

٦ - قضاؤه في جماعة اتهموا بقتل رفيقهم في السفر

روى العلامة الشيخ كمال الدين الشافعي في « مطالب السؤول » ص ٢٩ ط طهران - ونقلناه من كتاب إحقاق الحق ج ٨ ص ٧٩ :

إنَّ سبعة أنفس خرجوا من الكوفة مسافرين فغابوا مدة ، ثمَّ عادوا

وقد فُقدَ منهم واحد ، فجاءت امرأته إلى أمير المؤمنين عليه السَّلام فقالت : إنَّ زوجي سافر هو وجماعته ، وعادوا دونهُ ، فأتيتهم وسألتهُم عنه فلم يخبروني بحالهِ ، وقد اتهمتهم بقتله ، وأسألك إحضارهم واستكشاف حالهم .

فأحضرهم عليه السَّلام وفرَّقهم ، وأقام كل واحدٍ منهم إلى سارية من سوارِي المسجد ، ووكل به رجل يمنع أن يقرب منه أحدٌ ليحادثه ، ثمَّ استدعا واحداً فحدَّثه وسأله عن حال الرجل ، فأنكر ، فلمَّا أنكر رفع عليُّ عليه السَّلام صوته بالتكبير وقال : الله أكبر فلمَّا سمع الباكون صوت علي عليه السَّلام مرتفعاً بالتكبير اعتقدوا أنَّ رفيقهم قد أقرَّ وحكى لعلِّي عليه السَّلام صورة الحال .

ثمَّ استدعاهم واحداً واحداً فأقرَّوا بقتله بناءً على أن صاحبهم قد أخبر علياً بما فعلوه .

فلمَّا أقرَّوا بذلك قال الأوَّل : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء قد أقرَّوا وما أنا أقررت .

قال له عليه السَّلام : هؤلاء رفاقك قد شهدوا عليك ، فما ينفعك إنكارك بعد شهادتهم .

فاعترف أنه شاركهم في قتله ، فلمَّا كمل اعترافهم أقام عليهم حكم الله تعالى وقتلهم به ، فكان ذلك من عجائب فهمه وغرائب علمه .

كما ذكر هذه القضية العلَّامة الزمخشري في « الفائق » ج ٢ ص ١٥٦ ط القاهرة .

ومنهم العلَّامة أبو هلال العسكري المتوفى بعد سنة ٣٩٥ بقليل في « الأوائل » ص ١٤٣ وغيرهم .

٧ - قضاؤه عليه السلام في ردّ مال استودعه رجلاً

روى حنش بن المعتمر أنّ رجلين استودعا امرأة من قریش مائة دينار وأمرها أن لا تدفع إلى واحدٍ منهما دون صاحبه ، فأتاها أحدهما فقال : إنّ صاحبي هلك فادفعي إليّ المال . فأبت ، فاستشفع إليها ، ومكث يختلف إليها ثلاث سنين .

قال : فدفعت إليه المال .

ثمّ جاء إليها صاحبه فقال : أعطيني المال .

فقالت له : قد أخذته صاحبك فارتفعوا إلى عمر ، فقال له عمر : ألك بينة .

فقال : هي بينتي .

قال : ما أراك إلا ضامنة . فقالت : أنشدك الله إلّا ما رفعناها إلى علي بن أبي طالب عليه السلام .

قال : فرفعها إليه ، فأتوه في حائط وهو يسيل الماء ، وهو مؤتزر بكساء ، فقصّوا عليه القصّة ، فقال للرجل : إئتني بصاحبك وإليّ متاعك .

رواه جماعة من أعلام القوم ، منهم : العلّامة أخطب خوارزم في كتابه « المناقب » ص ٦٠ ط تبريز .

ومنهـم العلّامة الطبري « في ذخائر العقبي » ص ٧٩ ط مصر .

٨ - قضاؤه في رجل تزوّج امرأتين ولدتا في ليلة مظلمة فاشتبه ولدهما

تزوّج رجل في زمانه عليه السلام بامرأتين فولدتا في ليلة مظلمة ، فأنت واحدة بصبي والأخرى بأنثى ، فاختصمتا في الصبي إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام فأمر كلّ واحدة أن تحلب من لبنها شيئاً ثمّ وزن اللبنين ،

فرجع أحدهما ، فحكم لصاحبة الراجح بالصبي .

ف قيل : من أين أخذت هذا ؟ قال : من قوله تعالى : ﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ ^(١) فإن الله تعالى قد فضّل الذكر في كل شيء حتى في غذائه .

روى ذلك العلامة الصفوري في « نزهة المجالس » ج ٢ ص ٢١١
ط القاهرة ، ونقلناه من كتاب إحقاق الحق ج ٨ ص ٨١ .

(١) سورة النساء : آية ١١ .

شجاعةُ عليٍّ عليه السَّلام

أقدم لك - عزيزي القارئ - في هذا الفصل نبذة متقاة من الأحاديث ، الواردة في شجاعته عليه السَّلام ، وهي أشهر من أن تذكر ، مشيراً في ذيل كلِّ حديث إلى محل وروده في كتاب إحقاق الحق ، وتجد تفصيل ذلك في فصل الغزوات .

قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله :

• عليٌّ مثل موسى في شوكته وشجاعته ج ٤ / ح ٤٠٣ .

• عليٌّ أشجع الناس قلباً . ج ٤ / ١٠٧ ، ١٥٠ ، ٣٣١ ، ج ٢٠ /

٢٨٨ ، ٤٤٢ ، ٥١٤ ، ٥١٦ .

• إنَّ لعليٍّ الشجاعة كما أنَّ للنبي صَلَّى الله عليه وآله الرسالة

والنبوة . ج ٥ / ٢ .

• إنَّ الله تعالى أيد رسوله صَلَّى الله عليه وآله بعليٍّ . ج ٦ / ١٣٩ -

١٥٣ .

• عليٌّ صاحب لواء رسول الله صَلَّى الله عليه وآله في الدنيا

والآخرة . ج ٤ / ٢٦٥ ، ٧٦٢ .

• عليٌّ قتل أصحاب الألوية يوم الخندق . ج ٥ / ٧٢ .

- * عليّ قاتل الكفرة . ج ٢٣٥/٤ .
- * عليّ قاتل الفجرة . ج ٢٣٤/٤ ، ج ٥٠/٥ .
- * عليّ قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين . ج ٨٥/٤ ، ٢٤٨ .
- * عليّ قاتل اللّات والعزى . ج ١١٠/٦ .
- * لأقاتلن العماقة بيد عليّ . ج ٥٠٠/٦ .
- * عليّ يقاتل على التأويل . ج ٥٢/٥ ، ج ٢٤/٦ - ٢٧ .
- * ضربة عليّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين . ج ٤/٦ - ٨ .
- * يا أبا الحسن ، لو وضع إيمان الخلائق وأعمالهم في كفة ميزان ووضع عملك يوم أحد على كفة أخرى لرجع اعملك على جميع ما عمل الخلائق ، وإن الله باهى بك يوم أحد ملائكته المقربين ، ورفع الحجب من السماوات السبع ، وأشرفت إليك الجنة وما فيها ، وابتهج بفعلك رب العالمين ، وإن الله يعوضك ذلك اليوم ما يغبط كل نبي ورسول وصديق وشهيد . ج ١٠/٦ .

- * عليّ أسد الله الغالب . ج ٣٧٩/٤ .
- * عليّ أشجع العرب . ج ٦٠/٥ .
- * لا فتى إلا علي ولا سيف إلا ذو الفقار . ج ١١٠/٦ .



ليلة الهجرة ومبيت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على فراش النبي صلى الله عليه وآله

أذكر الواقعة بالمعنى ، لا بالنص ، حسبما استخلصتها من السير والروايات والتواريخ وخاصة من كتاب « عليّ من المهد إلى اللحد » للسيد القزويني ص ٥٧ ، وفي حياة مؤمن قريش أبي طالب رضوان الله عليه ، ورحم الله من قال وصدق :

ولولا أبو طالب وابنه لما مثل الدين شخصاً وقاماً
فذاك بمكة آوى وحامى وهذا بيثرب جسّ الحماما
فلله ذا فاتحاً للهدى ولله ذا للمعالي ختاماً

كان رسول الله صلى الله عليه وآله في حمايته ، وفي مأمن من مؤامرات قريش ومكائدهم ، وعلى الرغم من كل ذلك ما كان ينجو من الاعتداءات والأذى إبان الدعوة ، من رميه بالحجارة ، وقذف الدم ، ورفث القرابين التي تُنحر للأصنام ، وتلوّث ملابسه الطاهرة عندما كان يطوف بالكعبة أو يصلي فيها .

وكانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وآله بكل وسيلة تصل أيديهم الأئمة إليها ، أو يجدون سبيلاً إليها ، حتى وصل الأمر بهم إلى محاربته

محاربة نفسية ، هادفين من وراء ذلك خنق الدعوة في مهدها قبل أن يستفحل أمرها ، وينتشر خبرها خارج نطاق مكة ، لا سيما إذا وجدت مخرجاً إلى يثرب أو المدن الكبيرة الأخرى ، ولما فشلت مساعي قريش في صدّ الدعوة وأعيانهم الجهد والحيل ، عند ذلك عمدوا إلى صبيانهم وأغروا جهالهم أن يرموا النبي صلى الله عليه وآله بالحجارة والرفث والتراب عندما يمر بطريقه عليهم .

شكى ذلك إلى أخيه وابن عمّه علي بن أبي طالب عليه السّلام ، فقال له : بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ، إذا خرجت أخرجني معك .

كان يرافقه صلى الله عليه وآله كلّما يخرج إلى الحرم للطواف وقد تعرّض له الصبيان بالطريق فكان علي عليه السّلام يمسك الواحد منهم من أذنه فيقضمها ، أو يمسك أنفه فيجذعه ، وبعدها صاروا يهربون من بين يديه صائحين باكين إلى آبائهم ، يقولون : قضمنا علي ، قضمنا علي . وما عادوا بعد ذلك إلى أذية النبي صلى الله عليه وآله ، وسُمّي علي عليه السّلام من ذلك الحين بالقضم واشتهر به .

وهكذا كان ديدنهم في أذية النبي ومحاربته ، وكان في كلّ تلك المصائب صابراً صامداً كما أمره تعالى في محكم كتابه المجيد : ﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ ^(١) أو ﴿ واصبروا إنّ الله مع الصابرين ﴾ ^(٢) أو ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾ ^(٣) .

إلى أن لبّت نداء ربّها زوجته الطاهرة خديجة الكبرى سلام الله عليها ، والتي كانت أحد أركان دعوته المجيدة ، وبعد فترة قصيرة من فراق

(١) سورة هود : آية ١٢ .

(٢) سورة الأنفال : آية ٤٦ .

(٣) سورة الأحقاف : آية ٣٥ .

زوجته التحق بالرفيق الأعلى عمّه أبو طالب سلام الله عليه ويموته انهد ركنه الثاني ، فجزع النبي صلى الله عليه وآله وحزن عليهما حزناً شديداً ، حتّى سُمّي ذلك العام بعام الأحزان ، لفقد الأحبّة والكافلين له ، وقد كانا له بمنزلة الجناحين .

وبقي صلى الله عليه وآله وحده مع ابن عمّه علي بن أبي طالب عليه السّلام وعدد من المؤمنين المستضعفين ، يقارعون الكفّار والمشرّكين من قريش وغيرهم ويتحمّلون الأذى ؛ عند ذلك نشط الكفّار والمشرّكين بعد فقد زوجته وعمّه ، وقامت قياמתهم لما خلا الجولهم ، وهبوا عن بكرة أبيهم وعزموا على اغتيال النبي صلى الله عليه وآله وقاتله .

اجتمعت مشيخة قريش ورؤساء قبائلهم في دار الندوة يتداولون الأمر ، ويتذاكرون في كيفية تنفيذ المؤامرة والخلّاص منه ومن دعوته ، واشترك معهم إبليس لعنه الله بصفة رجل غريب جاء من نجد ودخل معهم ، فلمّا أنكروه قال : إني من نجد أسمع منكم وأشير عليكم .

وبعد المناقشات والمداولات ، استقر رأيهم على أن تخرج قريش من كل قبيلة منهم رجلاً شجاعاً ، ويبيتوا على دار النبي صلى الله عليه وآله وعند الفجر يهجموا عليه بجمعهم ويضربوه ضربة رجل واحد ويقتلوه ، وعند ذلك يتفرّق دمه بين قبائل قريش ، فحينئذ لا يستطيع بنو هاشم قتال جميع قبائل قريش والأخذ بثأره ، فيضطرون عند ذلك بقبول ديتة ، والرضوخ لجمعهم .

وكان أبو لهب عمّه مع المشرّكين مشتركاً في المؤامرة .

وفي رواية : كان المتآمرون أربعون رجلاً يمثلون أربعين قبيلة .

وفي رواية أخرى : كانوا خمسة عشر رجلاً يمثلون خمسة عشر قبيلة .

وفي رواية ثالثة : كان المتآمرون عشرة رجال يمثلون عشرة قبائل .

على أي حال ، نزل الأمين جبرائيل بهذه الآية المباركة : ﴿ وإذ يكر
بك الذين كفروا اليشتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون ويمكر الله والله
خيرُ الماكرين ﴾ الأنفال آية ٣٠ .

وأخبره بتفاصيل المؤامرة ، وأمره أن يهاجر من مكة هذه الليلة إلى
يثرب ، ويجعل أخيه وابن عمّه علي بن أبي طالب عليه السّلام مكانه ،
والمبيت على فراشه .

فأرسل صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السّلام يخبره بتفاصيل
المؤامرة ، وهبوط الأمين جبرائيل بالآية ، قائلاً له : يا علي ، إنّ الروح
الأمين هبط عليّ الساعة يخبرني أنّ قريشاً اجتمعت على المكرب وقّتي ،
وأوحى إليّ عن ربّي أن أهاجر دار قومي ، وأن أنطلق إلى غار حراء في جبل
ثور ، تحت ليلتي هذه ، وقد أمرني أن أمرك بالمبيت على فراشي وفي
مضجعي ، لتخفي بمبيتك عليهم أثري ، فما أنت قائل ؟

فقال عليّ عليه السّلام : أو تسلمنّ بمبيتي يا رسول الله ؟

قال صلى الله عليه وآله : نعم .

فتبسّم ضاحكاً ، وأهوى إلى الأرض ساجداً شاكراً لله .

فكان علي عليه السّلام أوّل من سجد لله شكراً ، وأوّل من وضع
جبهته على الأرض معفرها بالتراب ، وقال : فذاك سمعي وبصري ، مُرني
بما شئت تجدني مطيعاً مُنفذاً .

فقال صلى الله عليه وآله : فارقده على فراشي ، واشتمل ببردي
الحضرمي ؛ ثمّ إنّني أخبرك يا عليّ ، إنّ الله تبارك وتعالى ، يمتحن أوليائه
على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه ، فأشدّ الناس بلاء الأنبياء ، ثمّ الأمثل
فالأمثل ؛ وقد امتحنتك يا ابن أمّ وامتحنني فيك ، بمثل ما امتحن به خليله
إبراهيم عليه السّلام ، والذبيح إسماعيل عليه السّلام ، فصبراً صبراً ، فإنّ

رحمة الله قربت من المحسنين .

ثم ضمَّه إلى صدره صلوات الله عليه وآله وبكى إليه وجدأ به ،
وفرقاً عليه ، وبكى عليُّ عليه السَّلام جزعاً على فراقه .

فجاءت قريش قاصدةً تنفيذ خطتها ومؤامرتها ، وأحاطوا بالدار ،
وجلس أكثرهم بالباب يحرسونها ريثما يطلع الفجر ليشبوا على داره وثبة رجل
واحد ويقتلوه .

وخرج النبيَّ صَلَّى الله عليه وآله من الدار ماراً من بين أيديهم ،
أخذاً حفنةً من التراب رمى بها على وجوههم ، قائلاً لهم : شأست
الوجوه ، وقرأ الآية الكريمة : ﴿ وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم
سدّاً فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ ^(١) فغشي على أعينهم ولم يروا النبيَّ
صَلَّى الله عليه وآله لما مرَّ بهم ، وانطلق متوجّهاً إلى غار ثور ، وصادفه أبا
بكر بالطريق فالتحق به ورافقه المسير .

عند ذلك أوحى الله تبارك وتعالى إلى جبرئيل وميكائيل : إني آخيت
بينكما ، وجعلتُ عمر أحدكما أطول من الآخر ، فأَيكما يؤثر صاحبه
بالحياة ؟ فاختر كل واحدٍ منهم الحياة ، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليهما : ألا
كنتما مثل عبدي علي بن أبي طالب ! آخيتُ بينه وبين محمَّد عبدي
ورسولي ، فبات على فراشه فادياً له بنفسه ويؤثره بالحياة ؛ اهبطا إلى
الأرض فاحفظاه من عدوه . فتزلا ، فكان جبرئيل عند رأسه ، وميكائيل
عند رجله ، وجبرئيل يقول : بخ بخ ، مَنْ مثلك يابن أبي طالب ،
ياهي الله سبحانه بك ملائكته ؟ !

وأنزل الله عزَّ وجلَّ على رسوله صَلَّى الله عليه وآله وهو بطريقه إلى

(١) سورة يس : آية ٩ .

يُثْرِبُ فِي شَأْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ الْمُبَارَكَةُ : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ (١) .

بَاتَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى فِرَاشِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، مُلْتَحِفًا بِبِرْدِهِ الْحَضْرَمِيِّ ، وَالْمُشْرِكُونَ يَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ بَيْنَ الْفِينَةِ وَالْفِينَةِ ، وَهُمْ يَتَصَوَّرُونَ أَنَّهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَهُوَ صَابِرٌ يَتَصَوَّرُ مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ ، وَلَا يُبْدِي أَيَّ حَرَكَةٍ لِّثَلَا يَنْكَشِفُ أَمْرُهُ .

فَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ وَثَبَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الدَّارِ شَاهِرِينَ سَيْوِفَهُمْ ، قَاصِدِينَ فِرَاشِ النَّبِيِّ ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَهَضَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ فِرَاشِ النَّبِيِّ شَاهِرًا سَيْفَهُ ، وَلَمَّا رَأَوْهُ أَسْقَطَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَقَالُوا : عَلِيٌّ هَذَا ؟ ! قَالَ : نَعَمْ .

قَالُوا : أَيْنَ مُحَمَّدٌ ؟

قَالَ : أَجْعَلْتُمُونِي عَلَيْهِ رَقِيبًا ؟ ! أَلَسْتُمْ قُلْتُمْ : نَخْرُجُهُ مِنْ بِلَادِنَا ؟ فَقَدْ خَرَجَ عَنْكُمْ .

قَالُوا : كُنْتُ نَحْدَعُنَا مِنْذُ اللَّيْلِ بِنَوْمِكَ عَلَى فِرَاشِهِ ، وَظَنْنَا أَنَّكَ مُحَمَّدٌ .

فَتَرَكُوهُ وَتَتَبَعُوا أَثَرَهُ حَتَّى وَصَلُوا إِلَى بَابِ الْغَارِ فِي جَبَلِ ثَوْرٍ ، الَّذِي اخْتَفَى فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ، فَوَجَدُوا عَلَى بَابِ الْغَارِ نَسِيجَ الْعَنْكَبُوتِ ، وَطَيْرَ رَاقِدٍ عَلَى فِرَاحِهِ ، فَقَالُوا : إِلَى هُنَا انْقَطَعَ أَثَرُهُ ، أَمَّا أَنَّهُ صَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ ، أَوْ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ ، وَلَا يُمْكِنُ دُخُولُ الْغَارِ ، وَهَذَا نَسِيجُ الْعَنْكَبُوتِ وَعَشُّ الطَّيْرِ بِيَابِهِ . فَرَجَعُوا خَائِبِينَ .

وَبَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَاحِبُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْغَارِ ،

(١) سُورَةُ الْبَقَرَةِ : آيَةُ ٢٠٧ .

وكان علي عليه السلام يأتيه بالطعام كل يوم ، وفي اليوم الثالث جاء علي عليه السلام ومعه الدليل وثلاث جمال ، واحد له ، والآخر لصاحبه ، والثالث للدليل ، فركبها وانطلقا إلى يثرب .

وسبق أن أوصاه : إذا أتاك كتابي اقض ديني ، وردّ السودائع التي عندي إلى أصحابها ، والتحق بي مع الفواطم .

وكان عليه السلام ، يعتز ويفتخر بهذه الموفقية التي نالها من عند الله تعالى ، فأنشد يقول :

وقيت بنفسي خير من وطأ الحصى	ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
عمد لما خاف أن يمكروا به	فوقاه ربّي ذو الجلال من المكر
وبت أراعيهم حتى ينشروني	وقد وطئت نفسي على القتل والأسر
وبات رسول الله في الغار آمناً	هناك وفي حفظ الآله وفي ستر
أقام ثلاثاً ثم زمت قلائص	قلائص يفرين الحصى أينما يفرى

هذا العمل العظيم والتضحية الجسيمة التي أقدم عليها هذا البطل العظيم وهو لا يزال في شرح الشباب وبأكورة عمره الشريف ، الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه ، وقع من أهل السماء موقع الإعجاب والإكبار والتقدير ، بهذه المواساة الفريدة في تاريخ الإسلام ، بل وفي تاريخ الأنبياء كافة عدا تضحية جده الأجدد النبي إسماعيل عليه السلام ، إذ قال له أبوه إبراهيم الخليل عليه أفضل التحية والسلام : ﴿ يا بني إني أرى في المنام أنّي أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾ (١) .

فلا غرو ولا عجب أن طأطأ عظماء العالم رؤوسهم إجلالاً وإكباراً لعظمته وإقدامه وتضحيته صلوات الله وسلامه عليه .

(١) سورة الصافات : آية ١٠٢ .

وصل الخبر بقدم الركب الطاهر على أهل يثرب فخرج أهلها عن
بكرة أبيهم شيوخاً وشباناً ونساءً وأطفالاً لاستقباله صلوات الله وسلامه
عليه حتى وصلوا إلى قبا ، وهي قرية على الطريق تبعد عن يثرب حوالي
الفرسخين ، وفيها البساتين وعيون المياه العذبة ، فلما شاهدوا الركب
المبارك من بعيد أخذهم الحماس ، وهبوا بشعارات الفرح والأهازيج وآيات
الترحيب ، منادين بأصواتهم الرخيمة والحنان الشجيّة :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب الشكر علينا ما دعا الله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع جئت شرفاً للمدينة مرحباً يا خير داع

رحّب المسلمون بمقدم نبيهم الكريم ، مطالبين مواصلة سيره إلى
يثرب ، غير أنه صلى الله عليه وآله أعلمهم بانتظار قدوم ابن عمه علي بن
أبي طالب والفواطم ، وهنّ : فاطمة الزهراء ، وفاطمة بنت أسد أم أمير
المؤمنين ، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب ، وبقية الضعينة .

وفي فترة مكوثه بقبا بنى مسجده المعروف لحد اليوم ، وهو أول
مسجد أسس في الإسلام ، حيث أنزل الله تبارك وتعالى في محكم كتابه
الآية الشريفة : ﴿ لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم
فيه ، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾ ^(١) .

وفي حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنه قال : من أتى
مسجدي هذا ، أو « من أتى مسجد قبا » في رواية أخرى ، فصلّى فيه
ركعتين رجع بعمره . رواه ابن قولويه في كامل الزيارات ص ٢٤ ح ٢ .

فلما التحق عليّ عليه السلام برسول الله صلى الله عليه وآله في قبا
مع الفواطم ، توجهّا إلى يثرب ، والمسلمون في ركبهما وبين أيديهما ، وتقدّم

(١) سورة التوبة : آية ١٠٨ .

أشرف يثرب وزعماء عشائريهم من الأوس والخزرج، داعين رسول الله صلى الله عليه وآله أن ينزل عليهم ، ليتشرفوا بضيافته ، وكل واحد منهم كان ممسكاً بخطام ناقته يجريها إليه ، ليحصل على الشرف العظيم ، غير أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : اتركوها ، فإنها مأمورة . فسارت الناقة في الأزقة متخطية الدور حتى بركت أمام دار أبي أيوب الأنصاري رضوان الله عليه ، وهو رجل فقير مغمور ، يسكن في بيت صغير مع والدته العجوز العمياء ، فرحّب به وأنزله من ركابه ، وقد غمرته الفرحة ، أي فرحة هذه وتشرفه بضيافة سيّد البشر ، ونزوله في داره مع علي عليه السّلام والفواطم ، وقد ألطف الله عليه ، وحصل على شرف الدنيا والآخرة .

وجاءت أمه العمياء تتلمّس الجدران حتّى وصلت إليه صلى الله عليه وآله ، مرحّبة بمقدمه الشريف ، ومتمنية لو أنها تبصر لترى طلّعه البهيّة ، فمسح صلى الله عليه وآله يده الشريفة على عينيها ، فعادت سليمة مبصرة .

وهذه ثاني معجزة بعد وصوله يثرب مباشرة ، الأولى ترك الناقة حتّى بركت ، والثانية : إبصار العجوز العمياء .

صلى الله عليه وآله وسلم عدد ما في علم الله سبحانه .
ورحم الله الشاعر القائل :

بمقامك التعريف والتحديد	ومواقف لك دون أحمد جاوزت
تهدي إليك بوارقاً ورعوداً	فعلّ الفراش تبيت ليلك والعدى
يهدي القراع لسمعك التغريدا	فرقدت مثلوج الفؤاد كأنما
بالنفس لا فشلاً ولا رعيديدا	فكفيت ليلته وقمت معارضاً
جبلأ أشم وفارسأ صنديدا	واستصبحوا فرأوا دون مرادهم
أو ما دروا كتر الهدى مرصودا ؟ !	رصدوا الصباح لينفقوا كتر الهدى

وحادثة مبيت علي عليه السّلام على فراش النبي صلّى الله عليه وآله -
ليلة هجرته مشهورة ، كالشمس في رابعة النهار رواه معظم الحفاظ
والمؤرخين في سنتهم ، وسيرهم وتواريخهم ، أذكر منهم على سبيل المثال لا
الحصر :

مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ٣٣١ .

المستدرک على الصحيحين للحاکم ج ٣ ص ٤ .

أخطب خوارزم في « المناقب » ص ٨٢ ط تبريز .

الحافظ الغنّجی في « كفاية الطالب » ص ١١٤ ط الغري . الحافظ

ابن عساکر في ترجمة الإمام علي عليه السّلام من « تاريخ دمشق »
ج ٣/ ١٨٣ ط بيروت .

ولمزيد من المصادر راجع : بحار الأنوار ج ١٩ ص ٢٨ - ١٠٣ ،

وإحقيق الحق ج ٣ ص ٢٤ - ٣٣ وج ٦ ص ٤٧٩٧ - ٤٨١ وج ٨

ص ٣٣٤ - ٣٤٨ وج ١٨ ص ٨٥ - ٩٢ وج ٢١ ص ٢٨٦ - ٢٩٣ .

هجرة علي عليه السلام إلى المدينة

أما كيفية هجرة علي عليه السلام ، من مكة إلى المدينة فقد رواها المحدثون بهذه الكيفية .

كتب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي بن أبي طالب عليه السلام كتاباً يأمره فيه بالمسير إليه ، وقلة التلوم^(١) ، وكان الرسول بعث إليه أبا واقد الليثي ، فلما أتاه كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تهيأ للخروج والهجرة .

قال ابن شهر آشوب : واستخلفه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لرد الودائع ، لأنه كان أميناً ، فلما أداها قام على الكعبة فنادى بصوت رفيع : يا أيها الناس هل من صاحب أمانة ؟ هل من صاحب وصية ؟ هل من عدة له قبل رسول الله ؟ فلما لم يأت أحد لحق بالنبي .

وقال ابن شهر آشوب أيضاً : أمره النبي أن يؤدي عنه كل دين وكل ودیعة وأوصى إليه بقضاء ديونه ، فإذا من كان معه من ضعفاء المؤمنين فأمرهم أن يتسللوا ويتخففوا - إذا ملأ الليل بطن كل واد - إلى ذي طوى ، وخرج علي صلى الله عليه وآله وسلم بفاطمة عليها السلام بنت

(١) أي عدم التباطؤ .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب ، وقد قيل : هي ضباعة وفي رواية ، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب ، وتبعهم أيمن بن أم أيمن مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وأبو واقد رسول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهم ، فقال علي عليه السلام : إرفق بالنسوة أبا واقد ! إنهن من الضعائف ، قال : إني أخاف أن يدركنا الطالب - أو قال : الطلب - فقال علي عليه السلام : أربع عليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لي : يا علي إنهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه ، ثم جعل - يعني علياً عليه السلام - يسوق بهن سوقاً رفيقاً وهو يرتجز ويقول :

ليس إلا الله فارفع ظنك يكفيك رب الناس ما أهمك

وسار ، فلما شارف ضجنان أدركه الطلب سبع فوارس من قریش مستلثمين وثامنهم مولى الحارث بن أمية يدعى جناحاً ، فأقبل علي عليه السلام على أيمن وأبي واقد وقد تراءى القوم فقال لهما : أنيخا الإبل وأعقلاها . وتقدم حتى أنزل النسوة ، ودنا القوم فاستقبلهم علي عليه السلام منتضياً سيفه ، فأقبلوا عليه فقالوا : ظننت أنك يا غدار ناج بالنسوة ، ارجع لا أبالك ، قال : فان لم أفعل ؟ قالوا : لترجعن راغماً ، أو لترجعن بأكثرك شعراً ، وأهون بك من هالك . ودنا الفوارس من النسوة والمطايا ليثروها ، فحال علي عليه السلام بينهم وبينها ، فأهوى له جناح بسيفه فراغ علي عليه السلام عن ضربته ، وتختله علي عليه السلام فضربه على عاتقه ، فأسرع السيف مضياً فيه حتى مس كائبة فرسه ، فكان علي عليه السلام يشد على قدمه شد الفرس ، أو الفارس على فرسه ، فشده عليهم بسيفه وهو يقول :

خلوا سبيل الجاهد المجاهد آليت لا أعبد غير الواحد
فتصدع القوم عنه ، فقالوا له : اغن عنا نفسك يا ابن أبي طالب ،
قال : فإني منطلق إلى ابن عمي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
بيثرب ، فمن سرّه أن أفري لحمه واهريق دمه فليتبعني ، أو فليدن مني ،
ثم أقبل على صاحبيه أيمن وأبي واقد فقال لهما : أطلقا مطاياكما ، ثم
سار ظاهراً قاهراً حتى نزل ضجنان ، فتلوّم بها قدر يومه وليلته ، ولحق به
نفر من المستضعفين من المؤمنين ، وفيهم أم أيمن مولاة رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم ، فلبثوا هناك هو والفواطم : أمه فاطمة بنت
أسد (رضي الله عنها) ، وفاطمة عليها السّلام بنت رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم وفاطمة بنت الزبير يصلون الله ليلتهم ويذكرونه قياماً
وقعوداً وعلى جنوبهم ، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر ، فصلى
عليه عليه السّلام بهم صلاة الفجر ، ثم سار لوجهه ، فجعل وهم
يصنعون ذلك منزلاً بعد منزل يعبدون الله عزّ وجلّ ويرغبون إليه كذلك
حتى قدموا المدينة ، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم :
﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا ﴾^(١) إلى قوله :
﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعَ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ

أُنْثَىٰ ۖ .
ولما نزل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقاء خارج المدينة بقي
ينتظر قدوم علي عليه السّلام ، فقال له أبو بكر : انهض بنا إلى المدينة
فإن القوم قد فرحوا بقدومك ، وهم يستريثون إقبالك إليهم فانطلق بنا ولا
نقيم ههنا تنتظر علينا ، فما أظنه يقدم إليك إلى شهر ، فقال له رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم : كلاً ، ما أسرع . ولست أريم حتى يقدم ابن

(١) سورة آل عمران : الآية ١٩١ - ١٩٥ .

عمي وأخي في الله عز وجل وأحب أهل بيتي إليّ فقد وقاني بنفسه من
المشركين . فبقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمسة عشر يوماً فوافى
عليّ بعياله وقد تفطرت قدماه فاعتنقه النبي وبكى رحمة لما بقدميه من
الورم . وتفل في يديه وأمرهما على قدميه فلم يشتكهما بعد ذلك أبداً .

ما ظهر من شجاعة علي عليه السَّلام في غزوة معركة بَدْر الكبرى

بَدْرُ رجل من جهينة ، وقيل : إنَّه ينسب إلى بَدْر بن مَخْلَد بن النضر بن كنانة ، وقيل : بل هو رجل من بني ضمرة سكن هذا الموضع فنسب إليه ، ونسبها الزبير بن بَكَار إلى بدر بن قريش بن الحارث ، وقال : به سميت بدر التي كانت بها الوقعة المباركة ، لأنَّه كان احتفربشرها ، وبهذا الماء كانت الوقعة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام وفرق بين الحقِّ والباطل ، في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة^(١) .

أمَّا الواقدي فيقول : ذكرتُ ذلك ليحيى بن النعمان الغفاري ، فقال : سمعتُ شيوخنا من غفار يقولون : هو ماؤنا ومنزلنا ، وما ملكهُ أحدٌ قطُّ يقال له (بدر) وما هو من بلاد جهينة ، إنَّما هو من بلاد غفار . قال الواقدي : وهو المعروف عندنا^(٢) .

تقع بدر جنوب غرب المدينة ، في طريق مكة ، وبينها وبين المدينة ثمانية وعشرون فرسخاً (١٥٠ كيلومتر) ، وبها عينان جاريتان ، عليهما الموز والعنب والنخل .

(١) معجم البلدان ج ٣٥٧/١ .

(٢) معجم ما استمع من أسماء البلاد والمواضع ج ٢٣١/١ .

قال الشيخ المفيد رضوان الله عليه في « مسار الشيعة » ص ٤٤ :
« الليلة السابعة عشر من شهر رمضان المبارك : كانت ليلة بدر ، وهي ليلة
الفرقان ، ليلة مسرة لأهل الإسلام ، ويستحب فيها الغسل .

اليوم السابع عشر منه : كانت الوقعة بالمشركين ببدر ، ونزول
الملائكة بالنصر من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله ، وحصلت الدائرة
على أهل الكفر والطغيان ، وظهر الفرق بين الحق والباطل ، وكان بذلك
عز أهل الإيمان ، وذل أهل الضلال والعدوان ، ويستحب الصدقة فيه ،
ويستحب فيه الإكثار من شكر الله تعالى على ما أنعم به على أهل الحق من
البيان ، وهو يوم عيد وسرور لأهل الإسلام .

وأرحها الشيخ بهاء الدين العاملي في « توضيح المقاصد » ص ٢٣ في
التاسع عشر من شهر رمضان المبارك ، يوم الجمعة ، سنة اثنتين من الهجرة
قال : « وكان المسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر ، والمشركون تسعمائة
وعشرين ، وقُتِلَ من المسلمين أربعة عشر رجلاً ، وأما المشركون فُقُتِلَ منهم
سبعون وأسر منهم سبعون .

أما قصة هذه الغزوة ، فقد ذكر أصحاب السير والتاريخ من علماء
الفريقين ، وذكر أبو حمزة الثمالي وعلي بن إبراهيم والشيخ الطبرسي في
تفاسيرهم ، وغيرهم ، وقد أدخلت حديث بعضهم في بعض ، قالوا :

أقبل أبو سفيان بعير قریش من الشام ، وفيها أموالهم ، وهي
اللطيمة^(١) فيها أربعون راكباً من قریش ، فندب النبي صلى الله عليه وآله
أصحابه للخروج إليها ليأخذوها ، وقال : لعل الله أن ينفلكموها .

(١) اللطيمة : العير التي تحمل الطيب ويزن التجارة وسائر المتاع ، غير الميرة ، وكانت ألف
بعير وفيها أموال عظام ، ولم يبق قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعداً إلا بعث به في
العير . ويقال : فيها خمسون ألف دينار .

فانتدب الناس ، فحَفَّتْ بعضهم وثقل بعضهم ، ولم يظنّوا أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يلقي كيداً ولا حرباً ، فخرجوا لا يريدون إلّا أبا سفيان ، والركب لا يرونها إلّا غنيمة لهم ، فلَمَّا سمع أبو سفيان بمسير النبي صَلَّى الله عليه وآله استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم ، ويخبرهم أنّ محمداً قد تعرّض لغيرهم في أصحابه ، وأمره أن يجده بعيره إذا دخل مكة ، ويحوّل رحله ، ويشقّ قميصه من قُبْلِهِ وذُبُرِهِ ، ويصيح : الغوث ، الغوث . وكان من عادة العرب إذا أرادوا أن يندروا قومهم بشرّاً أن يعملوا هكذا .

فخرج ضمضم سريعاً إلى مكة ، وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رأت فيما يرى النائم ، قبل مقدم ضمضم بن عمرو بثلاث ليال ، أنّ رجلاً أقبل على بعير له ينادي : يا آل غالب ، اغدوا إلى مصارعكم . ثمّ وافى بجمله على أبي قبيس^(١) فأخذ حجراً فدهده^(٢) من الجبل ، فما ترك داراً من دور قريش إلّا أصابته منه فلذة ، فانتبهت فزعةً من ذلك ، فأخبرت العباس بذلك ، فأخبر العباس عتبة بن ربيعة ، فقال عتبة : هذه مصيبة تحدث في قريش .

وفشت الرؤيا فيهم ، وبلغ ذلك أبا جهل ، فقال : هذه نبية ثانية في بني عبد المطلب ، واللآل والعزى لتنظرن ثلاثة أيام ، فإنّ كان ما رأت حقّاً ، وإلّا لنكتبن كتاباً بيننا أنّه ما من أهل بيت من العرب أكذب رجالاً ولا نساءً من بني هاشم .

فلَمَّا كان اليوم الثالث أتاهم ضمضم يناديهم بأعلى الصوت : يا آل غالب ، يا آل غالب ، اللطيمة اللطيمة ، العير العير ، أدركوا وما أراكم

(١) أبو قبيس : الجبل المشرف على مكة من جهة الشرق .

(٢) أي دحرجه .

تدركون ، إنَّ محمداً والصبابة^(١) من أهل يثرب قد خرجوا يتعرّضون لعيركم . فتهيأوا للخروج ، وما بقي أحد من عظماء قريش إلا أخرج مالا لتجهيز الجيش ، وقالوا : مَنْ لم يخرج نهدم داره . وخرج معهم العباس بن عبد المطلب ، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، وعقيل بن أبي طالب ، وأخرجوا معهم القيان^(٢) يضربن الدفوف .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً ، فلما كان بقرب بدر أخذ عيناً للقوم فأخبره بهم .

وفي حديث أبي حمزة الثمالي : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله عيناً له على العير اسمه (عدي) فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره أين فارق العير ، نزل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره بنفير المشركين من مكّة ، فاستشار أصحابه في طلب العير وحرب النفير ، فقام أبو بكر فقال : يا رسول الله : إنّها قريش وخيلاؤها ، ما آمنت منذ كفرت ، ولا ذلت منذ عزّت ، ولم نخرج على أهبة الحرب .

وفي حديث أبي حمزة : قال أبو بكر : أنا عالم بهذا الطريق ، فارق عديّ العير بكذا وكذا ، وساروا وسرنا فنحن والقوم على بدر يوم كذا وكذا كأننا فرسا رهان فقال صلى الله عليه وآله : اجلس . فجلس .

ثمّ قام عمر بن الخطّاب فقال مثل ذلك ، فقال : اجلس . فجلس .

ثمّ قام المقداد فقال : يا رسول الله ، إنّها قريش وخيلاؤها ، وقد آمنا بك وصدّقنا ، وشهدنا أنّ ما جئت به حقّ ، والله لو أمرتنا أن نخوض

(١) أراد بهم الخارجون من دين قريش إلى دين الإسلام ، وكانوا يسمّونهم كذلك .

(٢) أي المغنّيات وضاربات الدف وغيرهن .

جر الغضا^(١) وشوك الهراس^(٢) لخضناه معك ، والله لا نقول لك ما قالت
بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ﴾^(٣)
ولكننا نقول : امض لأمر ربك فإننا معك مقاتلون . فجزاه رسول الله صلى
الله عليه وآله خيراً على قوله ذلك .

ثم قال : أشيروا علي أيها الناس . وإنما يريد الأنصار ، لأن أكثر
الناس منهم ، ولأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : إنا براء من ذمتك حتى
تصل إلى دارنا ، ثم أنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع أبناءنا ونساءنا . فكان
صلى الله عليه وآله يتخوف أن لا يكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا على
من دهمه بالمدينة من عدو ، وأن ليس عليهم أن ينصروه بخارج المدينة .

فقام سعد بن معاذ فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، كأنك
أردتنا ؟ فقال : نعم .

فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، إنا قد آمنا بك ، وصدّقناك ،
وشهدنا أن ما جئت به حق من عند الله ، فمُرنا بما شئت ، وخذ من
أموالنا ما شئت ، واترك منها ما شئت ، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا
البحر لخضناه معك ، ولعلّ الله أن يريك ما تقرّ به عينك ، فسر بنا على
بركة الله .

ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : سيروا على بركة
الله ، فإن الله وعدني إحدى الطائفتين ، ولن يخلف الله وعده ، والله لكأنّي

(١) الجمر : النار المتقدة الغضا : نوع من الشجر ، خشبه أصلب الخشب ، وجره يدوم
زمناً طويلاً لا ينطفأ .

(٢) الهراس : شجر معروف بطول شوكه .

(٣) سورة المائدة : آية ٢٤ .

أنظر إلى مصرع أبي جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وفلان وفلان . وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالرحيل ، وخرج إلى بدر ، وهو بثر .

وفي حديث أبي حمزة : وبدر رجل من جهينة ، والماء ماؤه ، وإنما سمي الماء باسمه^(١) .

وأقبلت قريش ويعثوا عبيدها ليستقوا من الماء ، فأخذهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكان علي بن أبي طالب ، وقالوا لهم : مَنْ أنتم ؟ قالوا : نحن عبيد قريش .

قالوا : فأين العير ؟ قالوا : لا علم لنا بالعير ، فأقبلوا يضربونهم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلي فأنفل من صلاته ، وقال : إن صدقوكم ضربتموهم ، وإن كذبوكم تركتموهم .

فأتوه بهم فقال لهم : مَنْ أنتم ؟ قالوا : يا محمد ، نحن عبيد قريش ، قال : كم القوم ؟ قالوا : لا علم لنا بعددهم . قال : كم ينحرون كل يوم من جزور ؟ قالوا : تسعة إلى عشرة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : القوم تسعمائة إلى ألف رجل . وذكر في السيرة : أنه سألهما عن مكان القوم فقالا : هم والله من وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى .

وسأل عن أشرفهم فقالا : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو البختری بن هشام ، وحكيم بن حزام ، ونوفل بن خويلد ، والحارث بن

(١) ذكرت الاختلاف في سبب تسمية بدر بهذا الاسم في أول الغزوة ، فراجع .

عامر بن نوف ، وطعيمة بن عدي بن نوفل ، والنضر بن الحارث ،
وزمعة بن الأسود ، وأبو جهل بن هشام ، وأمّية بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا
الحجّاج ، وسهيل بن عمرو ، وعمرو بن عبدود .

فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الناس فقال : هذه
مكة قد ألفت إليكم أفلاذ كبدها .

فأمر صلى الله عليه وآله وسلم بهم فحُبسوا ، وبلغ ذلك قريشاً ففزعوا
وندموا على مسيرهم .

ولقي عتبة بن ربيعة أبا البخثري بن هشام فقال : أما ترى هذا
البنغي ، والله ما أبصر موضع قدمي ، خرجنا لنمنع غيرنا وقد أفلتت فجئنا
بغياً وعدواناً ، والله ما أفلح قوم بغوا قط ، ولوددت أن ما في العير من
أموال بني عبد مناف ذهبت ولم نسر هذا المسير .

فقال له أبو البخثري : إنك سيّد من سادات قريش ، فسر في الناس
وتحمّل العير التي أصابها محمّد «صلى الله عليه وآله» وأصحابه بنخلة ودم ابن
الحضرمي فإنه حليفك . فقال له : عليّ ذلك ، وما على أحد منّا خلاف
إلا ابن الحنظلة - يعني أبا جهل - فصر إليه واعلمه أني حملت العير ودم ابن
الحضرمي وهو حليفي وعليّ عقله^(١) .

قال : فقصدت خباه ، وأبلغته ذلك ، فقال : إن عتبة يتعصّب
لمحمّد ، فإنه من بني عبد مناف وابنه معه ، ويريد أن يخذل بين الناس ،
لا واللات والعزى ، حتّى نقحم عليهم يثرب ، أو نأخذهم أسارى
فندخلهم مكة ، وتتسامع العرب بذلك .

(١) أي دينه .

وكان أبو حذيفة بن عتبة مع رسول الله صَلَّى الله عليه وآله .

وكان أبو سفيان لما جاز بالعرير بعث إلى قريش : قد نَجَّى الله
عيركم ، فارجعوا ودعوا مُحَمَّدًا والعرب ، وادفعوه بالراح ما اندفع ، وإن لم
ترجعوا فردّوا القيان .

فلحقهم الرسول في الجحفة فأراد عتبة أن يرجع ، فأبى أبو جهل
وبنو مخزوم ، وردّوا القيان من الجحفة .

قال : وفزع أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله لما بلغهم كثرة
قريش واستغاثوا وتضرّعوا فأنزل الله سبحانه : ﴿ إذ تستغيثون
ربكم ﴾ ^(١) .

قال ابن عباس : لما كان يوم بدر واصطف القوم للقتال قال أبو
جهل : اللَّهُمَّ أولانا بالنصر فانصره . واستغاث المسلمون ، فنزلت
الملائكة ونزل قوله : ﴿ إذ تستغيثون ربكم ﴾ إلى آخره .

وقيل : إن النبي صَلَّى الله عليه وآله لما نظر إلى كثرة عدد المشركين ،
وقلة عدد المسلمين ، استقبل القبلة وقال : « اللَّهُمَّ أنجز لي ما وعدتني ،
اللَّهُمَّ إن تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض » فما زال يهتف ربّه مادّاً
يديه حتّى سقط رداؤه من منكبه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ إذ تستغيثون
ربكم ﴾ الآية ، وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام .

قال : ولما أمسى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وجّهه الليل ألقى الله
على أصحابه النعاس ، وكانوا قد نزلوا في موضع كثير الرمل لا تثبت فيه

(١) سورة الأنفال : آية ٩ .

قدم ، فأنزل الله عليهم المطر رذاذاً^(١) حتى لبد الأرض^(٢) وثبتت أقدامهم ، وكان المطر على قريش مثل العزالي^(٣) ، وألقى الله في قلوبهم الرعب كما قال : ﴿ سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب ﴾^(٤) الآية .

فلما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر عباً أصحابه ، وكان في عسكره فرسان : فرس للمقداد بن الأسود ، وفرس للزبير بن العوام ، وقيل : بل لمروث بن أبي مروث الغنوي .

وروي أنه لم يكن يوم بدر فارس إلا المقداد . وكان معهم من السلاح ستة أدرع ، وثمانية سيوف .

وكان في عسكره سبعون رجلاً كانوا يتعاقبون عليها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب عليه السلام ومروث بن أبي مروث الغنوي يتعاقبون على حمل لمروث .

وكان في عسكر قريش أربعمائة فرس ، وقيل : مائتا فرس ، فلما نظرت قريش إلى قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قال أبو جهل : ما هم إلا أكلة رأس ، لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد .

وقال عتبة بن ربيعة : أترى لهم كميناً أو مدداً ؟

فبعثوا عُمَيْرَ بْنَ وَهَبِ الْجُمَحِيِّ ، وكان فارساً شجاعاً ، فجال بفروسه حتى طاف على عسكر رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم رجع فقال : ما

(١) الرذاذ : المطر الخفيف الناعم .

(٢) أي رثها .

(٣) أي شديداً ، والعزالي : مصب الماء من القرية ونحوها .

(٤) سورة الأنفال : آية ١٢ .

فهم كمين ولا مدد ، ولكن نواضح^(١) يثرب قد حملت الموت الناقع ، أما ترونها خرساً لا يتكلمون ، يتلمظون تلمظ الأفاعي ، ما لهم ملجأ إلا سيوفهم ، وما أراهم يولّون حتى يقتلوا ، ولا يقتلون حتى يقتلوا بعددهم ، فارتأوا رأيكم . فقال له أبو جهل : كذبت وجبت . فأنزل الله سبحانه : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها ﴾^(٢) .

فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : « يا معاشر قريش ، إنّي أكره أن أبدأكم ، فخلّوني والعرب وارجعوا » .

فقال عتبة : ما ردّ هذا قوم قطّ فأفلحوا . ثمّ ركب جلاً له أحر ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يجول بين العسكرين وينهى عن القتال .

فقال صلى الله عليه وآله : إنّ يكّ عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر ، وإن يطيعوه يرشدوا .

وخطب عتبة ، فقال في خطبته : يا معاشر قريش ، أطيعوني اليوم ، واعصوني الدهر ، إنّ محمداً له إل^(٣) وذمة ، وهو ابن عمكم فخلّوه والعرب ، فإنّ يكّ صادقاً فأنتم أعلى عينا به ، وإن يكّ كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره .

ففاظأ أبا جهل قوله وقال له : جبت وانتفخ سحر^(٤)ك . فقال : يا مصفرأ إسته^(٥) ، مثلي يجبن ؟ ! ستعلم قريش أينأ الأم وأجبن ، وأينأ المفسد لقومه .

(١) جمع ناضح ، وهو البعير ، أو غيره ، الذي يُستقى عليه الماء .

(٢) سورة الأنفال : آية ٦١ .

(٣) الإل : العهد والقرابة .

(٤) يقال للجبان الذي ملا الخوف جوفه : انتفخ سحره .

(٥) كلمة تقال في الشتم ، أو تقال للمتعم الذي لم تحنكه التجارب والشدائد . وقيل : رماه بالأبنة وأنه كان يزعر إسته . وقيل غير ذلك .

ولبس درعه وتقدّم هو وأخوه شيبه وابنه الوليد ، وقال : يا محمد ،
أخرج إلينا أكفأنا من قريش . فبرز إليه ثلاثة نفر من الأنصار ، قيل :
هم عَوْفٌ ومُعَوَّذٌ وعبد الله بن رواحة^(١) . وانتسبوا لهم ، فقالوا :
ارجعوا ، إنّما نريد الأكفأ من قريش .

فنظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى عبيدة بن الحارث بن
عبد المطلب ، وكان له يومئذ سبعون سنة ، فقال : قم يا عبيدة . ونظر إلى
حمزة فقال : قم يا عمّ ، ثمّ نظر إلى عليّ فقال : قم يا عليّ . وكان أصغر
القوم : فاطموا بحقكم الذي جعله الله لكم ، فقد جاءت قريش بخيلائها
وفخرها ، تريد أن تطفئ نور الله ، ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره .

ثمّ قال : يا عبيدة ، عليك بعتبة بن ربيعة . وقال لحمزة : عليك
بشيبه . وقال لعليّ عليه السلام : عليك بالوليد .

فعمّوا حتّى انتهوا إلى القوم فقالوا : أكفأ كرام . فحمل عبيدة على
عتبة فضربه على رأسه ضربة فلقت هامته ، وضرب عتبة عبيدة على ساقه
فاطأها^(٢) فسقطا جميعاً ، وحمل شيبه على حمزة فتضاربا بالسيفين حتّى
انثلا ، وحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الوليد فضربه على جبل عاتقه
فأخرج السيف من إبطه .

قال عليّ عليه السلام : لقد أخذ الوليد يمينه بشماله فضرب بها
هامتي ، فظننت أنّ السماء وقعت على الأرض .

ثمّ اعتنق حمزة وشيبه فقال المسلمون : يا عليّ ، أما ترى الكلب نهز
عمّك^(٣) ؟ فحمل عليه عليّ عليه السلام فقال : يا عمّ ، طأطىء رأسك .

(١) كما في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٧٧ .

(٢) أي قطعها .

(٣) أي دفعه وضربه .

وكان حمزة أطول من شيبه ، فأدخل حمزة رأسه في صدره ، فضر به عليٌّ فطرح نصفه ، ثم جاء إلى عتبة وبه رمق فأجهز عليه .

وفي رواية أخرى أنه برز حمزة لعبته ، وبرز عبيدة لشيبه ، وبرز عليٌّ للوليد ، فقتل حمزة عتبة . وقتل عبيدة شيبه ، وقتل عليٌّ الوليد ، وضرب شيبه رجلٌ عبيدة فقطعها ، فاستنقذه حمزة وعليٌّ .

وحمل عبيدة حمزة وعليٌّ حتى أتيا به رسول الله صلى الله عليه وآله فاستعبر ، فقال : يا رسول الله ، ألسْتُ شهيداً ؟

قال : بلى ، أنت أول شهيد من أهل بيتي .

وهو : عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف ، أمه ثقفية ، وكان أسنُّ من النبي صلى الله عليه وآله بعشر سنين ، وكان كبير المنزلة عنده ، مربوعاً ، مليحاً ، توفي بعد يومين ، عند رجوع النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة ، بالصفراء^(١) .

وقال أبو جهل لقريش : لا تعجلوا ولا تبطروا كما بطر ابنا ربيعة ، عليكم بأهل يثرب فاجزروهم جزراً ، وعليكم بقريش فخذوهم أخذاً ، حتى ندخلهم مكة فنعرفهم ضلالتهم التي هم عليها .

وجاء إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم فقال لهم : أنا جار لكم ، ادفعوا إليّ رايتكم . فدفعوا إليهم راية الميسرة ، وكانت الراية مع بني عبد الدار ، فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لأصحابه : « غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ ، وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِدِ » .

ورفع يده فقال : « يَا رَبِّ ، إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعَصَابَةُ لَا تَعْبُدُ » ثم أصابه الغشي ، فسري عنه ، وهو سلت العرق عن وجهه فقال : هذا

(١) وإد ناحية المدينة ، كثير النخل والزرع ، بينه وبين بدر مرحلة .

جبرئيل قد أتاكم في ألف من الملائكة مردفين .

نزول الملائكة

قال تعالى : ﴿ ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون ﴾ * إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين * بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين * وما جعله الله إلا بُشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم * ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ﴾ سورة آل عمران ٣ : ١٢٣ - ١٢٧ .

وقال عز وجل : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين ﴾ * وما جعله الله إلا بُشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم * ... إذ يوجهي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق وأضربوا منهم كل بنان * ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب * ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار ﴾ سورة الأنفال ٨ : ٩ و ١٠ ، و ١٢ - ١٤ .

وقال سبحانه : ﴿ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ﴾ * ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ سورة الأنفال ٨ : ٥٠ و ٥١ .

* روى عكرمة ، عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله قال يوم بدر : هذا جبرئيل أخذ برأس فرسه ، عليه أداة الحرب .

أورده البخاري في الصحيح .

* وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف ، عن أبيه ، قال : لقد رأيتنا

يوم بدرٍ وإنَّ أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه من جسده قبل أن يصل إليه السيف .

* وروى ابن إسحاق ، عن أبيه ، عن رجالٍ ، عن أبي داود المازني ، قال : إني لأتبع رجلاً من المشركين يوم بدرٍ لأضربه بالسيف ، إذ وقع رأسه قبل أن يصل إليه سيفي ، فعرفتُ أنه قتله غيري .

* قال ابن عباس : حدّثني رجلٌ من بني غفار قال : أقبلتُ أنا وابن عمّ لي حتّى صعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ، ونحن مشركان ، ننتظر الوقعة على مَنْ تكون ، فنتنهب ، فبينما نحن هناك إذ دنت منّا سحابة ، فسمعنا فيها حممة الخيل ، فسمعنا قائلاً يقول : أَقْدِمُ حَيْزُومٌ ^(١) .

قال : فأما ابن عمّي فانكشف قناع قلبه فهات مكانه ، وأما أنا فكدت أهلك ، ثمّ تماسكت .

* وروى عن أبي أسيد مالك بن ربيعة ، قال : لو كان معي بصري ، وكنت ببدر لأريتكم الشُعْبَ الذي خرجت منه الملائكة .

* وروى ابن عباس ، قال : بينما رجلٌ من المسلمين يومئذٍ يشتدّ في أثر رجلٍ من المشركين أمامه ، إذ سمع ضربةً بالسوط فوقه وصوتَ الفارس يقول : أَقْدِمُ حَيْزُومٌ ، إذ نظر إلى المشرك أمامه فخرّ مستلقياً ، فنظر إليه فإذا هو قد خُطِمَ أنفه وشُقَّ وجهه كضربة السوط ، فاخضرّ ذلك أجمع ، فجاء الأنصاري فحدّث بذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال : صدقت ، ذاك من مدد السماء الثالثة .

* وروى محمد بن جُبَيْر بن مُطْعِم أنه سمع علياً عليه السلام يقول : بينما أنا أمتح من قليب بدرٍ إذ جاءت ريح شديدة لم أر مثلها ثمّ ذهبت ،

(١) حَيْزُوم : اسم فرس جبرئيل عليه السلام ، وقيل : اسم فرسٍ من خيل الملائكة . .

ثُمَّ جاءت رِيحٌ شديدةٌ كالتِي قبلها ، فكانت الريح الأولى جبرئيل نزل في ألفٍ من الملائكة ، وكانت الثانية ميكائيل نزل في ألفٍ من الملائكة ، وجاءت ريح ثالثة كان فيها إسرافيل في ألفٍ من الملائكة .

فلَمَّا هزم الله أعداءه حملي رسول الله صَلَّى الله عليه وآله على فرسه ، فجرت بي ، فوقعت على عقبي ، فدعوتُ الله فامسكتُ ، فلَمَّا استويت عليها طَعَنْتُ بيدي هذه في القوم حتى اختضب هذا . وأشار إلى إبطه .

• وأخرج الشيخ سليمان القندوزي الحنفي في « ينابيع المودة » ص ١٢٢ ط إسلامبول ، عن كتاب « المناقب » بإسناده إلى سماك بن حرب ، عن سعيد بن جُبَيْر ، قال : قلتُ لابن عَبَّاس : أسألك عن اختلاف الناس في عليٍّ ؟

فقال : يا بن جُبَيْر ، تسألني عن رجلٍ كانت له ثلاثة آلاف منقبة في ليلة واحدة ، وهي ليلة القربة في قلب بدر ، سلَّم عليه ثلاثة آلاف من الملائكة من عند ربِّهم ؟ !

وتسألني عن وصي رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وصاحب حوضه ، وصاحب لوائه في المحشر ؛ والذي نفس عبد الله بن عَبَّاس بيده ، لو كانت البحار مداداً ، وأشجارها أقلاماً ، وأهلها كتاباً ، فكتبوا مناقب علي بن أبي طالب وفضائله ما أحصوها .

• وقال ابن عَبَّاس : كانت سيماء الملائكة يوم بدرٍ عمام بيضاً قد أرسلوها على ظهورهم ، ويومَ حُنَيْنٍ عمامٌ مُحمراً ، ولم تقاتل الملائكة في يومٍ سوى يوم بدر ، وكانوا يكونون فيها سواء من الأيام عدداً ومدداً .

• وقال ابن شهر آشوب في « مناقب آل أبي طالب » ج ٢ / ٧٩ ، على ما أخرجه منه في البحار ج ١٩ / ٢٨٥ ح ٢٧ :

روي عن عامر بن سعد أنه لما جاء أبو اليسر الأنصاري بالعبّاس ، قال : والله ما أسرّني إلّا ابن أخي علي بن أبي طالب ! فقال النبي صَلَّى الله عليه وآله : صدق عمّي ، ذلك ملك كريم .

فقال : قد عرفته بجلحته^(١) وحسن وجهه !! فقال النبي صَلَّى الله عليه وآله : إنّ الملائكة الذين آيدني الله بهم على صورة علي بن أبي طالب ، ليكون ذلك أهيب في صدور الأعداء .

* وقال أبو اليسر الأنصاري : رأيتُ العبّاس آنفاً وعقبلاً معها رجلاً على فرسٍ أبلق ، عليه ثياب بيض ، يقود العبّاس وعقبلاً إلى علي ، وقال : يا علي ، هذان عمّك وأخوك فدوّنكهما فأنت أولى بهما ؛ فحكى ذلك لرسول الله فقال : ذلك جبرئيل دفعهما إليك^(٢) .

* وعن الشيخ المفيد ، قال : قال الصادق عليه السلام في حديث بدر : لقد كان يُسأل الجريح من المشركين فيقال له : مَنْ جرحك ؟ فيقول : علي بن أبي طالب . فإذا قالها مات^(٣) .

* وروى العياشي في تفسيره ج ١ / ١٩٧ عن خريس بن عبد الملك ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : إنّ الملائكة الذين نصرّوا محمّداً صَلَّى الله عليه وآله يوم بدر ، في الأرض ما صعدوا ، ولا يصعدون حتّى ينصروا صاحب هذا الأمر - يعني المهدي عجل الله فرجه الشريف - وهم خمسة آلاف .

* وروى المفيد قدّس سرّه بإسناده إلى أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام ، قال : لما سار أبو عبد الله الحسين عليه السلام من

(١) الجلعة : موضع انحسار الشعر عن جانبي الرأس .

(٢) عنه البحار ج ١٩ / ٢٨٥ .

(٣) البحار ج ١٩ / ٢٨٥ وح ٢٧ .

المدينة لقيه أفواج من الملائكة المسومة ، في أيديهم الحراب ، على نجب من نجب الجنة ، فسلموا عليه ، وقالوا : يا حجة الله على خلقه بعد جدّه وأبيه وأخيه ، إنّ الله سبحانه أمدّ جدّك بنا في مواطن كثيرة ، وإنّ الله أمدّك بنا .

فقال لهم : الموعد حفرتي وبقعتي التي أستشهد فيها ، وهي كربلاء ، فإذا وردتها فاتوني .

فقالوا : يا حجة الله ، أوبرنا نسمع ونطيع ، فهل تخشى من عدوّ يلقاك فنكون معك ؟

فقال : لا سبيل لهم عليّ ، ولا يلقوني بكريمة ، أو أصل إلى بقعتي^(١) .

ويأتى أن الملائكة نزلت لنصرة أمير المؤمنين علي عليه السلام يوم الجمل .



وقال الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه في « الإرشاد » ص ٣٨ -

: ٤٣

وأما الجهاد الذي ثبتت به قواعد الإسلام ، واستقرت بشبوتها شرائع الملة والأحكام ، فقد تخصّص منه أمير المؤمنين عليه السلام بما اشتهر ذكره في الأنام ، واستفاض الخبر به بين الخاصّ والعامّ ، ولم يختلف فيه العلماء ، ولا تنازع في صحّته الفهماء ، ولا شكّ فيه إلّا غفيل لم يتأمل الأخبار ، ولا دفعه أحد ممن نظر في الآثار إلّا معاند بهات لا يستحي من العار .

فمن ذلك ما كان منه صلى الله عليه وآله في غزاة بدر المذكورة في

(١) عنه البحار ج ٤٤ / ٣٣٠ .

القرآن ، وهي أول حرب كان بها الامتحان ، وملأت رهبتها صدور
المعدودين من المسلمين في الشجعان ، وراموا التأخر عنها لخوفهم منها
وكرهاتهم لها ، على ما جاء به محكم الذكر في التبيان ، حيث يقول جلّ
اسمه فيما قصّ من نبأهم على الشرح له والبيان : ﴿ كما أخرجك ربك من
بيتك بالحقّ وإنّ فريقاً من المؤمنين لكارهون ﴾ يجادلونك في الحقّ بعد ما
تبينّ كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون ﴿^(١) في الآي المتصلة بذلك إلى
قوله تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس
ويصدّون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ﴾^(٢) إلى آخر السورة . فإنّ
الخبر عن أحوالهم فيها يتلو بعضه بعضاً ، وإن اختلفت ألفاظه اتفقت
معانيه .

وكان من جملة خبر هذه الغزاة أن المشركين حضروا بدرأ مصرين
على القتال ، مستظهريين فيه بكثرة الأموال والعدد والعدة والرجال ،
والمسلمون إذ ذاك نفر قليل عددهم هناك ، وحضرته طوائف منهم بغير
اختيار ، وشهدته على الكراهة منها والاضطرار ، فتحدّتهم قريش بالبراز
ودعتهم إلى المصافة والنزال ، واقترحت في اللقاء منهم الأكفاء ، وتناولت
الأنصار لمبارزتهم ، فمنعهم النبيّ صلى الله عليه وآله من ذلك ، فقال
لهم : إنّ القوم دعوا الأكفاء منهم .

ثمّ أمر عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام بالبروز إليهم ، ودعا حمزة بن
عبد المطلب وعبيدة بن الحارث رضوان الله عليهما أن يبرزا معه .

فلما اصطقّوا لهم لم يثبتهم القوم^(٣) لأنهم كانوا قد تغفّروا^(٤) ،

(١) سورة الأنفال : آية ٥ .

(٢) سورة الأنفال : آية ٤٧ .

(٣) أي لم يعرفوهم .

(٤) أي ملثمين مدرعين .

فسألوهم : مَنْ أَنْتُمْ ؟ فانتسبوا لهم ، فقالوا : أكفاء كرام . ونشبت الحرب بينهم .

وبارز الوليد أمير المؤمنين عليه السلام فلم يلبثه حتّى قتله ، وبارز عتبة حمزة رضي الله عنه فقتله حمزة ، وبارز شيبة عبيدة رضي الله عنه فاختلفت بينهما ضربتان ، قطعت إحداهما فخذ عبيدة ، فاستنقذه أمير المؤمنين عليه السلام بضربة بدر^(١) بها شيبة فقتله ، وشركه في ذلك حمزة رضي الله عنه .

فكان قتل هؤلاء الثلاثة أوّل وهن لحق المشركين ، وذللّ دخل عليهم ، ورهبة اعتراهم بها الرعب من المسلمين ، وظهر بذلك أمارات نصر المسلمين .

ثمّ بارز أمير المؤمنين عليه السلام العاص بن سعيد بن العاص بعد أن أحجم عنه مَنْ سواه ، فلم يلبثه أن قتله .

وبرز إليه حنظلة بن أبي سفيان فقتله .

وبرز إليه بعده طعيمة بن عدي فقتله .

وقتل بعده نوفل بن خويلد وكان من شياطين قريش .

ولم يزل يقتل واحداً منهم بعد واحد ، حتّى أتى على شطر المقتولين منهم ، وكانوا سبعين رجلاً ، تولى كافّة من حضر بدرأ من المسلمين مع ثلاثة آلاف من الملائكة المسوّمين قتل الشطر منهم ، وتولى أمير المؤمنين عليه السلام قتل الشطر الآخر وحده بمعونة الله له وتأييده وتوقيفه ونصره ، وكان الفتح له بذلك وعلى يديه .

وختم الأمر بمناولة النبي صلى الله عليه وآله كفّاً من الحصى فرمى بها

(١) أي سبق .

في وجوههم وقال لهم : « شامت الوجوه » فلم يبق أحد منهم إلا ولّى الدبر بذلك منهزماً ، وكفى الله المؤمنين القتال بأمر المؤمنين عليه السلام في نصره الدين من خاصّة آل الرسول عليه وآله السلام ، ومن أيدهم به من الملائكة الكرام ، كما قال الله تعالى : ﴿ وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً ﴾ (١) .

وروى حديث مبارزة علي وحمة وعبيدة مع عتبة وشيبة والوليد بإسناده إلى أبي رافع وفي آخره :

فقال عتبة لابنه الوليد : قم يا وليد . فبرز إليه أمير المؤمنين ، وكاناً إذ ذاك أصغر الجماعة سنّاً ، فاختلفا ضربتين ، أخطأت ضربة الوليد أمير المؤمنين عليه السلام ، وأتقى بيده اليسرى ضربة أمير المؤمنين عليه السلام فأباناها .

فروي أنّه كان يذكر بدرأ وقتله الوليد ، فقال في حديثه : « كأيّ أنظر إلى وميض خاتمه في شماله ، ثمّ ضربته ضربة أخرى فصرعته ، وسلبته ، فرأيت به ردعاً من خلوق ، فعلمت أنّه قريبٌ عهدٍ بعرس » .

ثمّ بارز عتبة حمزة رضي الله عنه ، فقتله حمزة ، ومشى عبيدة - وكان أسنّ القوم - إلى شيبة ، فاختلفا ضربتين ، فأصاب ذباب (٢) سيف شيبة عضلة ساق عبيدة ، فقطعها ، واستنقذه أمير المؤمنين عليه السلام وحمزة منه ، وقتلا شيبة ، وحمل عبيدة من مكانه ، فهات بالصفراء .

وفي قتل عتبة وشيبة والوليد تقول هند بنت عتبة :

أيا عين جودي بدمع سرب (٣) على خير خندف لم ينقلب

(١) سورة الأحزاب : آية ٢٥ .

(٢) أي طرف .

(٣) أي سائل .

تداعى له رهطه غدوةً بنو هاشم وبنو المطلب
يذيقونه حدَّ أسياهم يعرّونه بعدما قد شجِبَ^(١)

وروى الحسن بن حميد قال : حدّثنا أبو غسان ، قال : حدّثنا أبو
إسماعيل عمير بن بكار ، عن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال
أمير المؤمنين عليه السلام :

لقد تعجّبت يوم بدر من جرأة القوم ، وقد قتلْتُ الوليد بن عتبة ،
وقتل حمزة عتبة ، وشركته في قتل شيعة ، إذ أقبل إليّ حنظلة بن أبي
سفيان ، فلما دنا مني ضربته بالضربة بالسيف فسالت عيناه ، ولزم الأرض
قتيلاً .

وروى محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير
أن عليّاً عليه السلام أقبل يوم بدر نحو طعيمة بن عديّ بن نوفل فشجّره^(٢)
بالرمح ، وقال له : والله لا نخاصمنا في الله بعد اليوم أبداً .

وروى عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهريّ قال : لما عرف
رسول الله صلى الله عليه وآله حضور نوفل بن خويلد بداراً قال : « اللهم
اكفني نوفلاً » فلما انكشفت قریش رآه عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقد
تحير لا يدري ما يصنع ، فصمد له^(٣) ، ثمّ ضرب به بالسيف ، فنشب في
حجفته^(٤) ، وانتزعه منها ثمّ ضرب به ساقه ، وكانت درعه مشمّرة
فقطعها ، ثمّ أحجز عليه فقتله .

فلما عاد إلى النبيّ صلى الله عليه وآله سمعه يقول : من له علمٌ

(١) أي هلك .

(٢) أي طعنه .

(٣) أي اتجه إليه وقصده .

(٤) الحفظة : الترس .

بنوفل ؟ فقال : أنا قتلته يا رسول الله ، فكَبَّرَ النبي صَلَّى الله عليه وآله وقال : الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه .

قال الواقدي في « المغازي » ج ١/٩١ : وحَدَّثني معمر ، عن الزهري ، قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يوم بدر : « اللَّهُمَّ اكْفِنِي نوفل بن العدويَّة » وهو نوفل بن خويلد من بني أسد .

وأقبل نوفل يومئذ يصيح وهو مرعوب قد رأى قتل أصحابه ، وكان في أوَّل ما التقوا هم والمسلمون يصيح بصوت له زَجَلٌ^(١) رافعاً صوته : يا معشر قريش ، إنَّ هذا اليوم يوم العلاء والرُّفعة .

فلَمَّا رأى قريشاً قد انكشفت ، جعل يصيح بالأنصار : ما حاجتكم إلى دماننا ؟ أما ترون مَنْ تقتلون ؟ أما لكم في اللَّبن من حاجة^(٢) ؟

فأسره جَبَّار بن صخر فهو يسوقه أمامه ، فجعل نوفل يقول لجَبَّار ، وراى عليّاً عليه السلام مقبلاً نحوه : يا أخا الأنصار مَنْ هذا ؟ واللَّات والعزى إِنِّي لأرى رجلاً إِنَّه ليريدني .

قال جَبَّار : هذا عليّ بن أبي طالب .

قال نوفل : تالله ما رأيت كالיום رجلاً أسرع في قومه منه .

فصمد له عليّ عليه السلام فضربه ، فنشب سيفه في حِفْفته ساعة ، ثُمَّ نزعه فضرب به ساقه ، ودرعه مُشْمَرَةٌ فقطعهما ، ثُمَّ أجهز عليه فقتله .

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : مَنْ له علم بنوفل بن خويلد ؟

(١) أي أجلب ورفع صوته .

(٢) يعني : مَنْ أسرني افتديتُ منه بإبل كثيرة اللبن . انظر تاريخ الاسلام للذهبي ، قسم المغازي ، ص ٦٠ ط دار الكتاب العربي - بيروت .

قال عليّ عليه السلام : أنا قتلتُه .

فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقال : « الحمد لله الذي أجاب دعوتي فيه » .

قال الواقديّ : وأقبل العاص بن سعيد بن العاص بحثاً للقتال ، فالتقى هو وعليّ ، فقتله عليّ عليه السلام .

قال الواقديّ : وكان عليّ عليه السلام يحدث فيقول : إنّي يومئذ بعدما ارتفع النهار ، ونحن والمشركون قد اختلطت صفوفنا وصفوفهم ، خرجتُ في أثر رجل منهم ، فإذا رجل من المشركين على كتيب رمل ، وسعد بن خَيْثَمَة وهما يقتتلان ، حتّى قتل المشرك سعداً ، والمشرك مُقْنَع في الحديد وكان فارساً ، فاقتحم عن فرسه ، فعرفني وهو مُعْلِمٌ ، فناداني : هلم يا بن أبي طالب إلى البراز . فعطفْتُ عليه فانحطَّ إليّ مقبلاً ، وكنتُ رجلاً قصيراً ، فانحططت راجعاً لكي ينزل إليّ ، كرهت أن يعلوني ، فقال : يا بن أبي طالب ، فررت ؟ فقلت : قريباً مفرُّ ابن الشراء . فلمّا استقرتُ قدمائي وثبتُ أقبُل ، فلمّا دنا مِنّي ضربني ، فأتقيتُ بالدرقة ، فوقع سيفه فلحج^(١) ، فضربته على عاتقه وهو دارع ، فارتعش ولقد قطع^(٢) سيفي درعه ، فظننتُ أنّ سيفي سيقتله ، فإذا بريق سيف من ورائي فطأطأت رأسي ، ووقع السيف ، فأطنّ قُخف رأسه بالبيضة ، وهو يقول : : خذها وأنا ابن عبد المطلب . فالتفتُ فإذا هو حمزة عمي .

والمقتول طعيمة بن عديّ .

قال الواقدي في المغازي ج ١/ ٨٦ : ولما رأت بنو مخزوم مقتل من

(١) أي نشب سيفه بالدرقة فلم يخرج .

(٢) أي قطع .

قَتَلَ قَالُوا : أَبُو الْحَكَمِ لَا يُخْلَصُ^(١) إِلَيْهِ . فَاجْتَمَعُوا وَأَحْدَقُوا بِهِ ، وَأَجْمَعُوا أَنْ يُلْبِسُوا لَامَةَ أَبِي جَهْلٍ رَجُلًا مِنْهُمْ ، فَأَلْبَسُوهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الْمُنْذِرِ بْنِ أَبِي رِفَاعَةَ فَصَمَدَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَتَلَهُ ، وَمَضَى عَنْهُ وَهُوَ يَقُولُ : خُذْهَا أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ .

ثُمَّ أَلْبَسُوهَا أَبَا قَيْسَ بْنِ الْفَاكَةِ ، فَصَمَدَ لَهُ حِمْزَةٌ وَهُوَ يَرَاهُ يَتَصَوَّرُهُ أَبَا جَهْلٍ ، فَضَرَبَهُ فَقَتَلَهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ .

ثُمَّ أَلْبَسُوهَا حَرْمَلَةَ بْنَ عَمْرٍو فَصَمَدَ لَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَتَلَهُ .

ثُمَّ أَرَادُوا أَنْ يَلْبِسُوهَا خَالِدَ بْنَ الْأَعْلَمِ ، فَأَبَى .

قَالَ مَعَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجَمُوحِ : فَنَظَرْتُ يَوْمَئِذٍ إِلَى أَبِي جَهْلٍ فِي مِثْلِ الْحَرَجَةِ^(٢) وَهُمْ يَقُولُونَ : ؛ أَبُو الْحَكَمِ لَا يُخْلَصُ إِلَيْهِ . فَعَرَفْتُ أَنَّهُ هُوَ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَأَمُوتَنَّ دُونَهُ الْيَوْمَ ، أَوْ لَأَخْلَصَنَّ إِلَيْهِ ؛ فَصَمَدْتُ لَهُ حَتَّى إِذَا أَمَكَّتَنِي مِنْهُ غَرَّةٌ حَمَلْتُ عَلَيْهِ ، فَضَرَبْتُهُ ضَرْبَةً طَرَحَتْ رِجْلَهُ مِنَ السَّاقِ ، فَشَبَّهْتُهَا النَّوَاةَ تَتَرَوْنَ تَحْتَ الْمَرَاضِخِ^(٣) ، فَأَقْبَلَ ابْنَهُ عَكْرَمَةَ عَلِيٌّ فَضَرَبَنِي عَلَى عَاتِقِي ، فَطَرَحَ يَدِي مِنَ الْعَاتِقِ ، إِلَّا أَنَّهُ بَقِيَْتَ جِلْدَةً ، فَذَهَبَتْ أَسْحَبَ يَدِي بِتِلْكَ الْجِلْدَةِ خَلْفِي ، فَلَمَّا أَذْنَنِي وَضَعْتَ عَلَيْهَا رِجْلِي ثُمَّ تَمَطَّيْتُ عَلَيْهَا فَقَطَعْتُهَا ، ثُمَّ لَأَقَيْتُ عَكْرَمَةَ وَهُوَ يَلُودُ كُلَّ مَلَاذٍ ، فَلَوْ كَانَتْ يَدِي مَعِيَ لَرَجَوْتُ يَوْمَئِذٍ أَنْ أَصِيبَهُ . وَمَاتَ مَعَاذُ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ .

فَرَوِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَفَلَ مَعَاذَ بْنَ عَمْرٍو سَيْفَ أَبِي جَهْلٍ ، وَأَنَّهُ عِنْدَ آلِ مَعَاذِ الْيَوْمِ وَبِهِ قَتْلُ أَبِي جَهْلٍ ابْنِ الْحَارِثِ .

(١) أَيُّ لَا يَصِلُ الْعَدُوُّ إِلَيْهِ .

(٢) الشَّجَرُ الْمَلْتَفُ ، أَوْ شَجَرَةٌ بَيْنَ الْأَشْجَارِ لَا يُوَصِّلُ إِلَيْهَا .

(٣) جَمْعُ الْمَرَضِخَةِ وَهِيَ : الْحَجَرُ الَّذِي يَكْسِرُ بِهِ النَّوَى .

قال : وفرح رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل أبي جهل ، وقال :
« اللَّهُمَّ إِنَّكَ قَدْ أَنْجَزْتَ مَا وَعَدْتَنِي ، فَتَمِّمْ عَلَيَّ نِعْمَتَكَ » .

ومن بَقِيَّةِ خبر هذه الغزوة أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بقتل
المشركين أَنْ يطْرَحُوا فِي قَلْب - يعني : بئر - كَانَ هُنَاكَ ، فَطُرِحُوا فِيهِ إِلَّا
أُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ فَإِنَّهُ انْتَفَخَ فِي دَرْعِهِ فَمَلَأَهَا ، فَذَهَبُوا لِيُخْرِجُوهُ مِنْهَا فَتَرَايَلُ ،
فَافْقَرُوهُ بِهِ ، وَأَلْقَوْا عَلَيْهِ التَّرَابَ فَغَيَّبُوهُ .

فَلَمَّا أُلْقُوا فِي الْقَلْبِ وَقَفَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَالَ : يَا
أَهْلَ الْقَلْبِ ، هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقًّا ، فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي
رَبِّي حَقًّا ؟

فَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَتُنَادِي أَقْوَامًا قَدْ جَافُوا ؟ !
فَقَالَ : مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ ، وَلَكِنْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ
يُجِيبُوا .

وَفِي رِوَايَةٍ : فَنَادَاهُمْ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ : يَا عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَيَا
شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَيَا أُمَيَّةَ بْنَ خَلْفٍ ، وَيَا أَبَا جَهْلَ بْنَ هِشَامٍ ، فَعَدَّدَ بَعْضُ
قَتْلِ الْمُشْرِكِينَ وَمَنْ كَانَ مِنْهُمْ فِي الْقَلْبِ .

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : يَا أَهْلَ الْقَلْبِ ، بَشِ عَشِيرَةَ النَّبِيِّ كَتَمْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ ،
كَذَّبْتُمُونِي وَصَدَقْتَنِي النَّاسَ ، وَأَخْرَجْتُمُونِي وَأَوَانِي النَّاسَ ، وَقَاتَلْتُمُونِي
وَنَصَرْتَنِي النَّاسَ .

قَالَ قَتَادَةُ : أَحْيَاهُمُ اللَّهُ حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقْمَةً
وَحَسْرَةً وَنَدَامَةً .

وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ ، عَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةِ وَعَشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ فَقَذَفُوا فِي طَوْرٍِ مِنْ

أطواء بدر خبيثٍ مُخبث .

والطوي : البئر .

وأقام أهل مكة ينوحون على قتلاهم بمكة شهراً ، وقيل أكثر . ومن
ناح عليهم أبو بكر وعمر على ما رواه البزار في مسنده ، والفاكهي في كتاب
مكة ، والجصاص في أحكام القرآن ج ١/٣٨٨ ، والحكيم الترمذي في
نوادير الأصول ص ٦٦ ، والطبري في تفسيره ج ٢/٢٠٢ أو ص ٢١١ ،
وابن حجر في فتح الباري ج ١٠/٣٠ ، والعيني في عمدة القاري
ج ٢٠/٨٤ ، والزغشري في ربيع الأبرار ج ٤/٥١ ، والأبشيهي في
المستطرف ج ٢/٢٦٠ وفي طبعة أخرى ص ٢٩١ ، وقد جمعت حديث
بعضهم إلى بعض وأورد لك زبدته :

شرب أبو بكر الخمر ، فجعل ينوح على قتل بدر ويقول :

تحبي بالسلامة أم بكر	وهل لك بعد رهطك من سلام ؟
ذريني أصطبح بكرة فلاني	رأيت الموت نقب عن هشام
وود بنو المغيرة لو فدوه	بألف من رجال أو سوام
كأئن بالطوي طوي بدر	من الشيزى المكلل بالسنام
كأئن بالطوي طوي بدر	من الفتيان والحلل الكرام
يحدثنا الرسول بأن سنحيا	وكيف حياة أصداء وهام

قال ابن حجر مؤيداً صحة هذه الرواية ، في الإصابة ج ٤/٢٢ :
واعتمد نفظويه على هذه الرواية فقال : شرب أبو بكر الخمر ورثي قتل
بدر من المشركين .

وفي رواية الزغشري والأبشيهي أن عمر أيضاً قد شربها فأخذ بلحي
بعير- أي العظم الذي فيه الأسنان - وشج به رأس عبد الرحمن بن عوف ،
ثم قعد ينوح على قتل بدر بشعر الأسود بن يعفر ، ويقول :

وكأئن بالقلب قلب بدر من الفتيان والعرب الكرام
وكأئن بالقلب قلب بدر من الشيزى المكمل بالسنام
أيوعدي ابن كبشة^(١) أن سحيا وكيف حياة أصداء وهام ؟
أيعجز أن يرد الموت عني وينشري إذا بُليت عظامي ؟
ألا من مبلغ الرحمن عني بأنّي تارك شهر الصيام ؟
فقل لله بمنعني شرابي وقل لله بمنعني طعامي
فبلغ ذلك رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فخرج مغضباً يجرُ
رداءه ، ورفع شيئاً كان في يده فضربه به .

وقيل أنّ هذا الشعر للأسود بن عبد يغوث ، وكان من المستهزئين
برسول الله صلّى الله عليه وآله وبالإسلام ، وسيأتي أنّ أمير المؤمنين
عليه السلام قد قتل أولاده الثلاثة : زمعة والحارث وعقيل ، وكان يجب أن
ينوح ويبكي عليهم كثيراً ، وله أشعار أخرى ، غير هذه التي تمثل بها أبو
بكر وعمر .

لمزيد من التفاصيل والمصادر راجع الغدير ج ٦ / ٢٥١ - ٢٦١
وج ٧ / ٩٥ - ١٠٢ .

تسمية قتلى علي عليه السلام يوم بدر

قال المؤرخ محمد بن إسحاق : أكثر قتلى المشركين يوم بدر كان
لعلي^(٢) .

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي في « شرح نهج البلاغة » ج ١ / ٢٤ :
« وأمّا الجهاد في سبيل الله فمعلوم عند صديقه وعدوه أنّه عليه السلام سيّد

(١) أي الرسول صلّى الله عليه وآله ، وكانت قريش تكنيه أبو كبشة .

(٢) أنظر البحار ج ١٩ / ٢٩١ .

المجاهدين ، وهل الجهاد لأحدٍ من الناس إلا له !

وقد عرفت أن أعظم غزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وآله وأشدها نكابة في المشركين بدر الكبرى ، قُتِلَ فيها سبعون من المشركين ، قتل عليُّ نصفهم ، وقتل المسلمون والملائكة النصف الآخر ، وإذا رجعت إلى مغازي محمد بن عمر الواقدي وتاريخ الأشراف ليحيى بن جابر البلاذري وغيرهما علمت صحة ذلك ، دغ من قتله في غيرها كأحد والخندق وغيرهما ؛ وهذا الفصل لا معنى للإطناب فيه ، لأنه من المعلومات الضرورية ، كالعلم بوجود مكة ومصر ونحوهما . وواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار وقال الشيخ المفيد قدس سره في « الإرشاد » ص ٣٩ و ٤٠ :

« قد أثبتت رواية العامة والخاصة معاً أسماء الذين تولى أمير المؤمنين عليه السلام قتلهم بيد من المشركين ، على اتفاق فيما نقلوه من ذلك واصطلاح ، فكان ممن سمّوه :

الوليد بن عتبة كما قدّمناه ، وكان شجاعاً جرياً وقاحاً فتاكاً ، تهابه الرجال .

والعاص بن سعيد وكان هولاً عظيماً تهابه الأبطال ، وهو الذي حاد عنه^(١) عمر بن الخطاب .

وطعيمة بن عدي بن نوفل ، وكان من رؤوس أهل الضلال .
ونوفل بن خويلد ، وكان من أشدّ المشركين عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وكانت قريش تقدّمه وتعظمه وتطيعه ، وهو الذي قرن أبا بكر وطلحة قبل الهجرة بمكة ، وأوثقهما بحبلٍ وعذبهما يوماً إلى الليل ،

(١) أي مال عنه وتجنّب وفّر منه ، وسيأتيك حديث هروب عمر من العاص في نهاية هذا الفصل .

حَتَّى سُئِلَ فِي أَمْرِهِمَا ، وَلَمَّا عَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حُضُورَهُ بَدْرًا
سَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَهُ أَمْرَهُ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ اكْفِنِي نَوْفَلَ بْنِ خُوَيْلِدٍ » فَقَتَلَهُ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وزمعة بن الأسود .

وعقيل بن الأسود .

والحارث بن زمعة .

والنضر بن الحارث بن عبد الدار .

وعمير بن عثمان بن كعب بن تيم عمّ طلحة بن عبيد الله .

وعثمان ومالك ابنا عبيد الله أخوا طلحة بن عبيد الله .

ومسعود بن أبي أمية بن المغيرة .

وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة .

وحذيفة بن أبي حذيفة بن المغيرة .

وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة .

وحنظلة بن أبي سفيان .

وعمرو بن مخزوم .

وأبو منذر بن أبي رفاعه .

ومنبّه بن الحجاج السهمي .

والعاص بن منبه .

وعلقمة بن كلدة .

وأبو العاص بن قيس بن عدي .

ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاص .

ولوذان بن ربيعة .

وعبد الله بن المنذر بن أبي رفاعه .

ومسعود بن أمية بن المغيرة .

وحاجب^(١) بن السائب بن عويمر .

وأوس بن المغيرة^(٢) بن لوزان .

وزيد بن مليص .

وعاصم بن أبي عوف .

وسعيد^(٣) بن وهب حليف بني عامر .

ومعاوية بن عامر بن عبد القيس .

وعبد الله بن جميل بن زهير بن الحارث بن أسد .

والسائب بن مالك .

وأبو الحكم بن الأخنس .

وهشام بن أبي أمية بن المغيرة .

فذلك ستة وثلاثون رجلاً سوى من اختلف فيه ، أو شرك أمير

المؤمنين عليه السلام فيه غيره ، وهم أكثر من شطر المقتولين بيد ر علي ما
قدّمناه .

وعُدّ المحدث ابن الصبّاغ المالكي واحد وعشرين قتيلاً منهم ، في

« الفصول المهمة » ص ٣٥ ط الغري .

وقال العلامة الشبلنجي في « نور الأبصار » ص ٧٤ ط مصر : « إنّ

أهل الغزوات أجمعت على أنّ جملة من قُتِلَ من المشركين يوم بدر سبعون

رجلاً ، قُتِلَ عليّ منهم أحدًا وعشرين ، تسعة باتفاق الناقلين ، وأربعة

شاركه فيهم غيره ، وثمانية مختلفاً فيهم » .

أما الذين استشهدوا في هذه المعركة من المسلمين فهم أربعة عشر .

١ - عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، كان شيخاً مسناً ، برز مع

(١) ويقال : حاجز .

(٢) أو : معير .

(٣) أو : معبد .

عمه حمزة بن عبد المطلب ، وعلي بن أبي طالب ، لما طلب شيوخ قريش
المبارزة مع أكفائهم فكانت حصاة عبيدة/ عتبة ، فاختلفا ضربة بضربة ،
فقتل عبيدة عتبة وأصاب ضربة عتبة رجل عبيدة فقطعها ، وبقي جريحاً
ينزف مدة يومين حتى استشهد بطريق العودة إلى المدينة ، في منطقة تسمى
« الصفراء » .

٢ - عمير بن أبي وقاص ، أخو سعد بن أبي وقاص .

٣ - صفوان بن وهاب/ وقيل صفوان بن بيضاء ، في تاريخ الاسلام
للذهبي .

٤ - سعد بن خيشمة الأوسي ، هو الذي هجم على رأس الشرك (أبو
جهل) .

٥ - مبشر بن عبد منذر / أخو أبو لبابة ، صاحب القصة المعروفة مع
يهود خيبر .

٦ - الحارث بن سراقه ، وقيل حارثة بن سراقه .

٧ - دشمله/وقيل/ عمير بن عبد عمرو الخزاعي .

٨ - مهجع بن صالح ، وقيل ، مهجع ذو الشمالين .

٩ - عاقل بن البكير .

١٠ - رافع بن المعل الرزقي .

١١ - عمير بن الحُمام .

١٢ - يزيد بن الحارث .

١٣ - ١٤ عوذ ، ومعوذ أبناء عفراء .

هؤلاء الشهداء وهم أربعة عشر ، متفق عليه جميع المصادر في السير
وكتب التاريخ ، وقد استخلصت هذا من مصدرين .

الأول : سمعته مباشرة من الخدم الموكلين على قبور الشهداء وأنا واقف على حفرتهم في موقع بدر وسجلته .

المصدر الثاني : أخذته من كتاب تاريخ الاسلام للذهبي ، قسم المغازي ص ٦٥ طبع الأعلمي بيروت .

عليّ صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر

وهو أمر متفق عليه بين مؤرخي الخاصة والعامة ، وقد ذكروا في ذلك عدة أحاديث ، أذكر هنا بعضاً منها .

* عن ابن عباس ، قال : كان المهاجرون يوم بدر سبعة وسبعين رجلاً ، وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً ، وكان صاحب راية رسول الله صلى الله عليه وآله : علي بن أبي طالب .

* عن ابن عباس ، قال : دفع رسول الله الراية يوم بدر إلى عليّ وهو ابن عشرين سنة .

* عن ابن عباس ، قال : كانت راية رسول الله صلى الله عليه وآله في المواطن كلها مع علي بن أبي طالب .

* عن ابن عباس ، قال : كان عليّ أخذ راية النبي صلى الله عليه وآله يوم بدر . قال الحكم بن عتيبة : يوم بدر والمشاهد كلها .

* عن قتادة ، قال : إن علي بن أبي طالب كان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر وفي كل مشهد .

ومصادر هذه الأحاديث كثيرة ، وجلّها من المصادر المعتمدة ، أذكر هنا جملة منها ، مع أسماء مؤلفيها :

ابن سعد في « الطبقات الكبرى » ج ٣ / ٢٣ ط حيدر آباد .

الطبري في « تاريخ الأمم والملوك » ج ٢ / ١٣٨ ط مصر .

الحاكم النيسابوري في « المستدرك » ج ٣/ ١١١ ط حيدر آباد ،
وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين .

الخوارزمي في « المناقب » ص ١٠٠ ط تبريز .

البيهقي في « السنن الكبرى » ج ٦/ ٢٠٧ ط حيدر آباد .

ابن عبد البر في « الاستيعاب » ج ٢/ ٤٥٩ ط حيدر آباد ، قال :
وذكره السراج في تاريخه .

ابن هشام في « السيرة النبوية » ج ١/ ٦١٢ ط الحلبي - مصر ، عن
ابن إسحاق .

نور الدين الهيثمي في « مجمع الزوائد » ج ٩/ ١٢٥ ط القاهرة .

ابن حيان الأصفهاني في « أخلاق النبي » ص ١٤٥ .

نبذة من الأشعار في يوم بدر

روى الحافظ ابن المغازلي في « المناقب » ص ٣١ ح ٤٨ ط دار
الأضواء - بيروت ؛ بإسناده إلى مصعب بن سعد ، عن أبيه سعد بن أبي
وقاص قال : قال لي معاوية : أتحبُّ علياً ؟ قال : فقلتُ : وكيف لا أحبُّه
وقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أنت منِّي بمنزلة هارون
من موسى إلا أنه لا نبي بعدي .

ولقد رأيته بارزاً يوم بدر وهو يحمم كما يحمم الفرس ، ويقول :
بازل عامين^(١) حديث سفي سننح^(٢) الليل كأنني جني

(١) البازل من الإبل الذي تمُّ له ثمان سنين ودخل في التاسعة ، وحينئذ يطلع نابه وتكمل
قوته ، ثم يقال له : بازل عام ، وبازل عامين ، وأراد عليه السلام : أنا مستجمع
الشباب ، مستكمل القوة .

(٢) رجل سننح : لا ينام الليل .

لمثل هذا ولدني أُمِّي

فما رجع حتَّى خضب سيفه دماً .

وروى هذه الأبيات أيضاً وحديث ابن أبي وقاص : أخطب خوارزم في « المناقب » ص ٩٥ ط تبريز الزغشري في « الفائق » ج ١/ ٨٨ .
القندوزي في « ينابيع المودة » ص ٥٠ ط إسلامبول .

وقال المرزباني في كتاب « أشعار الملوك والخلفاء » : إنَّ عليّاً أشجع العرب ، حمل يوم بدر وزعزع الكتبية ، وهو يقول :

لن يأكلوا التمر بظهر مَكَّة من بعدها حتَّى تكون الرَكَّة
أخرجه في البحار ج ١٩/ ٢٩١ عن مناقب ابن شهر آشوب ، عنه .

وقال الصحابي الشهيد يوم مُؤتة عبد الله بن رَوَاحَة البدري :

ليهن عليّاً يوم بدر حضوره ومشهده بالخير ضرباً مرعباً^(١)
وكائن له من مشهد غير خامل يظلّ له رأس الكميّ مجذلاً^(٢)
وغادر كبش القوم في القاع ثاوياً تحال عليه الزعفران المعللاً^(٣)
صريعاً ينوء القشعمان^(٤) برأسه وتدنو إليه الضبع طوراً لتأكلا

وقال أسيد بن أبي أياس واصفاً ما صنعه أمير المؤمنين علي عليه السلام ببدر ، محرضاً مشركي قريش عليه :

في كلّ جمع غاية أخزاكم جذع أبرّ على المذاكي القرح^(٥)

(١) يقال : رعب اللحم أي قطعه .

(٢) الكميّ : الشجاع . والمجذّل : الصريع .

(٣) أي ترك شجاعهم ورئيسهم في القاع مقبياً ، والمعلل : أي طلي به مرّة بعد أخرى .

(٤) القشعمان : النسر .

(٥) الغاية : الراية . الجذع : الأسد . أبرّ : أصدق وأوفى . وأبرّ على القوم : غلبهم . والمذاكي : الخيل .

لله دَرَكَم المَا تَنَكروا
هذا ابن فاطمة الذي أفتاكم
أعطوه خرجاً واتقوا تضريبه
أين الكهول وأين كل دُعامة
أفتاهم قعصاً وضرباً يفترى
أفتاهم ضرباً بكل مهند

قد ينكر الحر الكريم ويستحي
ذبحاً وقتلة قعصة^(١) لم يذبح
فعل الذليل وبيعة لم تربح
في العضلات وأين زين الأبطح
بالسيف يعمل حذّه لم يصفح
صلت وحد غراره لم يصفح

وكان حسان بن ثابت قد قال في قتل عمرو بن عبدود :

ولقد رأيت غداة بدر عصبه
أصبحت لا تدعى ليوم كريمة
فأجابه بعض بني عامر :

ضربوك ضرباً غير ضرب المحضر^(٢)
يا عمرو أو لجسيم أمر منكسر

كذبتهم وبيت الله لم تقتلوننا
بسيف ابن عبد الله أحمد في الوعى
لم تقتلوا عمرو بن ود ولا ابنه
علي الذي في الفخر طال ثناؤه
ببدر خرجتم للبراز فردكم
فلما أتاهم حمزة وعبيدة
قالوا : نعم أكفاء صدق فأقبلوا
فجال عليّ جولة هاشمية

ولكن بسيف الهاشميين فافخروا
بكف علي نلتم ذاك فاقصروا
ولكنه الكفو المهزبر الغضنفر
فلا تكثرُوا الدعوى عليه فتفجروا
شيوخ قريش جهرة وتأخروا
وجاء عليّ بالمهند يخطر
إلهم سراعاً إذ بغوا وتجبّروا
فدمرهم لما عتوا وتكبّروا

وقالت هند تذكر قتل علي أباه وأخاه :

أبي وعمي وشقيق بكري أخي الذي كان كضوء البدر

(١) القعص : الموت السريع .

(٢) أي من أحضر للقتال ، والمراد أنك لم تحضر للقتال رغياً عنك لذا فأنت راغب وقادر على القتال ومتحمس له .

بهم كسرت يا علي ظهري

أخرجه ابن شهر آشوب في « المناقب » عن كتاب « المنع في الإمامة » ، عنه البحار ج ١٩ / ٢٩٢ .

وقال الشاعر القدير الشيخ محمد الكاظم الأزري في قصيدته المشهورة المسماة (الأزرية) :

أَسْدُ اللَّهِ مَا رَأَتْ مَقْلَتَاهُ	نَارَ حَرْبٍ تَشِبُّ إِلَّا اصْطَلَاهَا
فَارَسُ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ حَرْبٍ	قُطِبُ نَجْرَابِهَا إِمَامٌ وَغَاها
لَمْ يَخْضُ فِي الْمِجَاجِ إِلَّا وَأَبْدَى	عِزْمَةً يَتَّقِي الرَّدَى إِيَّاهَا
ذَاكَ رَأْسُ الْمُوَحِّدِينَ وَحَامِي	بِیْضَةِ الدِّينِ مِنْ أَكْفٍ عِداها
جَمَعَ اللَّهُ فِيهِ جَامِعَةَ الرُّسُلِ	وَأَتَاهُ فَوْقَ مَا آتَاهَا
وَإِذَا مَا أَنْتَمَتْ قَبَائِلُ حَيٍّ	الْمَوْتِ كَانَتْ أَسِيفُهُ آبَاهَا
مَنْ تَرَى مِثْلَهُ إِذَا جَرَتْ الْحَرْبُ	وَدَارَتْ عَلَى الْكُفَاةِ رُحَاهَا
ذَاكَ قِمْقَامُهَا الَّذِي لَا يَرَوِي	غَيْرَ صَمِصَامِهِ أَوَامَ صَداها
وَبِهِ اسْتَفْتَحَ الْهَدَى يَوْمَ (بَدْرٍ)	مِنْ طُغَاةٍ أَبَتْ سِوَى طَفَواها
صَبُّ صَوْبِ الرَّدَى عَلَيْهِمْ هُمَامٌ	لَيْسَ يَخْشَى عُقْبَى الَّتِي سَوَّاهَا
يَوْمَ جَاءَتْ فِي الْقُلُوبِ غَلِيلُ	فَسَقَاهَا حَسَامُهُ مَا سَقَاهَا
كَيْفَ يَخْشَى الَّذِي لَهُ مَلَكُوتُ	الْأَمْنِ وَالنَّصْرِ كُلُّهُ عُقْبَاهَا
وَالِىَ الْحَشْرَ رَنَّةُ السَّيْفِ مِنْهُ	مَلَأَ الْخَائِفِينَ رَجْعُ صَداها



فرار عمر من العاص بن سعيد

قال الشيخ المفيد قدس سره في «الإرشاد» ص ٤١ :
روى أبو بكر الهذلي ، عن الزهري ، عن صالح بن كيسان ، قال :
مرَّ عثمان بن عفَّان بسعيد بن العاص فقال : انطلق بنا إلى أمير المؤمنين
عمر بن الخطَّاب نتحدَّث عنده . فانطلقا .

قال : فأما عثمان فصار إلى مجلسه الذي يشتهيهِ ، وأما أنا فملتُ إلى
ناحية القوم .

فنظر إليَّ عمر وقال : مالي أراك كأنَّ في نفسك عليَّ شيئاً ؟ أنتظنُّ أنَّي
قتلت أباك ؟ والله لوددت أنَّ كنت قاتله ، ولو قتلته لم أعتذر من قتل
كافر ، ولكنِّي مررتُ به في يوم بدر ، فرأيتهُ يبحث للقتال كما يبحث الشور
بقرنه ، وإذا شدَّقه قد أزيدا كالوزغ ، فلمَّا رأيت ذلك هبته ورغت عنه ،
فقال : إلى أين يا بن الخطَّاب ؟ وصمد له عليٌّ فتناوله ، فوالله ما رمتُ
مكاني^(١) حتَّى قتله .

قال : وكان علي عليه السلام حاضراً في المجلس ، فقال : « اللَّهُمَّ
غفراً ، ذهب الشرك بما فيه ، وبما الاسلام ما تقدَّم ، فمالك تهيج النَّاس
عليَّ » ؟ فكفَّ عمر .

فقال سعيد : أما إنَّه ما كان يسرَّني أن يكون قاتل أبي غير ابن عمِّه
علي بن أبي طالب .

إلى هذا الحد أكتفي بما ذكرته من غزوة بدر الكبرى ، ومن يريد
المزيد والتفاصيل فليراجع كتب السير والتواريخ المعتمدة .

(١) أي ما زلت عن مكاني .

ما ظهر من شجاعة علي عليه السلام في غزوة بني النضير

وكانت هذه الغزوة في ربيع الأول على رأس سبعة وعشرين شهرا من مهاجر النبي صلى الله عليه وآله . وقيل : في جمادى الأولى سنة أربع ، وقيل : في ربيع الأول منها ، وعن بعضهم أنها كانت بعد وقعة بدر بستة أشهر ، وعن بعضهم الآخر أنها كانت قبل أحد ، وقال غير واحد : كانت بعد أحد ، وبعد بئر معونة .

وكان لهذه الطائفة من اليهود منازل ونخل بناحية المدينة ، قال الكازروني : كانت منازلهم بناحية (الفرع) وما والاها ، بقرية يقال لها (زهرة) .

ومن المفيد ذكره أنه كان في المدينة ثلاثة أبطن من اليهود هم : بنو النضير ، وعددهم ألف نسمة تقريباً ؛ وبنو قريظة ، وعددهم سبعمائة نسمة تقريباً ؛ وبنو قينقاع .

وكانت النضير أكثر مالاً وأحسن حالاً من قريظة ، وكانوا حلفاء لعبد الله بن أبي ، فكان إذا وقع بين قريظة والنضير قتيل ، وكان القتيل من بني النضير قالوا لبني قريظة : لا نرضى أن يكون قتيل منا بقتيل منكم . فجرى بينهم في ذلك مخاطبات كثيرة حتى كادوا أن يقتتلوا ، حتى رضيت

قريظة ، وكتبوا بينهم كتاباً على أنه أي رجل من اليهود من النضير قتل رجلاً من بني قريظة أن يُجَنَّى وَيُحْمَمَ - والتجنية أن يقعد على جمل ويؤلي وجهه إلى ذنب الجمل ، ويلطخ وجهه بالحماة -^(١) ويدفع نصف الدية .

وأيما رجل من بني قريظة قتل رجلاً من النضير أن يدفع إليه الدية كاملة ويقتل به .

فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة ودخل الأوس والخزرج في الإسلام ضعف أمر اليهود ، فقتل رجل من بني قريظة رجلاً من بني النضير ، فبعث إليهم بنو النضير : ابعثوا إلينا بدية المقتول وبالقاتل حتى نقتله .

فقالت قريظة : ليس هذا حكم التوراة ، وإنما هوشىء غلبتمونا عليه ، فإما الدية ، وإما القتل ، وإلا فهذا محمد بيننا وبينكم ، فهلّموا نتحاكم إليه .

فمشت بنو النضير إلى عبد الله بن أبي وقالوا : سل محمداً أن لا ينقض شرطنا في هذا الحكم الذي بيننا وبين قريظة في القتل .

فقال عبد الله بن أبي : ابعثوا معي رجلاً يسمع كلامي وكلامه ، فإن حكم لكم بما تريدون ، وإلا فلا ترضوا به .

فبعثوا معه رجلاً فجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله ، إن هؤلاء القوم (قريظة والنضير) قد كتبوا بينهم كتاباً وعهداً وثيقاً تراضوا به ، والآن في قدومك يريدون نقضه ، وقد رضوا بحكمك فيهم ، فلا تنقض عليهم كتابهم وشرطهم ، فإن بني النضير لهم القوة والسلاح والكراع ، ونحن نخاف الدوائر^(٢) .

(١) أي الطين الأسود المنتن .

(٢) أي الشر والفساد .

فاغتم رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك ولم يجبه بشيء فنزل عليه جبرئيل بهذه الآيات : ﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا ﴾ يعني اليهود ﴿ سمّاعون للكذب سمّاعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه ﴾ يعني عبد الله بن أبي وبني النضير ﴿ يقولون إن أوتيتهم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه ، فاحذروا ﴾ يعني عبد الله بن أبي حيث قال لبني النضير : إن لم يحكم لكم بما تريدونه فلا تقبلوا ﴿ ومن يرد الله فنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم ﴾ سمّاعون للكذب أكّالون للسحت فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين ﴿ إلى قوله : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ .

قرله : ﴿ نخشى أن تصيننا دائرة ﴾ ^(١) هو قول عبد الله بن أبي لرسول الله صلى الله عليه وآله : لا تنقض حكم بني النضير فإننا نخاف الدوائر .

أما سبب هذه الغزوة وقصتها ، فاعلم أنه كان بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين يهود المدينة عهد ومدة ، ففضوا عهدهم ، وعاقدوا المشركين على حرب النبي ، فخرج النبي صلى الله عليه وآله يوم السبت ، وصلى في مسجد قبا ، ومعه نفر من أصحابه ، قيل : كانوا دون العشرة ، ثم أتى بني النضير ، فكلّمهم أن يعينوه في دية رجلين كان قد أمنهما ، فقتلهما عمرو بن أمية غيلة وهو صلى الله عليه وآله لا يعلم ، فقالوا : نفعل . وكان قد قصد كعب بن الأشرف ، فلما دخل عليه قال : مرحباً

(١) الآيات من سورة المائدة : ٤١ - ٥٢ .

بك يا أبا القاسم وأهلاً . فجلس رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وأصحابه ، فقام كأنه يصنع لهم طعاماً ، وحَدَّث نفسه أن يقتل رسول الله .

وهمُّ بالغدر به ، وقال عمرو بن الجحاش : أنا أظهر على البيت فأطرح عليه صخرة .

فقال سلام بن مشكم : لا تفعلوا ، فوالله لِيُخْبِرُنَّ بما همتم به .

فنزل جبرئيل عليه السلام فأخبره بما همُّ به القوم من الغدر ، فقام صَلَّى الله عليه وآله كأنه يقضي حاجة ، وعرف أنهم لا يقتلون أصحابه وهو حيٌّ ودعا علياً وقال : لا تبرح من مكانك ، فَمَنْ خرج عليك من أصحابي فسألك عني فقل : توجّه إلى المدينة .

فأخذ صَلَّى الله عليه وآله الطريق نحو المدينة ، فاستقبله بعض أصحاب كعب الذين كان أرسل إليهم يستعين بهم على رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ، فأخبر كعباً بذلك ، فقال عبد الله بن صوريا - وكان أعلم اليهود - إِنَّ رَبّه أطلعه على ما أردتموه من الغدر ، ولا يأتيكم ، والله ، أول ما يأتيكم إلّا رسول محمّد ، يأمركم عنه بالجللاء ، فأطيعوني في خصلتين لا خير في الثالثة : أن تسلموا فتأمنوا على دياركم وأموالكم ، وإلّا فإنه يأتيكم مَنْ يقول لكم : أخرجوا من دياركم .

فقالوا : هذه أحبُّ إلينا .

قال : أمّا إِنَّ الأولى خير لكم منها ، ولولا أنّي أفضحكم لأسلمت .

فبعث رسول الله صَلَّى الله عليه وآله محمّد بن مسلمة إليهم ، وأمرهم بالجللاء ، وقال : لا تساكفوني وقد همتم بما همتم به ، وقد أجلتكم عشراً ، فَمَنْ رُؤي بعد ذلك ضرب عنقه .

فمكثوا أياماً يتجهزون ، وتكاروا من أناس إبلاً ، فأرسل إليهم ابن أبي : لا تخرجوا ، فإنّ معي ألفين من قومي وغيرهم ، يدخلون حصونكم فيموتون عن آخرهم ، ويمدّكم قريظة وحلفاؤهم من غطفان . فطمع حيي بن أخطب فيما قال ابن أبي ، فبعث أخاه جدي بن أخطب إلى النبي صلى الله عليه وآله : إنا لا نخرج ، فاصنع ما بدا لك .

فلما بلغ جدي رسالة أخيه حيي كبر رسول الله وكبر من معه وقال : حاربت اليهود . ونادى مناديه بالمسير إلى بني النضير .

فخرج إليهم النبي صلى الله عليه وآله فصلّى العصر بفناء بني النضير ، وعليّ عليه السلام يحمل رايته ، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وآله قاموا على حصونهم معهم النبل والحجارة ، فاعتزلتهم قريظة ، وخضرم ابن أبي وخلفاؤهم من غطفان ، فلم يعينوهم بسلاح ولا رجال .

وقال لأمر المؤمنين عليه السلام : تقدّم إلى بني النضير ، فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام الراية وتقدّم وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وأحاط بحصنهم ، وحاصرهم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ظفر بمقدّم بيوتهم حصنوا ما يليهم وخربوا ما يليه ، وكان الرجل منهم ممن كان له بيت حسن خربته ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بقطع نخلهم فجزعوا من ذلك ، وكانت النخلة من نخيلهم ثمن وصيف ، وأحبّ إليهم من وصيف ، وقيل : قطعوا نخلة وأحرقوا نخلة ، وقيل : كان جميع ما قطعوا وأحرقوا ستّ نخلات .

فقالوا : يا عمّد إن الله يأمرك بالفساد ؟ إن كان لك هذا فخذهُ وإن كان لنا فلا تقطعه .

فلَمَّا كان بعد ذلك قالوا : يا مُحَمَّد نخرج من بلادك ، فاعطنا مالنا .

فقال : لا ، ولكن تخرجون ولكم ما حملت الإبل .

فلم يقبلوا ذلك فبقوا أَيَّاماً ثُمَّ قالوا : نخرج ولنا ما حملت الإبل .

فقال : لا ، ولكن تخرجون ولا يحمل أحد منكم شيئاً ، فمن وجدنا معه شيئاً من ذلك قتلناه .

فخرجوا على ذلك ، ووقع قوم منهم إلى فذك ووادي القرى ، وخرج قوم منهم إلى الشام .

وفي رواية : أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ولَّى إخراجهم مُحَمَّد بن مسلمة ، وحملوا النساء والصبيان ، وتحملوا على سَتَائِةٍ بعير ، وقال لهم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : « أخرجوا ولكم دِماؤُكم وما حملت الإبل إلاَّ الحلقة » وهي السلاح ، فقبض رسول الله صَلَّى الله عليه وآله الأموال والحلقة ، فوجد من الحلقة خمسين درعاً ، وخمسين بيضة ، وثلاثمائة وأربعين سيفاً .

وكانت غنائم بني النضير صَفِيّاً لرسول الله صَلَّى الله عليه وآله خالصة ، لم يَخْمَسْها ، ولم يسهم منها لأحد ، وقيل : أعطى أناساً منها ، منهم سِمَاك^(١) بن خرشة وسهل بن حُنيف .

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله أيام الحصار قد ضرب قَبَّة في أقصى بني حطمة من البطحاء ، فلَمَّا أقبل الليل رماه رجلٌ من بني النضير بسهم ، فأصاب القَبَّة فأمر النبي صَلَّى الله عليه وآله أن تحوَّل قَبَّتِه إلى

(١) هو أبو دجانة الأنصاري رحمه الله الذي ثبت مع أمير المؤمنين وسهل بن حُنيف في معركة أحد ، وأبلى بلاءً حسناً حتَّى استشهد في تلك المعركة بين يدي رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ، تجدد التفاصيل في معركة أحد .

انسَفَح ، وأحاط بها المهاجرون والأنصار ، فلمَّا اختلط الظلام فقدوا أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال الناس : يا رسول الله لا نرى عليًّا ! فقال عليه وآله السلام : أراه في بعض ما يصلح شأنكم . فلم يلبث أن جاء برأس اليهوديِّ الَّذي رمى النبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وآله ، وكان يقال له : (عزورا) وقيل : (غرورا) وقيل : (عزوك) فطرحه بين يدي النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وآله ، فقال له النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وآله : كيف صنعت ؟ فقال : إنِّي رأيت هذا الخبيث جريًّا شجاعاً ، فكمنت له وقلت : ما أجراه أن يخرج إذا اختلط اللَّيل يطلب منَّا غرّة ، فأقبل مصلاً بسيفه في تسعة نفر من اليهود ، فشددت عليه وقتلته ، فأفلت أصحابه ولم يبرحوا قريباً ، فابعث معي نفراً ، فإني أرجو أن أظفر بهم فبعث رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله معه عشرة فيهم أبو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف فأدركوهم قبل أن يلجوا الحصن ، فقتلوهم وجاؤوا برؤوسهم إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وآله فأمر أن تطرح في بعض آبار بني حطمة ، وكان ذلك سبب فتح حصون بني النضير .

وفي تلك الليلة قتل كعب بن الأشرف ، واصطفى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله أموال بني النضير ، وكانت أوَّل صافية قَسَمها رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله بين المهاجرين الأوَّلِينَ ، وأمر عليًّا عليه السلام فحاز ما لرسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله منها فجعله صدقة ، وكان في يده مدّة حياته ثمَّ في يد أمير المؤمنين عليه السلام بعده ، وهو في ولد فاطمة عليها السلام حتَّى اليوم . كما نصُّ على ذلك الشيخ المفيد قدس سرّه والذهبي وغيرهما .

ومَّا أنزل الله عزَّوجلَّ في هذه الغزوة قوله : ﴿ هو الَّذي أخرج الَّذِينَ كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأوَّل الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظننوا أَنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم من حيث لم يحتسبوا ﴾ إلى

قوله : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ .

وأنزل عليه فيها عابوه من قطع النخل : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ .

وأنزل عليه في عبد الله بن أبي وأصحابه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ ﴾ .

ثم قال : ﴿ كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ يعني بني قينقاع ﴿ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

ثم ضرب في عبد الله بن أبي وبني النضير مثلاً فقال : ﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾^(١)

إلى هنا نكتفي ومن يريد التفاصيل فليراجع كتب السيرة والتاريخ .

(١) الآيات من سورة الحشر : ٢ - ١٧ .

ما ظهر من شجاعة علي عليه السلام في غزوة أحد

أُحِدُ جَبَلٌ يبعد عن المدينة ثلاثة أميال ، وهو أقرب الجبال إليها وروى فيه أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال : « أُحِدُ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ ، وهو على باب من أبواب الجنة »^(١) .

وروى شيخنا الصدوق في « الخصال » ص ٣٤٤ ح ١٠ عن ابن عباس أن جَبَلُ أُحُدٍ من الجبال السبعة التي تطايرت يوم طلب موسى عليه السلام الرؤية .

وقال ابن جبير في رحلته ص ١٧٣ متحدّثاً عن قبر حمزة ومسجده في أُحُدٍ : « والقبر برحبة جوفي المسجد ، والشهداء رضي الله عنهم بإزائه ، والغار الذي آوى إليه النبي بإزاء الشهداء أسفل الجبل ، وحول الشهداء تربة حمراء ، هي التربة التي تُنسب إلى حمزة ويتبرك الناس بها » . وقال ابن بطوطة في رحلته ص ١٢٦ مثله ، وزاد : « وفي طريق أحد مسجد يُنسب لعلي بن أبي طالب عليه السلام » .

(١) روى أبو زيد ابن شبة في « تاريخ المدينة » ج ١/ ٧٩ - ٨٦ عدّة روايات في فضل جبل أُحُد ، وما في المتن واحدة منها .

قال الشيخ المفيد أعلى الله درجته في كتابه « مسار الشيعة »
ص ٥١ : « في النصف منه - يعني شهر شوال - سنة ثلاث من الهجرة
كانت واقعة أحد ، وفيها استشهد أسد الله وأسد رسوله وسيد شهداء وقته
وزمانه عم رسول الله صلى الله عليه وآله حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن
عبد مناف رضي الله عنه وأرضاه .

وفيهما بان التمييز بين الصابرين مع نبيه صلى الله عليه وآله ،
والمنهزمين من المستضعفين والمتناقضين ، وظهر لأمير المؤمنين عليه السلام فيها
من البرهان ما نادى به جبرئيل عليه السلام في الملائكة المقربين ، ومدحه
بفضله في عليين ، وأبان رسول الله صلى الله عليه وآله عن منزلته في
النسب والدين .

« وهو يوم يجتنب فيه المؤمنون كثيراً من الملاذ لمصاب رسول الله صلى
الله عليه وآله بعمه وأصحابه المخلصين ، وما لحقه من الأذى والألم بفعل
المشركين » .

وقال الشيخ البهائي محمد بن الحسين في « توضيح المقاصد »
ص ٢٧ : « الخامس عشر منه - أي شهر شوال - كانت غزوة أحد سنة
ثلاث من الهجرة ، وياشر النبي صلى الله عليه وآله وسلم القتال بنفسه
المباركة ، وكان المسلمون ألفاً ، والمشركون ثلاثة آلاف ، واستشهد من
المسلمين سبعون ، منهم حمزة رضي الله عنه ، وقُتِلَ من المشركين اثنان
وعشرون رجلاً » .

وفي بعض الروايات عن قتادة : واقع النبي صلى الله عليه وآله يوم
أحد من العام المقبل بعد بدر في شوال يوم السبت ، لإحدى عشرة ليلة
مضت من شوال ؛ وكان أصحابه يومئذ سبعمائة ، والمشركون ألفين أو ما
شاء الله من ذلك .

وكان القتال يومئذٍ في أول النهار .

وكان سبب غزوة أحد أن قريشاً لما رجعت من بدر إلى مكة ، وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر ، لأنه قتل منهم سبعون ، وأسر منهم سبعون ، فلما رجعوا إلى مكة قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، لا تدعوا نساءكم يبيكين على قتلكم ، فإن البكاء والدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والحركة والعداوة لمحمد ، ويشمت بنا محمد وأصحابه .

فلما غزوا رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد أذنوا لنسائهم بعد ذلك في البكاء والنوح .

فلما أرادوا أن يغزوا رسول الله إلى أحد ، ساروا في حلفائهم من كنانة وغيرها فجمعوا الجموع والسلاح ، وخرجوا من مكة في ثلاثة آلاف فارس ، وألفي راجل ، وأخرجوا معهم النساء يذكرهن ويحثنهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأخرج أبو سفيان هند بنت عتبة ، وخرجت معهم عمرة بنت علقمة الحارثية .

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك جمع أصحابه وأخبرهم أن قريشاً قد تجمعت تريد المدينة ، وحث أصحابه على الجهاد والخروج .

فقال عبد الله بن أبي وقوم : يا رسول الله ، لا تخرج من المدينة حتى نقاتل في أزقتها ، فيقاتل الرجل الضعيف والمرأة والعبد والأمة على أفواه السكك وعلى السطوح ، فما أردنا قوم قط فظفروا بنا ونحن في حصوننا ودورنا ، وما خرجنا إلى أعدائنا قط إلا كان الظفر لهم علينا .

فقام سعد بن معاذ وغيره من الأوس فقالوا : يا رسول الله ، ما طمع فينا أحد من العرب ونحن مشركون نعبد الأصنام ، فكيف يطمعون فينا وأنت فينا ، لا حتى نخرج إليهم فنقاتلهم ، فمن قُتل منا كان شهيداً ،

وَمَنْ نَجَا مَنَا كَانَ قَدْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .

فقبل رسول الله قوله ، وخرج مع نفر من أصحابه يبتغون موضعاً للقتال كما قال الله : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشِلَا ﴾ ^(١) يعني عبد الله بن أبي وأصحابه .

فضرب رسول الله عسكره ثمًا يلي طريق العراق ، وقعد عنه عبد الله بن أبي وقومه وجماعة من الخزرج أتبعوا رأيهم ، ووافت قريش إلى أحد .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله عَدَّ أصحابه وكانوا سبعمائة رجل ، فوضع عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب ، وأشفق أن يأتي كمينهم من ذلك المكان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعبد الله بن جبير وأصحابه : « إِنَّ رَأَيْتُمُونَا قَدْ هَزَمْنَاهُمْ حَتَّى أَدْخَلْنَاهُمْ مَكَّةَ فَلَا تَبْرَحُوا مِنْ هَذَا الْمَكَانِ ، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ قَدْ هَزَمُونَا حَتَّى أَدْخَلُونَا الْمَدِينَةَ فَلَا تَبْرَحُوا وَالزَّمُوا مَرَاكِزَكُمْ » .

ووضع أبو سفيان خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً ، فقال له : إذا رأيتُمونا قد اختلطنا بهم فاخرجوا عليهم من هذا الشعب حتى تكونوا من ورائهم .

فلما أقبلت الخيل واصطفوا وعبأ رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه ، دفع الراية إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فحمل الأنصار كلهم على مشركي قريش ، فانهمزوا هزيمةً قبيحةً ، ووقع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في سوادهم ، وانحطَّ خالد بن الوليد في مائتي فارس ، فلقى عبد الله بن جبير ، فاستقبلوهم بالسهام ، فرجعوا .

(١) سورة آل عمران : آية ١٢١ - ١٢٢ .

ونظر أصحاب عبد الله بن جبير إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ينتهبون سواد القوم ، قالوا لعبد الله بن جبير : ما يقيمنا ههنا وقد غنموا أصحابنا وبقي نحن بلا غنيمة ؟

فقال لهم عبد الله : اتقوا الله ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قد تقدّم إلينا أن لا نبرح . فلم يقبلوا منه ، وأقبل ينسلّ رجل فرجل ، حتى أدخلوا مراكزهم وبقي عبد الله بن جبير في اثني عشر رجلاً .

وقد كانت راية قريش مع طلحة بن أبي طلحة العبدريّ من بني عبد الدار .

روى الحكم بن ظهير ، عن السديّ ، عن أبي مالك عن ابن عباس أنّ طلحة بن أبي طلحة خرج يومئذ فوقف بين الصّفين فنادى : يا أصحاب محمد ، إنكم تزعمون أنّ الله تعالى يعجلنا بسيفكم إلى النار ، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة ، فأياكم يبرز إليّ ؟ فبرز أمير المؤمنين عليه السلام إليه ، فقال : والله لا أفارقك هذا اليوم حتى أعجلك بسيفي إلى النار . وأنشأ عليه السلام يقول :

يا طلع إن كنتم كما تقول لكم خيولٌ ولنا نصولُ
فأثبت لننظر أينما المقتول وأينما أولى بما تقولُ
فقد أذاك الأسد الصولُ

بصارم ليس به فلولُ ينصره القاهر والرسولُ

فقال طلحة : من أنت يا غلام ؟

قال : أنا عليّ بن أبي طالب .

قال : قد علمتُ يا قضم ، أنّه لا يجسر عليّ أحد غيرك .

فشدّ عليه طلحة فضربه ، فاتّقاء أمير المؤمنين عليه السلام بالحجفة ،

ثمّ ضربه أمير المؤمنين على فخذه فقطعها جميعاً ، فسقط على ظهره ،

وسقطت الراية ، فذهب عليّ عليه السلام ليجهّز عليه فحلّفه بالرحم فانصرف عنه ، فقال المسلمون : ألاّ أجهزت عليه ؟ قال : قد ضربته ضربة لا يعيش منها أبداً . فمات طلحة في مكانه ، وبشر النبي صلى الله عليه وآله بذلك فسرّ به ، وقال : هذا كبش الكتيبة .

ثم أخذ الراية أبو سعد بن طلحة ، فقتله عليّ عليه السلام ، وسقطت رايته إلى الأرض .

فأخذها عثمان بن أبي طلحة فقتله عليّ وسقطت الراية إلى الأرض .
فأخذها مسافع بن أبي طلحة ، فقتله عليّ عليه السلام ، وسقطت الراية إلى الأرض .

فأخذها الحارث بن أبي طلحة فقتله عليّ عليه السلام ، وسقطت الراية إلى الأرض .

فأخذها أبو يزيد بن عمير ، فقتله عليّ عليه السلام ، وسقطت الراية إلى الأرض .

فأخذها عبد الله بن أبي جميلة بن زهير ، فقتله عليّ عليه السلام وسقطت الراية إلى الأرض .

فقتل أمير المؤمنين التاسع من بني عبد الدار وهو أروطاة بن شرحبيل مبارزةً ، وسقطت الراية إلى الأرض .

فأخذها مولاهم صواب ، فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على يمينه فقطعها ، وسقطت الراية إلى الأرض ، فأخذها بشياله ، فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على شماله فقطعها ، فسقطت الراية إلى الأرض ، فاحتضنها بيديه المقطوعتين ، ثم قال : يا بني عبد الدار ، هل أعذرت فيما

بيني وبينكم ؟ فضربه أمير المؤمنين عليه السلام على رأسه فقتله وسقطت
الراية إلى الأرض .

فأخذتها عمرة بنت علقمة الحارثية فنصبتها .

روى الحسن بن محبوب قال : حَدَّثَنَا جَمِيلُ بْنُ صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي
عَبِيدَةَ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قَالَ :
كَانَ أَصْحَابُ اللَّوَاءِ يَوْمَ أُحُدٍ تِسْعَةً ، قَتَلَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ
عَنْ آخِرِهِمْ ، وَانْهَزَمَ الْقَوْمُ ، وَطَارَتْ مَخَزُومُ فَضَحَهَا عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
يَوْمَئِذٍ .

وبارز عليّ عليه السلام الحكم بن الأخنس فضربه ، ففقط رجله من
نصف الفخذ ، فهلك منها ، وَلَمَّا جَالَ الْمُسْلِمُونَ تِلْكَ الْجَوْلَةَ أَقْبَلَ أُمَيَّةُ بْنُ
أَبِي حَذِيفَةَ بْنِ الْمَغِيرَةِ وَهُوَ دَارِعٌ ، وَهُوَ يَقُولُ : يَوْمُ بِيَوْمٍ بَدْر . فعرض له
رجل من المسلمين فقتله أُمَيَّةُ ، وصمد له عليّ بن أبي طالب عليه السلام
فضربه بالسيف على هامته ، فنشب في بيضة مغفره ، فضربه أُمَيَّةُ بسيفه ،
فأتقأها أمير المؤمنين عليه السلام بدرقته فنشب فيها ، ونزع أمير المؤمنين
عليه السلام سيفه من مغفره ، وخلص أُمَيَّةُ سيفه من درقته أيضاً ، ثُمَّ
تَنَاضَوْا .

قال عليّ عليه السلام : فنظرت إلى فتق تحت إبطه ، فضربت به
بالسيف فيه فقتلته ، وانصرفت عنه .

وهجم خالد بن الوليد على عبد الله بن جبير ، وقد فر أصحابه وبقي
في نفر قليل ، فقتلوه على باب الشعب ، واستقفوا المسلمين فوضعوا
فيهم السيف ، ونظرت قریش في هزيمتها إلى الراية قد رُفِعَتْ فَلَاذُوا بِهَا ،
وَأَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ مِنْ وَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ يَقْتُلُهُمْ ، وَانْهَزَمَ أَصْحَابُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هَزِيمَةً قَبِيحَةً ، وَأَقْبَلُوا يَصْعَدُونَ فِي الْجِبَالِ وَفِي

كُلَّ وَجْهِ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ الْهَزِيمَةَ كَشَفَ الْبَيْضَةَ عَنْ رَأْسِهِ ، فَقَالَ : « إِلَيَّ إِنِّي أَنَا رَسُولُ اللَّهِ ، إِلَى أَيْنَ تَفْرُونَ عَنْ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِهِ » ؟ .

وَرَوَى ابْنُ أَبِي عَمِيرٍ ، عَنْ هِشَامٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِ طَلْحَةَ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ لَمَّا بَارَزَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (يَا قُضْم) .

قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ كَانَ بِمَكَّةَ لَمْ يَجْسِرْ عَلَيْهِ أَحَدٌ لِمَوْضِعِ أَبِي طَالِبٍ ، فَأَغْرَوْا بِهِ الصَّبِيَّانَ ، وَكَانُوا إِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ يَرْمُونَهُ بِالْحِجَارَةِ وَالتَّرَابِ ، وَشَكَى ذَلِكَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِذَا خَرَجْتَ فَأَخْرِجْنِي مَعَكَ .

فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ وَمَعَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَتَعَرَّضَ الصَّبِيَّانِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَعَادَتِهِمْ ، فَحَمَلَ عَلَيْهِمُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ يَقْضِمُهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ وَأَنَافِهِمْ وَأَذَانِهِمْ ، فَكَانَ الصَّبِيَّانِ يَرْجِعُونَ بَاكِينَ إِلَى آبَائِهِمْ ، وَيَقُولُونَ : قُضِمْنَا عَلِيٍّ ، قُضِمْنَا عَلِيٍّ . فَسَمِيَ لِذَلِكَ (الْقُضْم) .

وَرَوَى عَنْ أَبِي وَائِلٍ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ قَالَ : كُنْتُ أُمَاشِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ إِذْ سَمِعْتُ مِنْهُ هَمِيمَةً ، فَقُلْتُ لَهُ : مَهْ يَا عُمَرُ . فَقَالَ : وَيْحَكَ أَمَا تَرَى الْهَزْبَرَ الْقَثْمَ ابْنَ الْقَثْمِ ، وَالضَّارِبَ بِالْبَهْمِ ، الشَّدِيدَ عَلَى مَنْ طَفَى وَبَغَى بِالسَّيْفِ وَالرَّايَةِ . فَالْتَفْتُ فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقُلْتُ لَهُ : يَا عُمَرُ ، هُوَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

فَقَالَ : أَدْنِ مِنِّي أُحَدِّثُكَ عَنْ شَجَاعَتِهِ وَبَطُولَتِهِ :

بَايَعَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ يَوْمَ أُحُدٍ عَلَى أَنْ لَا نَفَرَّ ، وَمَنْ فَرَّ مِنَّا فَهُوَ ضَالٌّ ، وَمَنْ قُتِلَ مِنَّا فَهُوَ شَهِيدٌ ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلَهُ زَعِيمُهُ ،

إذ حمل علينا مائة صنديد تحت كل صنديد مائة رجل أو يزيدون ،
فأزعجوننا عن طحوننا^(١) ، فرأيتُ علياً كالليث يتقي الذر إذ قد حمل كفاً
من حصي ، فرمى به في وجوهنا ، ثم قال : « شامت الوجوه ، وقطت
ويطت ولطت ، إلى أين تفرون ؟ إلى النار ؟ فلم نرجع .

ثم كرر علينا الثانية ويده صفيحة يقطر منها الموت ، فقال : بايعتم
ثم نكتهم ، فوالله لأنتم أولى بالقتل ممن أقتل .

فنظرتُ إلى عينيه كأنهما سليطان يتوقدان ناراً ، أو كالقذحين المملوين دماً
فما ظننت إلا ويأتي علينا كلنا ، فبادرت أنا إليه من بين أصحابي ، فقلت :
يا أبا الحسن ، الله الله ، فإن العرب تفر وتكر ، وإن الكرّة تنفي الفرّة .
فكأنه استحيى ، فولّى وجهه عني ، فما زلت أسكن روعة فؤادي ،
فوالله ما خرج ذلك الرعب من قلبي حتى الساعة .

ولم يبق مع رسول الله إلا أبو دُجانة سهاك بن خرشة وأمير المؤمنين
عليه السلام ، وكلما حملت طائفة على رسول الله صلى الله عليه وآله
استقبلهم أمير المؤمنين صلوات الله عليه فيدفعهم عن رسول الله ، ويقتلهم
حتى انقطع سيفه .

وبقيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله نسيبة بنت كعب المازنية ،
وكانت تخرج مع رسول الله صلى الله عليه وآله في غزواته تداوي
الجرحى ، وكان ابنها معها ، فأراد أن ينهزم ويتراجع ، فحملت عليه
فقال : يا بني ، إلى أين تفر ؟ عن الله وعن رسوله ؟ فردته فحمل عليه
رجل فقتله ، فأخذت سيف ابنها ، فحملت على الرجل فضربته على فخذ
فقتلته .

(١) الطحون : الكتيبة .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « بارك الله عليك يا نسيبة » .
وكانت تقى رسول الله صلى الله عليه وآله بصدرها ويديها ، حتى
أصابته جراحات كثيرة .

وحمل ابن قميئة على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : أروني
محمداً ، لا نجوتُ إن نجا . فضربه على حبل عاتقه ونادى : قتلْتُ محمداً
واللآت والعزرى .

ونظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى رجل من المهاجرين قد ألقى
ترسه خلف ظهره وهو في الهزيمة ، فناده : « يا صاحب الترس ، الت
ترسك ومر إلى النار » فرمى بترسه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا نسيبة ، خذي الترس .
فأخذت الترس ، وكانت تقاتل المشركين ، فقال رسول الله صلى الله عليه
وآله : « لمقام نسيبة أفضل من مقام فلان وفلان وفلان » .

فلما انقطع سيف أمير المؤمنين عليه السلام جاء إلى رسول الله صلى
الله عليه وآله فقال : يا رسول الله ، إن الرجل يقاتل بالسلح ، وقد
انقطع سيفي . فدفع إليه رسول الله صلى الله عليه وآله سيفه ذا الفقار ،
فقال : قاتل بهذا .

ولم يكن يحمل على رسول الله صلى الله عليه وآله أحد إلا استقبله
أمير المؤمنين عليه السلام ، فإذا رآوه رجعوا ، فانهاز رسول الله صلى الله
عليه وآله إلى ناحية أحد ، فوقف ، وكان القتال من وجه واحد ، وقد
انهزم أصحابه ، فلم يزل أمير المؤمنين عليه السلام يقاتلهم حتى أصابه في
وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة ، وسمعوا منادياً
من السماء :

(لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا عليّ) .

فنزّل جبرئيل على رسول الله صَلَّى الله عليه وآله فقال : يا محمد ،
هذه والله المواساة .

قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : لأنّي منه وهو منّي .
فقال جبرئيل : وأنا منكما .

وقد روى محمد بن مروان ، عن عمارة ، عن عكرمة قال : سمعت عليّاً
عليه السلام يقول : لما انهزم الناس يوم أحد عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله
لحقني من الجزع عليه ما لم يلحقني قط ، ولم أملك نفسي ، وكنت أمامه
أضرب بسيفي بين يديه ، فرجعت أطلبه فلم أره ، فقلت : ما كان
رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ليفرّ ، وما رأيته في القتلى ، وأظنه رُفِعَ من
بيننا إلى السماء ؛ فكسرت جفن سيفي ، وقلت في نفسي : لأقاتلن به عنه
حتى أقتل ؛ وحملت على القوم ، فأفرجوا عني فإذا أنا برسول الله صَلَّى الله
عليه وآله قد وقع على الأرض مغشياً عليه ، فقمّت على رأسه ، فنظر إليّ
فقال : ما صنع الناس يا عليّ ؟

فقلت : كفروا يا رسول الله ، وولّوا الدبر من العدو وأسلموك .

فنظر النبي صَلَّى الله عليه وآله إلى كتيبة قد أقبلت عليه فقال لي : ردّ
عني ، يا عليّ ، هذه الكتيبة ، فحملت عليها أضربها بسيفي يميناً وشمالاً
حتى ولّوا الأدبار . فقال النبي صَلَّى الله عليه وآله : أما تسمع يا عليّ
مديحك في السماء ، إنّ ملكاً يقال له : رضوان ينادي : (لا سيف إلا ذو
الفقار ، ولا فتى إلا عليّ) .

فبكيتُ سروراً ، وحمدت الله سبحانه وتعالى على نعمته .

وروى الشيخ الصدوق في « علل الشرائع » ج ١ ص ٧ ح ٣
بإسناده إلى أبان بن عثمان ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لما كان يوم
أحد انهزم أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله حتى لم يبق معه إلا

عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأبو دُجّانة سهاك بن خرشة ، فقال له النبيّ
صلّى الله عليه وآله : يا أبا دُجّانة أما ترى قومك ؟ قال : بلى .

قال : الحقّ بقومك . قال : ما على هذا بايعت الله ورسوله .

قال : أنت في حلّ . قال : والله لا تتحدّث قريش بأنّي خذلتك
وفررت حتّى أذوق ما تذوق . فجزاه النبيّ صلّى الله عليه وآله خيراً .

وكان عليّ عليه السلام كلّما حملت طائفة على رسول الله صلّى الله
عليه وآله استقبلهم وردّهم ، حتّى أكثر فيهم القتل والجراحات حتّى
انكسر سيفه ، فجاء إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله إن
الرجل يقاتل بسلاحه وقد انكسر سيفي . فأعطاه عليه السلام سيفه ذا
الفقار ، فما زال يدفع به عن رسول الله صلّى الله عليه وآله حتّى أثّر
وأنكر ، فنزل عليه جبرئيل وقال : يا محمّد ، إنّ هذه هي المواساة من عليّ
عليه السلام لك .

فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله : إنّهُ منّي وأنا منه .

فقال جبرئيل عليه السلام : وأنا منكما .

وسمعوا دويّاً من السماء : (لا سيف إلّا ذو الفقار ، ولا فتى إلّا
عليّ) .

قال الصدوق رحمه الله : قول جبرئيل : (وأنا منكما) تمّنى منه لأن
يكون منها ، فلو كان أفضل منه لم يقل ذلك ، ولم يتمنّ أن ينحطّ عن
درجته إلى أن يكون ممّن دونه ، وإنّما قال : : (وأنا منكما) ليصير ممّن هو
أفضل منه ، فيزداد محلاً إلى محله ، وفضلاً إلى فضله .

وقال ابن أبي الحديد « في شرح نهج البلاغة » ج ١٤ / ٢٥٠ :

وروى أبو عمرو محمّد بن عبد الواحد اللغويّ ، ورواه أيضاً

محمّد بن حبيب في أماليه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما فرّ معظم أصحابه عنه يوم أحد ، كثرت عليه كتابت المشرّكين ، وقصدته كتيبة من بني كنانة ، ثمّ من بني عبد مناة بن كنانة ، فيها بنو سفيان بن عوف ، وهم خالد بن سفيان ، وأبو الشعشاء بن سفيان ، وأبو الحمراء بن سفيان ، وغراب بن سفيان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا عليّ ، اكفي هذه الكتيبة .

فحمل عليها ولأنّها لتقارب خمسين فارساً ، وهو عليه السلام راجل ، فما زال يضربها بالسيف حتّى تفرّق عنه ، ثمّ تجتمع عليه هكذا مراراً ، حتّى قتل بني سفيان بن عوف الأربعة ، وتمام العشرة منها ، ممّن لا يعرف أسماؤهم .

فقال جبرئيل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ هذه للمواساة ، لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتي .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : وما يمنعه وهو منّي وأنا منه .
فقال جبرئيل : وأنا منكما .

قال : وسُمِعَ ذلك اليوم صوت من قبل السماء ، لا يرى شخص الصّارخ به ، ينادي مراراً :

(لا سيف إلّا ذو الفقار ، ولا فتى إلّا عليّ) .
فستل رسول الله عنه فقال : هذا جبرئيل .

قال ابن أبي الحديد وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين ، وهو من الأخبار المشهورة ، ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمّد بن إسحاق ، وسألت شيخي عبد الوهّاب بن سكيّنة عن هذا الخبر ، فقال : خبرٌ صحيح . فقلت له : فما بال الصّحاح لم تشتمل عليه ؟ قال : وكلّ ما

كان صحيحاً تشتمل عليه كتب الصحاح ؟ ! كم قد أهمل جامعو الصحاح
من الأخبار الصحيحة ؟ !

وفي حديث عمران بن حصين ، قال : لما تفرّق الناس عن
رسول الله صلى الله عليه وآله في يوم أحد جاء عليّ عليه السلام متقلداً
سيفه حتى قام بين يديه ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وآله رأسه إليه ،
فقال له : ما بالك لم تفرّ مع الناس ؟ فقال : يا رسول الله ، أراجع كافراً
بعد إسلامي ؟ !

فأشار له إلى قوم انحدروا من الجبل ، فحمل عليهم فهزمهم ، ثم
أشار إلى قوم آخر فحمل عليهم فهزمهم ، ثم أشار إلى قوم آخر فحمل
عليهم فهزمهم .

فجاء جبرئيل عليه السلام فقال : يا رسول الله لقد عجبت الملائكة
وعجبنا معها من حسن مواساة عليّ لك بنفسه .
فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : وما يمنعه من هذا وهو مني
وأنا منه ؟

فقال جبرئيل عليه السلام : وأنا منكما .
وروي عن زيد بن وهب أنه قال : قلت لابن مسعود : انهزم الناس
عن رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لم يبق معه إلا عليّ بن أبي طالب
وأبو دجانة وسهل بن حنيف ؟ !

فقال : انهزم الناس إلا عليّ بن أبي طالب وحده ، وثاب إلى
رسول الله صلى الله عليه وآله نفر ، وكان أولهم عاصم بن ثابت ، وأبو
دجانة ، وسهل بن حنيف . ولحقهم طلحة بن عبيد الله .

فقلت له : وأين كان أبو بكر وعمر ؟

قال : كانا فيمن تنحى .

قلت : وأين كان عثمان ؟

قال : جاء بعد ثلاثة من الوقعة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه

وآله : لقد ذهبت فيها عريضة .

قال : فقلتُ له : وأين كنت أنت ؟

قال : كنتُ ممن تنحى .

قلت له : فمن حدثك بهذا ؟ قال : عاصم ، وسهل بن حنيف .

قال : قلت له : إن ثبوت علي عليه السلام في ذلك المقام لعجب .

فقال : إن تعجبت من ذلك فقد تعجبت منه الملائكة ، أما علمت

أن جبرئيل عليه السلام قال في ذلك اليوم وهو يعرج إلى السماء :

(لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا علي) .

قلت له : فمن أين علم ذلك من جبرئيل ؟

فقال : سمع الناس صائحاً يصيح في السماء بذلك ، فسألو النبي

صلى الله عليه وآله عنه ، فقال : ذلك جبرئيل .

وروى الحسن بن عرفة ، عن عمارة بن محمد ، عن سعد بن

طريف ، عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام عن آبائه عليهم السلام

قال : نادى ملك من السماء يوم أحد : (لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا علي) .

وروى مثل ذلك إبراهيم بن محمد بن ميمون ، عن عمرو بن ثابت ،

عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه ، عن جدّه قال : ما زلنا

نسمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يقولون : نادى في يوم أحد

مناد من السماء : (لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي) .

وعن عكرمة ، عن عليّ عليه السلام قال : قال لي النبيّ صلى الله عليه وآله يوم أحد : أما تسمع مديحك في السماء ؟ إنّ ملكاً اسمه رضوان ينادي : (لا سيف إلا ذو الفقار ، ولا فتى إلا عليّ)

ويقال : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نودي في هذا اليوم : ناد عليّاً مظهر العجائب تجده عوناً لك في النوائب كل غمّ وهمّ سينجلي بولايتك يا عليّ^(١) يا عليّ يا عليّ وأخرج الشيخ المجلسي في « بحار الأنوار » ج ٢٠ / ٩٣ ح ٢٦ عن مناقب ابن شهر آشوب قال : روى ابن فياض في شرح الأخبار : روى محمد بن الجنيد بإسناده عن سعيد بن المسيّب قال : أصابت عليّاً عليه السلام يوم أحد ست عشرة ضربة ، وهو بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله يذبّ عنه ، كلّ ضربة يسقط إلى الأرض ، فإذا سقط رفعه جبرئيل عليه السلام .

ورواه ابن الأثير الجزري في « أسد الغابة » ج ٤ / ٢٠ ط مصر . وأخرج ابن شهر آشوب أيضاً عن الخصائص العلوية : قيس بن سعد ، عن أبيه قال عليّ عليه السلام : أصابني يوم أحد ست عشرة ضربة سقطت إلى الأرض في أربع منهنّ ، فأتاني رجل حَسِينُ الوجه ، حسن اللّمة ، طيّب الريح ، فأخذ بضبعي ، فأقامني ، ثمّ قال : أقبل عليهم ، فإنّك في طاعة الله وطاعة رسول الله وهما عنك راضيان .

قال عليّ عليه السلام فأتيت النبيّ صلى الله عليه وآله فأخبرته فقال : يا عليّ ، أقرّ الله عينك ، ذاك جبرئيل .

وروى سلام بن مسكين ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيّب قال :

(١) وقيل بنبوتك يا محمد ، وبولايتك يا عليّ .

لو رأيت مقام عليّ يوم أحد لوجدته قائماً على ميمنة رسول الله صلى الله عليه وآله يذبّ عنه بالسيف ، وقد ولّى غيره الأدبار .

وروى العلامة أبو العون شمس الدين محمد بن أحمد السفاريني النابلسي الحنفي في « نفثات صدر المكمد في شرح ثلاثيات مسند أحمد » ج ١/٦٩٣ ط دمشق ؛ والفاضل محمد مهدي المصري في « قصة كبيرة في تاريخ السيرة » ص ١٧٧ ط دار الكاتب العربي ، قال :

انفرد عليّ بن أبي طالب بفرقة فيها عكرمة بن أبي جهل فدخل وسطهم بالسيف يضرب به ، وهم مشتملون عليه حتى بلغ آخرهم ثم كرّ فيهم ثانياً حتى رجع من حيث جاء .

وأخرج الشبلنجي في « نور الأبصار » ص ٨٠ ط مصر عن المؤرخ محمد بن إسحاق قوله : كان الفتح يوم أحد بصبر علي رضي الله عنه .

وزاد العلامة باكثير الحضرمي في « وسيلة المسأل » ص ١٤٨ مخطوط : . . . في ذلك اليوم وثباته وحسن بلائه في ذلك الموقف وشدة بأسه على أولئك القوم وتوالي وثباته .

وقال العلامة عبد الحق الغرناطي المالكي في مقدمة تفسيره « الجامع المحرر » ص ٩٨ ط القاهرة : أنه لم يقتل أحدٌ يوم أحد ما قتله عليّ .

وقال الشيخ المتكلم أبو جعفر الأسكافي في « المعيار والموازنة » ص ٩٠ ط بيروت : المذكور من أهل الشجاعة والنجدة : علي بن أبي طالب . . . وكان أبو الحسن لهذه الأمور جامعاً ، فكان بالسيف ضروباً ، وبالرمح طعاناً ، وبالفراصة والشجاعة موصوفاً ، وبالشدة معروفاً ، وللحذر مستعملاً .

ويدلّك على ذلك ما وصفه به وحثي ، حيث إنّه قال : لمّا وقفت

نفسى بغير - وهو جبل بالمدينة - قريباً من أحد أردتُ النبي صلى الله عليه وآله فإذا هولا تناله يدي ، ثم أقبل عليّ بيده سيف يفرى ، وخيل إليّ أن في كل جارية من جوارحه عيناً تنظر إليّ ، فلما نظرت إلى حاله هذه قلت : تراكها ، تراكها ، لست من هذا ، ولا هذا مني ...

فهذه أحواله مكشوفة ، ومناقبه في الحروب معروفة ، وفي الآثار ماثورة ، والسيرة مذكورة ، وفي العامة ظاهرة مشهورة .

شهد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم جميع حروبه ومغازيه ، فمرة يأخذ الراية قدامه ، ومرة يتمشى بسيفه بين يديه ، ينقش الكرب عن وجه نبيه وينصر الله في قتل أعدائه ، فكم من مبارز قد قتله أعيا المبارزين قتلَه ، وكم من قرن قد أكبر المسلمون مقامه ، وضاعت أنفسهم عنده ، كفاهم ابن أبي طالب مؤونته وسقاه الموت بيده .

وأخرج القندوزي في « ينابيع المودة » ص ٦٤ و ١٢٧ ط استانبول عن أبي الحسن المغازلي وصاحب المناقب بسنديهما عن جعفر بن محمد الصادق ، عن أبيه ، عن علي بن الحسين عليهم السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي بن أبي طالب :

يا أبا الحسن ، لو وضع إيمان الخلائق وأعمالهم في كفة ميزان ، ووضع عملك يوم أحد في كفة أخرى لرجح عملك على جميع ما عمل الخلائق .

وإن الله باهى بك يوم أحد ملائكته المقربين ورفع الحُجُب من السماوات السبع ، وأشرفت إليك الجنة وما فيها ، وابتهج بفعلك رب العالمين ، وإن الله يعوضك ذلك اليوم ما يغبط كل نبي ورسول وصديق وشهيد .

أعود لتتميم بقية أحداث هذه الغزوة :

وكانت هند بنت عتبة في وسط العسكر ، فكلّمها انهزم رجلٌ من قريش دفعت إليه ميلاً ومكحلةً ، وقالت : إنّما أنت امرأة ، فاحتحل بهذا .

ولمّا انهزم الناس عن النبيّ صَلَّى الله عليه وآله في يوم أحد وثبت أمير المؤمنين عليه السلام قال له النبيّ صَلَّى الله عليه وآله : ما لك لا تذهب مع القوم ؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أذهبُ وأدعك يا رسول الله ؟ ! والله لا برحتُ حتّى أقتل : أو ينجز الله لك ما وعدك من النصر .

فقال له النبيّ صَلَّى الله عليه وآله : أبشر يا عليّ ، فإنّ الله منجز وعده ، ولن ينالوا منّا مثلها أبداً .

ثمّ نظر إلى كتيبة قد أقبلت إليه ، فقال له : احمل على هذه يا عليّ . فحمل أمير المؤمنين عليه السلام عليها فقتل منها هشام بن أميّة المخزوميّ ، وانهزم القوم .

ثمّ أقبلت كتيبة أخرى ، فقال له النبيّ صَلَّى الله عليه وآله : احمل على هذه . فحمل عليها ، فقتل منها عمرو بن عبد الله الجمحيّ ، وانهزمت أيضاً .

ثمّ أقبلت كتيبة أخرى ، فقال له النبيّ صَلَّى الله عليه وآله : احمل على هذه . فحمل عليها فقتل منها بشر بن مالك العامريّ ، وانهزمت الكتيبة ولم يعد بعدها أحد منهم .

وترجع المهزّمون من المسلمين إلى النبيّ صَلَّى الله عليه وآله ، وانصرف المشركون إلى مكّة ، وانصرف المسلمون مع النبيّ صَلَّى الله عليه وآله إلى المدينة ، فاستقبلته فاطمة عليها السلام ومعها إناء فيه ماء ، فغسل

به وجهه ، ولحقه أمير المؤمنين عليه السلام وقد خضب الدم يده إلى كتفه ،
ومعه (ذو الفقار) فناوله فاطمة عليها السلام وقال لها : خذي هذا السيف
فقد صدقني اليوم . وأنشأ يقول :

أفاطم هاك السيف غير ذميم فلستُ برعديد ولا بجليم
لعمري لقد أعذرت في نصرٍ أحد وطاعة ربِّ العباد عليم
أميطي دماء القوم عنه فإنَّه سقى آل عبد الدار كأس حميم
وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : خذيه يا فاطمة فقد أدى بعلك
ما عليه ، وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش .

وكان حمزة بن عبد المطلب يحمل على القوم ، فإذا رآوه انهزموا ، ولم
يثبت له أحد ، وكانت هند بنت عتبة عليها اللعنة قد أعطت وحشياً
عهداً : لئن قتلت محمداً أو علياً أو حمزة لأعطيتك رضاك . وكان وحشي
عبد الجبير بن مطعم حبشياً .

فقال وحشي : أما محمد فلا أقدر عليه ، وأما عليّ فرأيتُه رجلاً
حذراً ، كثير الالتفات ، فلم أطمع فيه ، فكمنت لحمزة فرأيتُه يهدّ الناس
هدداً ، فمرّ بي فوطيء على جرف نهر فسقط ، فأخذت حربي فهزرتها
ورميته ، فوقعت في خاصرته وخرجت من مئانته فسقط ، فأتيته فشقت
بطنه ، فأخذت كبده ، وجثت بها إلى هند ، فقلت لها : هذه كبدة حمزة .
فأخذتها في فمها فلاكتها ، فجعلها الله في فيها مثل الداغصة^(١) ،
فلفظتها ، ورمت بها ، فبعث الله ملكاً فحمله وردّه إلى موضعه .

فقال أبو عبد الله عليه السلام : أبى الله أن يدخل شيئاً من بدن حمزة

النار .

(١) الداغصة : العظم المدور المتحرك في رأس الركبة ، أو الشحمة تحت الجلد التي فوق
الركبة .

فجاءت إليه هند ، فقطعت مذاكيره ، وقطعت أذنيه ، وجعلتهما
خرصين ، وشدّتهما في عنقها ، وقطعت يديه ورجليه .

وتراجع الناس ، فصارت قریش على الجبل فقال أبو سفيان وهو على
الجبل :

أُعلْ هُبْل .

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله لأمر المؤمنين : قل له : الله أعل
وأجل .

فقال أبو سفيان : يا عليّ ، إنه قد أنعم علينا .

فقال عليّ : بل الله أنعم علينا .

ثم قال : يا عليّ ، أسألك باللآت والعزى ، هل قُتِلَ مُحَمَّدٌ ؟

فقال له : لعنك الله ولعن اللآت والعزى معك ، والله ما قُتِلَ وهو
يسمع كلامك .

قال : أنت أصدق ، لعن الله ابن قميئة ، زعم أنه قتل محمداً .

وكان عمرو بن ثابت قد تأخر إسلامه ، فلما بلغه أن رسول الله صَلَّى
الله عليه وآله في الحرب ، أخذ سيفه وترسه ، وأقبل كالليث العادي
يقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

ثم خالط القوم فاستشهد ، فمرّ به رجل من الأنصار ، فرآه صريعاً
بين القتلى ، فقال : يا عمرو ، وأنت على دينك الأوّل ؟ قال : لا والله ،
إنّي أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله . ثم مات .

فقال رجلٌ من أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : يا
رسول الله ، إن عمرو بن ثابت قد أسلم وقُتِلَ ، فهو شهيد ؟ قال : إي
والله شهيد ، ما رجل لم يصلّ لله ركعة ودخل الجنة غيره .

وكان حنظلة بن أبي عامر رجل من الخزرج تزوج في تلك الليلة التي كانت صبيحتها حرب أحد بينت عبد الله بن أبي بن سلول ، ودخل بها في تلك الليلة ، واستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله أن يقيم عندها ، فأنزل الله : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ﴾ (١) فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله .

فدخل حنظلة بأهله ووقع عليها ، فأصبح ، وخرج وهو جنب ، فحضر القتال ، فبعثت امرأته إلى أربعة نفر من الأنصار لما أراد حنظلة أن يخرج من عندها ، وأشهدت عليه أنه قد واقعها ، فقيل لها : لِمَ فعلت ذلك ؟

قالت : رأيت في هذه الليلة في نومي كأن السماء قد انفرجت ، فوقع فيها حنظلة ، ثم انضمت ، فعلمت أنها الشهادة ، فكرهت أن لا أشهد عليه . فحملت منه .

فلما حضر القتال نظر إلى أبي سفيان على فرس يجول بين العسكر فحمل عليه فضرب عرقوب فرسه ، فاكتسعت الفرس ، وسقط أبو سفيان إلى الأرض ، وصاح : يا معشر قريش ، أنا أبو سفيان وهذا حنظلة يريد قتلي . وعدا أبو سفيان ومرو حنظلة في طلبه ، فعرض له رجل من المشركين فطعنه ، فمشى إلى المشرك في طعنته ، فضربه فقتله ، وسقط حنظلة إلى الأرض بين حمزة وعمر بن الجموح وعبد الله بن حزام وجماعة من الأنصار فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين

(١) سورة النور : آية ٦٢ .

السماء والأرض بماء المزن في صحائف من ذهب ، فكان يسمّى غسيل الملائكة .

وروي أنّ مغيرة بن العاص كان رجلاً أعسر ، فحمل في طريقه إلى أحد ثلاثة أحجار ، فقال : بهذه أقتل محمداً .

فلما حضر القتال نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وبيده السيف ، فرماه بحجر فأصاب به رسول الله صلى الله عليه وآله فسقط السيف من يده ، فقال : قتلته واللات والعزى ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : كذب لعنه الله .

فرماه بحجر آخر ، فأصاب جبهته ، فقال رسول الله : « اللّهم حيّره » فلما انكشف الناس تحيّر ، فلحقه عمار بن ياسر فقتله .

وسلّط الله على ابن قميصة الشجر ، فكان يمرّ بالشجر فيقع في وسطها ، فتأخذ من لحمة ، فلم يزل كذلك حتى صار مثل الصرّ ، ومات لعنه الله .

ولما سكن القتال ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من له علم بسعد بن الربيع ؟ فقال رجل : أنا أطلبه .

فأشار رسول الله صلى الله عليه وآله إلى موضع فقال : اطلبه هناك ، فإنّي قد رأيته في ذلك الموضع قد شرّعت حوله اثنا عشر رحماً .

قال : فأنيت ذلك الموضع ، فإذا هو صريع بين القتلى . فقلت : يا سعد ، فلم يجبني . ثمّ قلت : يا سعد ، فلم يجبني .

فقلت : يا سعد ، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد سأل

عنك . فرفع رأسه ، فانتعش كما ينتعش الفرخ ، ثم قال : إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لحى ؟ قلت : إي والله إنّهُ لحى ، وقد أخبرني أنّه رأى حولك اثني عشر رعماً .

فقال : الحمد لله ، صدق رسول الله صلى الله عليه وآله ، قد طعنت اثني عشر طعنة كلّها قد جافتنى^(١) ، أبلغ قومي الأنصار السلام وقل لهم : والله ما لكم عند الله عذر إن تشوك رسول الله صلى الله عليه وآله شوكه وفيكم عين تطرف .

ثمّ تنفّس فخرج منه مثل دم الجزور ، وقد كان احتقن في جوفه ، وقضى نجه رحمه الله .

ثمّ جثت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبرته فقال : « رحم الله سعداً نصرنا حياً ، وأوصى بنا ميتاً » .

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله : مَنْ له علمٌ بعَمِي حمزة ؟ فقال له الحارث بن الصمة : أنا أعرف موضعه . فجاء حتّى وقف على حمزة فكره أن يرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فيخبره .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام : يا علي ، اطلب عمّك . فجاء علي عليه السلام فوقف على حمزة فكره أن يرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وآله .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى وقف عليه ، فلمّا رأى ما فَعَلَ به بكى ، ثمّ قال : والله ما وقفت موقفاً قطّ أغيظ عليّ من هذا المكان ، لئن أمكنني الله من قريش لأمثلنّ بسبعين رجلاً منهم .

(١) أي دخلت كلها في جوفي .

فنزّل عليه جبرئيل عليه السلام فقال : ﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصّابرين واصبر ﴾ ^(١) . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : بل أصبر . فألقى رسول الله صلى الله عليه وآله على حمزة بردة كانت عليه ، فكانت إذا مدّها على رأسه بدت رجلاه ، وإذا مدّها على رجله بدا رأسه ، فمدّها على رأسه وألقى على رجله الحشيش ، وقال : « لولا أنّي أحذر نساء بني عبد المطلب لتركته للعقبان والسباع ، حتّى يحشر يوم القيامة من بطون السباع والطير » .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله بالقتل ، فجمعوا فصلّى عليهم ، ودفنهم في مضاجعهم ، وكبّر على حمزة سبعين تكبيرة .

قال : وصاح إبليس بالمدينة : قُتِلَ مُحَمَّد . فلم يبق أحد من نساء المهاجرين والأنصار إلّا خرج ، وخرجت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله تعدو على قدميها ، حتّى وافت رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقعدت بين يديه ، فكانت إذا بكى رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله بكت ، وإذا انتحب انتحبت .

ونادى أبو سفيان : موعدنا وموعدكم في عام قابل ، فنقتل .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام : قل : نعم .

وارتحل رسول الله صلى الله عليه وآله ودخل المدينة ، واستقبلته النساء يولولن ويبكين ، فاستقبلته زينب بنت جحش فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : احتسبي ، فقالت : مَنْ يا رسول الله ؟ قال : أخاك . قالت : إنّ الله وإنا إليه راجعون ، هنيئاً له الشهادة .

ثمّ قال لها : احتسبي . قالت : مَنْ يا رسول الله ؟ قال : حمزة بن

(١) سورة النحل : آية ١٢٦ .

عبد المطلب . قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون ، هنيئاً له الشهادة .

ثم قال لها : احتسبي . قالت : مَنْ يا رسول الله ؟ قال : زوجك مصعب بن عمير . قالت : واحزنه .

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : إِنَّ للزوج عند المرأة لحدّاً ما لا حدّ مثله .

ف قيل لها : لِمَ قلت ذلك في زوجك ؟ قالت : ذكرتُ يتم ولده .

قال الشيخ المفيد أعلى الله مقامه في « الإرشاد » ص ٤٣- ٤٩ : ثم تلت بدرأ غزاة أحد ، وكانت راية رسول الله صَلَّى الله عليه وآله بيد أمير المؤمنين عليه السلام فيها كما كانت بيده يوم بدر ، فصار اللّواء إليه يومئذ دون صاحب الراية واللّواء جميعاً ، وكان الفتح له في هذه الغزاة كما كان له بيدرسوء ، واختصّ بحسن البلاء فيها ، والصبر ، وثبوت القدم عندما زلّت من غيره الأقدام ، وكان له الفناء عن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ما لم يكن لسواه من أهل الإسلام ، وقتل الله بسيفه رؤوس أهل الشرك والضلال ، وفرّج الله به الكرب عن نبيّه صَلَّى الله عليه وآله ، وخطب بفضلته في ذلك المقام جبرئيل عليه السلام في ملائكة الأرض والسماء ، وأبان نبيّ الهدى صَلَّى الله عليه وآله من اختصاصه به ما كان مستوراً عن عامة الناس .

فمن ذلك ما رواه يحيى بن عمار قال : حدّثني الحسن بن موسى بن رباح مولى الأنصار قال : حدّثني أبو البختري القرشيّ قال : كانت راية قريش ولواؤها جميعاً بيد قصي بن كلاب ، ثم لم تزل الراية في يد ولد عبد المطلب يحملها منهم مَنْ حضر الحرب ، حتّى بعث الله رسوله ، فصارت راية قريش وغيرها إلى النبيّ صَلَّى الله عليه وآله ، فأقرّها في بني هاشم ، فأعطاها رسول الله صَلَّى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب

عليه السلام في غزاة ودّان^(١) ، وهي أوّل غزوة مُجِلّت فيها راية الإسلام مع النبيّ صَلَّى الله عليه وآله .

ثمّ لم تزل معه في المشاهد : ببدر وهي البطشة الكبرى ، وفي يوم أحد ، وكان اللواء يومئذ في بني عبد الدار ، فأعطاه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله مصعب بن عمير لأنّه من بني عبد الدار ، فاستشهد ، ووقع اللواء من يده فتشوّفته القبائل ، فأخذه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله فدفعه إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فجمع له يومئذ الراية واللواء ، فهما إلى اليوم في بني هاشم .

وروى المفضل بن عبد الله ، عن سمالك ، عن عكرمة ، عن عبد الله بن العباس ، أنّه قال لعليّ بن أبي طالب عليه السلام : أربع ما هنّ لأحد :

هو أوّل عربيّ وعجميّ صَلَّى مع رسول الله صَلَّى الله عليه وآله .

وهو صاحب لوائه في كلّ زحف .

وهو الذي ثبت معه يوم المهراس - يعني يوم أحد - وفرّ الناس .

وهو الذي أدخله قبره .

وقد ذكر أهل السير قتلى أحد من المشركين ، فكان جمهورهم قتلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فروى عبد الملك بن هشام ، قال : حدّثنا زياد بن عبد الله ، عن محمّد بن إسحاق قال :

كان صاحب لواء قريش يوم أحد طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار، قتله عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وقتل ابنه أبا سعد بن طلحة ، وقتل أخاه كلدة بن أبي طلحة ، وقتل

(١) وتُسَمّى أيضاً : غزوة الأبواء ، وكانت في صفر سنة اثنين ، وودّان قرية بين مكّة والمدينة .

عبد الله بن حميد بن زهرة بن الحارث بن أسد بن عبد العزى ، وقتل أبا الحكم بن الأخنس بن شريق الثقفي ، وقتل الوليد بن أبي حذيفة بن المغيرة ، وقتل أخاه أمية بن أبي حذيفة بن المغيرة ، وقتل أرطاة بن شرحبيل ، وقتل هشام بن أمية ، وقتل عمرو بن عبد الله الجمحي وبشر بن مالك ، وقتل صوابا مولى بني عبد الدار . اثني عشر قرناً من صناديد قريش وأشجعهم وهم حملة الراية في كل حروبهم ، لاحقاً عن سالف .

قتلهم الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوم أحد الواحد تلو الآخر لما حملوا الراية وبرزوا إليه وجندهم حتى ضج المشركون وجزعوا ، وبان الانكسار في صفوفهم والخذلان من أول وهلة فكان نصر الله تعالى على يده .

وكان الفتح له ، ورجوع الناس من هزيمتهم إلى النبي صلى الله عليه وآله بمقامه يذب عنه دونهم ، وتوجه العتاب من الله تعالى إلى كافتهم لهزيمتهم يومئذ سواه ، ومن ثبت معه من رجال الأنصار ، وكانوا ثمانية نفر ، وقيل : أربعة ، أو خمسة .

وفي قتله عليه السلام من قتل يوم أحد وعنائه في الحرب وحسن بلائه يقول الحجاج بن علاط السلمي :

لِلَّهِ أَيُّ مُذْذَبٍّ عَنْ حِزْبِهِ	أعني ابن فاطمة المعمر المخول ^(١)
جَادَتْ يَدَاكَ لَهُ بِعَاجِلِ طَعْنَةٍ	تركت طليحة للجبين مجذلاً ^(٢)
وَشَدَّدَتْ شِدَّةً بِأَسْلٍ فَكَشَفْتَهُمْ	بالسفع إذ يهرون أسفل أسفلاً
وَعَلَّلَتْ سَيْفَكَ بِالدِّمَاءِ وَلَمْ تَكُنْ	لترده حراً حتى ينهل ^(٣)

(١) المذذب : المدافع ، المعمر : الكريم الأعمام . المخول : الكريم الأخوال .

(٢) المجذل : اللاصق بالأرض .

(٣) عللت سيفك أي سقيته سقياً بعد سقي . وحران : عطشان .

نبذة من الأشعار في غزوة أحد

في الديوان المنسوب لأمير المؤمنين عليه السلام ، قوله :

أفاطم هاك السيف غير ذميم	فلست برعديد ولا بلثيم
لعمري لقد أعذرت في نصر أحمد	ومرضاة رب بالعباد رحيم
أريد ثواب الله لا شيء غيره	ورضوانه في جنة ونعيم
وكنت امرأ أسمو إذ الحرب شمرت	وقامت على ساق بغير مليم
أمت ابن عبد الدار حتى ضربته	بذي رونق يفري العظام صميم
فغادرته بالقاع فارفض جمعه	عباديد من ذي قانط وكليم
وسيفي بكفي كالشهاب أهزه	أجزبه من عاتق وصميم
فما زلت حتى فض ربي جموعهم	وأشفيت منهم صدر كل حلیم

قال شارح الديوان : لما أنشد عليّ عليه السلام هذه الأبيات قال النبي صلى الله عليه وآله : خذيه يا فاطمة ، فقد أدى بعلك ما عليه ، وقد قتل الله صناديد قريش بيديه .

وأنشأ أمير المؤمنين عليه السلام :

الحمد لله رب الخالق الصمد	فليس يشركه في حكمه أحد
هو الذي عرّف الكفار منزلهم	والمؤمنون سيجزيم بما وعدوا
وينصر الله من والاه إن له	نصراً ويمثل بالكفار إذ عندوا
قومي وقوا الرسول واحتسبوا	شمّ العرانيين منهم حمزة الأسد

وأنشأ عليه السلام :

رأيتُ المشركين بغوا علينا	ولجّوا في الغواية والضلال
وقالوا : نحن أكثر إذ نفرنا	غداة الروع بالأسل الطوال
فلإن ييغوا ويفتخروا علينا	بحمزة وهو في الغرف العوالي
فقد أودى بعتبة يوم بدر	وقد أبلى وجاهد غير آل

وقد فلّلت خيلهم ببدر
وقد غادرت كبشهم جهاراً
فخزّ لوجهه ورفعت عنه
كأنّ الملح خالطه إذا ما
وفي الديوان أيضاً :

أتاني أنّ هنداً حلّ صخر
فلأن تفخر بحمزة حين ولّى
فلأننا قد قتلنا يوم بدر
وقتلنا سراً الناس طراً
وشيبة قد قتلنا يوم ذا كم
فبواً من جهنم شرّ دارٍ
وما سيّان من هو في جحيم
ومن هو في الجنان يدرّ فيها
وفيه أيضاً بعد قتل طلحة :

أصول بالله العزيز الأجد
أنا عليّ وابن عمّ المهدي
وفيه أيضاً :

الله حيّ قديمٌ قادرٌ صمدٌ
هو الذي عرّف الكفّار منزلهم
فلأن يكن دولة كانت له عظة
وينصر الله من والاه إنّ له
فلأن نطقتم بفخر لا أبأ لكم
فلأن طلحة غادرناه منجداً

وأتبع الهزيمة بالرجال
بحمد الله طلحة في المجال
رقيق الحدّ حودث بالصقال
تلظّي كالعتيقة في الظلال

دعت دركاً وبشّرت الهنودا
مع الشهداء محتسباً شهيدا
أبا جهل وعتبة والوليدا
وغنمنا الولائد والعبيدا
على أثوابه علقاً حسيدا
عليها لم يجد عنها محيدا
يكون شرابه فيها صديدا
عليه الرزق مغتبطاً هميدا

وفالِق الإصباح ربّ المسجد
أنا عليّ وابن عمّ المهدي

وليس يشركه في ملكه أحدٌ
والمؤمنون سيجزيهم كما وعدوا
فهل عسى أن يرى في غيها رشّدٌ
نصرأ ويمثل بالكفّار إذ عنّدوا
فيمن تضمّن من إخواننا اللحدّ
وللصفائح نارٌ بيننا تقدّ

والمرأ عثمان أردته أسنتنا
 في تسعة إذ تولوا بين أظهرهم
 كانوا الذوائب من فھر وأكرمھا
 وأحمد الخیر قد أردی علی عجل
 وظلّت الطیر والضبعان تتركبه
 ومن قتلتم علی ما كان من عجب
 لهم جنان من الفردوس طیبة
 صلی الاله علیهم کلما ذکروا
 قوم وفوا لرسول الله واحتسبوا
 ومصعب ظلّ لیثاً دونه حرذاً
 لیسوا کقتلی من الکفار ادخلهم
 فجیب زوجته إذ خبرت قدو
 لم ینکلوا من حیاض الموت إذ وردوا
 شمّ الأنوف وحيث الفرع والعدو
 تحت العجاج أبیاً وهو مجتهد
 فحامل قطعة منهم ومقتعد
 مناً فقد صادفوا خیراً وقد سعدوا
 لا یعتريهم بها حرّ ولا صرد
 فربّ مشهد صدق قبله شهدوا
 شمّ العرائین منهم حمزة الأسد
 حتّی تزمل منه ثعلب جسد
 نار الجحیم علی أبوابها الرصد

وفي شرح الديوان أن عثمان بن أبي طلحة ارتجز يوم أحد فقال :
 أنا ابن عبد الدار ذي الفضول ولأنك عندي يا عليّ مقتول
 أو هارب خوف الردى مفلول

فأجابه عليه السلام :

هذا مقامي معرض مبذول من يلق سيفي فله العويل
 ولا أخاف الصول بل أصول إني عن الأعداء لا أزول
 يوماً لدى الهيجاء ولا أحول والقرن عندي في الوغاء مقتول
 أو هالك بالسيف أو مغلول

وقال عليه السلام : في جواب رجز عمر بن أخنس بن شريق :

إخساً عليك اللعن من جاهد يا بن لعين لاح بالأرذل
 اليوم أعلوك بذی رونق كالبرق في المخلوق المسبل
 يفري شؤون الرأس لا يتثنى بعد فراش الحاجب الأجزل

أرجو بذلك الفوز في جنة عالية في أكرم المدخل

وفيه أيضاً غطاباً لبعض الفرسان في تلك الغزوة :

لست أرى ما بيننا حاكماً
وصارماً أبيض مثل المها
يبرق في الراحة ضرار
معى حسام قاطع باتر
إلا الذي بالكف تبار
تسطع من تضاربه النار

وفي ألفية الشيخ كاظم الأزري قدس الله روحه :

وبأحدكم فلأحاديث شؤس
يوم دارت بلا ثوابت إلا
كيف للأرض بالتمكن لولا
رب سمر القنا وببيض المواضي
يوم خانت نبالة القوم عهداً
وجدت أنجم السعود عليه
وتراءت لها غنائم شتى
فترى ذلك النفير كما تخبط
يتمنى الفتى ورود المنايا
فئة مألوت من الرعب جيداً
وأحاطت به مذاكي الأعادي
كلما لاح في المهامة برق
لم تخلها إلا أضالع عجف
لا تلمها لجيرة وارتباع
حيث لا يلتوي إلى الألف ألف
إن يفتها ذاك الجميل فعذراً
لدعتها أفعالها أي لدغ

كلما أوقدوا الوغى أطفأها
أسد الله كان قطب رحاها
أنه قابض على أرجاها
سبحت باسم بآسِه هيجاها
لنبي الهدى فخاب رجاءها
دائرات وما درت عقباها
فاقتفى الأكثرون أثر ثراها
في ظلمة الدجى عشواها
والمنايا لو تشرى لأشترأها
إذ دعاها الرسول في أخراها
بعدما أشرفت على استيلاها
حسبته قنا العدى وظباها
قد براها السرى فحل براها
فقدت عزها فعز عزاءها
كل نفس أطاشها ما دعاها
إنما حلية الرجال جباها
رب نفس أفعالها أفعاءها

قَدْ أَرَاهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ضَرْبًا
وَكَسَاهَا الْعَارَ الدَّمِيمَ بَطْطَيْنِ
يَوْمَ سَأَلَتْ سَيْلَ الرُّمَالِ وَلَكِنْ
ذَلِكَ يَوْمُ جَبْرِيلَ أَنْشَدَ فِيهِ
لَا فَتَى فِي الْوُجُودِ إِلَّا عَلِيٌّ
مَا حَوَى الْخَافِقَانِ إِنْسٌ وَجِنٌّ
لَا تَرُمُ وَضْفَهُ فَبِهِ مَعَانِ
مَنْ رَأَهُ رَأَى تَمَائِيلَ ذَكَرِ
رُسِمَتِ فِي ضَمِيرِهِ حَضْرَةُ الْقُدْسِ
مَلَأَ الْأَرْضَ بِالزَّلَازِلِ حَتَّى
لَا تَغْلُ سَيْفُهُ سِوَى نَفْخَةِ الصُّورِ
فَكَانَ الْأَنْفَاسُ قَدْ عَاهَدَتْهُ
بَطَلٌ طَاوَلَ الظُّبَا وَالْعَوَالِي
كَمْ شَرَى أَنْفُسَ الْمُلُوكِ الْغَسَوَالِي
وَأَحَالَتْ مِنَ الصُّوَارِمِ حُمْرًا
فَأَبَانَ الْأَعْنَاقَ عَنْ مَرَكِزِ الْأَبْدَانِ
وَأَعَادَ الْأَجْسَامَ قَفَرَى مِنَ الْأَزْ
كَمْ عُقُولٍ أَطَاشَهَا وَهِيَ لَوْ تَرَى
وَعُيُونٍ لَمْ يَقْذِفْهَا صَرْفُ دَهْرٍ
قَادَ تِلْكَ الْمُلُوكَ قَوْدَ الْمَوَا



لَوَرَأَتْهُ الشُّبَّانُ شَابَتْ لِحَاهَا
مِنْ حُلَى الْكِبَرِيَاءِ قَدْ أَعْرَاهَا
هَبْ فِيهَا نَسِيمُهُ قَذَرَاهَا
مَدْحًا ذُو الْعَلَى لَهُ أَنْشَاهَا
ذَلِكَ شَخْصٌ بِمِثْلِهِ اللَّهُ بَاهَا
قَضَبَاتِ السَّبْقِ الَّتِي قَدْ حَوَاهَا
لَمْ يَصِفْهَا إِلَّا الَّذِي سَوَاهَا
عَنْ ثَنَاءِ الْإِلَهِ لَا تَتَلَاهَا
فَأَنْ يَفُوتَهُ ذِكْرَاهَا
زَادَ مِنْ أَرْؤُسِ الْكُمَاتِ رُبَاهَا
يَسِيلُ الْأَرْوَاحَ مِنْ أَشْلَاهَا
فِي جَفَاءِ النُّفُوسِ مَهْمًا جَفَاهَا
يَبِيدُ مَا يَطُولُهَا مَا عَدَاهَا
بِالْعَوَالِي فَارْخَصَتْ مُشْتَرَاهَا
كَفْتَاةٍ تَوَرَّدَتْ وَجَنَّتَاهَا
حَتَّى كَأَنَّ نَافٍ نَفَاهَا
وَاحٍ يَبْكِي عَلَى الْأَنْبِيَاءِ صَدَاهَا
مِي نُجُومِ الدُّجَى لَحَطَّتْ سُهَاهَا
مُذْ رَمَاهَا بِبَاسِهِ أَقْذَاهَا
شَيْ وَعَلَى صَفْحَةِ الْقُلُوبِ كَوَاهَا

ما ظهر من شجاعة علي عليه السلام في غزوة الخندق

وتسمى (غزوة الأحزاب) أيضاً ، وكانت في السنة الخامسة من الهجرة ، وقال ابن إسحاق : كانت غزوة الخندق في شوال من السنة الخامسة للهجرة .

وعن الواقدي : كانت في ذي القعدة ، وكان المسلمون ثلاثة آلاف ، والمشركون عشرة آلاف ، يرأسهم أبو سفيان .

وسبب وقوع الحرب أن قريشاً بتحريض من يهود بني النضير قد تجمعت في سنة خمس من الهجرة وساروا في العرب وجلبوا واستنفروهم لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فوافوا في عشرة آلاف ، ومعهم كنانة وسليم وفزارة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله حين أجلا بني النضير ، وهم بطن من اليهود ، من المدينة ، وكان رئيسهم حيي بن أخطب ، وهم يهود من بني هارون عليه السلام ، فلما أجلاهم من المدينة صاروا إلى خيبر ، وخرج حيي بن أخطب ، وسلام بن أبي الحقيق ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وهودبة بن قيس ، إلى قريش بمكة وقال لهم : إنَّ مُحَمَّدًا قد وتركم ووترنا وأجلانا من المدينة من ديارنا وأموالنا ، وأجلا بني عَمَّنَا بني قينقاع ، فسيروا في الأرض ، واجمعوا حلفاءكم وغيرهم حتى نسير

إليهم ، فإنه قد بقي من قومي ييثرب سبعمائة مقاتل ، وهم بنو قريظة ، وبينهم وبين محمد عهدٌ وميثاق ، وأنا أحملهم على نقض العهد بينهم وبين محمد ، ويكونون معنا عليهم ، فتأتونهم أنتم من فوق ، وهم من أسفل .

وكان موضع بني قريظة من المدينة على قدر ميلين ، وهو الموضع الذي يسمّى ييثر بني المطلب ، فلم يزل يسير معهم حيّ بن أخطب في قبائل العرب حتى اجتمعوا قدر عشرة آلاف من قريش ، وكنانة والأقرع بن حابس في قومه ، وعباس بن مرداس في بني سليم .

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ، واستشار أصحابه وكانوا سبعمائة رجل فقال سلمان : يا رسول الله ، إن القليل لا يقاوم الكثير في المطالبة .

قال : فما نصنع ؟

قال : نحفر خندقاً يكون بيننا وبينهم حجاباً ، فيمكنك منهم في المطالبة ، ولا يمكنهم أن يأتونا من كلّ وجه ، فإنّا كنّا معاشر العجم في بلاد فارس إذا دهمنا دهم من عدوّنا نحفر الخنادق ، فتكون الحرب من مواضع معروفة .

فنزّل جبرئيل على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : أشار

بصواب .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بحفرة من ناحية أحد إلى راتج ، وجعل على كلّ عشرين خطوة وثلاثين خطوة قوماً من المهاجرين والأنصار يحفرونه ، فأمر ، فحملت المساحي والمعاول ، وبدأ رسول الله صلى الله عليه وآله وأخذ معولاً فحفّر في موضع المهاجرين بنفسه ، وأمير المؤمنين عليه السلام ينقل التراب من الحفرة ، حتى عرق رسول الله صلى الله عليه وآله عليه وآله وعي وقال : « لا عيش إلّا عيش الآخرة ، اللهم اغفر للأنصار والمهاجرين » .

وفي بعض الروايات :

اللَّهُمَّ إِنَّ العيش عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

وفي بعضها : كانت الأنصار تقول :

نحن الَّذِينَ بايعوا مُحَمَّدًا على الجهاد ما بقينا أبداً

فأجابهم النبي صَلَّى الله عليه وآله :

اللَّهُمَّ لا عيش إلا عيش الآخرة فأكرم الأنصار والمهاجرة

وفي بعضها :

اللَّهُمَّ لا خير إلا خير الآخرة فبارك في الأنصار والمهاجرة

فلَمَّا نظر الناس إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يحفر اجتهدوا في

الحفر ونقلوا التراب ، فلَمَّا كان في اليوم الثاني بكروا إلى الحفر ، وقعد

رسول الله صَلَّى الله عليه وآله في مسجد الفتح ، فبينا المهاجرون والأنصار

يحفرون إذ عرض لهم جبلٌ لم تعمل المعاول فيه ، فبعثوا جابر بن عبد الله

الأنصاري إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله يعلمه ذلك .

قال جابر : فجئت إلى المسجد ورسول الله صَلَّى الله عليه وآله

مستلقي على قفاه ، وردأؤه تحت رأسه ، وقد شُدَّ على بطنه حجراً ، فقلت

يا رسول الله ، إنّه قد عرض لنا جبل لا تعمل المعاول فيه .

فقام مسرعاً حتّى جاءه ، ثمّ دعا بماءٍ في إناء ، وغسل وجهه

وذراعيه ، ومسح على رأسه ورجليه ، ثمّ شرب ومجّ ذلك الماء في فيه ، ثمّ

صبّه على ذلك الحجر ، ثمّ أخذ معولاً فضرب ضربةً ، فبرقت برقة ،

فنظرنا فيها إلى قصور الشام .

ثمّ ضرب أخرى فبرقت برقة فنظرنا فيها إلى قصور المدائن .

ثمّ ضرب أخرى فبرقت برقة ، فنظرنا فيها إلى قصور اليمن .

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : أما إنّه سيفتح الله عليكم هذه

المواطن التي برقت فيها البرق . ثم انهال علينا الجبل كما ينهال الرمل .

قال جابر : فعلمتُ أَنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله مقوى - أي جائع - لما رأيت على بطنه الحجر ، فقلت : يا رسول الله ، هل لك في الغداء ؟

قال : ما عندك يا جابر ؟

فقلت : عناق^(١) وصاع من شعير .

فقال : تقدّم وأصلح ما عندك .

قال جابر : فجتت إلى أهلي ، فأمرتها فطحننت الشعير وذبحت العنز وسلختها ، وأمرتها أن تحبز وتطبخ وتشوي .

فلما فرغت من ذلك جئت إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله فقلتُ : بأبي وأمي أنت يا رسول الله ، قد فرغنا فاحضر مع من أحببت .

فقام صَلَّى الله عليه وآله إلى شفير الخندق ثم قال : يا معشر المهاجرين والأنصار ، أجيئوا جابراً . وكان في الخندق سبعمائة رجل ، فخرجوا كلهم ، ثم لم يمرّ بأحدٍ من المهاجرين والأنصار إلّا قال : أجيئوا جابراً .

قال جابر : فتقدّمتُ وقلتُ لأهلي : قد والله أذاك رسول الله صَلَّى الله عليه وآله بما لا يقبل^(٢) لك به !

فقالت : أعلمته أنت ما عندنا ؟ قال : نعم .

قالت : هو أعلم بما أتى .

قال جابر : فدخل رسول الله صَلَّى الله عليه وآله فنظر في القدر ، ثم

(١) العناق : الأنثى من المعز .

(٢) أي طاقة .

قال : اغرفي وأبقي . ثم نظر في التنور ، ثم قال : اخرجي وأبقي . ثم دعا بصحفة فثرد فيها وغرف ، فقال : يا جابر ، أدخل عليّ عشرة . فأدخلت عشرة ، فأكلوا حتى نهلوا^(١) ، وما يرى في القصعة إلا آثار أصابعهم .

ثم قال : يا جابر عليّ بالذراع ، فأتيته بالذراع فأكلوه .

ثم قال : أدخل عليّ عشرة . فدخلوا ، فأكلوا حتى نهلوا ، وما يرى في القصعة إلا آثار أصابعهم .

ثم قال : يا جابر ، عليّ بالذراع . فأتيته فأكلوا وخرجوا .

ثم قال : أدخل عليّ عشرة ، فأدخلتهم ، فأكلوا حتى نهلوا ، وما يرى في القصعة إلا آثار أصابعهم .

ثم قال : يا جابر عليّ بالذراع . فأتيته بالذراع . فقلت : يا رسول الله ، كم للشاة من ذراع ؟ قال : ذراعان .

فقلت : والذي بعثك بالحق نبياً ، لقد أتيتك بثلاثة .

فقال : أما لو سكتُ يا جابر ، لأكلوا كلهم من الذراع .

قال جابر : فأقبلتُ أدخل عشرة عشرة ، فيأكلون حتى أكلوا كلهم ، وبقي والله لنا من ذلك الطعام ما عشنا به أياماً .

قال : وحفر رسول الله صلى الله عليه وآله الخندق وجعل له ثمانية أبواب ، وجعل على كل باب رجلاً من المهاجرين ورجلاً من الأنصار مع جماعة يحفظونه ، وقدمت قريش وكنانة وسليم وهلال ، فنزلوا رَغَابَةً^(٢) ،

(١) أي شبعوا .

(٢) رَغَابَةٌ : موضع قرب المدينة ، وهي مجتمع السيول آخر العقيق ، غربي قبر حمزة .

ففرغ رسول الله صلى الله عليه وآله من حفر الخندق قبل قدوم قريش بثلاثة أيام .

وأقبلت قريش ومعهم حيي بن أخطب ، فلما نزلوا العقيق جاء حيي بن أخطب إلى بني قريظة في جوف الليل ، وكانوا في حصنهم قد تمسكوا بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فمدق باب الحصن ، فسمع كعب بن أسد قرع الباب ، فقال لأهله : هذا أخوك قد شام قومه ، وجاء الآن يشامنا ويهلكنا ، ويأمرنا بنقض العهد بيننا وبين محمد ، وقد وفي لنا محمد وأحسن جوارنا .

فنزل إليه من غرفته فقال له : من أنت ؟ قال : حيي بن أخطب ، قد جئتكم بعز الدهر .

فقال كعب : بل جئتني بذل الدهر .

فقال : يا كعب ، هذه قريش في قادتها وسادتها قد نزلت بالعقيق مع حلفائهم من كنانة ، وهذه فزارة مع قادتها وسادتها قد نزلت زغابة ، وهذه سليم وغيرهم قد نزلوا حصن بني ذبيان ، ولا يفلت محمد وأصحابه من هذا الجمع أبداً ، فافتح الباب وانقض العهد بينك وبين محمد .

فقال كعب : لستُ بفاتح لك الباب ، ارجع من حيث جئت .

فقال حيي : ما يمنعك من فتح الباب إلا جشيتك^(١) التي في التَّور ، تخاف أن أشركك فيها ، فافتح فإنك آمن من ذلك .

فقال له كعب : لعنك الله ، لقد دخلت علي من باب دقيق . ثم قال : افتحوا له الباب . ففتحوا له .

فقال : ويلك يا كعب ! انقض العهد بينك وبين محمد ، ولا ترد

(١) طعام يصنع من الطحين يلقي عليه اللحم أو التمر .

رأيي ، فإنَّ محمّداً لا يفلت من هذا الجمع أبداً ، فإن فاتك هذا الوقت لا تدرك مثله أبداً .

قال : واجتمع كلُّ مَنْ كان في الحصن من رؤساء اليهود ، مثل عزال بن شمول ، وياسر بن قيس ، ورفاعة بن زيد والزبير بن باطا ، فقال لهم كعب : ما ترون ؟

قالوا : أنت سيّدنا والمطاع فينا وصاحب عهدنا وعقدنا ، فإنَّ نقضت نقضنا معك ، وإنَّ أقمّت أقمنا معك ، وإنَّ خرجت خرجنا معك .

قال الزبير بن باطا ، وكان شيخاً كبيراً مجرباً قد ذهب بصره : قد قرأت التوراة التي أنزلها الله في سفرنا بأنّه « يبعث نبيٌّ في آخر الزمان يكون مخرجه بمكة ، ومهاجرته في هذه البحيرة^(١) ، يركب الحمار العربيّ ، ويلبس الشملة ، ويجتزئ بالكسريات والتميرات ، وهو الضحوك القتال ، في عينيه حمرة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، يضع سيفه على عاتقه ، لا يبالي مَنْ لاقى ، يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر ، فإنَّ كان هذا هو فلا يهولنّه هؤلاء وجمعهم ، ولو نأوته هذه الجبال الرواسي لغلبها .

فقال حيي : ليس هذا ذاك . ذلك النبيُّ من بني إسرائيل ، وهذا من العرب من ولد إسماعيل ، ولا يكون بنو إسرائيل أتباعاً لولد إسماعيل أبداً ، لأنَّ الله قد فضّلهم على الناس جميعاً ، وجعل فيهم النبوة والملك ، وقد عهد إلينا موسى أن لا نؤمن لرسول حتّى يأتينا بقربان تأكله النار ، وليس مع محمّد آية ، وإنّما جمعهم جمعاً وسحّهم ، ويريد أن يغلبهم بذلك .

(١) أي المدينة المنورة .

فلم يزل يقلّبهم عن رأيهم حتّى أجابوه ، فقال لهم : أخرجوا الكتاب الذي بينكم وبين محمّد . فأخرجوه ، فأخذه حييّ بن أخطب ومزقه ، وقال : قد وقع الأمر فتجهّزوا وتبيّأوا للقتال .

وبلغ رسول الله صلّى الله عليه وآله ذلك فغمّه غمّاً شديداً ، وفزع أصحابه ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لسعد بن معاذ وأسيد بن حضير ، وكانا من الأوس ، وكانت بنو قريظة حلفاء الأوس : إئتيا بني قريظة فانظرا ما صنعوا ، فإن كانوا نقضوا العهد فلا تعلموا أحداً إذا رجعتما إليّ ، وقولا : عضل والقارة .

فجاء سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى باب الحصن ، فأشرف عليهما كعب من الحصن فشتّم سعداً وشتّم رسول الله صلّى الله عليه وآله . فقال له سعد : إنّما أنت ثعلب في حجر ، لتولين قريش وليحاصرّنك رسول الله ، ولينزلنك على الصغر والقما^(١) ، وليضربن عنقك .

ثمّ رجعا إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقالا له : عضل والقارة . فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « لعنا ، نحن أمرناهم بذلك » .

وذلك أنّه كان على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله عيون لقريش يتجسّسون خبره ، وكانت عضل والقارة قبيلتان من العرب دخلتا في الإسلام ثمّ غدرتا ، وكان إذا غدر أحد ضرب بهما المثل ، فيقال : عضل والقارة .

ورجع حييّ بن أخطب إلى أبي سفيان وقريش ، فأخبرهم بنقض بني

(١) القما : الذل .

قريظة العهد بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله ، ففرحت قريش بذلك .

فلما كان في جوف الليل جاء نعيم بن مسعود الأشجعي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقد كان أسلم قبل قدوم قريش بثلاثة أيام ، فقال : يا رسول الله ، قد آمنتُ بالله وصدقتك وكتمتُ إيماني عن الكفرة ، فإن أمرتني آتيتك بنفسي وأنصرك بنفسي فعلت ، وإن أمرت أن أخذل بين اليهود وبين قريش فعلت ، حتى لا يخرجوا من حصنهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنما أنت واحد خذل بين اليهود وبين قريش ، فإنه أوقع عندي .

قال : فتأذن لي أن أقول فيك ما أريد ؟

قال : قل ما بدا لك .

فجاء إلى أبي سفيان فقال له : تعرف مودتي لكم ونصحي ومحبتتي أن ينصركم الله على عدوكم ، وقد بلغني أن عمداً قد وافق اليهود أن يدخلوا بين عسكريهم ويميلوا إليكم ، ووعدهم إذا فعلوا ذلك أن يرده عليهم جناحهم الذي قطعته بني النضير وقينقاع ، فلا أرى أن تدعوهم يدخلوا عسكريهم حتى تأخذوا منهم رهناً تبعثوا بهم إلى مكة ، فتأمنوا مكرهم وغدرهم .

فقال له أبو سفيان : وفقك الله وأحسن جزاءك ، مثلك أهدى النصائح . ولم يعلم أبو سفيان بإسلام نعيم ، ولا أحد من اليهود .

ثم جاء من فوره ذلك إلى بني قريظة ، فقال له : يا كعب ، تعلم مودتي لكم ، وقد بلغني أن أبا سفيان قال : نخرج هؤلاء اليهود فنضعهم في نحر محمد ، فإن ظفروا كان الذكر لنا دونهم ، وإن كانت علينا كانوا هؤلاء مقادير الحرب ؛ فلا أرى لكم أن تدعوهم يدخلوا عسكريهم حتى

تأخذوا منهم عشرة من أشرافهم يكونون في حصنكم ، إنهم إن لم يظفروا
بمحمّد لم يرحوا حتّى يردّوا عليكم عهدكم وعقدكم بين محمّد وبينكم ، لأنّه
إن ولّت قريش ولم يظفروا بمحمّد غزاكم محمّد فيقتلكم .

فقالوا : أحسنت وأبلغت في النصيحة ، لا نخرج من حصننا حتّى
نأخذ منهم رهناً يكونون في حصننا .

وأقبلت قريش ، فلمّا نظروا إلى الخندق قالوا : هذه مكيدة ما كانت
العرب تعرفها قبل ذلك . فقليل لهم : هذا من تدبير الفارسيّ الذي معه ،
فوافى عمرو بن عبدود ، وهبيرة بن وهب ، وضرار بن الخطّاب إلى
الخندق . وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله قد صفّ أصحابه بين يديه ،
فصاحوا بخيلهم حتّى طفروا الخندق إلى جانب رسول الله صلّى الله عليه
وآله ، فصار أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كلّهم خلف
رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وقدموا رسول الله صلّى الله عليه وآله بين
أيديهم ، وقال رجل من المهاجرين وهو (فلان) لرجل بجنبه من إخوانه :
أما ترى الشيطان عمرو ؟ ! لا والله ما يفلت من بين يديه أحد ، فهلمّوا
ندفع إليه محمّداً ليقتله ، ونلحق نحن بقومنا .

فأنزل الله على نبيّه في ذلك الوقت : ﴿ قد يعلم الله المعوقين منكم
والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ولا يأتون البأس إلّا قليلاً ﴾ إلى قوله :
﴿ أشحّة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله
يسيراً ﴾ (١) .

وركز عمرو بن عبدود رمحاً في الأرض ، وأقبل يجول جولة ، ويرتجز
ويقول :

(١) سورة الأحزاب : آية ١٨ - ١٩ .

ولقد بحثت من النداء بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن الشجاع مواقف القرن المناجز^(١)
إني كذلك لم أزل متسرّعاً نحو الهزاهز^(٢)
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز^(٣)

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : مَنْ لهذا الكلب ؟ فلم يجبه أحد ، فوثب إليه أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أنا له يا رسول الله .

فقال : يا عليّ ، هذا عمرو بن عبدود فارسٌ يَلِيْلُ^(٤) .

قال : وأنا عليّ بن أبي طالب .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله : أدن مني . .

فدنا منه ، فعَمَمَه بيده ، ودفع إليه سيفه ذا الفقار ، وقال له :
« اذهب وقاتل بهذا ؛ اللَّهُمَّ احفظه من بين يديه ومن خلفه ، وعن يمينه
وعن شماله ، ومن فوقه ومن تحته » .

فمرّ أمير المؤمنين عليه السلام يهرول في مشيته ، وهو يقول :

لا تعجلنْ فقد أتاك عجيب صوتك غير عاجز
ذو نيّة وبصيرة والصدق منجى كلّ فائز
إني لأرجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء^(٥) يبقى صوتها بعد الهزاهز

فقال له عمرو : مَنْ أنت ؟

(١) أي المقاتل .

(٢) أي البلايا والحروب .

(٣) أي الطبايع .

(٤) قيل : هو اسم موضع هجم فيه عمرو على عير وهزم ألف خيال منهم .

(٥) أي واسعة .

قال : أنا عليُّ بن أبي طالب ، ابن عمِّ رسول الله وخنته .
فقال : والله ، إن أباك كان لي صديقاً ونديماً . وإنِّي أكره أن
أقتلك ، ما أمن ابن عمِّك حين بعثك إليَّ أن أحتطفك برععي هذا ،
فاتركك شائلاً بين السماء والأرض ، لا حيٍّ ولا ميت !

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : قد علم ابن عمِّي أنَّك إن قتلته
دخلت الجنة وأنت في النار ، وإن قتلتك فأنت في النار وأنا في الجنة .

فقال عمرو : كلتاها لك يا عليّ ، تلك إذا قسمة ضيزى^(١) .

فقال عليّ : دع هذا يا عمرو ، إنِّي سمعت منك وأنت متعلّق بأستار
الكعبة تقول : لا يعرض عليّ أحدٌ في الحرب ثلاث خصال إلّا أجبته إلى
واحدة منها ؛ وأنا أعرض عليك ثلاث خصال ، فأجبني إلى واحدة .

قال : هات يا عليّ .

قال : تشهد أن لا إله إلّا الله ، وأنّ محمداً رسول الله .

قال : نحّ عني هذه .

قال : فالثانية ، أن ترجع وتردّ هذا الجيش عن رسول الله ، فإن يك
صادقاً فأنتم أعلى به عينا ، وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان^(٢) العرب أمره .

فقال : إذن تتحدّث نساء قريش بذلك ، وينشد الشعراء في
أشعارها أنّي جيت ورجعت على عقبي من الحرب ، وخذلت قوماً رأسوني
عليهم .

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : فالثالثة أن تنزل إليّ فإني ركب

(١) أي جائرة .

(٢) أي صعايلهم ولصوصهم .

وأنا راجل حتى أنابذك .

فوثب عن فرسه وعرقبه^(١) ، وقال : هذه خصلة ما ظننت أن أحداً من العرب يسومني عليها .

ثم بدأ فضرب أمير المؤمنين عليه السلام بالسيف على رأسه ، فاتقاه أمير المؤمنين عليه السلام بالدركة فقطعها ، وثبت السيف على رأسه .

فقال له عليّ : يا عمرو ، أما كفاك أني بارزتك وأنت فارس العرب حتى استعنت عليّ بظهير ؟ !

فالتفت عمرو إلى خلفه ، فضربه أمير المؤمنين عليه السلام مسرعاً على ساقيه ، فأطنهما^(٢) جميعاً ، وارتفعت بينهما عجاجة^(٣) ، فقال المنافقون : قتل عليّ بن أبي طالب . ثم انكشفت العجاجة ونظروا فإذا أمير المؤمنين عليه السلام على صدره قد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه ، ثم أخذ رأسه ، وأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله والدماء تسيل على رأسه من ضربة عمرو ، وسيفه يقطر منه الدم ، وهو يقول والرأس بيده : أنا علي بن عبد المطلب الموت خير للفق من الهرب فقال رسول الله : يا عليّ ، ماكرته ؟ قال : نعم يا رسول الله ، الحرب خديعة .

قال العلامة صلاح الدين الصفدي الشافعي في « الغيث المسجم » ج ١١٤/٢ : « كان عمرو بن عبدود العامري جبّاراً عنيداً ، غليظاً عتلاً من الرجال ، فقطع عليّ فحذه من أصلها ، فنزل عمرو وأخذ فحذ نفسه

(١) أي : قطع عرقوبه ، والعرقوب عصب غليظ فوق العقب .

(٢) أي قطعها .

(٣) الغبار .

فضرب بها علياً ، فتوارى عنها ، فوقعت في قوائم بعيرٍ فكسرتها .
وقال العلامة محمد عبد الغفار الهاشمي الحنفي في « أئمة الهدى »
ص ٣٨ ط القاهرة :

« قد جندل - يعني علي - عمرو بن ود أشجع قريش وأشدّهم فروسية
ومبارزة على الاطلاق في غزوة الأحزاب ، وقد أردف بابنه أيضاً ، فهزم الله
بقية الأحزاب بعد مصرعهما بعاصفة عاتية . »

وقال العلامة البدخشي في « مفتاح النجا » ص ٢٥ :
« كان عمرو بن عبدود من مشاهير الأبطال وشجعان العرب ، وكانوا
يعدّلونه باللف فارس . »

أعود لتتميم أحداث الغزوة :
وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله الزبير إلى هبيرة ، فضربه على
رأسه ضربةً فلق هامته .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله عمر بن الخطّاب أن يبارز
ضرار بن الخطّاب ، فلمّا برز إليه ضرار انتزع له عمر سهماً ، فقال ضرار :
ويلك يا بن صهّاك أترميني في مبارزة ، والله لئن رميتني لا تركت عدوياً
بكّة إلا قتلته .

فانهزم عنه عمر ، ومَرَّ نحوه ضرار وضربه بالقناة على رأسه ، ثمّ
قال : احفظها يا عمر ، فإنّي آليت أن لا أقتل قرشياً ما قدرت عليه ،
فكان عمر يحفظ له ذلك بعد ما ولّى وولّاه .

فبقي رسول الله يحاربهم في الخندق خمسة عشر يوماً ، فقال أبو
سفيان الحُميّ بن أخطب : ويلك يا يهودي ، أين قومك ؟ فصار حميّ بن
أخطب إليهم فقال : ويلكم ، اخرجوا فقد نابذتم محمّداً الحرب ، فلا

أنتم مع محمد ولا أنتم مع قريش . فقال كعب : لسنا خارجين حتى تعطينا قريش عشرة من أشrafهم رهناً يكونون في حصننا ، إنهم إن لم يظفروا بمحمد لم يرحوا حتى يرد علينا محمد عهدنا وعقدنا ، فلما لا نأمن أن نفر قريش ونبقى نحن في عقر دارنا ، ويغزونا محمد فيقتل رجالنا ويسبي نساؤنا وذرائعنا ، وإن لم نخرج لعله يرد علينا عهدنا .

فقال له حمي بن أخطب : تطمع في غير مطمع ، فقد نابذت^(١) محمد الحرب ، فلا أنتم مع محمد ، ولا أنتم مع قريش .

فقال كعب : هذا من شؤمك ، إنما أنت طائر تطير مع قريش غداً وترتكنا في عقر دارنا ويغزونا محمد .

فقال له : لك عهد الله علي وعهد موسى ، إنه إن لم تظفر قريش بمحمد أتى أرجع معك إلى حصنك يصيبني ما يصيبك .

فقال كعب : هو الذي قد قلته لك ، إن أعطتنا قريش رهناً يكونون عندنا ، وإلا لم نخرج .

فرجع حمي بن أخطب إلى قريش فأخبرهم ، فلما قال : يسألون الرهن . قال أبو سفيان : هذا والله أول الغدر ، قد صدق نعيم بن مسعود ، لا حاجة لنا في إخوان القردة والخنازير .

وطال على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الأمر واشتد عليهم الحصار ، وكانوا في وقت برد شديد ، وأصابتهم مجاعة ، وخافوا من اليهود خوفاً شديداً ، وتكلم المنافقون بما حكى الله عنهم ، ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلا نافع إلا القليل .

(١) المناذلة : المكاشفة والمقاتلة .

وقد كان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله أخبر أصحابه أَنَّ العرب تتحزَّب عليّ ، ويحيثونا من فوق ، تغدر اليهود ونخافهم من أسفل ، وإنَّه يصيبهم جهد شديد ، ولكن تكون العاقبة لي عليهم ، فلمَّا جاءت قريش وغدرت اليهود قال المنافقون : ما وعدنا الله ورسوله إلَّا غروراً .

وكان قوم منهم أبو مليل بن الأزعر بن زيد بن العطف ، وهو ممَّن شهد بدرأ ، لهم دور في أطراف المدينة فقالوا : يا رسول الله ، تأذن لنا أن نرجع إلى دورنا ، فإنَّها في أطراف المدينة وهي عورة ، ونخاف اليهود أن يغيروا عليها ؟

وقال قوم : هلمَّوا فتهرب ونصير في البادية ونستجير بالأعراب ، فإنَّ الَّذي كان يعدنا محمَّد كان باطلاً كلّهُ .

وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله أمر أصحابه أن يحرسوا المدينة بالليل ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام على العسكر كلّهُ بالليل يحرسهم ، فإنَّ تحرَّك أحد من قريش نابذهم .

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يجوز الخندق ويصير إلى قرب قريش حيث يراهم ، فلا يزال الليل كلّهُ قائم وحده يصليّ ، فإذا أصبح رجع إلى مركزه .

ومسجد أمير المؤمنين عليه السلام هناك معروف يأتيه من يعرفه فيصليّ فيه ، وهو من مسجد الفتح إلى العقيق أكثر من غلوة نشاب .

فلمَّا رأى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله من أصحابه الجزع لطول الحصار صعد إلى مسجد الفتح ، وهو الجبل الَّذي عليه مسجد الفتح اليوم ، فدعا الله وتناهى فيما وعده وقال :

« يا صريحُ المكروبين ، ويا مجيب المضطرين ، ويا كاشف الكرب

العظيم ، أنت مولاي ووليّ ووليّ آبائي الأولين ، اكشف عنا غمنا وهمنا وكربنا ، واكشف عنا كرب هؤلاء القوم بقوّتك وحولك وقدرتك .

فنزل جبرئيل عليه السلام فقال : يا عمّد ، إنّ الله قد سمع مقاتلك ، وأجاب دعوتك ، وأمر الدبور^(١) مع الملائكة أن تهزم قريشاً والأحزاب .

وبعث الله على قريش الدبور فانهزموا ، وقلعت أخبيتهم ، ونزل جبرئيل فأخبره بذلك ، فنادى رسول الله صلّى الله عليه وآله حذيفة بن اليمان ، وكان قريباً منه فلم يجبه ، ثمّ ناداه ثانياً فلم يجبه ، ثمّ ناداه ثالثاً فقال : لبيك يا رسول الله .

فقال : أدعوك فلا تجيبني ؟

قال : يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، من الخوف والبرد والجوع .

فقال : ادخل في القوم وأتني بأخبارهم ، ولا تحدثنّ حدثاً حتّى ترجع إليّ ، فإنّ الله قد أخبرني أنّه قد أرسل الرياح على قريش وهزمهم .

قال حذيفة : فمضيت وأنا أنتفض من البرد ، فوالله ما كان إلّا بقدر ما جزت الخندق حتّى كآني في حمّام ، فقصدت خباءً عظيماً ، فإذا نار تحبّو وتوقد ، وإذا خيمة فيها أبو سفيان قد دلّأ خصيتيه على النار ، وهو ينتفض من شدة البرد ، ويقول : يا معشر قريش ، إنّ كُنّا نقاتل أهل السماء بزعم عمّد فلا طاقة لنا بأهل السماء ، وإنّ كُنّا نقاتل أهل الأرض فنقدر عليهم .

ثمّ قال : لينظر كلّ رجل منكم إلى جلسه ، لا يكون لمحمّد عين فيما بيننا .

(١) أيّ الريح .

قال حذيفة : فبادرت أنا فقلت للذي عن يميني : مَنْ أنت ؟

قال : أنا عمرو بن العاص .

ثم قلت للذي عن يساري : مَنْ أنت ؟

قال : أنا معاوية . وإنما بادرْتُ إلى ذلك لثلاث يسألني أحدُ مَنْ أنت .

ثم ركب أبو سفيان راحلته وهي معقولة ، ولولا أَنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال : لا تُحْدِث حدثاً حتى ترجع إليّ لقدرت أن أقتله .

ثم قال أبو سفيان لخالد بن الوليد : يا أبا سليمان ، لا بدَّ من أن أقيم وأنت على ضعفاء الناس .

ثم قال : ارتحلوا إنا مرتحلون . ففرّوا منهزمين .

فلما أصبح رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال لأصحابه : لا تبرحوا . فلما طلعت الشمس دخلوا المدينة وبقي رسول الله صَلَّى الله عليه وآله في نفر يسير .

وكان ابن عرق الكناني رمى سعد بن معاذ رحمه الله بسهم في الخندق فقطع أكله^(١) ، فنزفه الدم ، فقبض سعد على أكله بيده ثم قال : « اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَبْقَيْتَ مِنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ شَيْئاً فابْقِنِي لَهَا ، فَلَا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مُحَارِبَتِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حَارَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، وَإِنْ كَانَتْ الْحَرْبُ قَدْ وَضَعَتْ أَوْزَارَهَا بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ ، فَاجْعَلْهَا لِي شَهَادَةً ، وَلَا تَمَتِّنِي حَتَّى تَقَرَّ عَيْنِي مِنْ بَنِي قُرَيْظَةَ » فأمسك الدم وتورّمت يده ، فضرب له رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم في المسجد خيمة وكان يتعاهده بنفسه .

وفي الحديث الذي رواه الشيخ الصدوق في « الخصال » ص ٣٦٨ .

(١) عرق في اليد ، هو عرق الحياة .

في خبر اليهودي الذي سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن خصال الأوصياء فقال عليه السلام فيما قال :

وأما الخامسة يا أخا اليهود ، فإن قريشاً والعرب تجمعت وعقدت بينها عقداً وميثاقاً لا ترجع من وجهها حتى تقتل رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتقتلنا معه معاشر بني عبد المطلب ، ثم أقبلت بحدّها وحديدها^(١) ، حتى أناخت علينا بالمدينة واثقة بأنفسها فيما توجهت له .

فهبط جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله فأنبأه بذلك ، فخندق على نفسه ومن معه من المهاجرين والأنصار ، فقدمت قريش فأقامت على الخندق محاصرة لنا ، ترى في أنفسها القوة وفيها الضعف ، ترعد وتبرق^(٢) ، ورسول الله صلى الله عليه وآله يدعوها إلى الله عز وجل ، ويناشدها بالقرابة والرحم ، فتأبى ولا يزيدا ذلك إلا عتوا .

وفارسها وفارس العرب يومئذ عمرو بن عبدود يهدر كالبعير المغتلم^(٣) يدعو إلى البزار ويرتجز ، ويخطر برعه مرة ، وبسيفه مرة ، لا يقدم عليه مقدّم ، ولا يطمع فيه طامع ، لا حمية تهيجه ، ولا بصيرة تشجعه .

فانهضني إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وعممي بيده ، وأعطاني سيفه هذا - وضرب بيده إلى ذي الفقار - فخرجت إليه ونساء أهل المدينة بواكي إشفاقاً عليّ من ابن عبدود ، فقتله الله عز وجل بيدي ، والعرب لا تعدّ لها فارساً غيره ، وضربني هذه الضربة وأوماً بيده إلى

(١) أي بعدتها وسلاحها .

(٢) أي تتوعد وتهدد .

(٣) المهدير للبعير : إخراج الصوت شديداً في غير شفقة . واغتمامه : هيجانه .

هامته ، فهزم الله قريشاً والعرب بذلك ، وبما كان مني فيهم من
النكايه^(١) .

ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال : أليس كذلك ؟ قالوا :
بلى يا أمير المؤمنين .

وقال ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة » ج ١٩ / ٦٠ - ٦٤ :

فأما الخرجة التي خرجها يوم الخندق إلى عمرو بن عبدود فلأنها أجل من
أن يقال : جليلة ، وأعظم من أن يقال : عظيمة ، وما هي إلا كما قال
شيخنا أبو الهذيل ، وقد سأله سائل : أيما أعظم منزلة عند الله ؟ علي أم
أبو بكر ؟

فقال : يا ابن أخي ، والله لمبارزة علي عمرو يوم الخندق تعدل
أعمال المهاجرين والأنصار وطاعتهم كلها ، فضلاً عن أبي بكر وحده .
وقد روي عن حذيفة بن اليمان ما يناسب هذا بل ما هو أبلغ منه .

ثم ذكر خبر حذيفة كما سيأتي في رواية المفيد رحمه الله ، وذكر أكثر
الروايات التي رواها المفيد في هذا الباب ، وقال :

وجاء في الحديث المرفوع أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال ذلك
اليوم حين برز إليه : « برز الإيمان كله إلى الشرك كله » .

وفي الحديث المرفوع أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال عند
قتل عمرو : « ذهب ربحهم ، ولا يغزوننا بعد اليوم ، ونحن نغزوهم إن
شاء الله » .

ثم ساق القصة إلى أن قال :

(١) أي الجرح والقتل .

فقال عمرو : مَنْ أنت ؟ وكان شيخاً كبيراً قد جاوز الثمانين ، وكان نديم أبي طالب في الجاهلية ، فانتسب عليّ عليه السلام له ، وقال : أنا عليّ بن أبي طالب . فقال : أجل ، لقد كان أبوك نديماً لي وصديقاً ، فارجع فلاني لا أحب أن أقتلك .

وكان شيخنا أبو الخير مصدّق بن شبيب النحويّ يقول إذا مررنا في القراءة عليه بهذا الموضع : والله ما أمره بالرجوع إبقاءً عليه ، بل خوفاً منه ، فقد عرف قتلاه بيدٍ وأحد ، وعلم أنّه إن ناهضه قتله ، فاستحى أن يُظهر الفشل فأظهر الإبقاء والإرعاء ، وإنّه لكاذب فيهما .

ثم ساق القصة إلى أن قال : لما قتل عمرو وفراً أصحابه ليعبروا الخندق ، فطفرت بهم خيلهم إلّا نوفل بن عبد الله ، فلأنه قصر فرسه فوقع في الخندق ، فنزل إليه علي عليه السلام فقتله .

وناوش عمر بن الخطاب ضرار بن عمرو فحمل عليه ضرار حتّى إذا وجد عمر مَسَّ الرمح رفعه عنه ، وقال : إنّها لنعمة مشكورة فاحفظها يا ابن الخطاب ، إنّني كنت آليت أن لا تمكّني يداي من قتل قرشيّ فأقتله . وانصرف ضرار راجعاً إلى أصحابه ، وقد كان جرى له معه مثل هذه في يوم أحد .

وقد ذكر هاتين القصتين معاً محمّد بن عمر الواقدي في « المغازي » ج ٢/ ٤٧٠ و ٤٧١ .

ولأسوق هنا كلام الشيخ السديد المفيد أعلى الله مقامه في « الارشاد » ص ٥٠ - ٥٧ لما فيه من الفوائد ، قال رحمه الله :

كانت غزاة الأحزاب بعد بني النضير ، وذلك أنّ جماعة من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضيريّ ، وحيّ بن أخطب وكنانة بن الربيع ،

وهوذة بن قيس الوالبي ، وأبو عمارة الوالبي في نفر من بني والبة خرجوا حتى قدموا مكة ، فصاروا إلى أبي سفيان صخر بن حرب لعلمهم بعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وتسرعهم إلى قتاله ، فذكروا له ما نالهم منه ، وسألوه المعونة لهم على قتاله .

فقال لهم أبو سفيان : أنا لكم حيث تحبون ، فاخرجوا إلى قريش ، فادعوهم إلى حربهم ، واضمنوا النصر لهم والثبوت معهم حتى تستأصلوه . فطافوا على وجوه قريش ودعوهم إلى حرب النبي صلى الله عليه وآله وقالوا لهم : أيدينا مع أيديكم ، ونحن معكم حتى نستأصله .

ف قالت لهم قريش : يا معشر اليهود ، أنتم أهل الكتاب الأول ، والعلم السابق ، وقد عرفتم الدين الذي جاء به محمد ، وما نحن عليه من الدين ، فديننا خير من دينه ، أم هو أولى بالحق منا ؟ فقالوا لهم : بل دينكم خير من دينه .

فنشطت قريش لما دعوههم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وجاءهم أبو سفيان فقال لهم : قد مكنتكم الله من عدوكم ، وهذه اليهود تقاتله معكم ، ولن تنفك عنكم حتى يؤق على جميعها أو نستأصله ومن أتبعه . فقويت عزائمهم إذ ذاك في حرب النبي صلى الله عليه وآله .

ثم خرج اليهود حتى جاؤوا غطفان من قيس غيلان ، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وضمّنوا لهم النصر والمعونة ، وأخبروهم باتباع قريش لهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم .

فخرجت قريش وقائدها إذ ذاك أبو سفيان صخر بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن في بني فزارة ، والحارث بن عوف

في بني مرة ، ووبرة بن طريف في قومه من أشجع ، واجتمعت قريش معهم .

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وآله باجتماع الأحزاب عليه ، وقوة عزيمتهم في حربه ، استشار أصحابه ، فاجتمع رأيهم على المقام بالمدينة وحرب القوم إن جاؤوا إليهم على أنقابها^(١) .

وأشار سلمان الفارسي رحمه الله على رسول الله صلى الله عليه وآله بالخندق ، فأمر بحفره ، وعمل فيه بنفسه ، وعمل فيه المسلمون .

وأقبلت الأحزاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فهال المسلمين أمرهم ، وارتاعوا من كثرتهم وجمعهم ، فنزلوا ناحية من الخندق ، وأقاموا بمكانهم بضعا وعشرين ليلة ، لم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل والحصا .

فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ضعف قلوب أكثر المسلمين من حصارهم لهم ، ووهنهم في حربيهم ، بعث إلى عيينة بن حصن والحارث بن عوف ، وهما قائدا غطفان ، يدعوهما إلى صلحه والكف عنه ، والرجوع بقومهما عن حربه على أن يعطيها ثلث ثمار المدينة .

واستشار سعد بن عباد وسعد بن معاذ فيما بعث به إلى عيينة والحارث ، فقالا : يا رسول الله ، إن كان هذا الأمر لا بد لنا من العمل به لأن الله أمرك فيه بما صنعت والوحي جاءك به فافعل ما بدا لك . وإن كنت تختار أن تصنعه لنا كان لنا فيه رأي .

فقال صلى الله عليه وآله : « لم يأتيني وحي به ، ولكني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وجاؤوكم من كل جانب ، فأردت أن أكسر

(١) الأنقاب ، جمع النقب : الثقب ، وهو الطريق في الجبل .

عنكم من شوكتهم إلى أمر ما .

فقال سعد بن معاذ : قد كنّا نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعرف الله ولا نعبده ، ونحن لا نطعمهم من ثمرنا إلا قري أو يبعأ ، والآن حين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا به وأعزّنا بك نعطيهم أموالنا ؟ ما بنا إلى هذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : الآن قد عرفت ما عندكم ، فكونوا على ما أنتم عليه ، فإن الله تعالى لن يخذل نبيّه ولن يسلمه حتى ينجز له ما وعده .

ثمّ قام رسول الله صلى الله عليه وآله في المسلمين يدعوهم إلى جهاد العدو ، ويشجّعهم ويعدّهم النصر من الله .

فانتدبت فوارس من قريش للبراز ، منهم عمرو بن عبدود بن أبي قيس بن عامر بن لؤي بن غالب ، وعكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة بن أبي وهب المخزوميّان ، وضرار بن الخطّاب بن مرداس الفهريّ ، فلبسوا للقتال ، ثمّ خرجوا على خيلهم حتى مروا بمنازل بني كنانة ، فقالوا : تهبّأوا يا بني كنانة للحرب .

ثمّ أقبلوا تعنق بهم خيلهم حتى وقفوا على الخندق ، فلمّا تأملوه قالوا : والله إنّ هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها . ثمّ تيمّموا مكاناً من الخندق فيه ضيق فضربوا خيلهم فاقتحمته ، وجاءت بهم في السبخة بين الخندق وطلع .

وخرج أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في نفر معه من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثفرة التي اقتحموها ، فتقدّم عمرو بن عبدود الجماعة الذين خرجوا معه ، وقد أعلم ليرى مكانه ، فلمّا رأى المسلمين وقف هو والخيل التي

معه ، وقال : هل من مبارز ؟

فبرز له أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال له عمرو : ارجع يا بن الأخ ، فما أحب أن أقتلك .

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام . قد كنتَ يا عمرو عاهدتَ الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خصلتين إلا اخترتها منه .

فقال : أجل ، فما ذاك ؟

قال : إنِّي أدعوك إلى الله ورسوله والإسلام .

قال : لا حاجة لي إلى ذلك .

قال : فلنَّي أدعوك إلى التزال .

فقال : ارجع فقد كان بيني وبين أبيك خلَّة ، وما أحب أن أقتلك .

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : لكنني والله أحب أن أقتلك ما دمت آبياً للحق .

فحمى عمرو عند ذلك وقال : أتقتلني ؟ ونزل عن فرسه ففقره ، وضرب وجهه حتى نفر ، وأقبل على علي عليه السلام مصلاً سيفه ويدره بالسيف ، فنشب سيفه في ترس علي عليه السلام ، فضربه أمير المؤمنين ضربةً فقتله .

فلما رأى عكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب وضرار بن الخطاب عمرواً صريعاً ولوا بخيلهم منهزمين حتى اقتحموا الخندق لا يلوون إلى شيء .

وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام إلى مقامه الأول ، وقد كادت نفوس القوم الذين خرجوا معه إلى الخندق تطير جزعاً ، وهو يقول :

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونصرت ربَّ محمد بصواب

فضربته وتركته متجذلاً كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه لو أنني كنت المقطر بزني أثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه ونبيّه يا معشر الأحزاب

وقد روى محمد بن عمر الواقدي قال : حدّثني عبد الله بن جعفر ،
عن أبي عون ، عن الزهري ، قال :

جاء عمرو بن عبدود ، وعكرمة بن أبي جهل ، وهبيرة بن أبي
وهب ، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة ، وضرار بن الخطاب في يوم الأحزاب
إلى الخندق ، فجعلوا يطوفون به يطلبون مضيقاً منه فيعبرون ، حتّى
انتهوا إلى مكان أكرهوا خيولهم فيه فعبرت ، وجعلوا يجيلون بخيلهم فيما
بين الخندق ولسلج ، والمسلمون وقوف لا يقدم منهم أحد عليهم .

وجعل عمرو بن عبدود يدعو إلى البراز ويعرّض بالمسلمين ويقول :
ولقد بحثت من النداء بجمعهم هل من مبارز
وفي كلّ ذلك يقوم عليّ بن أبي طالب عليه السلام ليبارزه ، فيأمره
رسول الله صلّى الله عليه وآله بالجلوس انتظاراً منه ليتحرّك غيره ،
والمسلمون كأنّ على رؤوسهم الطير لمكان عمرو بن عبدود والخوف منه ومن
معه ومن وراؤه .

فلما طال نداء عمرو بالبراز وتتابع قيام أمير المؤمنين عليه السلام قال
له رسول الله صلّى الله عليه وآله : أدن مني يا عليّ ، فدنا منه ، فنزع
عمامته من رأسه وعمّمه بها وأعطاه سيفه ، وقال له : « امض لشأنك » ثمّ
قال : « اللهم أعنه » .

فسمي نحو عمرو ومعه جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله لينظر
ما يكون منه ومن عمرو ، فلما انتهى أمير المؤمنين عليه السلام إليه قال
له : يا عمرو ، إنك كنت في الجاهليّة تقول : لا يدعوني أحد إلى ثلاث ،

واللآت والعزى ، إلا قبلتها أو واحدة منها . قال : أجل .

قال : فلنبي أدعوك إلى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وأن تسلم لرَبِّ العالمين .

قال : يابن أخ آخر هذه عني .

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : أما إننا خير لك لو أخذتها . ثم قال : فههنا أخرى .

قال : وما هي ؟

قال : ترجع من حيث جئت .

قال : لا تحدّث نساء قريش بهذا أبداً .

قال : فههنا أخرى .

قال : وما هي ؟

قال : تنزل فتقاتلني .

فضحك عمرو وقال : إن هذه الخصلة ما كنت أظن أن أحداً من

العرب يرومني عليها ، إنني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك ، وقد كان أبوك لي نديماً .

قال عليّ عليه السلام : لكنني أحب أن أقتلك ، فانزل إن شئت .

فأسف عمرو ونزل وضرب وجه فرسه حتى رجع .

قال جابر رحمه الله : فثارت بينها قترة ، فما رأيتها ، فسمعت التكبير

تحتها ، فعلمت أن علياً قد قتله ، فانكشف أصحابه حتى طفرت خيولهم

الخندق ، وتبادر أصحاب النبي صلى الله عليه وآله حين سمعوا التكبير

ينظرون ما صنع القوم ، فوجدوا نوفل بن عبد الله في جوف الخندق لم

ينهض به فرسه ، فجعلوا يرمونه بالحجارة ، فقال لهم : قتلة أجهل من

هذه ، ينزل إليّ بعضكم أقاتله .

فنزّل إليه أمير المؤمنين عليه السلام فضربه حتى قتله ، ولحق هبيرة فأعجزه وضرب قربوس سرجه ، وسقطت درع كانت عليه ، وفرّ عكرمة ، وهرب ضرار بن الخطاب .

قال جابر : فما شبهت قتل عليّ عمرواً إلّا بما قصّ الله من قصّة داود وجالوت حيث يقول جلّ شأنه : ﴿ فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت ﴾ (١) .

وقد روى قيس بن الربيع قال : حدّثنا أبو هارون العبديّ ، عن ربيعة السعديّ ، قال : أتيت حذيفة بن اليمان فقلت له : يا أبا عبد الله ، إنّنا لتحدّث عن عليّ ومناقبه فيقول لنا أهل البصرة : إنّكم تفرطون في عليّ ، فهل أنت محدّثي بحديث فيه ؟

فقال حذيفة : يا ربيعة ، وما تسألني عن عليّ ؟ فوالذي نفسي بيده لو وضع جميع أعمال أصحاب محمّد في كفة الميزان من ذبعت الله محمّداً إلى يوم القيامة ، ووضع عمل عليّ عليه السلام في الكفة الأخرى لرجح عمل عليّ عليه السلام على جميع أعمالهم (٢) .

فقال ربيعة : هذا الذي لا يقام له ولا يقعد ولا يحمل .

فقال حذيفة : يا لكع ، وكيف لا يحمل ؟ وأين كان أبو بكر وعمر وحذيفة وجميع أصحاب محمد صلّى الله عليه وآله يوم عمرو بن عبدود ، وقد دعا إلى المبارزة فأحجم الناس كلّهم ما خلا عليّاً عليه السلام فإنّه برز إليه وقتله الله على يده ؟ والذي نفس حذيفة بيده لعمله ذلك اليوم

(١) سورة البقرة : ٢٥١ .

(٢) وروي مثله عن حذيفة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وعن بهز بن حكيم عن أبيه عن جدّه عن رسول الله ، وعن ابن مسعود عن رسول الله ، ذكرها مع مصادرها في إحقاق الحق ج ٤/٦ - ٨ وج ٤٠٢/١٦ - ٤٠٥ .

أعظم أجراً من عمل أصحاب محمد صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة .

وقد روى هشام بن محمد ، عن معروف بن خربوذ ، قال : قال علي بن أبي طالب في يوم الخندق :

أعليّ تقتحم الفوارس هكذا	عنيّ وعنهما خبروا أصحابي
اليوم تمنعني الفرار حفيظي	ومصمّم في الرأس ليس بنباب
أرديت عمرواً إذ طغى بمهّند	صافي الحديد مجرّب قضاب
فصدتُ حين تركتمتجلاً	كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنني	كنت المقطر بزني أثوابي

وروى يونس بن بكير ، عن محمد بن إسحاق قال : لما قتل علي بن أبي طالب عليه السلام عمرواً أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وآله ووجهه يتهلّل ، فقال له عمر بن الخطاب : هلاًّ سلبت ، يا عليّ ، درعه؟ فإنه ليس في العرب درع مثلها .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّي استحيت أن أكشف سواة ابن عمي .

وروى عمر بن الأزهر ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، أنّ عليّاً عليه السلام لما قتل عمرو بن عبدود احتزّ رأسه وحمله فألقاه بين يدي النبي صلى الله عليه وآله ، فقام أبو بكر وعمر فقبلا رأس عليّ عليه السلام .

وروى عليّ بن حكيم الأوديّ ، قال : سمعت أبا بكر بن عيَّاش يقول : لقد ضرب عليّ ضربة ما كان في الإسلام أعزّ منها . يعني ضربة عمرو بن عبدود .

ولقد ضرب عليه السلام ضربة ما ضرب في الإسلام أشام منها .

يعني ضربة ابن ملجم لعنه الله^(١) .

وفي الأحزاب أنزل الله تعالى : ﴿ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴾^(٢) إلى قوله : ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾^(٣) .

فتوجّه العتب إليهم والتوبيخ والتقريع . ولم ينج من ذلك أحد بالاتفاق إلا أمير المؤمنين عليه السلام ، إذ كان الفتح له وعلى يديه ، وكان قتله عمرو ونوفل بن عبد الله سبب هزيمة المشركين ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله بعد قتله هؤلاء النفر : الآن نغزوهم ولا يغزونا .

وقد روى يوسف بن كليب ، عن سفيان بن زيد ، عن قرّة وغيره ، عن عبد الله بن مسعود أنّه كان يقرأ : ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ بعلي ﴿ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ .

- وقد ذكرنا قراءة ابن مسعود هذه عن مصادر معتبرة وبطرق وأسانيد كثيرة في الجزء الأول من كتابنا هذا فراجع -

وقد روى أحمد بن عبد العزيز قال : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ أَيُّوبَ ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيِّ ، قَالَ : لَمَّا قُتِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَمْرُو بْنُ

(١) قال الفيروز آبادي في القاموس ج ٤ / ٢٦٠ : ذو القرنين : علي بن أبي طالب ، كان ذا شجنتين في قرني رأسه ، إحداهما من عمرو بن عبد ود ، والثانية من ابن ملجم لعنه الله .

(٢) سورة الأحزاب : آية ١٠ - ١٢ .

(٣) سورة الأحزاب : آية ٢٥ .

عبدود نعي إلى أخته فقالت : مَنْ ذا الَّذي اجترأ عليه ؟ فقالوا : ابن أبي طالب عليه السلام .

فقالت : لم يعد موته إلا على يد كفو كريم ، لا رقات دمعتي إن هرقتها عليه ، قتل الأبطال ، وبارز الأقران ، وكانت مئنته على يد كفو كريم من قومه ، ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر .

ثم أنشأت تقول :

لو كان قاتِلُ عمرو غيرَ قاتله لكنت أبكي عليه آخر الأبدِ
لكن قاتل عمرو لا يُعابُ به مَنْ كان يدعى قديماً بيضة البلد^(١)

وقالت أيضاً في قتل أخيها ، وذكر علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليه :

أسدان في ضيق المكر^(٢) تصاولا وكلاهما كفؤ كريمٌ باسلٌ
فتخالسا مهج النفوس كلاهما وسط المدار غائل ومقاتلٌ
وكلاهما حضر القراع حفيظةً لم يشه عن ذاك شغلٌ شاغلٌ
فاذهب عليّ فما ظفرت بمثله قول سديد ليس فيه تحاملٌ
والثأر عندي يا عليّ فليتني أدركته والعقل مني كاملٌ
ذلت قريش بعد مقتل فارس فالذلّ مهلكها وخزيّ شاملٌ

ثم قالت : والله لا ثارت قريش بأخي ما حنت النوق .

(١) قال ابن منظور في لسان العرب : ١٢٧/٧ : بيضة البلد : علي بن أبي طالب سلام الله عليه ، أي أنه فردٌ ليس مثله في الشرف ، كالبيضة التي هي تريكة وحدها ليس معها غيرها .

(٢) المكر : موضع الكر في القتال .

وقال العلامة الأديب أبو هلال العسكري في كتابه «الأوائل» ص ٢٩٦ ط دار الكتب العلمية - بيروت : أول من قال (جعلت فداك) علي رضي الله عنه ، لما دعا عمرو بن عبد ود العامري إلى البراز يوم الخندق ، فلم يجبه أحد ، فقال علي رضي الله عنه : جعلت فداك ، يا رسول الله ، أتأذن لي ؟ قال : إنه عمرو بن ود ! فقال : وأنا علي بن أبي طالب ، فخرج إليه فقتله .

نبذة من الأشعار في غزوة الأحزاب

في الديوان المنسوب إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام :

أعليّ تقتحم الفوارس هكذا	عني وعنهم أئخروا أصحابي ^(١)
اليوم تمنعني الفرار حفيظتي	ومصمّم في الهام ليس بناب ^(٢)
آلى ابن عبد حين شدّ إليّة	وحلفت فاستمعوا من الكذاب ^(٣)
أن لا يصدّ ولا يهلّ فالتقى	رجلان يضطربان كلّ ضراب ^(٤)
فصدت حين رأيت متقطّراً	كالجذع بين دكادك وروابي ^(٥)
وعففت عن أثوابه ولو أنني	كنت المقطر بزني أثوابي ^(٦)
عبد الحجارة من سفاهة رأيه	وعبدت ربّ محمّد بصواب

(١) أي : يا أصحابي أئخروا أنفسكم .

(٢) حفيظتي : غصني وحميتي . وصمّم السيف : مضى في العظم وقطّعه ، ويقال : نبا السيف إذا لم يعمل في الضريبة .

(٣) آلى إليّة : حلف بمينا .

(٤) لا يصد ولا يهلل : لا يعرض عن الحرب ولا يرجع ولا يسلم . يضطربان : يتضاربان .

(٥) متقطّراً : ملقى على أحد جنبه . الدكادك : جمع الدكداك وهو ما التبد من الرمل بالأرض ولم يرتفع . الروابي : جمع رابية وهي ما ارتفع من الأرض .

(٦) أي سلبني أثوابي .

عرف ابن عبد حين أبصر صارماً يهتز أن الأمر غير لعاب^(١)
أرديت عمروا إذ طغى بمهتد صافي الحديد مهذب قضاب^(٢)
لا تحسبوا الرحمن خاذل دينه ونبيّه يا معشر الأحزاب
وقد ذكرتُ فيما تقدّم أربعة أبيات منها برواية الشيخ المفيد ،
باختلاف يسير .

وفي الديوان أيضاً قوله عليه السلام :

الحمد لله الجميل المفضل المسبغ المولي العطاء المجزل
شكراً على تمكينه لرسوله بالنصر منه على الغواة الجهل
كم نعمة لا أستطيع بلوغها جهداً ولو أعملت طاقة مقول^(٣)
لله أصبح فضله متظاهراً منه عليّ سألت أم لم أسأل
قد عاين الأحزاب من تأييده جند النبيّ وذو البيان المرسل
ما فيه موعظة لكل مفكّر إن كان ذا عقل وإن لم يعقل
وفيه أيضاً :

وكانوا على الاسلام إلباً ثلاثة فقد خرّ من تلك الثلاثة واحد^(٤)
وفرّ أبو عمرو هبيرة لم يعد ولكن أخو الحرب المجرب عائذ
نهتم سيوف الهند أن يقفوا لنا غداة التقينا والرماح مصائد

وفيه أيضاً مخاطباً عمرو بن عبدود :

يا عمرو قد لاقيت فارس بهمة^(٥) عند اللقاء معاود الإقدام

(١) الصارم : السيف القاطع . يهتز : يتحرك . غير لعاب : أي ملاعنة .

(٢) قضاب : قاطع .

(٣) المقول : اللسان .

(٤) كانوا : الضمير راجع إلى قريش وغطفان وبني قريظة . إلباً : مجتمعين .

(٥) البهمة : الفارس الذي لا يُدرى من أين يؤق من شدة بابه .

من آل هاشم من سناء باهر يدعو إلى دين الإله ونصره
 بهند غضب رقيق حذّه ومحمدُ فينا كأنّ جبينه
 والله ناصر دينه ونبيّه شهدت قريش والقبائل كلّها

وفي قتل عمرو بن عبدود يقول حسان بن ثابت :

أمسى الفتى عمرو بن عبد يتغي ولقد وجدت سيوفنا مشهورة
 ولقد رأيت غداة بدر عصبة أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة
 بجنوب يثرب غارة لم تنظر ولقد وجدت جيادنا لم تقصر
 ضربوك ضرباً غير ضرب المحر يا عمرو أو لجسيم أمرٍ منكّر

ويقال : إنه لما بلغ شعر حسان بن ثابت بني عامر أجابه فتى منهم ،
 فقال يرّد عليه في افتخاره بالأنصار :

كذبتُم وبيت الله لم تقتلوننا بسيف ابن عبد الله أحمد في الوغا
 ولم تقتلوا عمرو بن عبد بياسكم عليّ الذي في الفخر طال بناؤه
 ببدر خرجتم للبراز فردّكم فلما أتاهم حمزة وعبيدة
 فقالوا : نعم أكفاء صدق فأقبلوا فجال عليّ جولة هاشميّة
 فليس لكم فخر علينا بغيرنا ولكن بسيف الهاشميين فافخروا
 بكفّ عليّ نلتُم ذاك فاقصروا ولكنّه الكفو الهزبر الغضنفر
 ولا تكثرُوا الدّعوى علينا فتحقروا شيوخ قريش جهرةً وتأخروا
 وجاء عليّ بالمهند يخطر إليهم سراعاً إذ بغوا وتجبّروا
 فدمّروهم لما عتوا وتكبّروا وليس لكم فخر يعدّ ويذكر

(١) المضب : القاطع . يفري : يشقّ .

وقد ذكرت هذه الأبيات مع شرحها في آخر الفصل المتعلق بغزوة

بدر .

وفي ملحمة الشيخ الأديب كاظم الأزري الهاتية :

ظَهَرَتْ مِنْهُ فِي السَّوْعَى سَطَوَاتُ	مَا أَتَى الْقَوْمَ كُلَّهُمْ مَا أَتَاهَا
يَوْمَ غَصَّتْ بِجَيْشِ عَمْرُو بْنِ وَدٍ	لَهَوَاتُ الْفَلَاحِ وَضَاقَ قَضَاهَا
وَتَحَطَّى إِلَى الْمَدِينَةِ فَرْدَا	بِسَرَايَا عِزَائِمِ سَارَاهَا
فَأَقَامَتْ مَا بَيْنَ طَيْشٍ وَرُغْبٍ	وَكَفَاهَا ذَاكَ الْمَقَامَ كَفَاهَا
فَدَعَاهُمْ وَهُمْ الْوَفْ وَلَكِنْ	يَنْظُرُونَ الَّذِي يَشِبُّ لَطَاهَا
أَيْنَ أَنْتُمْ عَنْ قَسُورِ عَامِرِي	تَتَقِي الْأَسَدُ بَأْسَهُ فِي شَرَاهَا
فَابْتَدَى الْمُصْطَفَى يُحَدِّثُ عَمَّا	تُوجِرُ الصَّابِرُونَ فِي أَخْرَاهَا
قَائِلًا إِنَّ لِلْجَلِيلِ جَنَانًا	لَيْسَ غَيْرُ الْمُجَاهِدِينَ يَرَاهَا
أَيْنَ مَنْ نَفْسُهُ تَتَوَقُّ إِلَى الْجَنَابِ	أَوْ يُورِدُ الْجَحِيمَ عِدَاهَا
مَنْ لِعَمْرٍو وَقَدْ ضَمِنْتُ عَلَى اللَّهِ	لَهُ مِنْ جَنَانِهِ أَعْلَاهَا
فَالْتَوُوا عَنْ جَوَابِهِ كَسَومٍ	لَا تَرَاهَا مُجِيبَةً مَنْ دَعَاهَا
وَإِذَا هُمْ بِفَارِسٍ قُرَشِيٍّ	تَرْجُفُ الْأَرْضُ خَيْفَةً إِذْ يَطَاهَا
قَائِلًا مَا لَهَا بِسِوَايَ كَفِيلٍ	هَذِهِ ذِمَّةٌ عَلَيَّ وَفَاهَا
وَمَشَى يَطْلُبُ النُّزَالَ كَمَا تَمْشِي	خِمَاصُ الْحَثَى إِلَى مَرْعَاهَا
فَانْتَضَى مَشْرِيفِيهِ فَتَلَقَّى	سَاقَ عَمْرٍو بِضَرْبَةٍ فَبَرَاهَا
يَا لَهَا ضَرْبَةٌ حَوَتْ مَكْرَمَاتٍ	لَمْ يَزِنْ ثِقْلُ أَجْرِهَا ثِقْلَاهَا
هَذِهِ مِنْ عِلَاهُ إِحْدَى الْمَعَالِي	وَعَلَى هَذِهِ فِقْسٌ مَا سِوَاهَا

* * *

ما ظهر من شجاعته عليه السلام في غزوة بني قريظة

وبنو قريظة فخذ من جذام إخوة النضير ، نزلوا بجبلٍ يقال له (قُريظة) فَنُسِبوا إليه ، وقيل : إن قريظة اسم جدِّهم .

وقد ذكرت في خبر غزوة الأحزاب أنه كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله صلح فنقضوه ومزقوه ، وظاهروا قريشاً وأعانوهم ومالوا معهم ، وذكرت الخلاف الذي أحدثه بينهم نعيم بن مسعود الأشجعي ، وإليك هنا بقية أحداث غزو رسول الله صلى الله عليه وآله لهم :

لما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة عائداً من الخندق واللواء معقود ، أراد أن يغتسل من الغبار ، فناداه جبرائيل : عذيرك من محارب ، والله ما وضعت الملائكة لامتها ، فكيف تضع لامتك ؟ إن الله يأمرك أن لا تصلِّي العصر إلَّا ببني قريظة ، فإنِّي متقدِّمك ومزلزل بهم حصنهم ، إنا كنَّا في آثار القوم نزجرهم زجراً حتَّى بلغوا حمراء الأسد .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله فاستقبله حارثة بن نعمان فقال له : ما الخبر يا حارثة ؟

فقال : بأبي وأمي يا رسول الله ، هذا دحية الكلبيّ ينادي في الناس : ألا لا يصلِّين العصر أحد إلَّا في بني قريظة .

فقال : ذاك جبرئيل ، أَدْعُوا عَلِيًّا .

فجاء عليٌّ عليه السلام فقال له : « نَادِ فِي النَّاسِ أَنْ لَا يَصَلِّينَ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قَرِظَةَ » .

فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فنَادَى فِيهِمْ ، فخرج الناس فبادروا إلى بني قريظة ، وخرج رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وعليٌّ عليه السلام بين يديه مع الراية العظمى .

وكان حِمِيٌّ بن أخطب لما انهزمت قريش جاء فدخل حصن بني قريظة ، فجاء أمير المؤمنين عليه السلام فأحاط بحصنهم ، فأشرف عليهم كعب بن أسد من الحصن يشتمهم ويشتم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ، فأقبل رسول الله صَلَّى الله عليه وآله على حمارٍ ، فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَا تَدْنُو مِنَ الْحَصَنِ .

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : يَا عَلِيُّ : لَعَلَّهُمْ شَتَمُونِي لِأَنَّهُمْ لَوْ آذَنِي لِأَذْنِهِمُ اللَّهُ .

ثُمَّ دَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ حَصْنِهِمْ فَقَالَ : « يَا أُخُوَّةَ الْقُرَّةِ وَالْخَنَازِيرِ ، وَعِبْدَةُ الطَّاغُوتِ ، أَتَشْتَمُونِي ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُهُمْ » .

فأشرف عليهم كعب بن أسد من الحصن فقال : وَاللَّهِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ مَا كُنْتُ جَهْلُولًا . فاستحيا رسول الله صَلَّى الله عليه وآله حَتَّى سَقَطَ الرِّدَاءُ مِنْ ظَهْرِهِ حَيَاءً مِمَّا قَالَهُ .

وكان حول الحصن نخل كثير ، فأشار إليه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله عليه وآله بيده فتباعد عنه وتفرَّق في المفاضة ، وأنزل رسول الله صَلَّى الله عليه وآله العسكر حول حصنهم ، فحاصرهم ثلاثة أَيَّامٍ فَلَمْ يَطْلُعْ أَحَدٌ مِنْهُمْ رَأْسَهُ .

فلما كان بعد ثلاثة أيام نزل إليه غزال بن شمول فقال : يا محمد ،
تعطينا ما أعطيت إخواننا من بني النضير ، إحقن دماءنا ، ونخلي لك البلاد
وما فيها ولا نكتملك شيئاً ؟

فقال : لا ، أو تنزلون على حكمي . فرجع وبقوا أياماً ، فبكى
النساء والصبيان إليهم ، وجزعوا جزعاً شديداً .

فلما اشتد عليهم الحصار نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه
 وآله : فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالرجال فكثفوا ، وكانوا
سبعائة ، وأمر بالنساء فعزلن .

وقامت الأوس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقالوا : يا
رسول الله ، حلفاؤنا وموالينا من دون الناس . نصرونا على الخزرج في
المواطن كلها ، وقد وهبت لعبد الله بن أبي سبعائة درّاع ، وثلاثمائة حاسر
في صبيحة واحدة ، وليس نحن بأقلّ من عبد الله بن أبي .

فلما أكثروا على رسول الله صلى الله عليه وآله قال لهم : أما ترضون
أن يكون الحكم فيهم إلى رجل منكم ؟ فقالوا : بلى ، فمن هو ؟

قال : سعد بن معاذ . قالوا : قد رضينا بحكمه . فأتوا به في
محفة^(١) ، واجتمعت الأوس من حوله يقولون له : يا أبا عمرو ، اتق الله
وأحسن في حلفائك ومواليك ، فقد نصرونا ببُعْث^(٢) ، والحدائق والمواطن
كلها .

فلما أكثروا عليه قال : قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم .
فقال الأوس : واقوماه ، ذهب والله بنو قريظة . وبكى النساء والصبيان
إلى سعد .

(١) المحفة : سرير يحمل عليه المريض أو المسافر .

(٢) حرب كانت بين الأوس والخزرج .

فلَمَّا سكتوا قال لهم سعد : يا معشر اليهود ، أَرْضَيْتُمْ بِحَكْمِي
فِيكُمْ ؟

قالوا : بلى قد رَضِينَا بِحَكْمِكَ ، وَاللَّهِ قَدْ رَجَوْنَا نَصْفَكَ وَمَعْرُوفَكَ
وَحَسَنَ نَظْرِكَ .

فَأَعَادَ عَلَيْهِمُ الْقَوْلَ ، فَقَالُوا : بلى يَا أَبَا عَمْرٍو .

فَالْتَفَتَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِجْلَالاً لَهُ فَقَالَ : مَا تَرَى
بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ؟

فَقَالَ : أَحْكَمْ فِيهِمْ يَا سَعْدُ ، فَقَدْ رَضِيتُ بِحَكْمِكَ فِيهِمْ .

فَقَالَ : قَدْ حَكَمْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ تَقْتُلَ رِجَالَهُمْ ، وَتُسَبِّي نِسَاءَهُمْ
وَذُرَارِيَهُمْ ، وَتَقْسِمَ غَنَائِمَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ .

فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ : حَكَمْتَ بِحَكْمِ اللَّهِ مِنْ
فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقَعَةٍ^(١) . ثُمَّ انْفَجَرَ جَرَحُ سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ ، فَمَا زَالَ يَنْزِفُهُ الدَّمُ
حَتَّى قَضَى نَحْبَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ .

وَسَاقُوا الْأَسَارَى إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
بِأَخْذِ دُودٍ . فَحَفَرَتْ بِالْبَقِيعِ ، فَلَمَّا أَمْسَى أَمَرَ بِإِخْرَاجِ رَجُلٍ رَجُلٍ وَكَانَ يُضْرَبُ
عُنُقُهُ ، فَقَالَ حَبِيبُ بْنُ أَخْطَبٍ لَكَعْبِ بْنِ أَسَدٍ : مَا تَرَى يَصْنَعُ بِهِمْ ؟ فَقَالَ
لَهُ : مَا يَسُوءُكَ ، أَمَا تَرَى الدَّاعِيَ لَا يَقْلَعُ ، وَالَّذِي يَذْهَبُ لَا يَرْجِعُ !
فَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ عَلَى دِينِكُمْ .

فَأَخْرَجَ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ مَجْمُوعَةً يَدِيهِ إِلَى عُنُقِهِ ، وَكَانَ جَمِيلاً وَسِيمًا ،
فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ لَهُ : يَا كَعْبُ أَمَا نَفَعَكَ
وَصِيَّةُ ابْنِ الْحَوَاسِ الْحَبْرِ الذَّكِيِّ الَّذِي قَدِمَ عَلَيْكَ مِنَ الشَّامِ ، فَقَالَ :

(١) يَعْنِي : سَبْعَ سِهَاقَاتٍ ، وَكُلُّ سِهَاءٍ يُقَالُ لَهَا : رَقِيعٌ .

« تركتُ الخمر والخنزير . وجئتُ إلى البؤس والتمور ، لنبيّ يبعث ، مخرجه بمكة ، ومهاجره في هذه البحيرة ، يجترىء بالكسرة والتميرات ، ويركب الحمار العربيّ ، في عينيه حمرة ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، يضع سيفه على عنقه ، لا يبالي من لاقى ، يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر ؟ »

فقال : قد كان ذلك يا محمد ، ولولا أنّ اليهود يعيرونني أنّي جزعت عند القتل لأمّنتُ بك وصدّقتك ، ولكنّي على دين اليهود عليه أحيا وعليه أموت .

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : قدّموه واضربوا عنقه . فضربت .

ثمّ قدّم حمي بن أخطب فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : يا فاسق ، وكيف رأيتُ الله صنّع بك ؟ فقال : والله يا محمد ، ما ألوم نفسي في عداوتك ، ولقد قلقلت كلّ مقلقل^(١) ، وجهدت كلّ الجهد ، ولكن من يخذل الله يخذل .

ثمّ قال حين قدّم للقتل :

لعمرى ما لام ابن أخطب نفسه ولكنّه من يخذل الله يخذل
فقدّم وضرب عنقه ، فقتلهم رسول الله صلّى الله عليه وآله في
البردين : بالغداة والعشيّ ، في ثلاثة أيّام .

وكان صلّى الله عليه وآله يقول : « اسقوهم العذّب ، واطعموهم الطيّب ، واحسنوا إسارهم » .

وقال الشيخ المفيد قدّس سرّه في « الإرشاد » ص ٥٧ - ٥٩ :

لما انهزم الأحزاب وولّوا عن المسلمين الدبر ، عمل رسول الله على

(١) يقال : قلقله فتقلقل : إذا حرّكه فتحرّك .

قصد بني قريظة ، وأنفذ أمير المؤمنين عليه السلام إليهم في ثلاثين من
الخزرج ، وقال له ؛ أنظر بني قريظة ، هل نزلوا حصونهم ؟

فلما شارف سورهم سمع منهم الهجر ، فرجع إلى النبي صلى الله
عليه وآله فأخبره ، فقال : دعهم ، فإن الله سيمكن منهم ، إن الذي
أمكنك من عمرو بن عبدود لا يخذلك ، فقف حتى يجتمع الناس إليك ،
وأبشر بنصر من عند الله ، فإن الله تعالى قد نصرني بالرعب من بين يدي
مسيرة شهر .

قال علي عليه السلام : فاجتمع الناس إلي ، وسرت حتى دنوت من
سورهم ، فأشرفوا علي ، فلما رأوني صاح صائح منهم : قد جاءكم قاتل
عمرو . وقال آخر : قد أقبل إليكم قاتل عمرو . وجعل بعضهم يصبح
بعض ويقولون ذلك ، وألقى الله في قلوبهم الرعب ، وسمعت راجزاً
يرتجز :

قتل علي عمرواً صاد علي صقراً
فصم علي ظهراً أبرم علي أمراً
هتك علي ستراً

فقلت : الحمد لله الذي أظهر الإسلام وقمع الشرك .

وكان النبي صلى الله عليه وآله قال لي حين توجهت إلى بني قريظة :
« سر على بركة الله تعالى ، فإن الله قد وعدكم أرضهم وديارهم » فسرت
متيقناً بنصر الله عز وجل ، حتى ركزت الراية في أصل الحصن ،
فاستقبلوني في صياصيتهم يسبون رسول الله صلى الله عليه وآله .

فلما سمعت سبهم له كرهت أن يسمع رسول الله صلى الله عليه وآله
ذلك ، فعملت على الرجوع إليه ، فإذا به صلى الله عليه وآله قد طلع
وسمع سبهم له ، فناداهم : « يا إخوة القردة والخنازير ، إننا إذا حللنا

بساحة قوم فساء صباح المنذرين » فقالوا له : يا أبا القاسم ، ما كنت جهولاً ولا سبأاً فاستحي رسول الله صلى الله عليه وآله ورجع القهقري قليلاً ، ثم أمر فضربت خيمته بإزاء حصونهم .

فأقام النبي صلى الله عليه وآله محاصراً لبني قريظة خمساً وعشرين ليلة ، حتى سألوه النزول على حكم سعد بن معاذ ، فحكم فيهم سعد بقتل الرجال وسبي الذراري والنساء وقسمة الأموال ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : « يا سعد لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة » .

وأمر النبي صلى الله عليه وآله بإنزال الرجال منهم وكانوا تسعمائة رجل فجيء بهم إلى المدينة ، وقسم الأموال ، واسترق الذراري والنسوان ، ولما جيء بالأسارى إلى المدينة حبسوا في دار من دور بني النجار ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى موضع السوق اليوم فخندق فيه خنادق ، وحضر أمير المؤمنين عليه السلام ومعه المسلمون ، وأمر بهم أن يخرجوا ، وتقدم إلى أمير المؤمنين عليه السلام أن يضرب أعناقهم في الخندق ، فأخرجوا إرسالاً ، وفيهم حمي بن أخطب وكعب بن أسد ، وهما إذ ذاك رئيسا القوم ، فقالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله : يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟

فقال : في كل موطن لا تعقلون ؟ ألا ترون الداعي لا ينزع ، ومن ذهب منكم لا يرجع ، هو والله القتل .

وجيء بحمي بن أخطب مجموعة يده إلى عنقه ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال : أما والله ما لمت نفسي على عداوتك ، ولكن من يخذل الله يخذل ، ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس إنه لا بد من أمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني إسرائيل .

ثم أُقيم بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول : قتلة شريفة
بيد شريف .

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : إن خيار الناس يقتلون
شرارهم ، وشرارهم يقتلون خيارهم ، فالويل لمن قتله الأخيار الأشراف ،
والسعادة لمن قتله الأردال الكفار .

فقال : صدقت ، لا تسلبني حلتي .

فقال : هي أهون عليّ من ذاك .

فقال : سترني سترك الله . ومدّ عنقه فضربها عليّ عليه السلام ، ولم
يسلبه من بينهم .

ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام لمن جاء به : ما كان يقول حيّ
وهو يقاد إلى الموت ؟ قال كان يقول :

لعمرك ما لام ابن أخطب نفسه ولكنّه من يخذل الله يخذل
فجاهد حتّى بلغ النفس جهدها وحاول يبقى العزّ كلّ مقلقل

فقال أمير المؤمنين عليّ عليه الصلاة والسلام :

لقد كان ذا جِدٍّ وجِدٍّ بكفره فقيد إلينا في المجمع يعتل^(١)
فقلّدتَه بالسيف ضربة مُحْفَظ^(٢) فصار إلى قعر الجحيم يكبّلُ
فذاك مآب الكافرين ومَن يطع لأمر إله الخلق في الخلد ينزلُ

واصطفى رسول الله صلّى الله عليه وآله من نسائهم بنت عمرة خنافة
وقتل من نسائهم امرأة واحدة كانت أرسلت عليه حجراً ، وقد جاء باليهود
ينازلوهم قبل مبايعتهم له فسلمه الله تعالى من ذلك الحجر .

(١) أي يجذب .

(٢) أي مغضب .

وكان الظفر بيني قريظة وفتح الله على النبي صلى الله عليه وآله بأمر
المؤمنين عليه السلام ، وما كان من قتله من قتل منهم ، وما ألقاه الله
عز وجل في قلوبهم من الرعب فيه ومائلت هذه الفضيلة ما تقدّمها من
فضائله ، وشابهت هذه المنقبة ما سلف ذكره من مناقبه عليه السلام .

ما ظهر من شجاعته عليه السلام في غزوة خَيْبَر

وَحَيْبَرُ نَاحِيَةٌ تَبْعُدُ ثَمَانِيَةَ بُرْدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ لَمَنْ أَرَادَ الشَّامَ ، وَالْبَرِيدُ يَسَاوِي (٢٢١٧٦) مِترًا تَقْرِيْبًا بِحَسَابِنَا الْيَوْمَ = ١٧٧ كِيلُومِترًا عَنِ الْمَدِينَةِ الْمَنُورَةِ بِطَرِيقِ تَبُوكَ وَالْأُرْدُنَ ، وَتَشْتَمِلُ عَلَى سَبْعَةِ حَصُونٍ هِيَ : حَصْنُ نَاعِمَ ، الْقَمُوصُ وَهُوَ حَصْنُ أَبِي الْحَقِّيقِ ، حَصْنُ الشَّقِّ ، حَصْنُ النَّطَاةِ ، حَصْنُ السَّلَامِ ، حَصْنُ الْوُطَيْحِ ، حَصْنُ الْكَتَيْبَةِ .

وَأَسْمُ (حَيْبَرٍ) مَعْنَاهُ بِالْعَبْرِيَّةِ (الْحَصْنُ) وَقَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الزَّجَّاجِيُّ : أَنَّهَا سَمِّيَتْ بِحَيْبَرَ بْنِ قَانِيَةَ بْنِ مِهْلَاثِيلَ بَنِ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَانَ هُوَ أَوَّلُ مَنْ نَزَلَ هَذَا الْمَوْضِعَ ؛ وَمُعْظَمُ سُكَّانِهَا يَهُودِيُونَ بِالْيَهُودِيَّةِ ، وَعَنِ الشَّيْخِ الطَّبْرَسِيِّ أَنَّ بِحَيْبَرَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ .

وَتَشْتَهَرُ بِكَثْرَةِ مَزَارِعِهَا وَنَخِيلِهَا وَتَمْرِهَا ، وَهِيَ مَوْصُوفَةٌ بِكَثْرَةِ الْحَمَى الَّتِي لَا تَكَادُ تَفَارِقُ أَهْلَهَا ، وَزَعَمَ الْيَهُودُ أَنَّ مَنْ أَرَادَ دُخُولَ حَيْبَرَ فَلْيَقِفْ عَلَى بَابِهَا عَلَى أَطْرَافِهَا الْأَرْبَعَةِ ، وَيَنْهَقْ نَهْيَقَ الْحِمَارِ عَشْرًا ، فَبِذَلِكَ لَا تَضُرُّهُ حَمَى حَيْبَرَ ، وَيَسَمَّى ذَلِكَ تَعَشِيرًا ، وَالْمَعْنَى فِيهِ أَنَّ الْحَمَى وَلَوْعَ بِالنَّاسِ ، أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْهُمْ !^(١) .

(١) انظر معجم البلدان ج ٢/ ٤٠٩ ، آثار البلاد وأخبار العباد ص ٩٢ .

أما تاريخ هذه الغزوة فقد عيّن الشيخ البهائي قدّس سرّه يوم
الخامس عشر من شهر محرم الحرام سنة سبع من الهجرة^(١) .

وفي بعض التواريخ أنّ فتح خيبر كان في عقب المحرم^(٢) .
ولأشّرع هنا بذكر أحداث هذه الغزوة منذ بدء حركة رسول الله صلّى
الله عليه وآله .

وعن سلمة بن الأكوع ، قال : خرجنا مع رسول الله صلّى الله عليه
وآله إلى خيبر ، فسرنا ليلاً ، فقال رجلٌ من القوم لعامر بن الأكوع : ألا
تسمعن من هنيهاتك^(٣) ؟ وكان عامر رجلاً شاعراً ، فجعل يقول :

لاهمّ لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلّينا
فاغفر فداء لك ما اقتنينا وثبّت الأقدام إن لاقينا
وانزلن سكيناً علينا إنّنا إذا صيح بنا أتينا
وبالصباح عوّلوا علينا

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « من هذا السائق ؟ » قالوا :
عامر .

قال : « يرحمه الله » .

قال رجل وهو على جمل : وجبت^(٤) يا رسول الله ، لولا أمتعتنا^(٥)
به .

(١) توضيح المقاصد ص ٤ .

(٢) تاريخ الإسلام ، قسم الغزوات ص ٤٠٣ ط دار الكتاب العربي -
بيروت .

(٣) الهنيهات : الكلمات والأراجيز .

(٤) أي الرحمة أو الجنة .

(٥) أي هلا تركتنا نتفع به ، إذ وددنا أنّك أخرت الدعاء له فتمنّع بمصاحبه منّة .

وذلك أَنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله ما استغفر لرجل قطَّ يَخْصَهُ
إِلَّا اسْتَشْهَد .

قالوا : فَلَمَّا جَدَّ الحَرْبُ وَتَصَافَّ القَوْمُ خَرَجَ يَهُودِيٌّ ، وَهُوَ يَقُولُ :
قَدْ عَلِمْتُ خَيْرَ أَنِّي مَرْحَبٌ شَاكِي السِّلَاحِ بِطَلٍّ مَجْرَبٌ
إِذِ الحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلْهَبُ

فَبَرَزَ إِلَيْهِ عَامِرٌ وَهُوَ يَقُولُ :
قَدْ عَلِمْتُ خَيْرَ أَنِّي عَامِرٌ شَاكِي السِّلَاحِ بِطَلٍّ مَغَامِرٌ
فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ ، فَوَقَعَ سَيْفُ الْيَهُودِيِّ فِي تَرَسِ عَامِرٍ ، وَكَانَ سَيْفُ
عَامِرٍ فِيهِ قَصْرٌ ، فَتَنَاولَ بِهِ سَاقَ الْيَهُودِيِّ لِيَضْرِبَهُ فَرَجَعَ ذُبَابٌ سَيْفَهُ فَأَصَابَ
عَيْنَ رَكْبَةِ عَامِرٍ فَهَاتَمَتْ مِنْهُ .

قَالَ سَلَمَةُ : فَلِذَا نَفَرَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
يَقُولُونَ : بِطَلٍّ عَمِلَ عَامِرٌ ، قَتَلَ نَفْسَهُ .
قَالَ : فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَنَا أَبْكِي ، فَقُلْتُ : قَالُوا :
إِنَّ عَامِرًا بِطَلٍّ عَمِلَهُ .

فَقَالَ : « مَنْ قَالَ ذَلِكَ ؟ »
قُلْتُ : نَفَرَ مِنْ أَصْحَابِكَ .
فَقَالَ : كَذَبَ أَوْلَئِكَ ، بَلْ أُوتِيَ مِنَ الْأَجْرِ مَرَّتَيْنِ .
قَالَ : فَحَاصِرُنَا هُمْ حَتَّى إِذَا أَصَابَتْنَا مَخْمَصَةٌ شَدِيدَةٌ^(١) ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ
فَتَحَهَا عَلَيْنَا ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَعْطَى اللِّوَاءَ عَمْرُ بْنُ
الْخَطَّابِ ، بَعْدَ هَزِيمَةِ أَبِي بَكْرٍ ، وَنَهَضَ مَنْ نَهَضَ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ ، فَلَقُوا
أَهْلَ خَيْبَرَ ، فَانْكَشَفَ عَمْرٌ وَأَصْحَابُهُ فَرَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

(١) أَيِ جُوعٍ .

وآله يَجِبْنَ أصحابه وَيَجِبْنَهم .

وكان رسول الله أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس ، فقال حين أفاق من وجعه : « ما فعل الناس بخير ؟ » فأنخبر .

فقال : « لأعطينَ الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، كَرَّاراً غير فَرَّار ، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه » .

وروى البخاري ومسلم عن قتيبة بن سعيد ، عن يعقوب بن عبد الرحمن الاسكندراني ، عن أبي حازم ، عن سهل بن سعد ، أن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قال يوم خيبر : « لأعطينَ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله » .

قال : فبات الناس يدوكون بجملتهم أيهم يُعطاهَا ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صَلَّى الله عليه وآله كلهم يرجون أن يعطاها .

فقال : « أين عليّ بن أبي طالب ؟ »

فقالوا : يا رسول الله ، هو يشتكي عينيه .

قال : « فأرسلوا إليه » فأتى به فبصق رسول الله صَلَّى الله عليه وآله في عينيه ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية .

فقال عليّ : يا رسول الله ! أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا ؟

قال : أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله ، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حمر النعم .

قال سلمة : فبرز مرحب ، وهو يقول :

قد علمت خير أني مرحب الأبيات .

فبرز له عليّ عليه السلام وهو يقول :

أنا الذي سَمَتني أُمِّي حيدرة كليث غابات كريبه المنظرة
أوفيهـم بالصاع كيل السندرة

فَضْرَبَ مَرْحَباً ، ففلق رأسه ، فقتله ، وكان الفتح على يده ، أورده
مسلم في الصحيح .

قال العلامة صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي في « الغيث
المسجـم » ج ١١٤/٢ ط مصر :

« ومن ضربات عليّ المشهورة ضربته مَرْحَباً ، فإنه ضربه على البيضة
ضربةً فَقَدَها وَقَدَّه نصفين » .

وقال العلامة أحمد البرزنجي في « مقاصد الطالب » ص ٨ ط گلزار
بومبای :

« وكان مَرْحَب قد تدرَّع بدرعين وسيفين ومِغْفَر وعِصَامَتَيْن وحجر
مَثْقُوب كالقَلَنْسُوة على رأسه ، فَقَدَّه المِهمام - عليّ - بالحسام حتَّى وصل إلى
أُضراسه » .

وروى البيهقي في « السنن الكبرى » ج ١٣٢/٩ ط حيدر
آباد الدكن .

والحافظ نور الدين الميـثمي في « مجمع الزوائد » ج ١٥٢/٦ ط مكتبة
القدسـي - القاهرة ، عن عليّ عليه السلام قال :

لَمَّا قَتَلْتُ مَرْحَباً جِئْتُ بِرَأْسِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الإمام علي عليه السلام من
« تاريخ دمشق » ج ١٧٤/١ ح ٢١٨ بإسناده إلى سمرة بن جندب أن
رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ما سرُّ يوم خيبر بسيف إلا بسيف علي بن أبي
طالب .

وروى أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : خرجنا مع عليّ عليه السلام حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله ، فقاتلتهم ، فضربه رجل من اليهود ، فطرح ترسه من يده ، فتناول عليّ عليه السلام باب الحصن فتترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده ، فلقد رأيتني في سبعة نفر أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه .

وبإسناده عن ليث بن أبي سليم ، عن أبي جعفر محمد بن عليّ عليها السلام قال : حدثني جابر بن عبد الله أنّ عليّاً عليه السلام حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه فائقحموها ففتحوها ، وإنه حرك بعد ذلك فلم يحمله أربعون رجلاً .

قال : وروي من وجه آخر عن جابر : ثمّ اجتمع عليه سبعون رجلاً فكان جهدهم أن أعادوا الباب .

وقد روى أصحاب الآثار ، عن الحسن بن صالح ، عن الأعمش ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عبد الله الجدليّ ، قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : لما عاجلت باب خيبر جعلته مجنّاً لي فقاتلتهم به ، فلما أخزاهم الله وضعت الباب على حصنهم طريقاً ، ثمّ رميت به في خندقهم ، فقال له رجل : لقد حملت منه ثقلأ ! فقال : ما كان إلّا مثل جُنَّتِي الَّتِي فِي يَدِي فِي غَيْر ذَلِكَ الْمَقَام .

وذكر أصحاب السيرة أنّ المسلمين لما انصرفوا من خيبر ، راموا حمل الباب ، فلم يقلّه منهم إلّا سبعون رجلاً .

وفي رواية ابن شهر آشوب في « المناقب » ج ٢/ ٧٨ قال : أركبه رسول الله صلى الله عليه وآله يوم خيبر وعمّه بيده ، وألبسه

ثيابه ، وأركبه بغلته ، ثم قال : « امض يا عليّ وجبرئيل عن يمينك ، وميكائيل عن يسارك ، وعزرائيل أمامك ، وإسرافيل وراءك . ونصرُ الله فوقك ، ودعائني خلفك » وخبر النبي صلى الله عليه وآله رمية باب خيبر أربعين ذراعاً فقال صلى الله عليه وآله : والذي نفسي بيده ، لقد أعانه عليه أربعون ملكاً .

وفي الحديث الذي رواه الشيخ الصدوق في « الأمالي » ص ٤١٤ ح ١٠ بإسناده إلى عبد الله بن عمرو بن العاص قال :

ما عجبنا من فتح الله خيبر على يدي عليّ عليه السلام ، ولكنّا عجبنا من قلعه الباب ورميه خلفه أربعين ذراعاً ، ولقد تكلف حمله أربعون رجلاً فما أطاقوه . فأخبر النبي صلى الله عليه وآله بذلك ، فقال : والذي نفسي بيده لقد أعانه عليه أربعون ملكاً .

وفي الأمالي أيضاً ص ٤١٥ بإسناده إلى الصادق ، عن آبائه عليهم السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في رسالته إلى سهل بن حنيف رحمه الله : والله ، ما قلعتُ باب خيبر ورميت به خلف ظهري أربعين ذراعاً بقوة جسدية ، ولا حركة غذائية ، لكنّي أيدت بقوة ملكوتية ، ونفس بنور ربّها مضيئة ، وأنا من أحمد كالضوء من الضوء ، والله ، لو تظاهرت العرب على قتالي لما وليت ، ولو أمكنتني الفرصة من رقابها لما بقيت ، ومن لم يبال متى حتفه عليه ساقط ، فجنانته في الملّات رابط .

وفي رواية القطب الراوندي في « الخرائج والجرائح » ج ١ ص ١٦٠ ح ٢٤٩ ط قم ، أن أمير المؤمنين عليه السلام حمل على اليهود فانهزموا بين يديه ودخلوا الحصن وردّوا باباه . وكان الباب حجراً منقوراً في صخر ، والباب من الحجر في ذلك الصخر المنقور كأنه حجر رحي ، وفي وسطه

ثقب لطيف ، فرمى أمير المؤمنين عليه السلام بقوسه من يده اليسرى ، وجعل يده اليسرى في ذلك الثقب الذي في وسط الحجر دون اليمنى ، لأنَّ السيف كان في يده اليمنى ، ثمَّ جذب به إليه ، فانهار الصخر المنقور ، وصار الباب في يده اليسرى ، فحملت عليه اليهود ، فجعل ذلك ترساً له ، وحمل عليهم ، ففُضرب مرحباً فقتله ، وانهزم اليهود من بين يديه ، فرمى عند ذلك الحجر بيده اليسرى إلى خلفه ، فمرَّ الحجر ، الذي هو الباب ، على رؤوس الناس من المسلمين ، إلى أن وقع في آخر العسكر .

قال المسلمون : فذرعنا المسافة التي مضى فيها الباب ، فكانت أربعين ذراعاً ، ثمَّ اجتمعنا على الباب لنرفعه من الأرض ، وكنا أربعين رجلاً ، حتَّى تهبَّ لنا أن نرفعه قليلاً من الأرض .

وفي رواية العلامة أصيل الدين عطاء الله الدشتكي في « روضة الأحياب » ص ٣١٤ ، قال :

إنَّ علياً قتل يوم خيبر سبعة من شجعان اليهود فهربوا إلى الحصن ، فتعقبهم عليٌّ ففُضرب يهودي على يده فسقط ترسه ، وأخذ آخر فغضب عليٌّ غضباً شديداً وحمل عليهم حتَّى وصل إلى باب خيبر ، وكان من الحديد ، فقلعه وتترس به ، ثمَّ ألقاه إلى موضع يفصل منه بائنين وثمانين شبراً .

عليٌّ رمى باب المدينة خيبر ثمانين شبراً وافيأ لم يثلم وقال العلامة باكتير الحضرمي في « وسيلة المال » ص ١٠٥ مخطوط ، على ما في « إحقاق الحق » ج ٩٣/١٨ :

في بعض الروايات أنه لما قدَّ مُرحب ، دنا عليٌّ من باب خيبر ، وهو أربعة أذرع طولاً ، في خمسة أشبار عرضاً ، في أربعة أصابع سُمكاً ، فاقتلعه وهو مثبتٌ في صخرة ، وأثرُ أصابعه الخمس في الإبهام من قدامه

والأربع أصابع من خلفه ، وذلك الأثر إلى الآن باق .

وقال الحافظ البرسي في « مشارق الأنوار » على ما في « بحار الأنوار » ج ٢١ ص ٤٠ ح ٣٧ : لما جاءت صفية إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت من أحسن الناس وجهاً ، فرأى في وجهها شجرة ، فقال : ما هذه ، وأنت ابنة الملوك ؟

فقالت : إن علياً عليه السلام لما قدم إلى الحصن هز الباب ، فاهتز الحصن ، وسقط من كان عليه من النظارة ، وارتجف بي السرير ، فسقطت لوجهي ، فشجني جانب السرير .

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : يا صفية ، إن علياً عظيم عند الله ، وإنه لما هز الباب اهتز الحصن ، واهتزت السماوات السبع ، والأرضون السبع ، واهتز عرش الرحمن غضباً لعلي .

وفي ذلك اليوم لما سأله عمر فقال : يا أبا الحسن ، لقد اقتلعت منيعاً وأنت ثلاثة أيام خبيصاً ، فهل قلعتها بقوة بشرية ؟

فقال : ما قلعتها بقوة بشرية ، ولكن قلعتها بقوة إلهية ، ونفس بلقاء ربها مطمئنة رضية .

قال الشيخ الطبرسي في إعلام الوری ص ٩٩ :

كانت غزوة خيبر في ذي الحجة من سنة ست ، وذكر الواقدي أنها كانت أول سنة سبع من الهجرة ، وحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وآله بضعاً وعشرين ليلة ، وبخيبر أربعة عشر ألف يهودي في حصونهم ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يفتحها حصناً حصناً ، وكان من أشد حصونهم وأكثرها رجالاً (القموص) فأخذ أبو بكر راية المهاجرين فقاتل بها ، ثم رجع منهزماً ، ثم أخذها عمر من الغد ، فرجع منهزماً يجبن

الناس ويحبّونّه ، حتّى ساء رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك ، فقال :
لأعطينَ الرايةَ غداً رجلاً كَراراً غيرَ فرّار ، يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله
ورسوله ، لا يرجع حتّى يفتح الله على يديه ، فغدّت قريش يقول بعضهم
لبعض : أمّا عليّ فقد كفّتموه ، فإنّه أرمَد ، لا يبصر موضع قدمه .

وقال عليّ عليه السلام لما سمع مقالة رسول الله صلى الله عليه وآله :
« اللَّهُمَّ لا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت » .

فأصبح رسول الله صلى الله عليه وآله واجتمع إليه الناس .

قال سعد : جلستُ نصب عينيه ، ثمّ جثوت على ركبتي ، ثمّ قمت
على رجلي قائماً ، رجاء أن يدعوني ، فقال : « ادعولي عليّاً » فصاح الناس
من كلّ جانب : إنّه أرمَد رمداً لا يبصر موضع قدمه . فقال : « أرسلوا
إليه ، وادعوه » فأتي به يقاد . . .

وقال الشيخ المفيد أعلى الله مقامه في « الإرشاد » ص ٦٥ - ٦٧ : ثمّ
تلت الحديبية خيبر ، وكان الفتح فيها لأمر المؤمنين عليه السلام بلا
ارتياب ، وظهر من فضله في هذه الغزاة ما أجمع على نقله الرواة ، وتفرّد
فيها من المناقب ما لم يشركه فيها أحد من الناس .

فروى يحيى بن محمّد الأزديّ ، عن مسعدة بن اليسع ، وعبد الله بن
عبد الرحيم ، عن عبد الملك بن هشام ، ومحمّد بن إسحاق ، وغيرهم من
أصحاب الآثار قالوا :

لما دنا رسول الله صلى الله عليه وآله من خيبر قال للناس : « قفوا »
فوقف الناس ، فرفع يديه إلى السماء وقال : « اللَّهُمَّ ربّ السماوات السبع
وما أظللن ، وربّ الأرضين السبع وما أقللن ، وربّ الشياطين وما
أضللن ، أسألك خير هذه القرية وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شرّها وشرّ
ما فيها » .

ثم نزل تحت شجرة في المكان ثم أقام وأقمنا بقية يومنا ومن غده ،
فلما كان نصف النهار نادى منادي رسول الله صلى الله عليه وآله فاجتمعنا
إليه ، فإذا عنده رجل جالس فقال : « إن هذا جاءني وأنا نائم ، فسأل
سيفي وقال : يا محمد من يمنعك مني اليوم ؟ قلت : الله يمنعني منك .
فشام السيف وهو جالس كما ترون لا حراك به » .

فقلنا : يا رسول الله لعل في عقله شيئاً ؟

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « نعم دعوه » ثم صرفه ولم
يعاقبه .

وحاصر رسول الله خيبر بضعاً وعشرين ليلة ، وكانت الراية يومئذ
لأمير المؤمنين عليه السلام فلحقه رمد أعجزه من الحرب ، وكان المسلمون
يناوشون اليهود من بين أيدي حصونهم وجنبااتها .

فلما كان ذات يوم فتحوا الباب ، وقد كانوا خندقوا على أنفسهم
خندقاً ، وخرج مرحب برجله يتعرض للحرب ، فدعا رسول الله صلى الله
عليه وآله أبا بكر فقال له : « خذ الراية » فأخذها في جمع من المهاجرين
فاجتهد فلم يغن شيئاً . فعاد يؤنب القوم الذين اتبعوه ويؤنبونه .

فلما كان من الغد تعرض لها عسر ، فسار بها غير بعيد ، ثم رجع
يجبن أصحابه ويجنبونه .

فقال النبي صلى الله عليه وآله : « ليست هذه الراية لمن حملها ،
جيثوني بعلي بن أبي طالب » .
فقليل له : إنه أرمد .

قال : « أرونيه ، تروني رجلاً يحب الله ورسوله ، ويحبه الله
ورسوله ، يأخذها بحقها ، ليس بفرار » .

فجأؤوا بعلي عليه السلام يقودونه إليه ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : « ما تشكي يا علي » ؟

قال : رمذ ما أبصر معه ، وصداع برأسي .

فقال له : « اجلس وضع رأسك على فخذي » ففعل علي عليه السلام ذلك ، فدعا له النبي صلى الله عليه وآله فتفل في يده ، فمسح بها على عينيه ورأسه ، فانفتحت عيناه ، وسكن ما كان يجده من الصداع .

وقال في دعائه : « اللَّهُمَّ قِهِ الْخَرُّ وَالْبَرْدَ » وأعطاه الراية ، وكانت راية بيضاء وقال له : « خذ الراية وامض بها ، فجبرئيل معك ، والنصر أمامك ، والرعب مبثوث في صدور القوم ، واعلم ، يا علي إنهم يجدون في كتابهم أن الذي يدسّر عليهم اسمه (إيليا) فإذا لقيتهم فقل : أنا علي ، فإنهم يخذلون إن شاء الله تعالى » .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : فمضيت بها ، حتى أتيت الحصون ، فخرج مرحب وعليه مغفر ، وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه ، وهو يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أني مرحبُ شاك السلاح بطل مجربُ
فقلتُ :

أنا الذي سَمَتني أُمِّي حيدرة كليث غابات شديد قسورة
أكيلكم بالسيف كيل السندرة

واختلفنا ضربتين ، فبدرته وضربته ، فقددت الحجر والمغفر ورأسه حتى وقع السيف في أضراسه : فخرّ صريعاً .

وجاء في الحديث أن أمير المؤمنين عليه السلام لما قال : أنا علي بن

أبي طالب . قال : حبر من أحبار القوم : غُلِبْتُمْ وما أنزل على موسى .
فدخل في قلوبهم من الرعب ما لم يَمَكَّنْهم معه الاستيطان به .

ولما قتل أمير المؤمنين عليه السلام مرحباً رجع مَنْ كان معه ، وأغلَقُوا
باب الحصن عليهم دونه ، فصار أمير المؤمنين عليه السلام إليه فعالجه حتَّى
فتحه ، وأكثر الناس من جانب الخندق لم يعبروا معه ، فأخذ أمير المؤمنين
عليه السلام باب الحصن فجعله على الخندق جسراً لهم حتَّى عبروا ،
فظفروا بالحصن ، ونالوا الغنائم .

فلما انصرفوا من الحصن أخذه أمير المؤمنين عليه السلام بيمنه فدحا
به أذرعاً من الأرض ، وكان الباب يغلِّقه عشرون رجلاً .

وقال الشيخ المفيد أيضاً في « الإرشاد » ص ٣٦ متحدثاً عن انهزام
أبي بكر : « وكان بانهزامه من الفساد ما لا يخفاء به على الألباء ، ثم أعطى
صاحبه الراية من بعده ، فكان من انهزامه مثل الذي سلف من الأول ،
وخيف في ذلك على الإسلام وشأنه ما كان من الرجلين من الانهزام ، فأكبر
ذلك رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وأظهر التكبر له والمساءة به ، ثم قال
معلناً : (لأعطين الراية غداً رجلاً يحبَّ الله ورسوله ويحبَّ الله ورسوله ،
كرار غير فرار ، لا يرجع حتَّى يفتح الله على يديه) فاعطاها أمير المؤمنين
عليه السلام ، وكان الفتح على يديه .

ودلَّ فحوى كلامه صَلَّى الله عليه وآله على خروج الفارين من
الصفة التي أوجبها لأمر المؤمنين عليه السلام ، كما خرجا من صفة الكفر
والثبوت للقتال ؛ وفي تلافي أمير المؤمنين بخير ما فرط من غيره بالفرار
دليل على توحيده من الفضل فيه بما لم يشركه فيه مَنْ عداه ، انتهى كلامه
قدَّس سرّه .

وروي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : كان عليّ عليه السلام

يلبس في الحرّ والشتاء القباء المحشوّ الثخين ، وما يبالي الحرّ ، فأتاني أصحابي ، فقالوا : إنا رأينا من أمير المؤمنين شيئاً ، فهل رأيت ؟

قلت : وما هو ؟

قالوا : رأيناه يخرج علينا في الحرّ الشديد في القباء المحشوّ الثخين وما يبالي الحرّ ، ويخرج علينا في البرد الشديد في الثوبين الخفيفين وما يبالي البرد ، فهل سمعت في ذلك شيئاً ؟ فقلت : لا .

فقالوا : فسل لنا أباك عن ذلك ، فإنه يسمر معه .

فسألته ، فقال : ما سمعتُ في ذلك شيئاً .

فدخل على عليّ عليه السلام فسمر معه ، فسأله عن ذلك ، فقال : أو ما شهدت معنا خير ؟ قلت : بلى .

قال : أو ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله حين دعا أبا بكر فعقد له ثمّ بعثه إلى القوم ، فانطلق ، فلقى القوم ، ثمّ جاء بالناس وقد هزم ؟ فقال : بلى .

قال : ثمّ بعث إلى عمر فعقد له ثمّ بعثه إلى القوم ، فانطلق ، فلقى القوم فقاتلهم ، ثمّ رجع وقد هزم . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لأعطين الراية اليوم رجلاً يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، كرّاراً غير فرار » فدعاني فأعطاني الراية ، ثمّ قال : « اللَّهُم اكفه الحرّ والبرد » فما وجدتُ بعد ذلك حرّاً ولا برداً .

رواه أحمد بن حنبل في « المسند » ج ١/٩٩ و ١٣٣ ط مصر وابن ماجة في « سنن المصطفى » ج ١/٥٦ ط - مصر .

والنسائي في « الخصائص » ص ٥ و ٣٨ ط التقديم - مصر - والبيهقي في « دلائل النبوة » ج ٤/٢١٠ ط بيروت .

والحافظ أبو نعيم الأصبهاني في « دلائل النبوة » ص ٣٩٧
ط حيدر آباد الدكن .

والحافظ ابن عبد ربّه في « العقد الفريد » ج ٢/ ١٩٤ ط مصر .
والقاضي عياض في « الشفاء » ج ١/ ٢٧٦ ط الأستانة .
وله مصادر أخرى كثيرة ، فراجع « إحقاق الحق » ج ٥/ ٤٣٥ -
٤٤٣ ، وج ١٦/ ٢٢٨ - ٢٣١ .

رجع بنا الحديث لتتبع أحداث هذه الغزوة .
قال الشيخ الطبرسي في « مجمع البيان » ج ٩/ ١٨٣ ط دار المعرفة -
بيروت :

ثمّ لم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله يفتح الحصون حصناً
فحصناً ، ويحوز الأموال حتّى انتهوا إلى حصن الوطيط والسلام ، وكان
آخر حصون خيبر افتتح ، وحاصرهم رسول الله بضع عشر ليلة .

قال ابن إسحاق : ولما افتتح القموص ، حصن ابن أبي الحقيق ،
أتى رسول الله صلى الله عليه وآله بصفية بنت حيّ بن أخطب ، وبأخرى
معهما ، فمرّ بهما بلال - وهو الذي جاء بهما - على قتل من قتل اليهود ، فلما
رأتهما أتت معها صفية بصاحت وصكّت وجهها ، وحثت التراب على
رأسها ، فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « أعزبوا عني هذه
الشيطانة » وأمر بصفية فحيزت خلفه ، وألقى عليها رداءه ، فعرف
المسلمون أنّه قد اصطفاها لنفسه .

وقال صلى الله عليه وآله لبلال لما رأى من تلك اليهودية ما رأى :
« أنزعت منك الرحمة يا بلال ؟ حيث تمرّ بامرأتين على قتل رجالهما » .

وكانت صفية قد رأت في المنام ، وهي عروس بكنانة بن الربيع بن
أبي الحقيق ، أنّ قمرأ وقع في حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها

فقال : ما هذا إلا أنك تتمنين ملك الحجاز محمداً . ولطم على وجهها لطمه اخضرت عينها منها ، فأتي بها رسول الله صلى الله عليه وآله وبها أثر منها ، فسألها رسول الله صلى الله عليه وآله ما هو ؟ فأخبرته .

وأرسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله : انزل فأكلمك ؟ قال : نعم . فنزل وصالح رسول الله صلى الله عليه وآله على حقن دماء من في حصونهم من المقاتلة ، وترك الذرية لهم ، ويخرجون من خيبر وأرضها بذرارهم ، ويخلون بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبين ما كان لهم من مال وأرض ، وعلى الصفراء والبيضاء والكراع ، وعلى الخلقة وعلى البز^(١) إلا ثوب على ظهر إنسان .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كنتموني شيئاً » فصالحوه على ذلك .

فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا ، بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله يسألونه أن يسيرهم^(٢) ويحقن دماءهم ، ويخلون بينه وبين الأموال ، ففعل ، وكان ثمن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وآله وبينهم في ذلك محيصة بن مسعود أحد بني حارثة .

فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوا رسول الله صلى الله عليه وآله أن يعاملهم الأموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم وأمر لها . فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وآله على النصف ، على أننا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم . وصالحه أهل فدك على مثل ذلك .

فكانت أموال خيبر فيشاً بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب .

(١) قيل : هي السلاح عاماً ، وقيل : هي الدروع خاصة . والبز : الثياب .

(٢) أي يبعدهم وينفيهم من أرضهم .

ولما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وآله أهدت له زينب بنت الحارث بن سلام بن مشكم ، وهي ابنة أخي مرحب ، شاة مصلية^(١) ، وقد سألت : أي عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقبل لها : الذراع . فأكثر فيها السم ، وسممت سائر الشاة . ثم جاءت بها : فلما وضعتها بين يديه ، تناول الذراع فأخذها فلاك منها مضغة ، وانتهش منها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور فتناول عظماً فانتهش منه فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « ارفعوا أيديكم ، فإن كتف هذه الشاة تخبرني أنها مسمومة » .

ثم دعاها فاعترفت ، فقال : « ما حلك على ذلك ؟ »

ف قالت : بلغت من قومي ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان نبياً فسيُخبر ، وإن كان ملكاً استرحت منه . فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومات بشر بن البراء من أكلته التي أكل .

قال : ودخلت أم بشر بن البراء على رسول الله صلى الله عليه وآله تَعُودُهُ فِي مَرَضِهِ الَّذِي تَوَفَّى فِيهِ ، فقال صلى الله عليه وآله : « يا أم بشر ، ما زالت أكلة خيبر التي أكلت بخيبر مع ابنك تعاودني ، فهذا أوان قطعت أبهري » .

فكان المسلمون يرون أن رسول الله صلى الله عليه وآله مات شهيداً ، مع ما أكرمه الله به من النبوة .

واستشهد من المسلمين في هذه الغزوة واحداً وعشرين رجلاً ، على ما ذكر ابن إسحاق وابن هشام وغيرهم . وقُتِلَ من اليهود ثلاثة وتسعون على ما ذكر علاء الدين مغلطاي في « سيرته » ص ٦٣ ط مصر .

(١) أي مشوية .

ووافق وصول جعفر بن أبي طالب وأصحابه من الحبشة يوم فتح
خير ، فتلّقاه رسول الله صلى الله عليه وآله وقبّل جبهته ، وقال : « والله ،
ما أدري بأيّهما أفرح ، بفتح خير أم بقدم جعفر » .

قال جعفر : فاسهم لنا ، وما قسم لأحد غاب عن فتح خير شيئاً
إلا لمن شهد معه ، إلا أصحاب سفيتنا .

احتجاج عليّ عليه السلام يوم الشورى بفضائله في غزوة خيبر

روى جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث الشورى قال :
قال أمير المؤمنين عليه السلام :

نشدتكم بالله ، هل فيكم أحد مسح رسول الله صلى الله عليه وآله
عينيه ، وأعطاه الراية يوم خيبر ، فلم يجد حرّاً ولا برداً غيري ؟ قالوا :
لا .

قال : نشدتكم بالله ، هل فيكم أحد قتل مرجباً اليهوديّ مبارزةً ،
فارس اليهود ، غيري ؟ قالوا : لا .

قال : نشدتكم بالله ، هل فيكم أحد احتمل باب خيبر حين فتحها
فمشى به مائة ذراع ، ثمّ عالج به بعده أبعون رجلاً فلم يطيقوه ، غيري ؟
قالوا : لا .

وروي عن عامر بن واثلة قال : سمعت عليّاً عليه السلام يقول يوم
الشورى :

نشدتكم بالله ، هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله
حين رجع عمر يخبّئ أصحابه ويخبّئونه ، قد ردّ راية رسول الله صلى الله عليه وآله
وآله منهزماً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لأعطين الراية غداً
رجلاً ليس بفرار ، يحبّه الله ورسوله ، ويحبّ الله ورسوله لا يرجع حتّى

يفتح الله عليه « فلما أصبح قال : « ادعوا لي علياً » فقالوا : يا رسول الله ، هو رمد ما يطرف . فقال : « جيئوني به » فلما قمت بين يديه تفل في عيني وقال : « اللهم اذهب عنه الحرّ والبرد » فأذهب الله عني الحرّ والبرد إلى ساعتي هذه ، فأخذت الراية وهزم الله المشركين وأظفرتي بهم ، غيري ؟ قالوا : اللهم لا .

قال : نشدtkم بالله هل فيكم أحد حين جاء مرحب وهو يقول : أنا الذي ستمني أُمي مرحب شاكي السلاح بطل مجرب أظعن أحياناً وحيناً أضرب فخرجت إليه فضربني وضربته ، وعلى رأسه نقير من جبل ، لم تكن تصلح على رأسه بيضة من عظم رأسه ، ففلقت النقير ، ووصل السيف إلى رأسه فقتله ، ففيكم أحد فعل هذا ؟ قالوا : اللهم لا .

وروي عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : فهل فيكم أحد احتمل باب خيبر يوم فتحت حصنها ، ثم مشى به ساعة ، ثم ألقاه ، فعالجه بعد ذلك أربعون رجلاً فلم يقلّوه من الأرض غيري ؟ قالوا : لا .

وروي الشيخ الصدوق عليه الرحمة في « الخصال » ص ٥٥٠ في احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على أبي بكر قال :

فأنشدك بالله أنت الذي حباك رسول الله صلى الله عليه وآله يوم خيبر ففتح الله له أم أنا ؟ قال : بل أنت .

وروي الشيخ الصدوق قدس سره في « الخصال » ص ٣٦٩ ، فيما أجاب أمير المؤمنين عليه السلام اليهودي الذي سأل عن علامات الأوصياء

أن قال : وأما السادسة ، يا أخا اليهود ، فلما وردنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله مدينة أصحابك خير على رجال من اليهود وفرسانها من قريش وغيرها ، فتلقونا بأمثال الجبال من الخيل والرجال والسلاح ، وهم في أمنع دار ، وأكثر عدد ، كل ينادي ويدعو ويبادر إلى القتال ، فلم يبرز إليهم من أصحابي أحد إلا قتلوه ، حتى إذا احمرَّت الحديق ، ودعيت إلى النزال ، وأهمت كل امرئ نفسه ، والتفت بعض أصحابي إلى بعض وكل يقول : يا أبا الحسن ، انهض .

فأنهضني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى دارهم ، فلم يبرز إلي منهم أحد إلا قتلته ، ولا يثبت لي فارس إلا طحنته ، ثم شددت عليهم شدة الليث على فريسته ، حتى أدخلتهم جوف مدينتهم مسدداً عليهم ، فاقتلعت باب حصنهم بيدي ، حتى دخلت عليهم مدينتهم وحدي ، أقتل من يظهر فيها من رجالها ، وأسبي من أجد من نساؤها ، حتى افتحتها وحدي ، ولم يكن لي فيها معاون إلا الله وحده .

ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال : أليس كذلك ؟ فقالوا : بلى يا أمير المؤمنين .

وروى أحاديث الاحتجاج والمناشدة هذه بصورة مفصلة جماعة من كبار الحفاظ والعلماء ، أذكر منهم :

أخطب خوارزم في « المناقب » ص ٢٤٦ ط تبريز .

ابن المغازلي في « المناقب » ص ١١٢ ط بيروت .

ابن عساكر في ترجمة الإمام علي من « تاريخ دمشق » ج ٣/١١٣

ط بيروت ، بعدة طرق .

الحموي في « فرائد السمطين » ج ١/٣١٩ ح ٢٥١ ط بيروت .

شيخ الطائفة الطوسي في « الأمل » ج ١/٣٤٢ وغيرها .

وراجع « إحقاق الحق » ج ٥/٢٤ - ٤٠ ، ج ١٥/٦٧٩ - ٦٨٧ .

مصادر حديث الراية

قد تقدّم في سياق أحداث خيبر قول النبي صَلَّى الله عليه وآله :
« لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله ، لن يرجع
حقّ يفتح الله له ، ليس بفرار » .

فما كان في الغزوة صحابي إلا وهو يرجو أن يعطاها . وقال عمر بن
الخطّاب : فما أحببتُ الإمارة إلا يومئذ .
وقال : تشارفت لها رجاء أن أدعى لها .

ولأذكر هنا بعض الحفّاظ والعلماء الذين رووا هذا الحديث ، وإن
كان إحصاؤها جميعاً يحتاج إلى وقت وجهد كبيرين ، وما سأورده هنا من
مصادره لا يتعدى العُشر ، فممن رواه من الصحابة : عبد الله بن عباس ،
جابر بن عبد الله الأنصاري ، أبو سعيد الخدري ، عبد الرحمن بن أبي
ليل ، بريدة الأسلمي ، سلمة بن عمرو بن الأكوع ، سعيد بن المسيب ،
أبو هريرة ، سهل بن سعد ، سعد بن أبي وقاص ، عمر بن الخطّاب ،
وابنه عبد الله ، وغيرهم .

وممن رواه عنهم :

البخاري في « الصحيح » ج ٤/٤٧ ، ٥٣ ، ٦٠ ، وج ٥/١٨ ،
١٣٤ ط الأميرية - مصر .

ابن حنبل في « المسند » ج ١/٩٩ وج ٢/٣٨٤ وج ٤/٥٢
ج ٥/٣٣٣ و ٣٥٣ و ٣٥٨ ط الميمنية - مصر .

مسلم في « الصحيح » ج ٥/١٨٩ وج ٧/١٢١ ط محمد علي
صبيح - مصر .

النسائي في « الخصائص » ص ٤ و ٥ و ٦ و ٣٨ ط التقدّم - مصر .

أبو نعيم في « حلية الأولياء » ج ١/٦٢ وج ٤/٣٥٦ ط السعادة - مصر .

وفي « دلائل النبوة » ص ٣٩٧ ط حيدر آباد .
البيهقي في « السنن الكبرى » ج ٦/٣٦٢ وج ٩/١٠٦ و ١٣١ ط حيدر آباد الدكن .

وفي « دلائل النبوة » ج ٤/٢٠٥ ط بيروت .
البغوي في « مصابيح السنة » ج ٢/٢٠١ ط الخيرية - مصر .
الخوارزمي في « المناقب » ص ١٠٢ .
محب الدين الطبري في « ذخائر العقبى » ص ٧٢ ط مكتبة القدسي - مصر .

وفي « الرياض النضرة » ج ٢/١٨٤ ط محمد أمين الخانجي - مصر .
سبط ابن الجوزي في « تذكرة الخواص » ص ٢٨ .
وابن كثير في « البداية والنهاية » ج ٢/٢٢٩ وج ٤/١٨٤ و ١٨٨ وج ٧/٣٣٦ ط حيدر آباد الدكن .

القسطلاني في « إرشاد الساري » ج ٥/١٣٦ و ١٧٠ وج ٦/١٣٧ و ٤٣٨ ط العامرة - مصر .

ابن حجر العسقلاني في « الإصابة » ج ٢/٥٠٢ وج ٣/٣٦٨ ط - مصر .

السيوطي في « تاريخ الخلفاء » ص ٦٥ و ١١٣ ط اليمينية - مصر .
أبو داود الطيالسي في « المسند » ص ٣٢٠ ط حيدر آباد الدكن .
ابن سعد في « الطبقات الكبرى » ج ٢/١١١ ط مصر .
الحاكم النيسابوري في « المستدرک » ج ٣/٣٨ و ٤٣٧ ط حيدر آباد الدكن .

ابن سيد الناس في « عيون الأثر » ج ٢/ ١٣٢ ط القدسي - مصر .

المقريزي في « إمتاع الأسماع » ص ٣١٤ ط القاهرة .

القاضي الباقلاني في « الإنصاف » ص ٥٨ ط دار الكتب - مصر -

المؤرخ عبد الرحمن الخثعمي المراكشي في « الروض الأنف »

ج ٢/ ٢٢٩ .

ابن تيمية الحنبلي في « منهاج السنة » ج ٢/ ١٩٩ وج ٣/ ١١

ط مصر -

القلقشندي في « صبح الأعشى » ج ١٠/ ١٧٤ ط مصر .

ابن هشام في « السيرة » ج ٢/ ٣٣٤ ط الحلبي - مصر .

الطبري في « تاريخ الأمم والملوك » ج ٢/ ٣٠٠ ط - مصر .

ابن ماجة في « سنن المصطفى » ج ١/ ٥٦ ط مصر .

ابن عبد ربّه في « العقد الفريد » ج ٢/ ١٩٤ ط الشرفية - مصر .

أبو عوانة في « المسند » ج ٤/ ٢٧٩ ط حيدر آباد .

ابن المغازلي في « المناقب » ص ١٧٦ ح ٢١٣ - ص ١٨٩ ح ٢٢٤

بعده طرق ، ط دار الأضواء - بيروت .

الطبراني في « المعجم الكبير » ج ٧/ ١٤ و ١٩ و ٣٤ و ٨٩ ط بغداد .

ابن عساكر في ترجمة الإمام علي عليه السلام من « تاريخ دمشق »

ج ١/ ١٧٥ - ٢٧٦ ح ١٧٥ - ٢٩٠ بطرق كثيرة ، ط المحمودي - بيروت .

الخطيب البغدادي في « تلخيص المشابه في الرسم » ج ٢/ ١٤٥

و ٤٢٦ و ٦١٤ ط دمشق .

وفي « تاريخ بغداد » ج ٨/ ٥ ط السعادة - مصر .

ولمزيد من المصادر راجع « إحقاق الحق » ج ٥/ ٣٦٨ - ٤٦٨ ،

وج ١٦/ ٢٢١ - ٢٧٦ ، وج ٢١/ ٤٤٤ - ٥٠٨ .

نبذة من الأشعار في غزوة خيبر

في الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، قوله :

أنا الذي سَمَتني أُمِّي حيدرة	ضرغام آجام وليث قسورة
عبل الذراعين شديد القصرة	كليث غابات كربه المنظرة
أكيلكم بالسيف كيل السندرة	أضربكم ضرباً يبين الفقرة
وأترك القرن بقاع جزرة	أضرب بالسيف رقاب الكفرة
ضرب غلام ماجد حزورة	من ترك الحقَّ يقوم صفرة
أقتل منهم سبعةً أو عشرة	فكلهم أهل فسوق فجرة

وقد مرّت بك هذه الأبيات مختصرة في تفصيل أحداث هذه الغزوة ،
وإليك هنا شرح ما أشكل من ألفاظها .

روي عن أبياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : سألت بعض آل أبي
طالب عن قوله : أنا الذي سَمَتني أُمِّي حيدرة ، فذكر أن أُمّ علي
عليه السلام فاطمة بنت أسد ولدت علياً ، وأبو طالب غائب ، فسَمّته
أسداً باسم أبيها ، فلما قدم أبو طالب سَمّاه علياً ، فلما رجز علي في يوم
خيبر ذكر الاسم الذي سَمّته به أُمّه . وحيدرة اسم من أسماء الأسد ؛ كأنه
عليه السلام قال : أنا الأسد .

والضرغام : الأسد الضاري الشديد ؛ والضرغام : الشجاع أيضاً .

والآجام جمع أجمة : الشجر الكثير الملتف .

والليث : الأسد ، والشجاع ، والشدة والقوة .

والقسورة : الأسد ، ومن الغلمان : القوي الشاب .

عبل الذراعين : ضخم الذراعين .

القَصْرَةُ : أصل العنق إذا غُلِظَ .

أكيلكم بالسيف : أي أقتلكم قتلاً واسعاً ذريعاً .
السندرة : مكيال واسع ، لعله متخذ من شجرة (السندرة) وهي
صلبة قوية تُعمل منها القسي والنبل . والسندرة : العجلة أيضاً .

يبين : يقطع .

والفقرة : واحدة من عظام السلسلة العظمية الظهرية .

والقرن من القوم : سيدهم .

والخزورة : الرجل القوي .

ومأ أنشده عليه السلام في هذه الغزوة :

سشهد لي بالكُرّ والطعن راية	حباني بها الطهر النبيّ المهدّب
وتعلم أنّي في الحروب إذا التظت	بنيرانها الليث الهموس المجرب
ومثلي لاقى الهول في مفظعاته	وفلّ له الجيش الخميس العطبّط
وقد علم الأحياء أنّي زعيمها	وأنيّ لدى الحرب العذيق المرجّب

التظت : التهبت .

الليث الهموس : الأسد الخفيّ الوطىء .

فلّ الجيش : هزمهم .

الخميس : الجيش .

العذيق : تصغير تعظيم للعذق - بالفتح - وهو النخلة .

والمرجّب من الترجيب ، وهو أن تعمد للنخلة الكرمة ببناء من

حجارة أو خشب إذا خيف عليها لطولها وكثرة حملها أن تقع .

وقيل : أراد بالترجيب التعظيم .

وفي الديوان المنسوب إليه عليه السلام :

أنا عليّ وابن عبد المطلب * مهذب ذو سطوة وذو غضب
غذيت في الحرب وعصيان التؤب * من بيت عزّ ليس فيه منشعب

وفي يميني صارم يحلو الكرب * من يلقي يلقى المنايا والعطب
إذ كف مثلي بالرؤوس يلتعب

قيل : أراد بعضيان النوب : عدم إطاعة نواب الدهر ، وغلبتها
عليّ .

ومنه فيها مخاطباً لياسر أحد فرسان اليهود وغيره :

هذا لكم من الغلام الغالب من ضرب صدق وقضاء الواجب
وفالق الهامات والمناكب أحمي به قهاقم الكتائب
ومنه فيها مخاطباً لعنتر وسائر عسكر خيبر :

هذا لكم معاصر الأحزاب من فالق الهامات والرقاب
فاستعجلوا للطعن والضراب واستبسّلوا للموت والمآب
صيركم سيفي إلى العذاب بعون ربّي الواحد الوهاب

ومنه فيها مخاطباً لربيع بن أبي الحقيق :

أنا عليّ وابن عبد المطلب أحمي ذماري وأذبّ عن حسب
والموت خير للفتى من الهرب

ومنه فيها مخاطباً للجهاير أهل خيبر :

أنا عليّ وابن عبد المطلب مهذب ذو سطوة وذو حسب
قرن إذا لاقت قرناً لم أهب من يلتقي يلقى المنايا والكرب

ومنه فيها مخاطباً لمرة بن مروان :

أنا عليّ وابن عبد المطلب أخو النبي المصطفى المنتجب
رسول ربّ العالمين قد غلب بيّنه ربّ السياء في الكتب
وكلّهم يعلم لا قول كذب ولا بزور حين يده بالنسب
صافي الأديم الجبين كالذهب اليوم أرضيه بضرب وغضب
ضرب غلام أرب من العرب ليس بخوّار يرى عند النكب

فأثبت لضرب من حسام كاللهب

ومنه فيها مخاطباً لمرحب :

نحن بنو الحرب بنا سعيها حرب عوانٍ حرَّها نذيرها
تحت ركض الخيل في زفيرها

ومنه فيها مجيباً لياسر الخيبري :

تبّاً وتعباً لك يا بن الكافر أنا عليّ هازم المسافر
أنا الذي أضربكم وناصري إله حقّ وله مهاجري
أضربكم بالسيف في المصاغر أجود بالظعن وضرب طاهر
مع ابن عمي والسراج الزاهر حقّ تدينوا للعليّ القاهر
ضرب غلام صارم ماهر

وأيضاً في جوابه :

ينصرتي ربّي خير ناصر آمنت بالله بقلب شاكر
أضرب بالسيف على المغافر مع النبيّ المصطفى المهاجر

ومنه فيها مجيباً لأبي البليت عنتر :

أنا عليّ البطل المظفر غشمشم القلب بذاك أذكر
وفي يميني للقاء أخضر يلمع من حافته برق يزهر
للظعن والضرب الشديد محضر مع النبيّ الطاهر المطهر
اختاره الله العليّ الأكبر اليوم يرضيه ويخزي عنتر
الغشمشم : الذي يركب رأسه لا يثنيه شيء عمّا يريد لشدة

شجاعته .

وعبر عن السيف بالأخضر لأنّه من الحديد ، وهو أسود ، والعرب
تصف الأسود بالخضرة ، وقيل : لكثرة ما علاه من الدم وصفه بالخضرة كما
يوصف البحر بها .

ومنه فيها ، قال ارتجز داود بن قابوس فقال :

يا أيها الحامل بالترغم ماذا تريد من فتي غشمشم
أروع مفضال مصور هيضم ماذا ترى ببازل معتصم
وقاتل القرن الجريء المقدم والله لا أسلم حتى تحرم
الترغم : التفضب .

المصور : الأسد . والهيضم : الأسد أيضاً ، والقوي من الرجال .

فأجابه صلوات الله عليه :

أثبت لحاك الله إن لم تسلم لوقع سيف عجرفي خضرم
تحمله مني بنان المعصم أحمي به كتائبني وأحتمي
إني وربّ الحجر المكرم قد جدت لله بلحمي ودمي
لحاك الله : لعنك .

عجرفي : سريع ، ولا يهاب شيئاً .

الخضرم : الكثير العطية .

المعصم : موضع السوار من الساعد .

ومنه فيها مخاطباً لليهود :

هذا لكم من الغلام الهاشمي من ضرب صدق في ذرى الكرائم
ضرب يقود شعر الجماجم بصارم أبيض أي صارم
أحمي به كتائب القمام عند مجال الخيل بالأقدام
الكرائم : جمع الكمة : القلنسوة المدورة .

ومنه عند قتل الخيري :

أنا عليّ ولدتي هاشم ليث حروب للرجال قاصم
معصوب في نقعها مقادم من يلقيني يلقيه موت هاجم
قاصم : كاسر .

ولما فتح أمير المؤمنين الحصن ، وقتل مرجباً ، وأغنى الله المسلمين
أموالهم ، استأذن حسان بن ثابت الأنصاري رسول الله صلى الله عليه وآله
أن يقول فيه شعراً ، فقال له : قل . فأنشأ يقول :

وكان عليّ أرمـد العين يتغي	دواء فلما لم يحس مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلة	فبورك مرقياً وبورك راقيا
وقال سأعطي الراية اليوم صارماً	كمياً محبباً للرسول مواليا
يحبب إلهي والإله محببه	به يفتح الله الحصون الأوابيا
فأصفي بها دون البرية كلها	علياً وسماه الوزير المواخيا

وفي حمل أمير المؤمنين عليه السلام الباب يقول الشاعر :

إن امرأ حمل الرتاج بخير	يوم اليهود بقدره لمؤيد
حمل الرتاج رتاج باب قموصها	والمسلمون وأهل خير حشد
فرمى به ولقد تكلف رده	سبعون شخصاً كلهم له يتشدد
ردوه بعد تكلف ومشقة	ومقال بعضهم لبعض أردوا

الرتاج : الباب .

والقموص : أحد حصون خيبر .

وفيه أيضاً قال شاعر من شعراء الشيعة ، يمدح أمير المؤمنين
عليه السلام ، ويهجو أعداءه ، على ما رواه أبو محمد الحسن بن محمد بن
جمهور ، قال : قرأت على أبي عثمان المازني :

بعث النبي براية منصوره	عمر بن حنمة الدلام الأدلما
فمضى بها حتى إذا برزوا له	دون القموص نبا وهاب وأحجما
فأتى النبي براية مردودة	الآنخوف عارها فتذمما ؟
فبكى النبي له وأنبه بها	ودعا امرأ حسن البصيرة مقدما
فغدا بها في فيلق ودعا له	الآن يصد بها والآن يهزما

فزوى اليهود إلى القموص وقد كسا كبش الكتيبة ذا غرار مخدما
وثنى بناس بعدهم فقراهم طلّس الذئباب وكلّ نسر قشعما
ساط الإله بحبّ آل محمّد ويحبّ من والاهم مني الدما

حتمة : أمّ عمر بن الخطاب .

الدلام : الأسود .

الأدلا : الأسود الطويل ، وهو عمر كما وصفه بذلك ابن الأثير
الجزري في النهاية ج ٢ / ١٣١ (دلم) وغيره .

نبا : آب ورجع .

هاب : خاف وجبن .

وفي القصيدة الأزرية الألفية يقول الشيخ محمّد كاظم الأزري :

ولهُ يَوْمَ خَيْرَ فَتَكَاتٍ كَبُرَتْ مَنْظَرًا عَلَى مَنْ رَأَاهَا
يَوْمَ قَالَ النَّبِيُّ إِنِّي لِأَعْطِي رَأَيْتِي لَيْفَهَا وَحَامِي جَاهَا
فَاسْتَطَالَتْ أَعْنَاقُ كُلِّ فَرِيقٍ لِيَرَوْا أَيَّ مَاجِدٍ يُعْطَاهَا
فَدَعَا أَيْنَ وَارِثُ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ مُجِيرُ الْأَنَامِ مِنْ بَأْسَاهَا
أَيْنَ ذُو النُّجْدَةِ الَّذِي لَوَدَّعَتْهُ فِي الثُّرَيَّا مَرْوَعَةً لِبُأَاهَا
فَأَتَاهُ الْوَصِيُّ أَرْمَدَ عَيْنٍ فَسَقَاهُ مِنْ رَيْقِهِ فَشَفَاهَا
وَمَضَى يَطْلُبُ الصُّفُوفَ فَوَلَّتْ عَنْهُ عِلْمًا بِأَنَّهُ أَمْضَاهَا
وَبَرَى مَرْحَبًا بِكُفِّ اقْتِدَارٍ أَقْوِيَاءُ الْأَقْدَارِ مِنْ ضَعْفَاهَا
وَدَحَا بِأَبْهَا بِقُوَّةٍ بِأَسٍ لَوْحَتَهَا الْأَفْلَاكُ مِنْهُ دَحَاهَا

أكتفي بما أورده من أشعار ، وتجدّها مع مصادرّها في « بحار
الأنوار » ج ٢١ / ٣٥ - ٣٩ .

علماً أنّ تفاصيل أحداث هذه الغزوة قد اقتبستها من كتب التاريخ

والسيرة المعتبرة وترجمة الإمام علي عليه السلام من « تاريخ دمشق » ج ١ /
١٧٤ - ٢٤٧ ، والمصادر المعتمدة في « بحار الأنوار » ج ٢١ / ٢ - ٤٠ ، وفي
« إحقاق الحق » ج ٨ / ٣٨٣ - ٣٩٦ وج ١٨ / ٩٣ - ٩٩ .

* * *

ما ظهر من شجاعته عليه السلام في غزوة ذات السلاسل

كانت هذه الغزوة في السنة الثامنة من الهجرة ، وسمّيت (ذات السلاسل) لأنها وقعت قرب ماء بأرض جُذام يقال له (السلاسل) ، وسمّاها الشيخ المفيد بـ (غزوة وادي الرمل) و (غزوة ذات السلسلة) يأتي .

وقد رويت في سبب هذه الغزوة وكيفيتها عدّة روايات ، أسوق هنا بعضها .

روى الشيخ الثقة علي بن إبراهيم القمي في تفسيره ج ٢ / ٤٣٤ ، باسناده إلى أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، في تفسير الآيات الأولى من سورة العاديات ، قال : نزلت في أهل وادي اليابس .

قال : قلت : وما كان حالهم وقصّتهم ؟

قال : إنّ أهل وادي اليابس اجتمعوا اثني عشر ألف فارس ، وتعاهدوا وتعاهدوا وتواثقوا أن لا يتخلّف رجلٌ عن رجلٍ ، ولا يخذل أحدٌ أحداً ، ولا يفرّ رجلٌ عن صاحبه حتّى يموتوا كلّهم على حلف واحد ويقتلوا محمداً صلّى الله عليه وآله وعليّ بن أبي طالب عليه السلام .

فنزل جبرئيل عليه السلام على محمّد صلّى الله عليه وآله فأخبره بقصّتهم وما تعاهدوا عليه وتوافقوا ، وأمره أن يبعث أبا بكر إليهم في أربعة

آلاف فارس من المهاجرين والأنصار .

فصعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ،
ثم قال :

« يا معشر المهاجرين والأنصار ، إن جبرئيل أخبرني أن أهل وادي
اليابس اثني عشر ألفاً قد استعدّوا وتعاهدوا وتعاهدوا أن لا يغدر رجل
بصاحبه ، ولا يفرّ عنه ، ولا يخذله حتّى يقتلوني وأخي عليّ بن أبي طالب ،
وأمرني أن أسير إليهم أبا بكر في أربعة آلاف فارس فخذوا في أمركم ،
واستعدّوا لعدوّكم ، وانفضوا إليهم على اسم الله وبركته يوم الاثنين إن
شاء الله . »

فأخذ المسلمون عدّتهم وتجهّزوا ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وآله
أبا بكر بأمره ، وكان فيما أمره به أن إذا رآهم أن يعرض عليهم الإسلام ،
فإن بايعوا وإلا واقعهم ، فقتل مقاتليهم ، وسبى ذراريهم ، واستباح
أموالهم ، وخرّب ضياعهم وديارهم .

فمضى أبو بكر ومن معه من المهاجرين والأنصار في أحسن عدّة
وأحسن هيئة ، يسير بهم سيراً رفيقاً حتّى انتهوا إلى أهل وادي اليابس ،
فلما بلغ القوم نزول القوم عليهم ، ونزل أبو بكر وأصحابه قريباً منهم خرج
إليهم من أهل وادي اليابس مائتا رجل مدجّجين بالسلاح ، فلما صادفهم
قالوا لهم : من أنتم ؟ ومن أين أقبلتم ؟ وأين تريدون ؟ ليخرج إلينا
صاحبكم حتّى نكلّمه .

فخرج إليهم أبو بكر في نفر من أصحابه المسلمين ، فقال لهم : أنا
أبو بكر ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله .

قالوا : ما أقدمك علينا ؟

قال : أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أعرض عليكم الإسلام ، وأن تدخلوا فيما دخل فيه المسلمون ، ولكم ما لهم ، وعليكم ما عليهم ، وإلا فالحرب بيننا وبينكم .

قالوا له : أما واللات والعزى لولا رحم ماسة ، وقرابة قريبة لقتلناك وجميع أصحابك قتلة تكون حديثاً لمن يكون بعدكم ، فارجع أنت ومن معك واربحوا العافية ، فإننا إنما نريد صاحبكم بعينه وأخاه علي بن أبي طالب .

فقال أبو بكر لأصحابه : يا قوم ، القوم أكثر منكم أضعافاً ، وأعد منكم ، وقد نأت داركم عن إخوانكم من المسلمين ، فارجعوا نعلم رسول الله صلى الله عليه وآله بحال القوم .

فقالوا له جميعاً : خالفت ، يا أبا بكر ، رسول الله وما أمرك به ، فاتق الله وواقع القوم ، ولا تخالف قول رسول الله صلى الله عليه وآله .

فقال : إني أعلم ما لا تعلمون ، الشاهد يرى ما لا يرى الغائب . فانصرف ، وانصرف الناس أجمعون .

فأخبر النبي صلى الله عليه وآله بمقالة القوم له وما ردّ عليهم أبو بكر فقال صلى الله عليه وآله : يا أبا بكر ، خالفت أمري ولم تفعل ما أمرتك به ، وكنت لي ، والله ، عاصياً فيما أمرتك .

فقام النبي صلى الله عليه وآله وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال ::

« يا معشر المسلمين ، إني أمرت أبا بكر أن يسير إلى أهل وادي اليابس ، وأن يعرض عليهم الإسلام . ويدعوهم إلى الله فإن أجابوا وإلا واقعهم ، وإنه سار إليهم ، وخرج منهم إليه مائتا رجل .

فلَمَّا سمع كلامهم وما استقبلوه به انتفخ سَخْرُهُ ^(١) ودخله الرعب منهم ، وترك قولي ولم يقطع أمري ، وإنَّ جبرئيل عليه السلام أمرني عن الله أن أبعث إليهم عمر مكانه في أصحابه في أربعة آلاف فارس ، فسرياً عمر على اسم الله ولا تعمل كما عمل أبو بكر أخوك ، فإنَّه قد عصي الله وعصائي ، وأمره بما أمر به أبا بكر .

فخرج عمر والمهاجرون والأنصار الذين كانوا مع أبي بكر يقتصد بهم في سيرهم حتَّى شارف القوم ، وكان قريباً منهم حيث يراهم ويرونه ، وخرج إليهم مائتا رجل ، فقالوا له ولأصحابه مثل مقاتلهم لأبي بكر ، فانصرف ، وانصرف الناس معه ، وكاد أن يطير قلبه ممَّا رأى من عدَّة القوم وجمعهم ، ورجع يهرب منهم .

فنزل جبرئيل عليه السلام فأخبر محمداً بما صنع عمر ، وأنَّه قد انصرف وانصرف المسلمون معه .

فصعد النَّبي صَلَّى الله عليه وآله المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وأخبرهم بما صنع عمر ، وما كان منه ، وأنَّه قد انصرف وانصرف المسلمون معه مخالفاً لأمرني ، عاصياً لقولي ، فقدم عليه فأخبره بمقالة ما أخبره به صاحبه .

فقال له : « يا عمر ، عصيت الله في عرشه ، وعصيتني ، وخالفت قولي ، وعملت برأيك ، ألا قبَّحَ الله رأيك ، وإنَّ جبرئيل عليه السلام قد أمرني أن أبعث عليَّ بن أبي طالب في هؤلاء المسلمين ، فأخبرني أنَّ الله يفتح عليه وعلى أصحابه » .

فدعا علياً وأوصاه بما أوصى به أبا بكر وعمر وأصحابه الأربعة

(١) السَّخْرُ : الرُّفَّةُ ، وانتفخ سحره أي رثته ، ويقال ذلك للجبان . انظر النهاية لابن الأثير ج ٢/٣٤٦ .

آلاف ، وأخبره أَنَّ الله سيفتح عليه وعلى أصحابه .

فخرج عليٌّ ومعه المهاجرون والأنصار ، فسار بهم سيراً غير سير أبي بكر وعمر ، ذلك أنه أعنف بهم في السير حتَّى خافوا أن يتقطعوا من التعب ، وتحفَى دوابهم ، فقال لهم : لا تخافوا فإنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله قد أمرني بأمرٍ ، وأخبرني أَنَّ الله سيفتح عليّ وعليكم ، فأبشروا فإنَّكم على خير وإلى خير ، فطابت نفوسهم وقلوبهم .

وساروا على ذلك السير والتعب ، حتَّى إذا كانوا قريباً منهم حيث يرونه ويراهم ، أمر أصحابه أن ينزلوا ، وسمع أهل وادي اليباس بمقدم عليّ بن أبي طالب وأصحابه ، فخرج إليه منهم مائتا رجل شاكين بالسلاح ، فلمّا رآهم عليّ عليه السلام خرج إليهم في نفر من أصحابه ، فقالوا لهم : مَنْ أنتم ؟ ومن أين أنتم ؟ ومن أين أقبلتم ؟ وأين تريدون ؟

قال : أنا عليّ بن أبي طالب ابن عمِّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وأخوه ورسوله إليكم ، أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلاَّ الله ، وأنَّ محمداً عبده ورسوله ولكم ما للمسلمين ، وعليكم ما عليهم من خير وشرٍّ .

فقالوا له : إياك أردنا ، وأنت طلبتنا ، قد سمعنا مقاتلتك ، فاستعدّ للحرب العوان ، واعلم أنا قاتليك وقاتلي أصحابك ، والموعود فيما بيننا وبينك غداً ضحوة ، وقد أعذرنا فيما بيننا وبينك .

فقال لهم عليّ عليه السلام : ويلكم تهذّبوني بكثرتكم وجمعكم ، فانا أستعين بالله وملائكته والمسلمين عليكم ، ولا حول ولا قوّة إلاَّ بالله العليّ العظيم .

فانصرفوا إلى مراكزهم وانصرف عليّ عليه السلام إلى مركزه .
فلما جنَّ الليل أمر أصحابه أن يحسنوا إلى دوابهم ، ويقضّموا

ويسرجوا فلما انشَقَّ عمود الصبح صَلَّى بالناس بغلس ، ثم غار عليهم بأصحابه ، فلم يعلموا حتى وطشهم الخيل فما أدرك آخر أصحابه حتى قتل مقاتليهم ، وسبى ذرارهم ، واستباح أموالهم ، وخرب ديارهم ، وأقبل بالأسارى والأموال معه .

ونزل جبرئيل فأخبر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله بما فتح الله على عليّ عليه السلام وجماعة المسلمين ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وأخبر الناس بما فتح الله على المسلمين ، وأعلمهم أنه لم يصب منهم إلا رجلاً ، ونزل .

فخرج يستقبل عليّاً في جميع أهل المدينة من المسلمين ، حتى لقيه على أميال من المدينة . فلما رآه عليّ مقبلاً نزل عن دابته ، ونزل النبي صَلَّى الله عليه وآله حتى التزمه ، وقبّل ما بين عينيه ، فنزل جماعة المسلمين إلى عليّ عليه السلام حيث نزل رسول الله ، وأقبل بالغنيمة والأسارى وما رزقهم الله من أهل وادي اليابس .

ثم قال جعفر بن محمد عليهما السلام : ما غنم المسلمون مثلها قط إلا أن تكون خيراً ، فإنها مثل خير .

فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك اليوم : ﴿ والعاديات ضبحاً ﴾ يعني بالعاديات : الخيل تعدو بالرجال ، والضبح : ضبحها في أعنتها ولجمها .
﴿ فالموريات قدحاً ﴾ فالمغيرات ضبحاً ﴿ فقد أخبرك أنها غارت عليهم صبحاً .

قلت قوله : ﴿ فائرن به نفعاً ﴾ قال : يعني الخيل يائرن بالوادي نفعاً ﴿ فوسطن به جمعاً ﴾ .

قلت : قوله : ﴿ إن الإنسان لربّه لكنود ﴾ قال : لكفور .

﴿ وإِنَّهٗ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لِشَهِيدٌ ﴾ قال : يعنيهما جميعاً قد شهدا جميعاً وادي اليابس ، وكانا لحبِّ الحياة حريصين .

قلت : قوله : ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾ ^(١) .

قال : نزلت الآيتان فيهما خاصّة كانا يضمران ضمير السوء ويعملان به فأخبر الله خبرهما وفعالهما .

فهذه قصّة أهل وادي اليابس وتفسير العاديات .

وروى الغزوة على هذا النحو الشيخ الثقة فرات بن إبراهيم الكوفي في تفسيره ص ٢٢٦ - ٢٢٩ .

ورواها بطريقتين آخرين ، الأوّل مختصر ، والثاني مفصّل وهو الذي رواه بإسناده إلى سلمان الفارسي رضوان الله عليه ، نطوي عنه كشحاً روماً للاختصار ، فمن يريد التفصيل فليراجع المصدر .

فالأوّل ما رواه بإسناده إلى ابن عباس ، قال :

دعا النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله أبا بكر إلى غزوة ذات السلاسل فأعطاه الراية فردّها ، ثمّ دعا عمر فأعطاه الراية فردّها ، ثمّ دعا خالد بن الوليد فأعطاه الراية فرجع .

فدعا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فأمكنه من الراية ، فسيرهم معه ، وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوه .

قال : فانطلق أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالعسكر

(١) الآيات من سورة العاديات : ١ - ١١ .

وهم معه ، حتى انتهى إلى القوم ، فلم يكن بينه وبينهم إلا جبل .

قال : فأمرهم أن ينزلوا في أسفل الجبل ، فقال لهم : اركبوا دوابكم .

فقال خالد بن الوليد : يا أبا بكر ، وأنت يا عمر ، ما ترون إلى هذا الغلام أين أنزلنا في واد كثير الحيات ، كثير الهام ، كثير السباع ، نحن منه على إحدى ثلاث خصال : إما سبع يأكلنا ويأكل دوابنا ، وإما حيات تعقرنا وتعقر دوابنا ، وإما يعلم بنا عدونا فيقتلنا ، قوموا بنا إليه .

قال : فجاؤوا إلى عليّ عليه السلام وقالوا : يا عليّ ، أنزلتنا في واد كثير السباع ، كثير الهام كثير الحيات ، نحن منه على إحدى ثلاث خصال : إما سبع يأكلنا ويأكل دوابنا ، أو حيات تعقرنا وتعقر دوابنا ، أو يعلم بنا عدونا فيبيتنا فيقتلنا .

قال : فقال لهم عليّ عليه السلام : أليس قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وآله أن تسمعوا لي وتطيعوا ؟ !

قالوا : بلى .

قال : فانزلوا . فرجعوا .

قال : فأبوا أن ينقادوا ، واستفزهم خالد ثانية ، فقالوا له ذلك الكلام .

فقال لهم : أليس قد أمركم رسول الله صلى الله عليه وآله أن تسمعوا لي وتطيعوا ؟ !

قالوا : بلى .

قال : فانزلوا بارك الله فيكم ، ليس عليكم بأس .

قال : فنزلوا وهم مرعوبون .

قال : وما زال عليّ ليلته قائماً يصلي ، حتى إذا كان السحر قال لهم :

اركبوا بارك الله فيكم .

قال : فركبوا وطلع الجبل ، حتى إذا انحدر على القوم فأشرف عليهم ، قال لهم : انزعوا عكمة دوابكم .

قال : فشمت الخيل ريح الإناث فصهلت ، فسمع القوم صهيل خيلهم فولوا هارين .

قال : فقتل مقاتليهم ، وسبى ذراريهم .

قال : فهبط جبرئيل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : يا محمد ﴿ والعاديات ضبحاً ﴾ فالموريات قدحاً ﴿ فالمفريات صبحاً ﴾ فآثرن به نقعاً ﴿ فوسطن به جمعاً ﴾ (١) .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « تخالط القوم ورب الكعبة » .

قال : وجاءت البشارة .

وذكر الشيخ المفيد هذه الغزوة في موضعين من كتابه (الإرشاد) الأول في ص ٦٠ - ٦٢ والثاني في ص ٨٦ / ٨٨ .

أعرض عن ذكر تفاصيلها روماً للاختصار ، واكتفاء بما تقدم من الروايات المعتبرة ، غير أنه قال في آخر الفصل :

« كان الفتح في هذه الغزاة لأمير المؤمنين عليه السلام خاصة ، بعد أن كان من غيره فيها من الفساد ما كان ، واختص علي عليه السلام من مديح النبي صلى الله عليه وآله فيها بفضائل لم يحصل منها شيء لغيره ، وبات له من المنقبة ما لم يشركه فيه سواه ، منها ما قال صلى الله عليه وآله فيه : « يا علي ، لولا أني أشفق أن تقول فيك طوائف ما قالت النصرى في

(١) سورة العاديات : آية ١ - ٥ .

عيسى بن مريم ، لقلت فيك اليوم مقالاً لا تمرّ بملأ إلا أخذوا التراب من تحت قدميك .

ثم قال الشيخ المفيد : وقد ذكر كثير من أصحاب السير أن في هذه الغزاة ، نزل على النبي صلى الله عليه وآله سورة : ﴿ والعاديات ضبحاً ﴾ إلى آخرها ، فتضمنت ذكر الحال فيما فعله أمير المؤمنين عليه السلام .

وروى شيخ الطائفة الطوسي . . . في أماليه ج ٢ ص ٢١ رواية موجزة ، في قصة هذه الغزوة ونزول سورة والعاديات ، بإسناده إلى الحلبي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل : ﴿ والعاديات ضبحاً ﴾ قال : وجه رسول الله صلى الله عليه وآله عمر بن الخطاب في سرية فرجع منهزماً يخبّئ أصحابه ، ويخبّئ أصحابه .

فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي : أنت صاحب القوم ، فتهيأ أنت ومن تريد من فرسان المهاجرين والأنصار ، وسر الليل ولا يفارقك العين .

قال : فأنتهى علي إلى ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وآله ، فسار إليهم ، فلما كان عند وجه الصبح أغار عليهم ، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وآله : ﴿ والعاديات ضبحاً ﴾ إلى آخرها .

وأختتم هذا الفصل بذكر حديث في فضل قراءة سورة والعاديات .

روى الشيخ الصدوق في كتابه « ثواب الأعمال » ص ١٢٥ ، بإسناده إلى سليمان بن خالد ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، أنه قال : « من قرأ سورة والعاديات ، وأدمن قراءتها بعثه الله عز وجل مع أمير المؤمنين عليه السلام ، يوم القيامة خاصة ، وكان في حجرة ورفقائه » .

إلى هنا أكتفي ومن يريد التفاصيل فليراجع المصادر المذكورة أعلاه .

ما ظهر من شجاعته عليه السلام في غزوة حُنين

تقع منطقة حُنين في وادٍ بين سلسلة جبالٍ شاهقة بين مكة والطائف ، بينها وبين مكة ثلاث ليالٍ ، وتسكنها عشائر هوازن وثقيف وجماعات متفرقة من بني نصر وبني جُشم وغيرهم .

وحدثت هذه المعركة في شوال في عام الفتح - أي فتح مكة - وكان في السنة الثامنة من الهجرة ، وقيل إنها كانت في يومٍ مطيرٍ .

وسأذكر هنا قصّة هذه الغزوة معتمداً في إيرادها على مصادر كثيرة ، منها إرشاد الشيخ المفيد ص ٧٤ - ٨٠ تفسير القمي ج ١ ص ٢٨٥ - ٢٨٨ ، إعلام الوری : ١١٣ - ١٢١ ، مجمع البيان ج ٥ ص ٢٦ - ٣١ ، بحار الأنوار ج ٢١ ص ١٤٦ - ١٨٥ ، طبقات ابن سعد ج ٣/١٤٩ - ١٥٧ ، مغازي الواقدي ج ٣ ص ٨٨٥ - ٩٢٢ ، تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٢٥ - ١٣٢ ، سيرة ابن هشام ج ٤/٨٠ - ١٢٠ .

وقد جمعت فيما بين رواياتهم فجاءت رواية واحدة جامعة نافعة إن شاء الله .

كان سبب غزوة حنين أن هوازن جمعت له جمعاً كثيراً فذكر لرسول الله صلى الله عليه وآله أن صفوان بن أمية عنده مائة درع ، فسأله

ذلك ، فقال : أغضباً يا محمد ؟ قال : لا ، ولكن عارية مضمونة ، قال : لا بأس بهذا ، فأعطاه .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله في ألفين من مكة وعشرة آلاف كانوا معه ، فظن أكثرهم أنهم لن يغلبوا لما شاهدوه من جمعهم وكثرة عدتهم وسلاحهم ، وأعجب أبا بكر الكثرة يومئذ فقال : لن تغلب اليوم من قلة . وكان الأمر في ذلك بخلاف ما ظنوا وعانهم أبو بكر بعجبه بهم .

وأقبل مالك بن عوف النصري فيمن معه من قبائل قيس وثقيف ، فبعث رسول الله عبد الله بن أبي حدرد عينا فسمع ابن عوف يقول : يا معشر هوازن ، إنكم أحد العرب وأعدّه ، وإن هذا الرجل لم يلق قوماً يصدقونه القتال ، فإذا لقيتموه فاكسروا جفون سيوفكم ، واحملوا عليه حملة رجل واحد .

فأتى ابن أبي حدرد رسول الله صلى الله عليه وآله فأخبره ، فقال عمر : كذب .

فقال ابن أبي حدرد : والله ، لئن كذبتني لرُبما كذبت بالحق يا عمر ، فقد كذبت من هو خير مني . يعني رسول الله صلى الله عليه وآله .

فقال عمر : ألا تسمع يا رسول الله ما يقول ابن أبي حدرد ؟ ! فقال : « قد كنت ضالاً فهداك الله يا عمر ، وابن أبي حدرد صادق » .

قال الصادق عليه السلام : وكان مع هوازن دُرَيْدُ بْنُ الصُّمَّةِ ^(١) ، خرجوا به شيخاً كبيراً يتيمنون برأيه ، فلما نزلوا بأوطاس ^(٢) قال : نَعَمْ

(١) من شعراء العرب وفرسانهم ، كان شجاعاً ، عاش نحواً من مائتي سنة ، وقتل كافراً في هذه الغزوة .

(٢) وادٍ في ديار هوازن .

نَحَالُ الْخَيْلَ ، لَا حَزْنَ ضَرِسٌ ، وَلَا سَهْلٌ دِهْسٌ^(١) ، مَالِي أَسْمَعُ رُغَاءَ
الْبَعِيرِ ، وَنَهَاقَ الْحَمِيرِ ، وَبَكَاءَ الصَّغِيرِ ؟

قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وذرائعهم .

قال : فأين مالك ؟

فدعي مالك له فأتاه ، فقال : يا مالك ، أصبحت رئيس قومك
وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام ، مَالِي أَسْمَعُ رُغَاءَ^(٢) الْبَعِيرِ وَنَهَاقَ
الْحَمِيرِ وَبَكَاءَ الصَّغِيرِ وَثَغَاءَ الشَّاءِ^(٣) ؟

قال : أردتُ أن أجعلَ خلف كلِّ رجلٍ أهله وماله ليقاتل عنهم .

قال : ويحك لم تصنع شيئاً ، قدّمت بيضة هوازن في نحور الخيل ،
وهل يردّ وجه المنهزم شيء ! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلّا رجل بسيفه
ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت في أهلك ومالك .

قال : إنك قد كبرت وكبر عقلك^(٤) .

فقال دريد : إن كنت قد كبرت فتورث غداً قومك ذلاً بتقصير رأيك
وعقلك ، هذا يوم لم أشهده ولم أغب عنه .

ثم قال : حرب عوان .

يا ليتني فيها جذع^(٥) أخبٌ فيها وأضع^(٦)

(١) الحزن : ما غلظ من الأرض . والضرس : الأرض الحشنة . والدهس : المكان السهل
اللين ، ليس برمل ولا تراب .

(٢) الرغاء : صوت الإبل .

(٣) الثغاء : صياح الشاة .

(٤) أي أصابه ضعف الكبر ، وفي رواية : وذهب علمك وعقلك . وفي أخرى : وساخ
علمك .

(٥) أي ليتني كنت شاباً .

(٦) الخبب : ضرب من الغدو ، وأضع : أسرع في السير .

قال جابر : فسرنا حتى إذا استقبلنا وادي حنين ، كان القوم قد كمنوا في شعاب الوادي ومضايقه ، فما راعنا إلا كئائب الرجال بأيديها السيوف والعمد والقنا ، فشدوا علينا شدة رجل واحد ، فانهمز الناس راجعين لا يلوي أحد على أحد ، وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله ذات اليمين .

ولم يبق منهم مع النبي صلى الله عليه وآله إلا عشرة أنفس : تسعة من بني هاشم خاصة ، وعاشرهم أيمن بن أم أيمن ، فقتل أيمن رحمة الله عليه ، وثبتت التسعة الهاشميون حتى ثاب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من كان انهمز ، فرجعوا أولاً فأولاً حتى تلاحقوا ، وكانت لهم الكرة على المشركين .

وفي ذلك أنزل الله تعالى وفي إعجاب أبا بكر بالكثرة : ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴾ * ثم أنزل الله سكيتته على رسوله وعلى المؤمنين ﴿^(١) يعني أمير المؤمنين علياً عليه السلام ومن ثبت معه من بني هاشم ، وهم يومئذ ثمانية ، أمير المؤمنين عليه السلام تاسعهم :

العبّاس بن عبد المطلب عن يمين رسول الله صلى الله عليه وآله ، والفضل بن العباس عن يساره ، وأبوسفيان بن الحارث ممسك بسرجه عند نفر بغلته وأمير المؤمنين عليه السلام بين يديه يضرب بالسيف ، ونوفل بن الحارث ، وربيعه بن الحارث ، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ، وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب حوله ، وقد ولت الكافة مدبرين سوى من ذكرناه .

وفي ذلك يقول مالك بن عبادة الغافقي :

(١) سورة التوبة : آية ٢٥ - ٢٦ .

لم يواس النبيّ غير بني هاشم عند السيوف يوم حنين
 هرب الناس غير تسعة رهط فهم يهتفون بالناس أين
 ثم قاموا مع النبي على الموت فأتوا زيناً لنا غير شين
 وسوى أيمن الأمين من القوم شهيداً فاعتاض قرّة عين

وقال العباس بن عبد المطلب في هذا المقام :

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة وقد فرّ من قد فرّ عنه فأقشعوا
 وقولي إذا ما الفضل شدّ بسيفه على القوم أخرى يا بني ليرجعوا
 وعاشرنا لاقى الحمام بنفسه لما ناله في الله لم يتوجّع

يعني به أيمن بن أمّ أيمن رحمه الله .

وروى شيخ الطائفة الطوسي قدّس سرّه في أماليه ج ٢/ ١٨٧

بإسناده إلى المغيرة بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، عن
 أبيه ، عن جدّه نوفل أنّه كان يحدث عن يوم حنين قال :

فرّ الناس جميعاً وأعرؤا^(١) رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلم يبق
 معه إلا سبعة نفر من بني عبد المطلب : العباس ، وابنه الفضل ، وعليّ ،
 وأخوه عقيل ، وأبوسفيان ، وربيعة ونوفل بنو الحارث بن عبد المطلب ،
 ورسول الله صلى الله عليه وآله مصلت سيفه في المجتلد ، وهو على بغلته
 الدلدل ، وهو يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

قال الحارث بن نوفل : فحدّثني الفضل بن العباس قال : التفت
 العباس يومئذ وقد أقشع الناس عن بكرة أبيهم ، فلم يرَ عليّاً فيمن ثبت ،

(١) أي تركوه .

فقال : شوهة بوهة^(١) أفي مثل هذه الحال يرغب ابن أبي طالب بنفسه عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وهو صاحب ما هو صاحبه ؟ يعني المواطن المشهورة له .

فقلت : نقص قولك لابن أخيك يا أبة .

قال : ما ذاك ، يا فضل ؟

قلت : أما تراه في الرعيل الأول ؟ ! أما تراه في الرهج^(٢) ؟

قال : أشعره لي يا بني .

قلت : ذو كذا وكذا ، ذو البردة .

قال : فما تلك البرقة ؟

قلت : سيفه يزِيل^(٣) به بين الأقران .

فقال : برّ بن برّ ، فداه عمّ وخال .

قال : فضرب عليّ يومئذ أربعين مبارزاً ، كلهم يقذه حتّى أنفه ،

وذكره .

قال : وكانت ضرباته مبتكرة^(٤) .

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وآله هزيمة القوم عنه قال للعبّاس ، وكان رجلاً جهورياً صَيّاً^(٥) : نادِ بالقوم ، وذكرهم العهد .

فنادى العبّاس بأعلى صوته : يا أهل بيعة الشجرة ، يا أصحاب

سورة البقرة ، إلى أين تفرون ؟ اذكروا العهد الذي عاهدتم عليه

رسول الله صلى الله عليه وآله . والقوم على وجوههم قد ولّوا مدبرين .

(١) هما لكلمتا استنكار وتقريع ، الشوهة : القبح ، والبوهة : اللعن .

(٢) أي غبار المعركة .

(٣) أي يفرّق .

(٤) قال ابن الأثير في النهاية ج ١/ ١٤٩ : وفيه « كانت ضربات عليّ مُبتكرات لا عُواناً » أي

أنّ ضربته كانت بكرة يقتل بواحدة منها ، لا يحتاج أن يعيد الضربة ثانياً .

(٥) أي كان صوته شديداً عالياً .

وكانت ليلة ظلماء ، ورسول الله صَلَّى الله عليه وآله في الوادي ،
والمشركون قد خرجوا عليه من شعاب الوادي ، وجنباة ومضايقه ،
مصلتين سيوفهم وعمدهم وقسيهم .

قال : فنظر رسول الله صَلَّى الله عليه وآله إلى الناس ببعض وجهه في
الظلماء فأضاء كأنه القمر ليلة البدر ، ثم نادى المسلمين : « أين ما عاهدتم
الله عليه ؟ » فاسمع أولهم وآخرهم ، فلم يسمعها رجل إلا رمى بنفسه إلى
الأرض فانهحدروا إلى حيث كانوا من الوادي ، حتى لحقوا بالعدو فقاتلوه .

قالوا : وأقبل رجل من هوازن على جمل أحمر ، بيده راية سوداء في
رأس رمح طويل أمام القوم ، إذا أدرك ظفراً من المسلمين أكبّ عليهم ،
وإذا فاتته الناس رفعه لمن وراءه من المشركين ، فاتبعوه وهو يرتجز ويقول :
أنا أبو جرول لا براح حتى نبيح القوم أو نباح
فصمد له أمير المؤمنين عليه السلام فضرب عجزه بعيره فصرعه ، ثم
ضربه فقطره ، ثم قال :

قد علم القوم لدى الصباح أني في الهيجاء ذو نصاح
فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرول لعنه الله .

ثم التأم المسلمون وصفوا للعدو ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله
وآله : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَذَقْتَ أَوَّلَ قَرِيشٍ نِكَالاً ، فَأَذَقْ آخِرَهَا نَوَالاً » وتجادل
المسلمون والمشركون .

فلما رآهم النبي صَلَّى الله عليه وآله قام في ركابي سرجه ، حتى
أشرف على جماعتهم ، ثم قال : « الآن حمي الوطيس »^(١) .

(١) قال ابن الأثير في النهاية ج ٢٠٤/٥ : الوطيس : شبه التنور ، وقيل : هو الضراب
في الحرب ، ولم يُسمع هذا الكلام من أحدٍ قبل النبي صَلَّى الله عليه وآله ، وهو من
فصيح الكلام ، غرّبه عن اشتباك الحرب وقيامها على ساق .

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب
وعن موسى بن عقبة قال : قام رسول الله صلى الله عليه وآله في
الركابين وهو على البغلة فرفع يديه إلى الله يدعو ويقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي
أُشَدُّكَ مَا وَعَدْتَنِي ، اللَّهُمَّ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَظْهَرُوا عَلَيْنَا » .
ونادى أصحابه وذمهم : « يَا أَصْحَابَ الْبَيْعَةِ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ اللَّهُ اللَّهُ
الْكُرَّةُ عَلَى نَبِيِّكُمْ » .

وقيل : إِنَّهُ قَالَ : « يَا أَنْصَارَ اللَّهِ وَأَنْصَارَ رَسُولِهِ يَا بَنِي الْخَزْرَجِ »
فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ سَرَّاعاً يَتَدَرُونَ .

قال سلمة بن الأكوع : ونزل رسول الله صلى الله عليه وآله عن
البغلة ، ثُمَّ قبض قبضة من تراب ، ثُمَّ استقبل به وجوههم وقال :
« شَهِدْتُ الْوُجُوهَ » فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُمْ إِنْسَاناً إِلَّا مَلَأَ عَيْنَهُ تَرَاباً بِتِلْكَ
الْقَبْضَةِ ، فَوَلَّوْا مَدْبِرِينَ ، وَأَتْبَعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ فَقَتَلُوهُمْ ، وَغَنِمَهُمُ اللَّهُ
نِسَاءَهُمْ وَذُرَارِيَهُمْ وَشَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ .

وفُرَّ مَالُكَ بْنِ عَوْفٍ حَتَّى دَخَلَ حَصْنَ الطَّائِفِ فِي نَاسٍ مِنْ أَشْرَافِ
قَوْمِهِ .

وَأَسْلَمَ عِنْدَ ذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ حِينَ رَأَوْا نَصْرَ اللَّهِ وَإِعْزَازَ دِينِهِ .

وَلَمَّا قَتَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَا جُرُولَ ، وَخَذَلَ الْقَوْمَ بِقَتْلِهِ ،
وَضَعَ الْمُسْلِمُونَ سِيوفَهُمْ فِيهِمْ ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقْدُمُهُمْ ، حَتَّى
قَتَلَ بِنَفْسِهِ أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ ، ثُمَّ كَانَتْ الْهَزِيمَةُ وَالْأَسْرُ حِينَئِذٍ .

وَكَانَ أَبُو سَفْيَانَ صَخْرِيْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ فِي هَذِهِ الْغَزَاةِ ، فَانْهَزَمَ فِي
جَمَلَةٍ مِّنْ انْهَزَمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

وروي عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال : لقيت أبي منزهماً مع بني أمية من أهل مكة ، فصحت به : يا ابن حرب ، والله ما صبرت من ابن عمك ، ولا قاتلت عن دينك ، ولا كفت هؤلاء الأعراب عن حريمك .

فقال : مَنْ أنت ؟ قلت : معاوية .

قال : ابن هند ، قلت : نعم .

وما زال المسلمون يقتلون المشركين ويأسرون منهم ، حتى ارتفع النهار ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله بالكف ، ونادى أن لا يقتل أسير من القوم .

وكانت هذيل بعثت رسولاً يقال له : ابن الأكوع أيام الفتح عيناً على النبي صلى الله عليه وآله حتى علم علمه ، فجاء إلى هذيل بخبره ، وأسر يوم حنين فمر به عمر بن الخطاب ، فلما رآه أقبل على رجل من الأنصار وقال : هذا عدو الله الذي كان علينا عيناً ، ها هو أسير فاقطله . فضرب الأنصاري عنقه ، وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله فكره ذلك ، وقال : « ألم أمركم أن لا تقتلوا أسيراً ؟ ! »

وقتل بعده جميل بن معمر بن زهير وهو أسير ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الأنصار وهو مغضب فقال : « ما حملكم على قتله وقد جاءكم الرسول أن لا تقتلوا أسيراً ؟ ! »

فقالوا : إنما قتلناه بقول عمر .

فأعرض رسول الله صلى الله عليه وآله حتى كلمه عمير بن وهب في الصفح عن ذلك .

قال : وقد كان فيمن سبي أخته الشيماء بنت حليمة ، فلما قامت على رأسه قالت : يا محمد أختك سبي بنت حليمة .

قال : فترع رسول الله صلى الله عليه وآله برده فبسطه لها فأجلسها عليه ، ثم أكب عليها يسائلها ، وهي التي كانت تحضنه لما كانت أمها ترضعه .

وكان فيما قالت له : يا محمد ، أنسيت عضتك حينما كنت حاملتك على صدري ؟ ! وكشفت له عن كتفها ، وأرته إياها فتبسم بأبي وأمي وقال لها : لا ما نسيت .

ثم أكرمها وردَّ عليها ماها ، فقالت : لا ، والله ، ما أقبل حتى تردَّ على قومي أموالهم ، وتطلق أسرهم . وكانوا قد أجبروا على الخروج لمحاربته ، ويقولون : إنَّ محمداً ابننا فلا نخرج لقتاله .
فأجابها إلى ما طلبت منه إكراماً لها بعد أن استرضى أصحابه .

يذكرني هذا الموقف بموقف آخر لرسول الله صلى الله عليه وآله حينما جيء بالسبايا من طيء ، وكانت من بينهم (سفانة بنت حاتم الطائي) فأكرمها بعدما عرفها ، وردَّ عليها وعلى قومها أموالهم وأطلق أسراهم ، إكراماً لأبيها ، على الرغم من أنه مات مشركاً ، وذلك لخصلة الكرم فيه ، وقال قولته المشهورة : « أكرموا عزيز قوم ذل ، وغنياً افتقر وعالمًا ضاع بين جهال » .

فلما شاهدت ابنة حاتم الطائي هذا الكرم وحُسن المعاملة ، قالت : يا محمد ، هذا عطاء من لا يخاف الفقر .

فقال : « أدبني ربِّي » أو « هكذا علّمني ربِّي فأحسن تعليمي » .

فقالت : دعني أدعوك .

فقال صلى الله عليه وآله لأصحابه : انصتوا لدعائها وأمنوا .

فقالت : يا محمد ، جعل الله برك في مواضعه ، ولا جعل الله لك

عند لثيم حاجة ، وما سلب الله نعمة عبدٍ إلا وجعلك سبباً في ردّها عليه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : آمين .

هذا موقفٌ من أصحاب الشيم والنبيل والكرم وطيب الأرومة ،
ولنتنظر إلى موقف بني أمية المتّصف بالخزي والعار من عقيلة بني هاشم
وصريخة عبد المطلب بعد معركة الطف المأساوية ، فهلاً أكرموها وهي
حفيدة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وابنة فاطمة الزهراء صلوات الله
عليها ، وهم يدعون كذباً وزوراً أنهم من أمته ومن رعيته ، أين هم من
الإسلام الذي أظهروه ، ما كان أحرامهم أن يظهروا الكفر والنفاق الذي
أبطنوه .

ولننعم ما قال الشاعر :

ملكنّا فكان العفو منا سجيّةً ولما ملكتم سال بالدم أبطحُ
فحسبكم هذا التفاوت بيننا وكلُّ إناءٍ بالذي فيه ينضجُ
وحلّلتكم قتل الأسارى وطالما عفونا عن الأسرى نعف ونصفحُ

ونرجع في الحديث إلى حيث انتهينا :

وأدرك وفد هوازن رسول الله صلى الله عليه وآله بالجعرانة وقد
أسلموا ، فقالوا : يا رسول الله ، لنا أصل وعشيرة ، وقد أصابنا من
البلاء ما لم يخفَ عليك ، فامنن علينا من الله عليك .

وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال : يا رسول الله ، إنّا لو ملحنّا
الحارث بن أبي شعر أو النعمان بن المنذر ثم ولّى منا مثل الذي وليت لعاد
علينا بفضلّه وعطفه ، وأنت خير المكفولين ، وإنّما في الحظائر خالاتك
وبنات خالاتك ، وحواضنك ، وبناات حواضنك اللاتي أرضعنك ، ولسنا
نسألك ما لا إنّما نسألكهنّ .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله قسّم منهنّ ما شاء الله ، فلما

كَلَّمَتْهُ أُخْتُهُ قَالَ : أَمَّا نَصِيبِي وَنَصِيبُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكَ ، وَأَمَّا مَا كَانَ لِلْمُسْلِمِينَ فَاسْتَشْفَعِي بِي عَلَيْهِمْ .

فَلَمَّا صَلَّوْا الظُّهْر قَامَتْ فَتَكَلَّمَتْ ، وَتَكَلَّمُوا ، فَوَهَبَ لَهَا النَّاسُ أَجْمَعُهُمْ إِلَّا الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ وَعَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ ، فَلَمَّا أَبَا أَنْ يَبِيا ، وَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ أَصَابُوا مِنْ نِسَائِنَا ، فَحَنَ نَصِيبٌ مِنْ نِسَائِهِمْ مِثْلَ مَا أَصَابُوا .

فَأَقْرَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : « اللَّهُمَّ تَوَهَّ سَهْمَيْهِمَا » فَأَصَابَ أَحَدَهُمَا خَادِمًا لَبْنِي عَقِيلٍ ، وَأَصَابَ الْآخَرَ خَادِمًا لَبْنِي غَمِيرٍ .

فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ وَهَبَا مَا مَنَعَا .

قَالَ : وَلَوْلَا أَنَّ النِّسَاءَ وَقَعْنَ فِي الْقِسْمَةِ لَوَهَبْنَهُمَا لَهَا كَمَا وَهَبَ مَا لَمْ يَقَعْ فِي الْقِسْمَةِ ، وَلَكِنَّهُنَّ وَقَعْنَ فِي أَنْصِبَاءِ^(١) النَّاسِ ، فَلَمْ يَأْخُذْ مِنْهُنَّ إِلَّا بِطَيْبَةِ النَّفْسِ .

وَرَوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : « مَنْ أَمْسَكَ مِنْكُمْ بِحَقِّهِ فَلَهُ بِكُلِّ إِنْسَانٍ سِتُّ فَرَايِضَ مِنْ أَوَّلِ فِئَةٍ يَصِيبُهُ » فَرَدُّوا إِلَى النَّاسِ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ .

قَالَ : وَكَلَّمَتْهُ أُخْتُهُ فِي مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ ، فَقَالَ : إِنْ جِئْتَنِي فَهُوَ آمِنٌ . فَأَتَاهُ فَرَدُّ عَلَيْهِ مَالَهُ ، وَأَعْطَاهُ مِائَةَ مِنَ الْإِبِلِ .

وَقَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غَنَائِمَ حَنْزَلَةَ فِي قَرِيشٍ خَاصَّةً ، وَأَجْزَلَ الْقِسْمِ لِلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبِهِمْ ، كَأَبِي سَفْيَانَ صَخْرَةَ بْنِ حَرْبٍ ، وَعُكْرَةَ بْنَ

(١) جَمْعُ نَصِيبٍ .

أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، والحارث بن هشام ، وسهيل بن عمرو ،
وزهير بن أبي أمية ، وعبد الله بن أمية ، ومعاوية بن أبي سفيان ،
وهشام بن المغيرة والأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن في أمثالهم .

وقيل : إنه جعل للأنصار شيئاً يسيراً ، وأعطى الجمهور لمن
سمّيناه .

فغضب قوم من الأنصار لذلك ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله
عنهم مقال أسخطه ، فنادى فيهم فاجتمعوا وقال لهم : اجلسوا ، ولا يقعد
معكم أحد من غيركم .

فلما قعدوا جاء النبي صلى الله عليه وآله يتبعه أمير المؤمنين صلوات
الله عليهما حتى جلس وسطهم وقال لهم : إني سائلكم عن أمر فأجيبوني
عنه .

فقالوا : قل : يا رسول الله .

قال : « أستم كنتم ضالّين فهداكم الله بي ؟ »

فقالوا : بلى . فله المنة ولسوله .

قال : « ألم تكونوا على شفا حفرة من النار فأنقذكم الله بي ؟ »

قالوا : بلى ، فله المنة ولسوله .

قال : « ألم تكونوا قليلاً فكثركم الله بي ؟ »

قالوا : بلى ، فله المنة ولسوله .

قال : « ألم تكونوا أعداء فآلف الله بين قلوبكم بي ؟ »

قالوا : بلى ، فله المنة ولسوله .

ثم سكت النبي صلى الله عليه وآله هنيئة ثم قال : « ألا تحبوني بما

عندكم ؟ »

قالوا : بم نجيبك ، فداؤك آباؤنا وأمّهاتنا قد أجبناك بأن لك

الفضل والمنّ والطول علينا ؟

قال : « أما لو شئتم لقلتم : وأنتَ قد كنت جئتنا طريداً فأوريناك ، وجئتنا خائفاً فأمنّاك ، وجئتنا مكذباً فصدقناك » .

فارتفعت أصواتهم بالبكاء ، وقام شيوخهم وساداتهم إليه فقبلوا يديه ورجليه ، ثم قالوا : رضينا بالله وعنه ، وبرسوله وعنه ، وهذه أموالنا بين يديك ، فإن شئت فاقسمها على قومك ، وإنما قال مَنْ قال منا على غير وغر^(١) صدر ، وغلّ في قلب ، ولكنهم ظنّوا سخطاً عليهم وتقصيراً لهم ، وقد استغفروا الله من ذنوبهم ، فاستغفر لهم يا رسول الله .

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله : « اللّهُمَّ اغفر للأَنْصار ولأبناء الأَنْصار ، ولأبناء أبناء الأَنْصار » .

يا معشر الأَنْصار أما ترضون أن يرجع غيركم بالشّاء والنعم ورجعتم أنتم وفي سهمكم رسول الله ؟ » قالوا : بلى رضينا .

قال النبيّ صلى الله عليه وآله حينئذ : « الأَنْصار كرثي وعيبي^(٢) ، لو سلك الناس وادياً وسلكت الأَنْصار شعباً لسلكت شعب الأَنْصار ، اللّهُمَّ اغفر للأَنْصار » .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله أعطى العباس بن مرداس أربعاً من الإبل ، فسخطها ، وأنشأ يقول :

أَجْعَلْ نَهْبي وَنَهْبَ الْعَبِيدِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَالْأَفْرَعِ

(١) الوغر : الحقد والضغينة والعداوة .

(٢) أراد أنهم بطانته وموضع سرّه وأمانته ، والذين يَعتَمِد عليهم في أموره ، واستعار الكرّش والعمية لأنّ الأوّل يجمع فيه الأكل والعلف ، والثاني توضع فيه الثياب وما شابه ذلك . وقيل : أراد بالكرّش الجماعة ، يقال : عليه كرّش من الناس أي جماعة .

فما كان حصن ولا حابس يفوقان شيخي في المجمع
وما كنت دون امرئ منهما ومن تضع اليوم لم يرفع

فبلغ النبي صلى الله عليه وآله قوله فاستحضره وقال له : أنت
القاتل : أتجعل نهي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة ؟

فقال له أبو بكر : بأبي أنت وأمي لست بشاعر .

فقال : وكيف ؟

قال : قال : بين عيينة والأقرع^(١) .

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام : قم
يا علي واقطع لسانه .

قال : فقال العباس بن مرداس : والله ، لهذه الكلمة كانت أشد
علي من يوم خثعم حين أتونا في ديارنا ، فأخذ بيدي علي بن أبي طالب
عليه السلام فانطلق بي ، ولو أدري أن أحداً يخلصني منه لدعوته ، فقلت :
يا علي ، إنك لقاطع لساني ؟ ! قال : إني لمض فيك ما أمرت ، قال : ثم
مضى ، فما زال بي حتى أدخلني الحظائر فقال لي : اعتد ما بين أربع إلى
مائة .

قال : فقلت : بأبي أنت وأمي ، ما أكرمكم وأحلمكم وأعلمكم .

قال : فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله أعطاك أربعاً
وجعلك مع المهاجرين ، فإن شئت فخذها . وإن شئت فخذ المائة وكن
من أهل المائة .

قال : قلت : أشر علي .

(١) تعتمد رسول الله صلى الله عليه وآله التقديم والتأخير ليغير القافية ، ولئلا يجري على
لسانه الشعر ، فلم يفهم أبو بكر ذلك .

قال : فَإِنِّي أَمْرُكَ أَنْ تَأْخُذَ مَا أَعْطَاكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتَرْضَى . قلت : فَإِنِّي أَفْعَلُ .

وَلَمَّا قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غَنَائِمَ حَنِينٍ أَقْبَلَ رَجُلٌ طَوِيلٌ أَدَمٌ أَحْنَى ، بَيْنَ عَيْنَيْهِ أَثَرُ السَّجُودِ ، فَسَلَّمَ وَلَمْ يَخْصُصْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، ثُمَّ قَالَ : قَدْ رَأَيْتَكَ وَمَا صَنَعْتَ فِي هَذِهِ الْغَنَائِمِ .

قال : وكيف رأيت ؟

قال : لم أرك عدلت .

فغضب رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وقال : ويلك ، إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون ؟

فقال المسلمون : ألا نقتله ؟

قال : « دعوه ، فَإِنَّهُ سَيَكُونُ لَهُ أَتْبَاعٌ يَمْرِقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرِقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ ، يَقْتُلُهُمُ اللَّهُ عَلَى يَدِ أَحَبِّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ مِنْ بَعْدِي » .

فقتله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فيمن قتل يوم النهروان من الخوارج . والظاهر أنه كان ذا الشدية رأس الخوارج .

ورواها الزهري بلفظ آخر ، عن أبي سلمة ، عن أبي سعيد الخدري

قال :

بيننا نحن عند رسول الله وهو يقسم إذ أتاه ذو الخويصرة ، رجل من بني تميم ، فقال : يا رسول الله ، إعدل .

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : « وَيْلَكَ مَنْ يَعْدِلُ إِنْ أَنَا لَمْ أَعْدِلْ ؟ وَقَدْ خَبْتُ ، أَوْ خَسَرْتُ ، إِنْ أَنَا لَمْ أَعْدِلْ » .

فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ، إئذن لي فيه أضرب عنقه .

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله : « دعه ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ

أحدكم صلاته مع صلاته ، وصيامه مع صيامه ، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر إلى نضيبه ، وهو قدحه ، فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة ، أو مثل البضعة ، تدردر ، يخرجون على خير فرقة من الناس .

قال أبو سعيد : فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأشهد أن علي بن أبي طالب عليه السلام قاتلهم وأنا معه ، وأمر بذلك الرجل فالتمس ، فوجد ، فأتي به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله الذي نعت .

وهذا متواتر مشهور بين الفريقين ، متفق على صحته ، ولعلني أتعرض لمصادره وتفصيل قصته في معركة النهروان .

قال الشيخ المفيد قدس سره في الإرشاد ص ٧٨ بعد أن روى وقائع غزوة حنين :

فانظر إلى مناقب أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الغزاة ، وتأملها ، وفكر في معانيها ، تجده عليه السلام قد تولى كل فضل كان فيها ، واختص من ذلك بما لم يشركه فيه أحد من الأمة .

وذلك أنه عليه السلام ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله عند انهماك كافة الناس ، إلا النفر الذين كان ثبوتهم بشوته عليه السلام ، وذلك أنا قد أحطنا علماً بتقدمه في الشجاعة والبأس والصبر والنجدة ، على العباس والفضل ابنه وأبي سفيان بن الحارث والنفر الباقيين ؛ لظهور أمره في المقامات التي لم يحضرها أحد منهم ؛ واشتهار خبره في منازلة الأقران ،

وقتل الأبطال ، ولم يعرف لأحدٍ من هؤلاء مقام من مقاماته ، ولا قتيلٌ عزري إليهم بالذكر .

فَعُلِمَ بذلك أن ثبوتهم كان به عليه السلام ، ولولاه كانت الجناية على الدين لا تتلافى ، وأن بمقامه ذلك المقام ، وصبره مع النبي صلى الله عليه وآله كان رجوع المسلمين إلى الحرب ، وتشجعهم في لقاء العدو .

ثم كان من قتله أبا جرول متقدّم المشركين ، ما كان هو السبب في هزيمة القوم وظفر المسلمين بهم .

وكان من قتله عليه السلام الأربعين الذين تولى قتلهم الوهن على المشركين ، وسبب خذلانهم وهلعهم وظفر المسلمين بهم .

وكان من بليّة المتقدم عليه في مقام الخلافة من بعد رسول الله صلى الله عليه وآله أن أعان المسلمين بإعجابه بالكثرة ؛ وكانت هزيمتهم بسبب ذلك ؛ أو كان أحد أسبابها .

ثم كان من صاحبه من قتل الأسارى من القوم ، وقد نهى النبي صلى الله عليه وآله عن قتلهم ما ارتكب به عظيم الخلاف لله تعالى ولرسوله ، حتّى أغضبه ذلك وأسفه وأنكره وأكبره ، وكان من صلاح أمر الأنصار بمعونة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جمعهم وخطابهم ما قوى به الدين ، وزال به الخوف من الفتنة التي أظلت القوم بسبب القسمة ، فساهم رسول الله صلى الله عليه وآله في فضل ذلك ، وشركه فيه دون من سواه .

وتولّى من أمر العباس بن مرداس ما كان سبب استقرار الإيمان في قلبه ، وزوال الريب في الدين من نفسه ، والإنقياد إلى رسوله صلى الله عليه وآله في الطاعة لأمره والرضا بحكمه .

ثم جعل رسول الله صَلَّى الله عليه وآله الحكم على المعارض في
قضائه عَلياً على حقِّ أمير المؤمنين عليه السلام في فعالة وصوابه في ضرابه ،
ونبه على وجوب طاعته وخطر معصيته ؛ وأنَّ الحقَّ في حيزه وجنبه ، وشهد
له بأنَّه خير الخليفة .

وهذا بيان ما كان من خصومه الغاصبين لمقامه من الفعال ، ويضاد ما
كانوا عليه من الأعمال ، ويخرجهم من الفضل إلى النقص الذي يوجب
صاحبه أو يكاد ، فضلاً عن سُوءه على أعمال المخلصين في تلك الغزاة ،
وقربهم بالجهاد الذي تولَّوه ، فبانوا به مُنْ ذكرناه بالتقصير الذي وصفناه .
انتهى كلامه رحمه الله .

ما ظهر من شجاعته عليه السلام في غزوة الطائف

وكانت في شوال سنة (٨) من الهجرة ، والطائف^(١) أرض زراعية ، ذات نخل وأعناب وسائر الفواكه ، وبها مياه جارية وأودية ، وكان جلّ أهلها من ثقيف .

أما وقائع هذه الغزوة ، وما ظهر من شجاعة علي عليه السلام فيها ، فمأسوقها حسب رواية الشيخ المفيد في الإرشاد ص ٨٠ و ٨١ والشيخ الطبرسي في إعلام الوری ص ١١٦ - ١١٨ .

لما فضّ الله تعالى جمعَ المشركين بحنين تفرّقوا فرقتين ، فأخذت الأعراب ومن تبعهم إلى (أوطاس) وأخذت ثقيف ومن تبعها إلى (الطائف) فبعث النبي صلّى الله عليه وآله أبا عامر الأشعريّ إلى أوطاس في جماعة ، منهم أبو موسى الأشعريّ ، وبعث أبا سفيان صخر بن حرب إلى الطائف .

فأما أبو عامر فإنه تقدّم بالراية ، وقاتل حتّى قُتلَ دونها ، فقال المسلمون لأبي موسى : أنت ابن عمّ الأمير ، وقد قتل ، فخذ الراية حتّى نقاتل دونها . فأخذها أبو موسى فقاتل هو والمسلمون حتّى فتح الله عليهم .

(١) الطائف ، جبل كبير يقع شرق مكة على قمة المدينة المسماة باسمه لحد الآن .

وأما أبو سفيان فإنه لقيته ثقيف ، فضربوه على وجهه ، فانهمز ورجع إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال : بعثني مع قوم لا يرفع بهم الدلاء من هذيل والأعراب ، فما أغنوا عني شيئاً . فسكت النبي صلى الله عليه وآله عنه ، ثم سار بنفسه إلى الطائف ، فحاصرهم أياماً ، وأنفذ أمير المؤمنين عليه السلام في خيل ، وأمره أن يطأ ما وجد ، ويكسر كل صنم وجده .

فخرج حتى لقيته خيل خثعم في جمع كثير ، فبرز لهم رجل من القوم يقال له : شهاب في غبش الصبح^(١) فقال : هل من مبارز ؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : من له ؟ فلم يقم إليه أحد .

فقام إليه أمير المؤمنين عليه السلام ، ، فوثب أبو العاص بن الربيع ، زوج بنت النبي صلى الله عليه وآله ، فقال : تكفاه أيها الأمير ؟ فقال : لا ؛ ولكن إن قُلتُ فأنْتَ على الناس .

فبرز إليه أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه وهو يقول :

إن على كل رئيس حقاً أن يروي الصعدة أو يدقاً^(٢)

ثم ضربه فقتله ، ومضى في تلك الخيل حتى كسر الأصنام ، وعاد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو محاصر أهل الطائف ، فلما رآه النبي صلى الله عليه وآله كبر للفتح ، وأخذ بيده فخلا به وناجاه طويلاً .

فروى عبد الرحمن بن سيابة والأجلح جميعاً عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله لما خلا بعلي عليه السلام يوم الطائف أتاه عمر بن الخطاب فقال : أتناجيه دوننا ؟ ! وتخلو به دوننا ؟

(١) الغُبْشَةُ : ظلمة آخر الليل .

(٢) الصعدة : القناة التي تنبت مستقيمة .

فقال : يا عمر ، ما أنا انتجيت ، بل الله انتجاه .
قال : فأعرض عمر وهو يقول : هذا كما قلت لنا قبل الحديبية :
﴿ لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين ﴾^(١) فلم ندخله ، وصُدِّدْنَا
عنه .

فناداه النبي صَلَّى الله عليه وآله : لم أقل لكم أنكم تدخلونه في ذلك
العام .

ثم خرج من حصن الطائف نافع بن غيلان بن معتب في خيلٍ من
ثقيف ، فلقيه أمير المؤمنين عليه السلام ببطن وج^(٢) ، فقتله ، وانهزم
المشركون ولحق القوم الرعب .

ونزل من حصن الطائف إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله جماعة من
أرقائهم منهم أبو بكر ، وكان عبداً للحارث بن كلدة ، والمنبعث ، وكان
اسمه المضطجع ، فسماه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله المنبعث ، ووردان
وكان عبداً لعبد الله بن ربيعة فأسلموا .

فلما قدم وفد الطائف على رسول الله فأسلموا قالوا : يا رسول الله ،
ردّ علينا رقيقنا الذين أتوك .

فقال : لا ، أولئك عتقاء الله .

وكان حصار النبي صَلَّى الله عليه وآله للطائف بضعة عشر يوماً ،
وقيل ثلاثين ليلة أو قريباً من ذلك .

قال الشيخ المفيد أعلى الله درجته :

هذه الغزاة أيضاً مما خصَّ الله سبحانه فيها أمير المؤمنين عليه السلام

(١) سورة الفتح آية : ٢٧ .

(٢) وج : اسم بلدٍ بالطائف .

بما انفرد به من كافة الناس ، وكان الفتح فيها على يده ، وقتل مَنْ قتل من خشمهم به دون سواء ، وحصل من المناجاة التي أضافها رسول الله صَلَّى الله عليه وآله إلى الله عزَّ اسمه ما ظهر به مِنْ فضله وخصوصيته من الله بما بان به من كافة الخلق ، وكان من عدوه فيها ما دلَّ على باطنه ، وكشف الله عن حقيقة سرِّه وضميره ، وفي ذلك عبرة لأولي الألباب . انتهى كلامه رحمه الله .

أما حديث مناجاة الله لعليٍّ فهو مروي في مصادر الفريقين المعتبرة ، وبأسانيد متواترة مصحَّحة .

فقد رواه أبو نعيم الأصفهاني في « تاريخ أصبهان » ج ١/١٤١ ط ليدن .

وابن عدي الجرجاني الشافعي في « الكامل في الرجال » ج ١/٤١٨ ط بيروت .

والحافظ ابن عساكر في ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من « تاريخ دمشق » ج ٢/٣٠٨ بعدة طرق ، ط بيروت .

والعلامة الطبراني في « المعجم الكبير » ص ٩٢ مخطوط .
والعلامة علي بن سلطان محمد القاري في « مرعاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح » ج ١١/٣٤٦ .

والعلامة الترمذي في صحيحه ج ١٣/١٧٣ ط الصاوي - مصر .
والحافظ الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » ج ٧/٤٠٢ ط - مصر .

والحافظ ابن المغازلي في « المناقب » ص ١٢٤ - ١٢٦ ح ١٦٢ - ١٦٦ بعدة طرق ، ط دار الأضواء - بيروت .

والحافظ الكنجي في « كفاية الطالب » ص ٣٢٧ - ٣٢٩ بعدة طرق ، ط - طهران .

والحافظ الخوارزمي في « المناقب » ص ٨٢ ط تبريز .
وسبط ابن الجوزي في « تذكرة الخواص » ص ٤٧ ط النجف
الأشرف .

وابن الأثير الجزري في « أسد الغابة » ج ٤ / ٢٧ ط مصر .
ومحب الدين الطبري في « الرياض النضرة » ج ٢ / ٢٠٠ ط محمد
أمين الخانجي - مصر .

وفي كتابه « ذخائر العقبى » ص ٨٥ ط مكتبة القدسي - مصر .
وهناك مصادر أخرى كثيرة لهذا الحديث الجليل ، فراجع بحار
الأنوار ج ٣٩ / ١٥١ - ١٥٧ ، إحقاق الحق ج ٦ / ٥٢٥ - ٥٣١ ،
وج ١٧ / ٥٣ - ٥٥ ، وج ٢١ / ٢٧٥ - ٢٨١ .

ما ظهر من فضله عليه السلام في غزوة تبوك

لما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله من غزوة الطائف ، أمر بجهاد الروم ، فأعلم أصحابه بذلك ، كان الوقت صيفاً وفي شدة الحر وجذب في البلاد ، وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام في ثمارهم ومساكنهم فشق عليهم الخروج .

وكان صلى الله عليه وآله ، حينها يعزم للخروج والجهاد يعلن ذلك بصورة مقتضبة ولا يصرح أو يكشف عن وجهته وعزمه وخطته إلا في غزوة تبوك ، لبعد شقتها ، وخطورة العدو وكثرته ، ليتأهب الناس ويعدوا العدة .

فتخلف عنه جماعة من الصحابة منهم ، كعب بن مالك ، وكان رجل صدق غير مطعون عليه وإنما تخلف توابياً عن الاستعداد حتى فاته المسير ، وهلال بن أمية الواقفي ، ومرارة بن الربيع ، كما تخلف جماعة من المنافقين عناداً وخذلاناً وفي طليعتهم عبد الله بن أبي ، وجد بن قيس أخو بني سلمة من بني الخزرج ، وأوس بن قيثي وغيرهم .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة في رجب سنة تسع للهجرة وخلف أمير المؤمنين عليه السلام فيها ليقوم مقامه وسار حتى وصل

الجرف ، فرجع عبد الله بن أبي وجماعته بغير إذن .

قال تعالى في محكم كتابه المجيد ، سورة التوبة آية ١١٨ : ﴿ وعلى الثلاثة الذين خَلَفُوا حتَّى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وضائق عليهم أنفسهم وظنّوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ، إِنَّ الله هو التّواب الرحيم ﴾ .

هذه الآية نزلت في عتاب أو تهديد المؤمنين الذين تخلفوا عن رسول الله حين قصد محاربة الروم في تبوك ، ومنهم خاصّة : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أميّة ، وكان تخلفهم تهاوناً وتباطأً لا عصيانياً أو نفاقاً مثل عبد الله بن أبي رأس المنافقين ، وجد بن قيس أخو بني سلمة من بني الخزرج ، وأوس بن قيطي .

وملخص ما ذكر الفيض الكاشاني في تفسيره ، (الصافي) :

وفي الكافي ، والعياشي ، والقمي ، عن السجاد ، والباقر ، والصادق عليهم السّلام إنّما نزل ، وعلى الثلاثة الذين خالفوا ، ولو كانوا خلفوا لكانوا في حال طاعة ولم يكن عليهم عتب ، وتفسير ﴿ حتَّى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ﴾ أي مع سعتها ، وهو مثلٌ لحيرتهم في أمرهم ، كأنهم لا يجدون في الأرض موضع قرار ﴿ وضائق عليهم أنفسهم ﴾ أي قلوبهم من فرط الوحشة والغم ، ﴿ وظنّوا ﴾ وعلموا ﴿ أن لا ملجأ من الله ﴾ من سخط الله ﴿ إلاّ إليه ، ثم تاب عليهم ﴾ ثم رجع عليهم بالقبول ، « على شرط أن يتوبوا » .

وفي المعاني عن الإمام الصادق عليه السلام ، هو الإقالة ﴿ ليتوبوا ﴾ ليعودوا إلى حالتهم الأولى ﴿ إِنَّ الله هو التّواب الرحيم ﴾ لمن تاب ، ولو عاد في اليوم مائة مرّة .

والقمي في تفسيره ، نزلت الآية في قصّة غزوة تبوك ، وقد كان

تَخَفَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، قَوْمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ ، وَقَوْمٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَبْصِرِينَ لَمْ يَعْثُرْ عَلَيْهِمْ فِي نِفَاقٍ ، مِنْهُمْ : كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ الشَّاعِرُ ، وَمِرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ ، وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ .

فَلَمَّا تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَالَ كَعْبُ : مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَى مِنِّي فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الَّذِي خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَبُوكَ ، وَمَا اجْتَمَعَتْ لِي رَاحِلَتَانِ إِلَّا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، فَكُنْتُ أَقُولُ : أَخْرَجَ غَدًا ، أَخْرَجَ بَعْدَ غَدٍ فَلِإِنِّي قَوِي ، وَتَوَانَيْتُ وَبَقِيتُ بَعْدَ خُرُوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَيَّامًا أَدْخُلُ السُّوقَ وَلَا أَقْضِي حَاجَةً ، فَلَقِيتُ هَلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ ، وَمِرَارَةَ بْنَ الرَّبِيعِ ، وَقَدْ كَانَا تَخْلَفَانِي أَيْضًا ، فَتَوَافَقْنَا أَنْ نَبْكَرَ إِلَى السُّوقِ وَلَمْ نَقْضِ حَاجَةً .

فَمَا زِلْنَا نَقُولُ : نَخْرُجُ غَدًا وَبَعْدَ غَدٍ حَتَّى بَلَّغْنَا إِقْبَالَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَتَدَمَّنَا ، فَلَمَّا وَافَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اسْتَقْبَلْنَاهُ نَهْنَهَ بِالسَّلَامَةِ ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَرُدُّ عَلَيْنَا السَّلَامَ ، وَأَعْرَضَ عَنَّا ، وَسَلَّمْنَا عَلَى إِخْوَانِنَا فَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْنَا السَّلَامَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَهْلُونَا فَقَطَعُوا كَلَامَنَا ، وَكُنَّا نَحْضُرُ الْمَسْجِدَ فَلَا يَسَلِّمُ عَلَيْنَا أَحَدٌ وَلَا يَكَلِّمُنَا ، فَجَاءَتْ نِسَاؤُنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَ : قَدْ بَلَّغْنَا سَخَطَكَ عَلَى أَزْوَاجِنَا أَفْتَعِزُّنَّ لَهُمْ ؟

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : لَا تَعِزَّنَّ لَهُمْ وَلَكِنْ لَا يَقْرَبُوكُنَّ ، فَلَمَّا رَأَى كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَصَاحِبَاهُ مَا قَدْ حَلَّ بِهِمْ قَالُوا : مَا يَقْعِدُنَا بِالْمَدِينَةِ ، وَلَا يَكَلِّمُنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَا إِخْوَانُنَا ، وَلَا أَهْلُونَا ، فَهَلَمُّوا نَخْرُجْ إِلَى هَذَا الْجَبَلِ فَلَا نَزَالُ فِيهِ حَتَّى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْنَا ، أَوْ نَمُوتَ .

فَخَرَجُوا إِلَى ذُبَابٍ - جَبَلٍ بِالْمَدِينَةِ - فَكَانُوا يَصُومُونَ ، وَكَانَ أَهْلُهُمْ

يأتونهم بالطعام فيضعونه ناحية ثم يولّون عنهم فلا يكلمونهم ، فبقوا على هذه الحالة أياماً كثيرة ليكون بالليل والنهار ، ويدعون الله أن يغفر لهم .

فلما طال عليهم الأمر ، قال لهم كعب : يا قوم ، قد سخط الله علينا ، ورسوله قد سخط علينا ، وإخواننا سخطوا علينا ، وأهلونا سخطوا علينا ، فلا يكلمنا أحد ، فلم لا يسخط بعضنا على بعض ؟ !

فتفرّقوا في الليل وحلفوا أن لا يكلم أحد منهم صاحبه حتى يموت أو يتوب الله عليه .

فبقوا على هذه [الحالة] ثلاثة أيام ، كلّ منهم في ناحية من الجبل ، لا يرى أحد منهم صاحبه ولا يكلمه .

فلما كان في الليلة الثالثة ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيت أم سلمة نزلت توبتهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ حيث لم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا إخوانهم ، ولا أهلهم فضاقت المدينة عليهم حتى خرجوا منها : ﴿ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ ﴾^(١) حيث حلفوا أن لا يكلم بعضهم بعضاً ، فتفرّقوا ، وتاب الله عليهم لما عرف صدق نياتهم ، «عندها أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مَنْ يَشْرُهُمْ بالتوبة ويدعوهم إلى العودة ؛ أو ذهب هو بنفسه ، والله العالم » .

إلى هنا أسدل الستار ، وانتهت هذه القصة ، ذكرتها للعبرة .

أعود من حيث انقطعت .

ووصل صلى الله عليه وآله وسلم في شعبان يوم الثلاثاء ، فأقام بقية

(١) الآيات من سورة التوبة : ١١٨ .

شعبان وآياماً من شهر رمضان ، فاتاه يوحنّ بن روبة والي أيلة - مدينة على ساحل البحر - فصالحه على الجزية ، وقرر على كل من بلغ الحلم ديناراً في السنة ، فبلغ ثلاثمائة دينار ، واشترط عليهم إكرام من مرّ بهم من المسلمين .

ثم رجع صلى الله عليه وآله إلى المدينة ماراً بالعقبة ، وكان قد اجتمع فيها اثنا عشر رجلاً ، وقيل : أربعة عشر ، يرومون قتله ، فأخبره جبرئيل بذلك ، وأمره أن يرسل إليهم ويضرب وجوه رواحلمهم ، وعرفهم رسول الله لحذيفة الذي اشتهر عنه فيما بعد أنه يعلم أسماء المنافقين ، حتى أن عمر بن الخطاب كان يسأله : أأنا منهم ؟ !

فهذه خلاصة خبر هذه الغزوة ، أما ما ظهر فيها من فضل علي عليه السلام فأرى أنه من الأفضل ذكر كلام الشيخ السديد المفيد في « الإرشاد » ص ٨١ - ٨٤ ففيه البيان والدليل ، قال قدس سرّه :

ثم كانت غزاة تبوك ، فأوحى الله عزّ اسمه إلى نبيّه صلى الله عليه وآله أن يسير إليها بنفسه ، ويستنفر الناس للخروج معه ، وأعلمه أنه لا يحتاج فيها إلى حرب ، ولا يُنمّي بقتال عدوّ ، وأن الأمور تنقاد له بغير سيف ، وتعيده بامتحان أصحابه بالخروج معه ، واختبارهم لتمييزوا بذلك ، وتظهر به سرائرهم .

فاستنفرهم النبيّ صلى الله عليه وآله إلى بلاد الروم ، وقد أينعت ثمارهم ، واشتدّ القيظ عليهم ، فأبطأ أكثرهم عن طاعته ، رغبة في العاجل ، وحرصاً على المعيشة وإصلاحها ، وخوفاً من شدة القيظ وبُعد المسافة ، ولقاء العدو ، ثم نهض بعضهم على استئقال للنهوض ، وتخلّف آخرون .

ولما أراد النبيّ صلى الله عليه وآله الخروج استخلف أمير المؤمنين في

أهله وولده وأزواجه ومهاجره ، وقال له : يا عليّ ، إنّ المدينة لا تصلح إلّا بي أو بك .

وذلك أنّه صلّى الله عليه وآله علّم خبث نيات الأعراب ، وكثير من أهل مكّة ومَن حولها مَن غزاهم وسفك دماءهم ، فأشفق أن يطلبوا المدينة عند نايه عنها وحصوله ببلاد الروم أو نحوها ، فمضى لم يكن فيها مَن يقوم مقامه ، لم يؤمن من معرّتهم^(١) ، وإيقاع الفساد في دار هجرته ، والتخطي إلى ما يشين أهله ومخلفيه .

وعلم صلّى الله عليه وآله أنّه لا يقوم مقامه في إرهاب العدو ، وحراسة دار الهجرة ، وحياطة مَن فيها إلّا أمير المؤمنين عليه السلام ، فاستخلفه استخلاقاً ظاهراً ، ونصّ عليه بالإمامة من بعده نصّاً جليّاً ، وذلك فيما تظاهرت به الرواية أنّ أهل النفاق لما علموا باستخلاف رسول الله صلّى الله عليه وآله عليّاً على المدينة حسدوه لذلك ، وعظم عليهم مقامه فيها بعد خروجه ، وعلموا أنّها تتحرّس به ، ولا يكون فيها للعدوّ مطمع ، فساءهم ذلك ، وكانوا يؤثرون خروجه معه لما يرجونه من وقوع الفساد والاختلاط عند نأي رسول الله صلّى الله عليه وآله عن المدينة ، وخلوّها من مرهوب مخوف يحرسها ، وغبطوه عليه السلام على الرفاهية والدعة بمقامه في أهله ، وتكلّف مَن خرج منهم المشاقّ بالسفر والخطر ، فأرجفوا^(٢) به عليه السلام وقالوا : لم يستخلفه رسول الله إكراماً له ، وإجلالاً ومودّةً ، وإنّما خلّفه استئقلاً له .

فبهتوا بهذا الإرجاف كبهت قريش للنبيّ صلّى الله عليه وآله بالجنّة تاره ، وبالشّعْر أُخرى ، وبالسّحر مرّة ، وبالكهانة أُخرى ، وهم يعلمون

(١) أي المساءة والأذى .

(٢) يقال : أرجف الرجل أي : خاض في الأخبار والإشاعات السيئة قصد أن يهيج الناس .

ضد ذلك ونقيضه ، كما علم المنافقون ضد ما أرجفوا به على أمير المؤمنين عليه السلام وخلافه ، وأن النبي صلى الله عليه وآله كان أخص الناس بأمر المؤمنين عليه السلام ، وكان هو أحب الناس إليه ، وأسعدهم عنده ، وأفضلهم لديه .

فلما بلغ أمير المؤمنين عليه السلام إرجاف المنافقين به أراد تكذيبهم وإظهار فضيحتهم ، فلحق بالنبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله ، إن المنافقين يزعمون أنك خلقتني استقلالاً ومقتاً !

فقال له النبي صلى الله عليه وآله : ارجع يا أخي إلى مكانك ، فإن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك ، فأنت خليفتي في أهل بيتي ، ودار هجرتي ، وقومي ؛ أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؟

فتضمن هذا القول من رسول الله صلى الله عليه وآله نصه عليه بالإمامة ، وإبانه من الكافة بالخلافة ، ودل به على فضل لم يشركه فيه أحد سواه ، وأوجب له به جميع منازل هارون من موسى ، إلا ما خصه العرف من الأخوة ، واستثناه هو من النبوة ، ألا ترى أنه صلى الله عليه وآله جعل له كافة منازل هارون من موسى إلا المستثنى منها لفظاً وعقلاً ؟

وقد علم من تأمل معاني القرآن وتصفح الروايات والأخبار أن هارون كان أخا موسى عليه السلام لأبيه وأمه ، وشريكه في أمره ، ووزيره على نبوته ، وتبليغه رسالات ربه ، وأن الله سبحانه شدد به أزره ، وأنه كان خليفته على قومه ، وكان له من الإمامة عليهم وفرض الطاعة كإمامته وفرض طاعته ، وأنه كان أحب قومه إليه ، وأفضلهم لديه .

قال الله عز وجل حاكياً عن موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ ويسر لي أمري * واحلل عقدة من لساني * يفقهوا قولي *

واجعل لي وزيراً من أهلي * هارون أخى * اشدد به أزرى * وأشركه في أمري . . . ﴿^(١)﴾ الآيات .

فأجاب الله تعالى مسأله ، وأعطاه سؤله تلك وأمنيته حيث يقول : ﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾ ^(٢) .

وقال تعالى حاكماً عن موسى : ﴿وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين﴾ ^(٣) .

فلما جعل رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام منه بمنزلة هارون من موسى أوجب له بذلك جميع ما عدّناه ، إلّا ما خصّه العُرف من الأخوة ، واستثناء من النبوة لفظاً ، وهذه فضيلة لم يشرك فيها أحد من الخلق أمير المؤمنين ، ولا ساواه في معناها ، ولا قاربه فيها على حال .

ولو علم الله عزّ وجلّ أنّ لنبيه صلى الله عليه وآله في هذه الغزاة حاجة إلى الحرب والأنصار لما أذن له في تخليف أمير المؤمنين عليه السلام عنه حسب ما قدّمناه ، بل علم أنّ المصلحة في استخلافه ، وأنّ إقامته في دار هجرته مقامه أفضل الأعمال ، فدبّر الخلق والدين بما قضاه في ذلك وأمضاه . انتهى .

ولأمير المؤمنين عليه السلام شعر في ذلك ، أذكره على ما في الديوان المنسوب إليه ، وأخرجه عنه في « بحار الأنوار » ج ٢١ / ٢٥١ ح ٢٨ :

ألا باعد الله أهل النفاق وأهل الأراجيف والباطل
يقولون لي : قد قلاك الرسول فخلّاك في الخالف الخاذل ^(٤)

(١) سورة طه : ٢٥ - ٤٢ .

(٢) طه : ٣٦ .

(٣) سورة الأعراف : ١٤٢ .

(٤) قلاك : أبغضك ، الخالف : المتأخر لنقصان أو قصور . الخاذل ، يقال للظبي إذا تخلف عن القطيع : خذل .

وما ذاك إلا لأنَّ النَّبِيَّ
فسرْتُ وسيُفي على عاتقي
فلَمَّا رَأَى هَذَا قَلْبُهُ
أُمُّ ابْنِ عَمِّي ؟ فَأَنْبَأَتْهُ
فَقَالَ : أَخِي أَنْتَ مِنْ دُونِهِمْ
جفأك وما كان بالفاعل
إلى الراحم الحاكم الفاصل
وقال مقال الأخ السائل
بإرجاف ذي الحسد الداغل
كهارون موسى ولم يأتل^(١)

وسنعود لحديث المنزلة ومصادره في موضع آخر وباب مستقل إن شاء
الله تعالى .

(١) يقال : أتلى في الأمر إذا قصّر .

فتح مكة

لقد التزم النبي والمسلمون بكل بنود الاتفاق التي اشتمل عليها كتاب الصلح بينه وبين قريش في الحديبية ، ولكن قريشاً قد استخفت بقوة المسلمين بعد معركة مؤتة ، وجرها هذا الاستخفاف إلى ارتكاب حماقة أصبح بعدها عهد المودعة لاغياً .

فقد جاء في كتب السيرة والتاريخ : إن عهد الحديبية قد أعطى الحق لكل من أراد من العرب أن يدخل في عهد محمد أن يدخل في عهده ، كما يحق لمن أراد أن يدخل في عهد قريش أن يدخل فيه ، وكانت بين بني بكر وخزاعة أحقاد قديمة وحروب متواصلة ، فلما تم صلح الحديبية دخلت خزاعة في عهد محمد كما كانت حليفة لجده عبد المطلب من قبل ، ودخل بنو بكر في عهد قريش ، ومضى الناس على ذلك ، وهم يتحسبون أنهم قد أصبحوا آمنين على دمائهم وأموالهم ، وانحاز كل من القبيلتين إلى فريق من المتصالحين .

فلما كانت معركة مؤتة تخيل بنو الدليل (أو الدؤل) من بني بكر بن عبد مناة أحلاف قريش أن الفرصة قد سنحت لهم ليقبضوا من خزاعة حليفة المسلمين لثاراتهم القديمة ، وظنوا أن المسلمين بعد تلك النكسة

التي أصيبوا بها لم يعد في مقدورهم أن يناصروا من دخل في عهدهم كخزاعة وغيرها ، وحرصهم على ذلك عكرمة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، وحويطب بن عبد العزى ، ومكرز بن حفص وغيرهم من وجوه قريش ، ودسوا إليهم الرجال والسلاح ، وبيتوا خزاعة وهم على ماء لهم يدعى الوثير فقتلوا منهم عشرين رجلاً ، وذلك في شعبان من السنة الثامنة للهجرة ، فالتجأت خزاعة إلى الحرم ، ثم إلى دار بديل بن ورقاء في مكة وشكوا إليه نقض قريش وبني بكر عهدهم لرسول الله .

ويدّعي المؤلفون في السيرة : أن أبا سفيان كان كارهاً لهذا العدوان لأنه يشكل نقضاً لعهد الصلح بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وكان مما لا بد منه أن تستجد خزاعة بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فذهب جماعة منهم إلى المدينة فلما دخلوا على الرسول أنشد عمرو بن سالم الخزاعي قوله :

لاهم اني ناشد محمدا خلق أبينا وأبيه الأملدا
ان قريشاً اخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
هم بيتونا بالهجير هجدا نتلو القرآن ركعاً وسجدا

ولما انتهى من أبياته جلس يقص على النبي ما حدث عليهم من بني بكر وقريش ويستنصره على قريش وبني بكر ، كما قص عليه أعضاء الوفد ما جرى عليهم من قريش وأحلافها .

وجاء في رواية الواقدي ، أنه قال عند ذلك : « لا نصرت إن لم أنصر خزاعة في ما أنتصر منه لنفسى » ، وأيقن أن قريشاً قد نقضت العهد من جانبها ، ولم يعد العهد قائماً لأنه لا يقوم إلا بطرفين ، وقام من ساعته وندب المسلمين في المدينة وخارجها لأن يكونوا على أهبة

الاستعداد عندما يدعوهم إلى الخروج معه ، من غير أن يعرفوا وجهته التي يريد بها .

وتوالت الوفود عليه حتى اجتمع في المدينة خلال العشرة الأولى من شهر رمضان نحو عشرة آلاف مقاتل .

وندمت قريش على ما صنعت مع خزاعة ، وأدركت أن ذلك نقض للعهد من جانبها ، فمشى الحرث بن هشام وعبد الله بن أبي ربيعة ومعهما جماعة إلى أبي سفيان ، فقالوا له : إن هذا الأمر لا بد له أن يصلح ، وإنه إن لم يصلح لا يردعكم إلا محمد في أصحابه .

وقال لهم أبو سفيان : إن هنذا قد رأت رؤيا كرهتها وأفظعتها وخفت من شرها ، لقد رأت كأن دماً أقبل من الحجون يسيل حتى وقف بالخندق ملياً ، ثم كأن ذلك الدم لم يكن ، فكره القوم هذه الرؤيا ، وقالوا هذا هو الشر .

وتم الاتفاق بينهم على أن يشد أبو سفيان الرحال إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ويكلمه في الأمر قبل أن تستجد به خزاعة ، لعله يجدد العهد فيما بينهم وبينه ويزيد في أمد الهدنة ، ولم يكونوا قد علموا بوفد خزاعة إلى النبي .

وخرج أبو سفيان من مكة ومعهم مولى له على راحلتين ، وأسرعاً في مسيرتهما وهو يحسب أنه أول خارج من مكة بعد ذلك الحدث الذي أطاح بعهد الصلح بينهم وبين النبي .

وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قال لأصحابه حينما جاءه وفد خزاعة : لكانكم بأبي سفيان قد جاءكم يطلب تجديد العهد وزيادة أمد الهدنة ، وقال لبني خزاعة بعد أن أخبروه بما جرى لهم : ارجعوا وتفرقوا في الأودية .

فلما أتوا الأبواء تفرقوا كما أمرهم رسول الله ، فذهب بعضهم باتجاه الساحل على غير الطريق العام ، ولزم الطريق العام بين مكة والمدينة بديل بن أم أحرم ومعه نفر من قومه ، فالتقوا بأبي سفيان وهو في طريقه إلى المدينة ، فلما رآهم أيقن أنهم قد سبقوه إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال لهم : منذكم عهدكم بيثرب ، قالوا لا عهد لنا بها ، فأيقن أنهم كتموه ، ثم قال لهم أما معكم من تمر يشرب شيء تطعموننا منه ، فإن لتمر يثرب فضلاً عن تمر تهامة ، فقالوا ليس معنا مما تطلب شيء ، وأراد أبو سفيان أن يتأكد من أمرهم ، فقال : يا بديل هل جئت محمداً فقال : لا ، ولكني سرت في بلاد خزاعة من هذا الساحل في قتيل كان بينهم فأصلحت أمرهم ، فقال له أبو سفيان : والله ما علمت أنك برواحل وافترقا .

وظل الخوف يساور أبا سفيان أن يكون بديل قد سبقه إلى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فجاء إلى مراقد ابلهم وقتاً من بعرها فوجد فيها النوى ، كما وجد في مكانهم أثراً لعجوة يثرب ، فأيقن بعد ذلك أن القوم قد سبقوه وأن مسعاه سوف لا يجديه شيئاً بعد أن سبقته خزاعة إلى حليفها الوفي الذي لا يقر الظلم حتى ولو كان من مشرك لمشرك ، ولكنه تابع مسيرته ، ليجرب عساه يجد مخرجاً من تلك الأزمة .

ولما انتهى إلى المدينة قصد النبي وطلب منه أن يجدد العهد ويزيد في أمده ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « ألهذا جئت يا أبا سفيان ؟ » قال : نعم ؛ قال : « فهل حدث عندكم ما يوجب ذلك ؟ » قال : معاذ الله فنحن على موقفنا وصلحنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبذل .

وقام من مجلس النبي ودخل على ابنته رملة المكناة بأم حبيبة ، وكان النبي قد تزوج منها وهي بالحبشة بعد وفاة زوجها أو تنصره على

اختلاف الروايات في ذلك ، فلما أراد الجلوس على الفراش الذي يجلس عليه رسول الله طوته دونه ، فقال لها : أرغبت بهذا الفراش عني أم رغبت بي عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله ، وأنت امرؤ نجس مشرك ، فقال لها : لقد أصابك بعدي شراً أم حبيبة ، فقالت له : إن الله هداني للإسلام ، وأنت سيد قريش وكبيرها ، وما أدري كيف تنتكر للإسلام وتبعد حجراً لا يسمع ولا يبصر ولا يغني شيئاً ، فقال لها : وهذا أعجب منك تريد أن أترك دين آبائي وأتبع دين محمداً ! ؟

ثم قام من بيتها وقد استولى عليه الغضب من هذا الموقف الذي لم يكن يترقبه من أقرب الناس إليه .

وذهب إلى علي عليه السّلام وعرض عليه نفس الشيء الذي عرضه على غيره ، فقال له علي عليه السّلام : « ويحك يا أبا سفيان إن رسول الله عزم أن لا يفعل ، وليس أحد يستطيع أن يكلمه في شيء يكرهه » ولما يش منه أبو سفيان طلب منه أن يشير عليه بما ينفعه ، فقال له : « إني لا أرى لك إلا أن تقوم فتجير بين الناس فلنك من سادة كنانة ، ومع ذلك فإني لا أظن أن ذلك يجديك شيئاً » .

فخرج أبو سفيان وصاح على ملا من الناس : ألا وإني قد أجرت بين الناس ، ودخل على النبي وأخبره بذلك ، ثم قال له : إني لا أظنك ترد جوارِي يا محمد ، فقال له النبي : « أنت تقول ذلك » ؟

وركب أبو سفيان ناقته متجهاً نحو مكة وكانت قد طالت غيبته فظنت قريش بأنه قد دخل في الإسلام ، ولما انتهى إلى مكة ودخل على زوجته هند أخبرته بما دار حوله من تكهنات ، وقد دنا منها لقضاء حاجته فلما أخبرها بما جرى له في يثرب ضربته برجلها في صدره ، وقالت : قُبِحت من رسول قوم .

ولما أصبح ذهب إلى الكعبة وحلق رأسه عند صنميه أساف ونائلة وذبح لهما ومسح بالدم على رأسيهما ، ثم قال موجهاً كلامه لهما : إني لا أفارق عبادتكما حتى أموت على ما مات عليه آبائي .

ولما اجتمع عليه الناس أخبرهم بما جرى له في رحلته وبما أشار به علي عليه ، فقالوا له : لقد لعب فيك علي بن أبي طالب ، واعتبرته قريش فاشلاً في رحلته وساورها الخوف من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولكنها انطوت على نفسها وظلت تراقب ما ستنجلي عنه الأيام القادمة .

ولما عزم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الخروج إلى مكة عزم على إخفاء الأمر عن قريش ، ومنع أحداً أن يخرج من المدينة مخافة أن يتسرب خبر استعداده لقريش ، وقد كان يحب أن يدخل مكة فاتحاً بدون حرب ولا قتال ، ودعا الله سبحانه أن يمنع عن قريش العيون والأخبار .

ويَدعي المحدثون : أنه لم يكن أحد من الناس يظن أنه يريد قريشاً ، وكانت تحركاته توحى إلى الناس أنه يريد غيرها من الأعراب الذين لا يزالون على شركهم كبني سليم وهوازن وثقيف وغيرها حرصاً منه على أن لا تدخل مكة في حساب أحد ، فقد أرسل أبا قتادة في جماعة من أصحابه إلى مكان يدعى اليطن ليوهم الناس أنه متجه إلى تلك الجهات .

ومع هذا التحفظ الشديد وتكتمه عن سائر الناس ما عدا بعض الخاصة من أصحابه - كما يدعي المؤلفون في السيرة النبوية - فقد تسرب نبأ مسيرته إلى حاطب بن بلتعة ، وكان من المسلمين فكتب إلى قريش يخبرهم بالذي عزم عليه رسول الله ، وأعطى الكتاب إلى امرأة من مزينة

وأعطاهما مبلغاً من المال في مقابل إيصال كتابه لقريش ، فوضعت الكتاب في رأسها وفتلت عليه قرونها وخرجت باتجاه مكة فنزل الوحي على الرسول يخبره بما صنع حاطب ، فأرسل النبي من ساعته علياً والزبير ، وأمرهما أن يجدا السير في طلب المرأة قبل أن تفوتهما ، فخرجا مسرعين حتى أدركاها بذئ الحليفة على أميال من المدينة فاستنزلاها والتمسا الكتاب في رحلها فلم يجدا شيئاً معها ، ثم قالاً لها : والله لتخرجن الكتاب أو لنكشفنك ، فلما رأت منهما الجد حلت قرونها وأخرجت الكتاب ودفعته إليهما ، فأقبلا به على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فجمع المسلمين حتى امتلأ بهم المسجد فوقف بينهم وقال : « أيها الناس : لقد كنت سألت الله أن يخفي أخبارنا عن قريش ، وإن رجلاً منكم كتب إليهم كتاباً يخبرهم بخبرنا ، فليقم صاحب الكتاب قبل أن يفضحه الوحي » فلم يقم أحد ، ولما أعاد النبي مقالته قام حاطب بن بلتعة وهو يرتعد كالسعفة في مهب الريح العاصف وقال : أنا صاحبه يا رسول الله ، ومضى يعتذر إلى النبي ويقول : يا رسول الله والله إني لمسلم مؤمن بالله ورسوله ما غيرت وما بدلت ، ولكني كنت امرئ ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة وأصبح لي بين أظهرهم أهل وولد فصانعتهم ، وأمر النبي بإخراجه من المسجد ، فجعل الناس يدفعونه في ظهره حتى أخرجوه وهو يلتفت إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا يتكلم ، فرق له وأرجعه إلى المسجد وأوصاه أن لا يعود لمثلها .

ويدعي المؤلفون أن الله أنزل بهذه المناسبة الآية التالية :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرُّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ

تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ .

ولما تم تجهيز الجيش خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من المدينة في العشرة الأولى من رمضان في عشرة آلاف مقاتل من المهاجرين والأنصار وغيرهم من القبائل كأسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع وسليم وغيرهم ، ومعهم نحو من ألف فرس .

وعقد للمهاجرين ثلاثة ألوية : فأعطى علياً عليه السلام لواء ، وأعطى للزبير ولسعد بن أبي وقاص لكل واحد لواء ، ووزع الألوية والرايات على الباقيين فأعطى لكل قبيلة لواء لرجل منها ، وكان العباس بن عبد المطلب ومخرمة بن نوفل قد خرجا من مكة يريدان المدينة وهما يظنان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يزال فيها ، فلقيه في السقيا فمضى العباس ورفيقه مع النبي ، وأرسل العباس أهله وثقله إلى المدينة .

ولما بلغ رسول الله الظهران قال العباس بن عبد المطلب : يا سوء صباح قريش والله لئن بغتها محمد في بلادها ودخل مكة عنوة أنه لهلاك قريش آخر الدهر ، ثم ركب بغلة رسول الله البيضاء وسار عليها ليرى أحداً متجهاً إلى مكة فيخبرهم بمكان رسول الله لعلهم يأتونه ويطلبون منه الأمان ، وفيما هو يسير وإذا به يسمع صوت أبي سفيان ، وكانت قريش قد أرسلته ليتجسس لهم أخبار النبي هو وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء ، ولما سمع صوته العباس قال : يا أبا حنظلة فعرفه أبو سفيان ، وقال : لبيك يا أبا الفضل ، فقال له : ويحك هذا رسول الله في عشرة

آلاف مقاتل وهو مصبحكم ، فقال : بأبي وأمي هل من حيلة ، قال : نعم تركب معي عجز هذه البلغة لكي أذهب بك إلى رسول الله ، فإنه ان ظفر بك دون ذلك ليقتلنك ، فقال : والله إنني أرى ذلك .

وأردفه العباس خلفه حتى أوصله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسأله العباس أن يقبل بجواره ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : لعمري العباس اذهب به فقد اجرناه فليبيت عندك [الليلة] حتى تغدو به علينا إذا أصبحت .

قال العباس : فلما أصبحت غدوت به على رسول الله فالتفت إليه ، وقال : « ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله » ؟ قال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك قد كان يقع في نفسي أنه لو كان مع الله إله لأغنى عنا ، قال : « ألم يأن لك أن تعلم إنني رسول الله » ؟ قال : بأبي وأمي ما أحلمك وأكرمك وأعظم عفوك ، أما هذه ان في النفس منها شيئاً حتى الآن ، فقال له العباس : ويحك تشهد ، وقل لا إله إلا الله محمد رسول الله قبل أن تقتل . كما جاء في رواية الواقدي والطبري وغيرهما ، فشهد على كره منه حينما أدرك أن الموت ينتظره لحظة بعد لحظة وفي نفسه من نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أشياء وأشياء ، وظلت تلك الأشياء في نفسه إلى أن مات .

وكانت تبدو منه بين الحين والآخر فلتات تدل على أنه من أخبت المشركين وأشدهم حقداً على الإسلام وبني الإسلام كما يبدو ذلك لكل من تتبع تاريخه منذ أن ادعى الإسلام حتى النفس الأخير من حياته .

ثم التفت النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى العباس وقال له : « انصرف به واحبسه عند حطيم حتى تمر به جنود الله فيراها » فقال العباس : يا رسول الله إن أبا سفيان يحب الفخر فاجعل له شيئاً يفخر به

على قومه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند ذلك كلماته الخالدة التي انبعثت من قلبه الكبير الذي لا يحمله إنسان في هذه الدنيا ، لقد اتسع قلبه لأهل مكة قاطبة وهم الذين كذبوه وأهانوه وعذبوا أتباعه وطردهوه وجمعوا له العرب حتى غزوه في دار هجرته ومثلوا بعمه أقيح تمثيل ، ومنعوه قبل عامين من دخول مكة لأداء مناسك الحج ، وفعلوا معه ما لا تبيحه أعراف العرب وعاداتهم . وكان أبو سفيان وزوجته هند من أشد الناس عداوة لله ورسوله ، ومع ذلك حينما أمكنه الله منهم من عليهم وأمر من ينادي في الناس : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، ومن دخل داره وأغلق عليه بابه فهو آمن » .

بعد أن أعطاه الرسول هذه الميزة ارضاء لعاطفة الفخر في نفسه ، أخذ العباس إلى المكان الذي عينه له الرسول حيث يمر ذلك الجيش العظيم الذي لم تعهد له مكة نظيراً من قبل .

ولكن أبا سفيان ظن أن النبي أراد به شراً في ذلك المكان لأنه هو مطبوع على الغدر والمكر ، والغادر لا يفكر إلا بالغدر والغادرين ، فقال للعباس : أغدراً يا بني هاشم ! ؟ فرد عليه العباس بقوله : إن أهل النبوة لا يغدرون يا أبا سفيان ، وإنما حبستك لحاجة ، فقال له : فهلا بدأت بها أولاً فاعلمتنيها فذاك أقر لروعي وأهدأ لنفسي .

ثم مرت به القبائل والكتائب والرايات يتلو بعضها بعضاً ، فأول ما مر به خالد بن الوليد في بني سليم ولهم لواءان يحمل أحدهما العباس بن مرداس والآخر خفاف بن ندب ، وراية يحملها المقداد بن الأسود ، فقال أبو سفيان : من هؤلاء يا أبا الفضل ؟ فقال : هؤلاء بنو سليم وعليهم خالد بن الوليد ، فلما حاذى خالد بن الوليد أبا سفيان والعباس كبر ثلاثاً وكبروا معه ، وهكذا أخذت القبائل تمر به الواحدة تلو الأخرى ، وكلما مرت قبيلة بحدائه كبرت ثلاثاً وأبو سفيان يسأل عنها

والعباس يجيبه ، إلى أن مرت جميع الكتاب ولم يبق إلا الكتيبة التي فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فلما أطلت كتيبة رسول الله أطلت وسط سواد شديد وغبرة من سنايك الخيل وجعل الناس يمرون وأبو سفيان يقول للعباس : أما مر محمد بعد ، والعباس يقول له : لا . وفيما هم كذلك وأبو سفيان يهزه الحقد والبغض وإذا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أطل عليهما وهو على ناقته القصوى بين أبي بكر وأسيد بن حضير وهو يحثها ، فقال له العباس : هذا رسول الله يا أبا سفيان في كتيبته الخضراء ، فجعل أبو سفيان ينظر ويرتعد ، وكان قد حشد في تلك الكتيبة وجوه المهاجرين والأنصار والألوية والرايات وكلهم منغمسون في الحديد لا يرى منهم إلا الحلق ، وفي الكتيبة ألفا دارع ، وراية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع سعد بن عباد الأنصاري وهو امام الكتيبة ، فقال أبو سفيان للعباس : ما رأيت مثل هذه الكتيبة قط ولا أخبرني مخبر ، سبحان الله ما لأحد بهؤلاء طاقة ولا يدان ، لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً يا أبا الفضل ، فقال له العباس : ويحك أنه ليس بملك وإنما هي النبوة .

ولما حاذاهما سعد نادى : يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة ، اليوم تسبى الحرمة ، اليوم أذل الله قريشاً ، ولما حاذاهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناداه أبو سفيان : لقد أمرت بقتل قومك يا رسول الله ان سعداً يقول اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة اليوم أذل الله قريشاً ، واني أنشدك الله في قومك ، فأنت أبر الناس وأرحم الناس وأوصل الناس ، ثم قال عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان : يا رسول الله انا لا نأمن سعداً أن يكون له في قريش صولة ، فوقف رسول الله وناداه : « يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة اليوم أعز الله قريشاً » وأرسل علياً إلى سعد ليأخذ اللواء منه ويدخل به مكة .

وجاء في شرح النهج عن الواقدي : إن العباس قال لأبي سفيان : اذهب ويحك فأدرك قومك قبل أن يدخل عليهم رسول الله ، فخرج أبو سفيان مسرعاً حتى دخل من كداء وهو ينادي : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، حتى انتهى إلى زوجته هند بنت عتبة ، فقالت : ما وراءك يا أبا سفيان ، قال : هذا محمد في عشرة آلاف عليهم الحديد ، وقد جعل لي أنه من دخل داري فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، فقالت : قبحك الله من رسول قوم ، وجعلت تقول : ويحكم اقتلوا وافدكم قبحه الله من وافد قوم ، وأبو سفيان يقول : ويحكم لا تغرنكم هذه من أنفسكم فإنني رأيت من الرجال والكرع والسلاح ما ليس لأحد به طاقة ، أن محمداً في عشرة آلاف مقاتل اسلموا تسلموا .

وجاء في رواية المبرد في الكامل : انها امسكت برأسه وقالت لهم : اقتلوه ، وخرج الكثير من أهل مكة إلى ذي طوى ينظرون إلى رسول الله ، وإلى تلك الحشود التي التفت من حوله ، وأصر جماعة على المقاومة بالرغم من تحذير أبي سفيان لهم منهم : صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبي جهل ، وسهيل بن عمرو بمن معهم من بني بكر وهذيل وإعداد العدة للحرب ، وأقسموا بما يعبدون أن لا يدخلها محمد عنوة أبداً .

وكان من بين هؤلاء المتحمسين رجل من بني الدؤل يدعى حماس بن قيس بن خالد فقد أسرع إلى بيته وجعل يصلح سيفه وسلاحه ، فقالت له امرأته : لماذا تعد سلاحك ؟ قال : لمحمد وأصحابه ، وإنني لأرجو أن أخدمك منهم خادماً ، فقالت له : ويحك لا تفعل ولا تقاتل محمداً ، وإنني والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء ، ومضى مسرعاً مع صفوان وجماعته لم يلتفت لكلام زوجته واتجه مع

المقاتلين إلى الخدمة (أحد المسالك المؤدية لمكة) وكان خالد بن الوليد قد أمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يدخل مكة بمن معه من المسلمين من تلك الناحية ونهاه أن يقاتل أحداً إلا إذا قاتلوه ، فعارضه صفوان بمن معه من قريش وأحلافها ، واشتد القتال بينهم فقتل في أول جولة من قريش وأحلافها ثمانية وعشرون رجلاً ، وانهزم صفوان ومن معه ، وكان من بين المنهزمين حماس بن قيس بن خالد ، وجاء مسرعاً إلى بيته كالمدهوش من الخوف ، فأغلق عليه بابه ، فقالت له زوجته : أين الخادم الذي وعدتني به ، قال لها : ويحك لقد جاءنا محمد بجيش لا طاقة لأحد عليه ، وقد قال من دخل داره وأغلق عليه بابه فهو آمن ، دعي هذا واغلقي الباب ، قالت : ألم انهك عن قتال محمد ، أنه ما قاتلكم مرة إلا وظهر عليكم .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد خطط لدخول مكة من جهاتها الأربع ، ودخل علي عليه السلام باللواء من الجهة التي دخلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما نص على ذلك جماعة من المؤرخين .

وجاء في المؤلفات في السيرة : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أشرف من على ثنية إذا خسر فنظر إلى البارقة ، فقال : « ما هذا ، ألم أنه عن القتال » قيل له : يا رسول الله إن جماعة من أهالي مكة منعوا خالد بن الوليد وشهروا أسلحتهم في وجه المسلمين فقاتلهم وقتل جماعة منهم ، ولولا ذلك ما قاتلهم ، فقال : « قضاء الله خير » .

ودخل رسول الله مكة بتلك الحشود التي تنساب من خلفه إلى أكبر معقل من معاقل الشرك ، والفيلق الدارح الذي يحف به ينتظر منه ولو إيماءه حتى لا يدع بمكة أحداً يمشي على أرضها ، وتمثلت له في تلك اللحظات وهو على أبواب مكة فصول طوال ذاق فيها الأمرين خلال ثلاثة

عشر عاماً وخرج في نهايتها مطروداً يكمن في الكهوف نهاراً ويسير ليلاً خوفاً من القتل والتعذيب .

نعم تمثل له كل ما قاساه خلال تلك الأعوام الأولى من تاريخ الدعوة ، ورأى نفسه اليوم يعود إليها منتصراً بعد أن خرج منها مطروداً خائفاً يتربص ، إنها لنفحة عنده لا تعادل بشيء ، وكرامة أتحفه الله بها ، وبدلاً من أن يدخلها عليهم بزهو الفاتح ونشوة المنتصر ، دخلها بخشوع العبد الشاكر ، قد طأطأ رأسه حتى ليكاد يلصق برحله تواضعاً لله واعتراًفاً بجميله .

ثم نزل بالأبطح وضربت له خيمة فيه ، ومعه من نسائه أم سلمة وميمونة ، وأمر بقتل جماعة ، ستة من الرجال وأربعة من النساء ، وقيل : أحد عشر رجلاً ، منهم : عبد الله بن أبي سرح ، وعبد الله بن خطل ، والحويرث بن نقيذ بن وهب ، ومقيس بن حبابة ، وعكرمة بن أبي جهل ، ووحشي قاتل عمه حمزة وكعب بن زهير بن أبي سلمى ، وهبار بن الأسود ، وعبد الله بن أبي ربيعة ، والحرث بن هشام المخزومي ، ومن النساء اللواتي أهدر دمهن : هند بنت عتبة ، وسارة مولاة بني هاشم ، وجاريتان لابن خطل تدعيان قرينة وفرتنا ، وكل واحد من الذين أهدر دمهم له قصة خيانية بشعة في حق الإسلام ورسوله الكريم ، ولم يقتل من الرجال الذين أمر بقتلهم سوى أربعة وعفا عن الباقيين .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعا براخلته بعد أن اغتسل وصلى فأدبته إلى باب الخيمة التي ضربت له بالحجون ، وخرج منها وعليه السلاح والمغفرة على رأسه والناس مجتمعون قد اصطفوا ينتظرون خروجه فركبها وسار بالناس حتى انتهى إلى الكعبة فتقدم على راحلته فاستلم الركن وكبر ، فكبر المسلمون لتكبيره وعجوا بالتكبير حتى

ارتجت مكة وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يشير إليهم أن
استكتوا والمشركون فوق الجبال ينظرون ، ثم طاف بالبيت على راحلته ،
ومحمد بن مسلمة أخذ بزمامها ، وكان حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً
مرصوفة بالرصاص وكان هبل أعظمها وهو باتجاه الكعبة من ناحية
بابها ، واساف ونائلة حيث ينحرون الذبائح ، فجعل كلما مر بصنم منها
يشير بقضيب في يده ويقول : ﴿ جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان
زهوقاً ﴾^(١) فيقع الصنم لوجهه .

ثم أمر بهبل فكسر وهو واقف عليه ، وإليك هذه الرواية :

(١) سورة الإسراء : ٨١ .

علي عليه السّلام يكسر الأصنام

روى أبو بكر الشيرازي . . . عن أبي هريرة قال : قال لي جابر بن عبد الله : دخلنا مع النبي مكة ، وفي البيت وحوله ثلاثمائة وستون صنماً فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فألقيت كلها لوجوهها ، وكان على البيت صنم طويل يقال له (هُبَل) فنظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي عليه السّلام وقال له : « يا علي تركب (تصعد) أو أركب عليك لألقي هبل عن ظهر الكعبة » ؟ قلت : « يا رسول الله بل تركبني » فلما جلس على ظهري لم أستطع حمله لثقل الرسالة ، قلت : « يا رسول الله بل أركبك » فضحك ونزل وطأطأ لي ظهره واستويت عليه ، فوالذي فلق الحبة وبرىء النسمة لو أردت أن أمسك السماء لمسكتها بيدي !! فألقيت هبل عن ظهر الكعبة ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وقل جاء الحق وزهق الباطل ﴾ الاسراء آية : ٨١ .

ورواه أحمد بن حنبل وأبو بكر الخطيب بإسناده عن علي بن أبي طالب عليه السّلام ، بلفظ آخر . . .

ثم جلس النبي ناحية من نواحي المسجد ، وأرسل بلال إلى عثمان بن طلحة يطلب منه مفتاح الكعبة وكان المفتاح بيد أمه ، فقال

لها : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَدْ أَرْسَلَ يَطْلُبُ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ ، فَقَالَتْ : أَعَيْدُكَ بِاللَّهِ أَنْ تَكُونَ الَّذِي يَذْهَبُ مَأْتِرَةً قَوْمَهُ عَلَى يَدِهِ ، وَامْتَنَعَتْ عَنْ تَسْلِيمِهِ إِيَّاهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَتَأْتِيَنِي بِهِ أَوْ لِيَأْتِيَنَّكَ غَيْرِي فَيَأْخُذَهُ مِنْكَ ، فَدَفَعْتَهُ إِلَيْهِ فَجَاءَ بِهِ وَأَعْطَاهُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ وَسَلَّمَ ، وَلَمَّا تَنَاوَلَهُ النَّبِيُّ بَسَطَ الْعَبَّاسُ يَدَهُ وَقَالَ : يَا أَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَجْمَعُ لَنَا بَيْنَ السَّقَايَةِ وَالْحِجَابَةِ ، فَقَالَ : « إِنِّي أُعْطِيكُمْ مَا تَرْضَوْنَ فِيهِ ، وَلَا أُعْطِيكُمْ مَا تَرْزَوْنَ مِنْهُ » .

وأمر أن تفتح الكعبة ، ففتحت له ودخلها وكانت التماثيل والصور قد ملأت جدرانها من الداخل ، فأمر من كان معه أن لا يدع صورة ولا تمثال إلا محاه ، وقيل : إِنَّهُ بَاشَرَ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ ، وَأَمَرَ بِدَلْوٍ فِيهِ مَاءٌ وَثُوبٌ فَجَعَلَ يِيلُ الثُّوبَ بِالماء ويضرب به الصور حتى محاهها عن آخرها ، وكانوا قد صوروا إبراهيم الخليل شيخاً يستقسم بالأزلام .

وجاء في رواية الواقدي : إِنَّهَا أَغْلَقَتْ عَلَيْهِ وَمَعَهُ بِلَالُ بْنُ رَبَاحٍ ، وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ ، فَمَكَثَ بِهَا مَا شَاءَ اللَّهُ ، وَلَمَّا أَزَالَ مِنْهَا كُلَّ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ التَّمَاثِيلِ وَالصُّورِ ، وَصَلَّى فِيهَا خَرَجَ مِنْهَا وَأَخَذَ بَعْضَادَتِي الْبَابَ وَأَشْرَفَ عَلَى النَّاسِ وَمَعَهُ مِفْتَاحُهَا وَأَهْلُ مَكَّةَ قِيَامٌ تَحْتَهُ وَيَعْضُهُمْ جُلُوسٌ عَلَى الْأَرْضِ فَقَالَ : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَّقَ وَعْدَهُ ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ، أَلَا إِنَّ كُلَّ مَأْتِرَةٍ أَوْ دَمٍ أَوْ رَبَأٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَهُوَ تَحْتَ قَدَمِي هَاتَيْنِ ، إِلَّا بَسْدَانَةَ الْكَعْبَةِ وَسَقَايَةَ الْحَجِّ » ثُمَّ التَفَتَ وَقَالَ : « يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ نَخْوَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعْظَمَهَا بِالْأَبَاءِ ، النَّاسُ لِأَدَمَ وَأَدَمَ مِنْ تَرَابٍ » ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (١) .

(١) الحجرات آية ١٣ .

ثم وجه حديثه إلى المكيين ثانية وسألهم : « ماذا ترون فاعل بكم وما تظنون ؟ » قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت وأصبح أمرنا بيدك ، فقال : « إني أقول لكم ما قاله يوسف لإخوته ﴿ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ^(١) اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

واطمأن المكيون على مصيرهم بعد هذا الإعلان العام ، وبعد أن أصبحوا في قبضته وتحت قدميه ، وحياتهم جميعاً رهن بكلمة واحدة يوجهها لتلك الألوف المدججة بالسلاح القادرة على إبادتهم جميعاً في لحظات معدودات ، ولكنه بعث رحمة للعالمين ، فغفا عنهم جميعاً وضرب بذلك للعالم كله وللأجيال في كل عصر وزمان المثل الأعلى في الرحمة والعفو والترفع عن الحقد والانتقام .

ثم إنه صلى الله عليه وآله وسلم استدعى عثمان بن طلحة ، وكان قبل هجرته إلى المدينة قد التقى به ورأى مفتاح الكعبة بيده ، فقال له يوم ذاك : « لعلك ترى هذا المفتاح بيدي يوماً أضعه حيث شئت » فقال له عثمان : لقد هلكت قريش إذن وذلت .

فأجابه النبي « يوم ذاك » : « بل عمرت وعزت » .

فلما استدعاه يوم الفتح ليسلمه مفتاح الكعبة ، فقال له : « ألسنت الذي قلت لك في مكة كذا وكذا ؟ » فقال : نعم يا رسول الله ، ثم سلمه مفتاح الكعبة وقال : « خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم » وانتقلت سدانة الكعبة من بعده إلى أخيه شيبة وتوارثوها أولاده من بعده .

ولما جاء وقت صلاة الظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بلالاً أن يؤذن فوق الكعبة ، فلما شرع في الأذان وبلغ إلى قوله (أشهد

(١) يوسف آية ٩٣ .

أن محمداً (رسول الله) رفع صوته بها كأشد ما يمكن أن يكون ، فقال جماعة من قريش : ليتنا متنا قبل هذا اليوم ولم نسمع بلالاً ينهق فوق الكعبة .

وخرج رسول الله من المسجد إلى الصفا والمروة فجلس يدعو الله سبحانه ويبتهل إليه ورآه الأنصار جالساً يدعو ربه ويشكره فخيل إليهم أنه قد يترك المدينة ويتخذ مكة وطناً له بعد أن فتحها الله عليه ، وأخذوا يتداولون فيما بينهم ، ويذكرون المرجحات التي قد يعتمدها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاختيار مكة وترك المدينة ، وعرف ما دار بينهم ، وبعد أن فرغ من دعائه التفت إليهم وقال : « معاذ الله المحيا محياكم ، والممات مماتكم » فاطمأن الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يفضل عليهم أحد .

ورجع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المسجد والتفت حوله أهل مكة يبائعونه على الإسلام رجالاً ونساءً ، خلا أفراد قلائل خرجوا من مكة خوفاً من القتل ، فبايع الرجال على شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وعلى السمع والطاعة لله ولرسوله ، وأقبل رجال مكة أفواجاً يتزاحمون على البيعة والدخول في الإسلام .

وقد عفا عن هند وأمثالها من ذوي الجرائم الكبيرة ، كما عفا عن صفوان بن أمية ، وكان قد رابط هو وجماعة في الجهة التي دخل منها خالد بن الوليد ، وفر بعد ذلك حيث لم تجده المقاومة ، وخرج من مكة هارباً ومعه غلامه يسار ، فجاء عمير بن وهب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يطلب الأمان له فأجابه النبي إلى ذلك وعفا عنه ، فرجع صفوان معه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو يصلي العصر ، قال صفوان : كم يصلون ؟ قيل : خمسة صلوات في اليوم والليلة ، فلما سلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم من صلاته قال له

صفوان : يا محمد إن عمير بن وهب جاءني ببردك ، وزعم أنك دعوتني للقدوم عليك ، فإن رضيت الإسلام وإلا خيرتني شهرين ، فقال له صلى الله عليه وآله وسلم : « انزل أبا وهب ولك أربعة أشهر » وبقي على شركه حتى كانت معركة حنين ، فاستعار منه مائة درع ، واشترك مع المسلمين في تلك المعركة ، ولما انتهت مرّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على شعب مملوء من النعم والشاة ، فنظر صفوان وأطال النظر ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « يعجبك هذا الشعب يا أبا وهب » قال : نعم ، قال : « هو لك وما فيه » فقال صفوان : أما والله ما طابت نفس أحد بمثل هذا إلا نفس نبي ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك يا محمد رسول الله .

وأكبرت قريش جميع مواقفه من مكة وأهلها التي تجلّى فيها تعظيم مكة وتقديسها ، وعطفه وسماحته وعفوه العام الذي شمل أشدّ الناس عداوة له ، فمالت قلوبهم إليهم وأقبلوا على الإسلام يقول بعضهم لبعض : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يترك في داره صنماً إلا حطمه ، واستسلم ساداتها وأتباعهم ، وعلت كلمة الله في جناباتها ، وأنزل الله على رسوله هذه السورة المباركة ﴿ إذا جاء نصرُ اللَّهِ والفتحُ * ورأيت الناسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ (١) .

وحدث ابن هشام في سيرته : إنه بينما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يطوف بالبيت بعد أن دخل مكة فاتحاً ، أقبل عليه فضالة بن عمير بن الملوح الليثي ، وهو يحدث نفسه بقتله ، فلما أقبل عليه قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « أفضلالة » ؟ قال : نعم يا رسول الله ،

(١) سورة النصر : الآية ١ - ٣ .

قال : « بماذا كنت تحدث نفسك » ؟ قال : لا شيء ، لقد كنت أذكر الله ، فضحك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم قال : « استغفر الله » قال فضالة : ووضع يده على صدري فسكن قلبي ، وما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله أحد أحب إليّ منه ثم رجعت إلى أهلي .

وجاء في طبقات ابن سعد وغيرها من المؤلفات والسير : أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقام بمكة خمسة عشر يوماً ينظم خلالها شؤون مكة ويفقه أهلها في الدين ، واستعمل عليها عتاب بن أسيد ، وترك معاذ بن جبل يعلمهم السنن والفقه . . .

إلى هنا أنتهي وأترك التفاصيل في طيات الكتب والسير لمن يريد المزيد منها ، والله ولي التوفيق .

حجة الوداع

أُلخِص في هذا المقام ما جاء في كتب السير والتواريخ مما يخص حجة الوداع ومحل الحاجة منه : بحلول شهر ذي القعدة من السنة العاشرة ، أعلن النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلَّم ، عن عزمه على زيارة مكة لإداء الحج حسبما أنزل الله سبحانه وتعالى عليه ، وما كان نبأ هذه الرحلة ينتشر في المدينة وخارجها وفي جميع أنحاء شبه الجزيرة حتى أقبل الناس على المدينة يهرعون إليها من المدن والقرى والصحارى ، ومن كل بقعة دخلها الإسلام وانضوى أهلها تحت لوائه ، وضربت الخيام لعشرات الألوف من الناس .

وفي الخامس والعشرين من شهر ذي القعدة تحرك موكب الرسول تحيط به تلك الألوف التي يعدّها بعض المؤرخين بتسعين ألفاً ، والبعض الآخر بما يزيد على المائة ألف ، يحذوهم الإيمان ، وتملاً قلوبهم الغبطة الصادقة بهذا اللقاء الذي لم يشهد تاريخ العرب نظيراً له من قبل ، إنه لقاء بين عرب الجزيرة من جهاتها الأربع تجمعهم راية واحدة وأهداف واحدة ، يرددون نفس الكلمات والشعارات التي تؤدى معنى الرسالة التي دعاهم إليها الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صَلَّى الله

عليه وآله وسلّم ، وجاهد من أجلها : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إنّ الحمد والنعمة لك والملك ، لبيك لا شريك لك لبيك) .

وجاء في تاريخ ابن كثير : إنّ حج النبي صلى الله عليه وآله وسلّم في ذلك العام يقال له : حج البلاغ وحج الإسلام ، وحج الوداع ، لأنه لم يحج منذ أن هاجر من مكة إلّا تلك السنة ، وقبل هجرته صلى الله عليه وآله وسلّم حج مرتين أو ثلاثاً ، واعتمر بعد هجرته مرتين الأولى في العام الذي تلا عام الحديبية ، والثانية في السنة التي فتح فيها مكة ، فقد رجع إليها معتمراً من الجعرانة بعد غزوة حنين وحصار الطائف ، وسميت حجة البلاغ لأنه بلغ فيها أحكام الإسلام وما يتعلق بالحج وغيره ، وقال في خطاب ألقاه بمكة : « ما من شيء يقربكم من الله تعالى إلّا وقد أمرتكم به ، وما من شيء يبعدكم عنه إلّا وقد نهيتكم عنه » .

وسماها أكثر المحدثين بحجة الوداع ، لأنه لم يحج بعدها ، وقد ودّع فيها الناس وألّمح إليهم بدنو أجله ، وكان مما قاله لهم : « أيها الناس يوشك أن أدعى فأجيب » .

وأخرج معه نساء التسعة وابنته فاطمة الزهراء عليها السلام ، وأعدّ لكل واحدةٍ منهن هودجاً تختص به .

وفي الإرشاد : إنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلّم قبل خروجه إلى مكة بأيام كتب إلى علي عليه السلام - وكان قد أرسله في جماعة إلى اليمن كما ذكرنا - ليوافيه في مكة حاجاً ، ولم يذكر له نوع الحج الذي عزم عليه ، وخرج صلى الله عليه وآله وسلّم قارناً للحج بسياق الهدى ، وأحرم من ذي الحليفة - ما يسمى بمسجد الشجرة هذه الأيام - وأحرم الناس معه ، ولبي من عند الميل الذي بالبداء ، وانطلق الركب بعشرات

ألفه يقطع البيداء ما بين المدينة وبيت الله الحرام ، يرفعون أصواتهم بالتلبية حتى إنتهى إلى كراع الغميم ، والناس معه ركبانياً ومشاة ، فشق المسير على المشاة وأجهدهم فشكوا ذلك إليه وطلبوا منه ما يحملهم عليه ، فأعلمهم أنه لا يجد لهم ظهراً وأمرهم أن يشدوا على أوساطهم ويخلطوا الرمل بالنسل - أي يسرعوا تارة مع تقارب في خطاهم ، ويمشون بخطا هي بين العدو والمشي تارة أخرى - باصطلاح اليوم الهرولة .

وفي الإرشاد : أَنَّ علياً عليه السلام ، خرج من اليمن بمن معه من الجيش متجهاً إلى مكة يحج مع النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلّم ، في عامة هذا ، ومعه الحُلُلُ التي استلمها من نجران ، فلما كان قريباً من مكة من جهة اليمن ترك من معه من الجيش واستعمل عليهم رجلاً منهم ، وأسرع ليلتقي بالنبي صَلَّى الله عليه وآله وسلّم قبل دخوله مكة ، فأدركه وقد أشرف على دخولها فسَلَّمَ عليه وأخبره بما صنع ، وبما معه من الغنائم ، والحُلُلَ فسَرَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم بذلك وابتهج بلفائه وقال له : « بم أهلت يا علي » ؟ فقال له : « يا رسول الله لم تكتب إليَّ بإهلالك ولا عَرَفْتَهُ فعقدت نيتي بنيتك ، وقلت : اللهم إهلالاً كإهلال نبيك وسقت معي من البدن أربعاً وثلاثين بدنة » .

فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم : « الله أكبر قد سَقْتُ أنا ستاً وستين وأنت شريك في حجي ومناسكي وهديي ، فأقم على إحرامك وعد إلى جيشك فمعجل بهم حتى نجتمع بمكة » .

وعلى أي حال فلقد دخل النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلّم مكة في اليوم الخامس من ذي الحجة من - كِدَه وهي إحدى مداخل مدينة مكة - وضرب خيامه بالأبطح وهي اليوم منطقة الحجون ، فيها مقابر

قريش - ومضى حتى انتهى إلى باب شيبة وشيبة الحمد هو جده عبد المطلب ، واليوم تسمى بباب السلام - فدخل المسجد وطاف بالبيت سبعة أشواط ثم صلى خلف مقام إبراهيم عليه السلام وسعى بين الصفا والمروة بمن معه من المسلمين .

وجاء في رواية البداية والنهاية : إِنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لما دنا من الصفا قرأ هذه الآية ﴿ إِنَّ الصُّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ﴾ ^(١) إلى آخرها ، وبدأ السعي من الصفا ووقف في أعلاه حتى رأى البيت فاستقبل القبلة ووحد الله وكبره وقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله أنجز وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده » .

ثم نزل حتى انصبت قدماه في الوادي فسعى إلى المروة ، فرقى عليها حتى نظر إلى البيت فوحد الله وكبره كما صنع في الصفا ، وهكذا كان يصنع والناس بين يديه ومن ورائه يتزاحمون حتى أتم السعي ، ومضى إلى بيته وهو على إحرامه .

وقبل خروجه من مكة إلى عرفات خطب الناس في المسجد ووعظهم وبين لهم بعض الأحكام التي تتعلق بالحج وغيره ، ومضى في اليوم الثامن إلى عرفة ومَرَّ في طريقه إليها من منى فتزل فيها ، وبات ليلته فيها .

وقبل الفجر من اليوم التاسع خرج منها إلى عرفات فتزل بها بقية

(١) سورة البقرة : الآية ١٥٨ .

يومه ، وقال : « كل عرفة موقف إلا بطن عرفة » .

فلما كان وقت الظهر أمر بناقته القصواء فرحلت له وركبها ووقف في وسط الجموع المحتشدة وخطب الناس ، وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « نظر الله وجه عبدٍ سمع مقالتي فوعاها وحَفِظَهَا ثم بلغها من لم يسمعها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم : إخلاص العمل لله ، والنصحية لأئمة الحق ، ولزوم جماعة المسلمين ، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم » .

ثم قال : « أيها الناس اعلموا أن دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم حرام عليكم كحرمة شهركم هذا ، وبلدكم هذا ويومكم هذا » .

ثم بقي بعرفات حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة من ناحية المشرق ، عند ذلك ركب بناقته ومضى حتى أتى المزدلفة - المشعر الحرام - فصلّى بها المغرب والعشاء بأذان وإقامتين ، ولم يفصل بينهما ، ويات فيها ، فلما أصبح أفاض منها قبل طلوع الشمس - في فقه أهل البيت بعد طلوع الشمس تكون الإفاضة - فلما اجتاز الوادي^(١) نزل ومضى فرمى جمرَةَ العقبة ونحر الهدى » .

وجاء في السيرة الحلبية ، إنه قال : « منى كلها منحر » فنحر بيده ثلاثة وستين ونحر علي عليه السلام سبعة وثلاثين تمام المائة ، وأمر أن تقسم لحومها بين الناس ، كما أمره أن يأخذ من كل بدنة قطعة ، فأخذ منها كلها ثم طبخت وأكل منها هو ومن معه ، وحلق رأسه في ذلك اليوم ، ولما فرغ من أعمال ذلك اليوم ركب بمن معه من المسلمين إلى مكة فطاف بالبيت ، وقيل : إنه صلى فيه الظهر ، ثم جاء إلى زمزم وبنو

(١) وادي محسر .

عبد المطلب يستقون من مائها فتناول دلواً وشرب منه وأفقر الباقي عليه .

وجاء في أكثر المؤلفات في السيرة : إنه خطب الناس يوم النحر خطاباً جامعاً قال فيه بعد أن حمد الله وأثنى عليه بما هو أهله : « نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وطاعته .

أما بعد : أيها الناس اسمعوا مني ما أبين لكم فلاني لا أدري لعلني لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقعي هذا ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام - إلى أن تلقوا ربكم - كحرمة يومكم هذا وشهركم وبلدكم هذا ، ألا من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى الذي ائتمنه عليها ، وإن دماء الجاهلية موضوعة ، وأول دم أبداً به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب^(١) ، وأن مآثر الجاهلية كلها موضوعة غير السدانة والسقاية ، وأن في قتل العمدة قُود^(٢) ، وفي شبه العمدة قَتِيل العَصَى والحجر مائة من الإبل .

أيها الناس إن الشيطان قد يش أن يُعبد في أرضكم هذه ، ولكنه رضي أن يطاع فيما سواه ذلك مما تحقرون من أعمالكم » .

ومضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خطابه يقول : « وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مُضَر^(٣) الذي بين جمادى وشعبان .

(١) جاء في سيرة ابن هشام : إن هذيلاً كانت قد اعتدت عليه وقتلته .

(٢) أي يقتل القاتل به .

(٣) أضاف رجب إلى مُضَر لأنهم كانوا يعظمونه أكثر من بقية الشهور .

أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقاً ، وإن لكم عليهن حقاً ، لكم عليهن أن لا يوطئن فراشكم غيركم ، ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنتكم ، ولا يأتين بفاحشة ، فإن فعلن ذلك فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، إنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً .

أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرء مال أخيه إلا عن طيب نفسه ، فلا ترجعوا كفراً بعدى يضرب بعضكم أعناق بعض ، فإنني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدى أبداً : كتاب الله وعترتي أهل بيتي .

أيها الناس إن ربكم واحد ، وأباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب ، إن أكرمكم عند الله اتقاكم ، ليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى ، ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب .

أيها الناس إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، ولا يجوز لو ارث وصية في أكثر من الثلث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر ، ومن ادعى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً .

وجاء في تاريخ ابن كثير أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يتكلم وعليه السلام يذيع خطابه على الناس بصوت عال يسمعه الجميع ، وقيل غير ذلك .

ولمّا أتمّ النبي والمسلمون مناسكهم في منى [أيام التشريق] خرجوا منها فترّلوا المُحَصَّب وباتوا ليلتهم فيه ، والمُحَصَّب كما في البداية

والنهاية : مكان كانت قريش قد تعاقدت مع كنانة على بني هاشم وبني المطلب ، فلم يبرم الله لقريش أمراً وردهم خائبين وأظهر دينه ونصر نبيه ورد الله الذين كفروا بغيضهم ولم ينالوا شيئاً .

وعند السحر أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالرحيل فركب هو وأصحابه ودخل مكة فطاف طواف الوداع واتجه إلى المدينة حتى وصل غدير خم في يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة قبل الجحفة - وسيأتيك شرحه مفصلاً إن شاء الله تعالى .

يوم الغدير

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ المائدة : ٦٧ .

أيها الإخوة أعرض لكم واقعة الغدير ، تلك الواقعة التي أكمل الله فيها الدين وأتم فيها النعمة ، يوم تتويج الإمام المرتضى عليه السلام بتاج الخلافة العظمى والإمامة الكبرى .

وهذا البحث من أهم البحوث الإسلامية ، وهنا مفترق الطرق بين المذاهب الإسلامية ، ويمكن لنا أن نقول : إن الكتب والمؤلفات التي كتبت حول هذا الموضوع بالذات وحول الإمامة والخلافة بصورة عامة - قد تجاوزت العد والضبط والإحصاء ، من إثبات أو رد أو مناقشة وما يدور في هذا الفلك .

ولا تسألوا عن الأرواح التي زهقت في سبيل هذه الواقعة ومضاعفاتها في خلال أربعة عشر قرناً ، وما هناك من مآسي وكوارث ومصائب ومجازر وفتن تتعب القارىء وتجهد السامع . وحيث أن الإمامة - عندنا - تالية للنبوّة من حيث كونها وظيفة إلهية ومنصب رباني

ليس لأحد حق الانتخاب أو الرد فيها ، كما قال تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة ﴾^(١) وقد ذكر هذه الواقعة وما يتعلق بها من أقوال الصحابة وأهل البيت والتابعين وتابعيهم من المحدثين والمفسرين والمؤرخين والشعراء والأئمة والأعلام والحفاظ العدد الكثير حتى جاوز حد التواتر .

ومن الجدير أن عدداً من النصارى ذكروا هذه الحادثة نظماً ونشراً ، ولعلنا نشير إلى بعض أقوال هؤلاء بصورة موجزة رعاية للاختصار .

ومن أعجب الأمور أن بعض المسلمين بعد إقامة الأدلة الكافية والبراهين الشافية والحجج القاطعة على خلافة أمير المؤمنين (ع) وبعد المناقشة في سند الحديث ودلالة متنه ومفهومه قال : إن علياً هو الأفضل ولكن غيره أصح !! سبحان الله ، هذه كلمة تضحك الثكلى ! لأن معناها : إن الله ورسوله ما كانا يعرفان الأصح ؟ ! أو كانا يعرفانه ولكنهما قدما غير الأصح ، نعوذ بالله من الخطل .

والأفضل أن نذكر الواقعة بصورة موجزة ثم ننظر أين ينتهي بنا البحث ؟ وأقوال المفسرين والمحدثين تختلف من حيث الإيجاز والتفصيل ، ولكن المفاد واحد ، وهذه صورة الواقعة :

لما قضى رسول الله مناسكه وانصرف راجعاً إلى المدينة ومعه من كان من الجموع الغفيرة ووصل إلى غدير خم من الجحفة التي تشعب فيها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين وذلك يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة نزل إليه الأمين جبرئيل عن الله بقوله : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾^(٢) الآية . وأمره أن يُقيم علياً علماً

(١) سورة الأحزاب : الآية ٣٦ .

(٢) سورة المائدة : الآية ٦٧ .

للناس ويبلغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة على كل أحد ، وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة فأمر رسول الله أن يُردُّ من تقدم منهم ، ويُحبس من تأخر عنهم في ذلك المكان ، ونهى عن سمرة خمس مقاربات دوحات عظام أن لا ينزل تحتهم أحد .

حتى إذا أخذ القوم منازلهم فَقَمَّ (كنس) ما تحتهم حتى إذا نودي بالصلاة صلاة الظهر عمد إليهم فصلى بالناس تحتهم ، وكان يوماً هاجراً يضع الرجل بعض رداءه على رأسه وبعضه تحت قدميه من شدة الرمضاء ، وظلّل لرسول الله بثوب على شجرة سمرة من الشمس ، فلما انصرف صلى الله عليه وآله وسلم من صلاته قام خطيباً وسط القوم على أكتاف الإبل وأسمع الجميع ، رافعاً عقيرته قائلاً :

« الحمد لله ونستعينه ونؤمن به ، ونتوكل عليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، الذي لا هادي لمن ضل ، ولا مضل لمن هدى ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله - أما بعد - : أيها الناس قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا مثل نصف عمر الذي قبله ، وأناي أوشك أن أدعى فأجيب ، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون ، فماذا أنتم قائلون ؟ »

قالوا : نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجاهدت فجزاك الله خيراً .

قال : « أستم تشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن جنته حق ، وناره حق ، وأن الموت حق ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ؟ »

قالوا : بلى نشهد بذلك .

قال : « اللهم اشهد » .

ثم قال : « أيها الناس ألا تسمعون ؟ »

قالوا : نعم .

قال : «فإني فرط على الحوض ، وأنتم واردون عليّ الحوض ، وإن عرضه ما بين صنعاء وبصرى ، فيه أقذاح عدد النجوم من فضة ، فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين » .

فنادى مناد : وما الثقلان يا رسول الله ؟

قال : « الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا ، والآخر الأصغر عترتي ، وإن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فسألت ذلك لهما ربي ، فلا تقدموهما فتهلکوا ، ولا تقصروا عنهما فتهلکوا - ثم أخذ بيد علي فرفعها حتى رؤي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون - فقال : أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم ؟ فمن كنت مولاه فعلي مولاه - يقولها ثلاث مرات وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة : أربع مرات - ثم قال : اللهم والِ مَنْ والاه ، وعادِ مَنْ عاداه ، وأحبْ مَنْ أحبه ، وأبغضْ مَنْ أبغضه ، وانصرْ مَنْ نصره ، واخذلْ مَنْ خذله ، وأدر الحق معه حيث دار ، ألا فليبلغ الشاهد الغائب » .

وقد ذكروا لرسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم خطبة مفصلة جداً رواها الطبرسي في الاحتجاج ، ورواها غيره في كتبهم بغير تفصيل . وكيف ما كان : لما فرغ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم من خطبته نزل وأمر المسلمين أن يبايعوا علياً بالخلافة ويسلموا عليه بإمرة المؤمنين .

فتهاوت عليه الناس يبايعونه ، وجاء الشيخان : أبو بكر وعمر إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلّم وقالوا : هذا أمر منك أم من الله ؟ فقال النبي : وهل يكون هذا عن غير أمر الله ؟ نعم أمر من الله

ورسوله ، فقاما وبابعا ، فقال عمر : السلام عليك يا أمير المؤمنين بخ
بخ لك لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة !! وكذلك سلم عليه
أبي بكر بإمرة المؤمنين .

هذه الواقعة من أشهر الحوادث بين المفسرين والمحدثين
والمؤرخين ، وتعتبر عندهم من أصح الأحاديث لتواتر الروايات الواردة
حول الحديث .

أما الصحابة الذي شهدوا بالغدير فالمشهور منهم مائة ونيف وإليك
أسماءهم حسب الحروف .

- ١ - أبو هريرة .
- ٢ - أبو ليلي الأنصاري .
- ٣ - أبو زينب بن عوف الأنصاري .
- ٤ - أبو فضالة الأنصاري .
- ٥ - أبو قدامة الأنصاري .
- ٦ - أبو عمرة بن عمر بن محضر الأنصاري .
- ٧ - أبو الهيثم بن التيهان .
- ٨ - أبو رافع القبطي .
- ٩ - أبو زينب بن خويلد .
- ١٠ - أبو بكر بن أبي قحافة .
- ١١ - أسامة بن زيد .
- ١٢ - أسعد بن زرارة الأنصاري .
- ١٣ - أبي بن كعب الأنصاري .
- ١٤ - أسماء بنت عميس .
- ١٥ - أم كلثم زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .
- ١٦ - أم هاني بنت أبي طالب .

- ١٧ - براء بن عازب الأنصاري .
- ١٨ - أبو حمزة أنس بن مالك .
- ١٩ - بريرة بن الخصيب .
- ٢٠ - أبو سعيد ثابت بن وداعة الأنصاري .
- ٢١ - جابر بن سمرة .
- ٢٢ - جابر بن عبد الله الأنصاري .
- ٢٣ - جبلة بن عمرو الأنصاري .
- ٢٤ - جبير بن مطعم .
- ٢٥ - جرير بن عبد الله .
- ٢٦ - أبو ذر جندب بن جنادة .
- ٢٧ - أبو جنيذة جندع بن عمرو .
- ٢٨ - حبة بن جرير العرني .
- ٢٩ - حبشي بن جنادة .
- ٣٠ - حبيب بن بديل .
- ٣١ - حذيفة بن أسيد .
- ٣٢ - حذيفة بن اليمان .
- ٣٣ - حسان بن ثابت .
- ٣٤ - الإمام الحسن بن علي عليه السلام .
- ٣٥ - الإمام الحسين بن علي عليه السلام .
- ٣٦ - أبو أيوب الأنصاري .
- ٣٧ - خالد بن الوليد .
- ٣٨ - خزيمة بن ثابت .
- ٣٩ - خويلد بن عمرو الخزاعي .
- ٤٠ - رفاعة بن عبد المنذر الأنصاري .

- ٤١ - زبير بن العوام .
- ٤٢ - زيد بن ثابت .
- ٤٣ - زيد بن عبد الله الأنصاري .
- ٤٤ - زيد بن يزيد بن شراحيل الأنصاري .
- ٤٥ - سعد بن أبي وقاص .
- ٤٦ - سعد بن جنادة .
- ٤٧ - سعد بن عبادة .
- ٤٨ - أبو سعيد الخدري .
- ٤٩ - سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري .
- ٥٠ - سلمان الفارسي .
- ٥١ - سمرة بن جندب .
- ٥٢ - سلمة بن عمرو .
- ٥٣ - سهل بن ساعد الأنصاري .
- ٥٤ - أبو إمامة الصدي بن عجلان .
- ٥٥ - ضميرة الأسدي .
- ٥٦ - طلحة بن عبيد الله .
- ٥٧ - عامر بن عمير .
- ٥٨ - عامر بن ليلى .
- ٥٩ - عامر بن وائلة .
- ٦٠ - عامر بن ليلى العقاري .
- ٦١ - عائشة بنت أبي بكر .
- ٦٢ - عباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم .
- ٦٣ - عبد الرحمن بن عبد رب الأنصاري .
- ٦٤ - عبد الرحمن بن عوف .

- ٦٥ - عبد الرحمن بن يعمر .
- ٦٦ - عبد الله بن أبي عبد الأسد المخزومي .
- ٦٧ - عبد الله بن بديل .
- ٦٨ - عبد الله بن بشير .
- ٦٩ - عبد الله بن ثابت الأنصاري .
- ٧٠ - عبد الله بن جعفر بن أبي طالب .
- ٧١ - عبد الله بن حنطب .
- ٧٢ - عبد الله بن ربيعة .
- ٧٣ - عبد الله بن عباس .
- ٧٤ - عبد الله بن أبي أوفى .
- ٧٥ - عبد الله بن عمر بن الخطاب .
- ٧٦ - عبد الله ياميل .
- ٧٧ - عثمان بن عفان .
- ٧٨ - عدي بن حاتم .
- ٧٩ - عبيد بن عازب الأنصار .
- ٨٠ - عطية بن يسر .
- ٨١ - عقبة بن عامر .
- ٨٢ - علي بن أبي طالب عليه السلام .
- ٨٣ - عمار بن ياسر .
- ٨٤ - عمارة الخزرجي .
- ٨٥ - عمر بن أبي سلمى .
- ٨٦ - عمر بن الخطاب .
- ٨٧ - عمران بن حصين .
- ٨٨ - عمرو بن الحمق الخزاعي .

- ٨٩ - عمرو بن شراحيل .
- ٩٠ - عمرو بن العاص .
- ٩١ - عمرو بن مرة .
- ٩٢ - فاطمة الزهراء بنت النبي عليها السلام .
- ٩٣ - فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب .
- ٩٤ - قيس بن ثابت .
- ٩٥ - قيس بن سعد بن عبادة .
- ٩٦ - كعب بن عجرة .
- ٩٧ - مالك بن الحويرث .
- ٩٨ - المقداد بن عمرو الكندي .
- ٩٩ - ناجية بن عمرو الخزاعي .
- ١٠٠ - أبو برزة فضلة بن عتبة .
- ١٠١ - نعمان بن عجلان .
- ١٠٢ - هاشم المرقال .
- ١٠٣ - وهب بن حمزة .
- ١٠٤ - وهب بن عبد الله .
- ١٠٥ - وحشي بن حرب .
- ١٠٦ - يعلى بن مرة .

إِحْكَامُ الدِّينِ

ولما انتهت البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام هبط جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الآية : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ^(١) .

أما المفسرون والمحدثون من الشيعة فقد اتفقت كلمتهم على نزول هذه الآية يوم الغدير بعد انتهاء البيعة لعلي عليه السلام ، كما أيده حفاظ أهل السنة ومحدثيهم فقد روى :

- (١) - محمد بن جرير الطبري في كتاب : (الولاية) .
- (٢) - الحافظ بن مردويه روي عنه في تفسير ابن كثير .
- (٣) - الحافظ أبو نعيم الأصبهاني روى في كتابه : (ما نزل من القرآن في علي) .
- (٤) - أبو بكر الخطيب البغدادي في تاريخه ج ٨ .
- (٥) - أبو سعيد السجستاني في كتابه : (الولاية) .
- (٦) - الحافظ أبو القاسم الحاكم الحسكاني في كتابه : (دعاء الهداة إلى أداء حق الموالاة) .

(١) سورة المائدة : الآية ٣ .

- (٧) - الحافظ أبو القاسم بن عسك .
- (٨) - أبو الحسن بن المغازل روى في مناقبه .
- (٩) - أخطب الخطباء الخوارزمي روى في المناقب .
- (١٠) - أبو الفتح النطنزي روى في كتابه : (الخصائص العلوية) .
- (١١) - أبو حامد سعد الدين الصالحاني روى عنه شهاب الدين أحمد في : (توضيح الدلائل على ترجيح الفضائل) .
- (١٢) - سبط ابن الجوزي ذكر في تذكرته .
- (١٣) - شيخ الإسلام الحمويني روى في : (فرائد السمطين) .
- (١٤) - عماد الدين ابن كثير القرشي روى في تفسيره .
- (١٥) - جلال الدين السيوطي الشافعي في : (الدر المنثور في الاتقان) .
- (١٦) - منير محمد البدخشي روى في كتاب : (مفتاح النجاة) .

نَزُولُ الْعَذَابِ

انتشر خبر واقعة الغدير، وشاع وطارفي البلاد، فبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري ، فأتى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم ، على ناقية له حتى أتى الأبطح فنزل عن ناقته فأناخها ، فقال : يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلا الله ، وأنت رسول الله فقبلناه ، وأمرتنا أن نصلي خمساً فقبلناه منك وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلنا ، وأمرتنا بالحج فقبلنا ، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبع ابن عمك ، ففضلته علينا وقلت : من كنت مولاه فعلي مولاه ، فهذا شيء منك أم من الله عز وجل ؟ فقال صَلَّى الله عليه وآله وسلم : « والذي لا إله إلا هو إن هذا من الله » .

فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم . فما وصل إليها - راحلته - حتى رماه الله تعالى بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره وقتله ، وأنزل الله عز وجل : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴾ (١) .

(١) المعارج : ٣ .

والذين رَووا نزول هذه الآية في شأن الحارث بن النعمان هم :

- ١ - الحافظ أبو عبيد الهروي في تفسيره (غريب القرآن) .
- ٢ - أبو بكر النقاش الموصلي في تفسيره (شفاء الصدور) .
- ٣ - أبو إسحاق الثعلبي النيسابوري في تفسيره (الكشف والبيان) .
- ٤ - الحاكم أبو القاسم الحسكاني في كتاب (دعاة الهداة) .
- ٥ - أبو بكر يحيى القرطبي في تفسيره .
- ٦ - سبط بن الجوزي الحنفي رواه في تذكرته .
- ٧ - إبراهيم بن عبد الله اليمني الشافعي روى في كتابه (الاكتفاء) .
- ٨ - الحموي في (فرائد السمطين) .
- ٩ - الشيخ محمد الزرندي الحنفي روى في كتابيه (معارج الوصول ودرر السمطين) .
- ١٠ - شهاب الدين أحمد في كتابه (هداية السعداء) .
- ١١ - ابن الصباغ المالكي في كتابه (الفصول المهمة) .
- ١٢ - نور الدين السمهودي الشافعي رواه في (جواهر العقدين) .
- ١٣ - أبو السعود العمادي في تفسيره .
- ١٤ - شمس الدين الشربيني الشافعي في تفسيره (السراج المنير) .
- ١٥ - جمال الدين الشيرازي في كتابه (الأربعين) .
- ١٦ - شيخ زيد الدين المناوي الشافعي في كتابه (فيض القدير) .
- ١٧ - السيد ابن العبدروس الحسيني اليمني في كتابه (العقد النبوي والسير المصطفوي) .

١٨ - الشيخ أحمد بن باكثير الشافعي ذكره في (وسيلة المآل في
عد مناقب الأل) .

١٩ - الشيخ عبد الرحمن الصفوي روى في نزهته .
٢٠ - الشيخ برهان الدين علي الحلبي الشافعي في (السيرة
الحلبية) .

٢١ - السيد محمود بن محمد القادري المدني قال في تأليفه
الصراط السوي في مناقب النبي .

٢٢ - شمس الدين الحنفي الشافعي في (شرح الجامع الصغير
للسيوطي) .

٢٣ - الشيخ محمد صدر العالم سبط الشيخ أبي الرضا قال في
كتابه (معارج العلى في مناقب المرتضى) .

٢٤ - الشيخ محمد محبوب العالم رواه في تفسيره المعروف
(بتفسير شاهي) .

٢٥ - أبو عبد الله الزرقاني المالكي حكاه في (شرح المواهب
اللدنية) .

٢٦ - أحمد بن عبد القادر الشافعي ذكره في كتابه (ذخيرة
المآل) .

٢٧ - السيد أحمد بن إسماعيل اليماني ذكره في كتابه (الروضة
الندية) .

٢٨ - السيد مؤمن الشبلنجي الشافعي ذكره في كتابه (نور
الأبصار) .

٢٩ - الأستاذ الشيخ محمد عبده المصري في تفسير (المنار) .

أما المحدثون والمفسرون من الشيعة فلا يشك منهم أحد في نزول
هذه الآية في شأن الحرث أو الحارث .

مَعْنَى الْمَوْلَى

ذكر اللغويون لكلمة (المولى) عشرين معنى ، وهذا هو سبب المناقشة في مفهوم الحديث ، فيقول أصحاب القلوب المريضة : لم يظهر لنا المقصود من كلمة « مولاة » ، ونجيب عن هذه المناقشة أو التشكيك بهذه الرواية المفسرة لمعنى المولى : فقد روي أذ عماراً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن معنى قوله : « من كنت مولاه فعلي مولاه » قال صلى الله عليه وآله وسلم : « الله مولاي : أولى بي من نفسي لا أمير لي معه وأنا مولى المؤمنين : أولى بهم من أنفسهم ، لا أمر لهم معي ، ومن كنت مولاه : أولى به من نفسه لا أمر له معي ، فعلي مولاه : أولى به من نفسه لا أمر له معه » .

سبحان الله ! ما يصنع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد هذا التفصيل والتشريح والبيان الكافي الموضح لكلامه والمبين لمقصوده ؟

وهل أبقي لأحد شكاً ؟ وهل بقيت لأحد حجة على الله ؟ بل أتم الحجة على الجميع ، وأدى رسالة ربه على أحسن ما يرام ، وأفضل ما يمكن .

ولسيدنا الحجة المغفور له السيد عبد الحسين شرف الدين عليه

الرحمة بحث لطيف وتحقيق ظريف حول كلمة المولى نذكره تمييزاً
للفائدة :

« فلو سألكم فلاسفة الأغيار عما كان منه يوم غدیر خم فقال :
لماذا منع تلك الألوف المؤلفة يومئذ عن المسير ؟

وعلى مَ حبسهم في تلك الرمضاء بهجير ؟
وفيم اهتم بإرجاع من تقدم منهم وإلحاق من تأخر ؟
ولم أنزلهم جميعاً في ذلك العراء على غير كلاء ولا ماء ؟
ثم خطبهم عن الله عز وجل في ذلك المكان الذي منه يتفرقون
ليبلغ الشاهد منهم الغائب ، وما المقتضي لنعي نفسه إليهم في مستهل
خطابه ؟ إذ قال : « يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ، وأني مسؤول
وإنكم مسؤولون » وأي أمر يسأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، عن
تبليغه ؟ وتسأل الأمة عن طاعتها فيه ؟

ولماذا سألهم فقال : « أستم تشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن
محمداً عبده ورسوله ، وأن جنته حق ، وأن ناره حق ، وأن الموت حق ،
وأن البعث حق بعد الموت ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله
يبعث من في القبور » ؟ قالوا : بلى نشهد بذلك .

ولماذا أخذ حينئذ على سبيل الفور بيد علي فرفعها إليه حتى بان
بياض إبطيه ؟ فقال : « يا أيها الناس إن الله مولاي ، وأنا مولى
المؤمنين ، ولماذا فسر كلمته - وأنا مولى المؤمنين - بقوله : وأنا أولى بهم
من أنفسهم » .

ولماذا قال بعد هذا التفسير : « فمن كنت مولاه فهذا مولاه ، أو من
كنت وليه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من
نصره ، واخذل من خذله » .

ولم خصّه بهذه الدعوات التي لا يليق لها إلا أئمة الحق وخلفاء
الصدق؟؟

ولماذا أشهدهم من قبل ، فقال : « ألسنت أولى بكم من
أنفسكم ؟ »

فقالوا : بلى . فقال : « من كنت مولاه ، فعلي مولاه ، أو من
كنت وليه ، فعلي وليه ؟ »

ولماذا قرن العترة بالكتاب ؟ وجعلها قدوة لأولي الألباب إلى يوم
الحساب ؟

وفيمَ هذا الاهتمام العظيم من هذا النبي الحكيم ؟

وما المهمة التي احتاجت إلى هذه المقدمات كلها ؟

وما الغاية التي توخاها في هذا الموقف المشهور ؟

وما الشيء الذي أمره الله تعالى بتبليغه إذ قال عز من قائل : ﴿ يَا
أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَأَنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ
وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ ^(١) وأي مهمة استوجبت من الله هذا التأكيد ؟

واقترضت الحض على تبليغها بما يشبه التهديد ؟

وأي أمر يخشى النبي الفتنة بتبليغه ؟

ويحتاج إلى عصمة الله من أذى المنافقين ببيانه ؟

أكتنم - بجدكم لو سألكم عن هذا كله - تجيبونه بأن الله عز وجل
ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم إنما أرادا بيان نصرة علي للمسلمين
وصداقته لهم ، ليس إلا ؟ ما أراكم ترضون هذا الجواب ، ولا أتوهم
أنكم ترون مضمونه جائزاً على رب الأرباب ، ولا على سيد الحكماء ،

وخاتم الرسل والأنبياء ، وأنتم أجل من أن يصرف همه كلها ، وعزائمه بأسرها إلى تبين شيء بين لا يحتاج إلى بيان ، وتوضيح أمر واضح بحكم الوجدان والعيان ، ولا شك أنكم تنزهون أفعاله وأقواله عن أن تزدرى بها العقلاء ، أو ينتقدها الفلاسفة والحكماء بل لا ريب في أنكم تعرفون مكانة قوله وفعله من الحكمة والعصمة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطَاعٍ ثُمَّ أَمِينٌ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ ^(١) فيهتم بتوضيح الواضحات وتبين ما هو بحكم البديهيات ، ويقدم لتوضيح هذا الواضح مقدمات أجنبية ولا ربط له بها ولا دخل لها فيه ، تعالى الله عن ذلك ورسوله علواً كبيراً وأنت - نصر الله بك الحق - تعلم أن الذي يناسب مقامه في ذلك الهجير ، ويليق بأفعاله وأقواله يوم الغدير ، إنما هو تبليغ عهده ، وتعيين القائم مقامه من بعده ، والقرائن اللفظية ، والأدلة العقلية ، توجب القطع الثابت الجازم بأنه صلى الله عليه وآله وسلم ما أراد يومئذ إلا تعيين علي ولياً لعهده ، وقائماً مقامه من بعده ، فالحديث مع ما قد حُفُّ به من القرائن نص جلي في خلافة علي لا يقبل التأويل ، وليس إلى صرفه عن هذا المعنى من سبيل ، وهذا واضح ﴿ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلَقَ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ ^(٢) .

أما القرينة التي زعموها فجزاف وتضليل ، ولباقة في التخليط والتهويل ، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث علياً إلى اليمن مرتين ، والأولى : كانت سنة ثمان وفيها أرجف المرجفون به وشكوه إلى النبي بعد رجوعهم إلى المدينة ، فأنكر عليهم ذلك حتى أبصروا الغضب في وجهه فلم يعودوا لمثلها .

(١) سورة التكوين : الآية ١٩ - ٢٢ .

(٢) سورة ق : الآية ٣٧ .

والثانية : كانت سنة عشر ، وفيها عقد النبي له اللواء وعممه صلى الله عليه وآله وسلم بيده ، وقال له : « امض ولا تلتفت » . فمضى لوجهه راشداً مهدياً ، حتى أنفذ أمر النبي ، ووافاه صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع ، وقد أهل بما أهل به رسول الله فأشركه صلى الله عليه وآله وسلم بهديه ، وفي تلك المرة لم يرجف به مرجف ، ولا تحامل عليه مجحف ، فكيف يمكن أن يكون الحديث مسيباً عما قاله المعترضون ؟ أو مسوقاً للرد على أحد كما يزعمون ؟ على أن مجرد التحامل على علي ، لا يمكن أن يكون سبباً لثناء النبي عليه بالشكل الذي أشاد به صلى الله عليه وآله وسلم على منبر الحداثج يوم خم ، إلا أن يكون - والعياذ بالله - مجازفاً في أقواله وأفعاله ، وهممه وعزائمه ، وحاشا قدسي حكمته البالغة ، فإن الله سبحانه يقول : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

ولو أراد مجرد بيان فضله ، والرد على المتحاملين عليه ، لقال : هذا ابن عمي ، وصهري وأبو ولدي ، وسيد أهل بيتي ، فلا تؤذوني فيه ، أو نحو ذلك من الأقوال الدالة على مجرد الفضل وجلالة القدر . على أن لفظ الحديث لا يتبادر إلى الأذهان منه إلا ما قلناه ، فليكن سببه مهما كان ، فإن الألفاظ إنما تحمل على ما يتبادر إلى الإفهام منها ، ولا يتلفت إلى أسبابها كما لا يخفى .

وأما ذكر أهل بيته في حديث الغدير ، فإنه من مؤيّدات المعنى الذي قلناه ، حيث قرّنههم بمحكم الكتاب وجعلهم قدوة لأولي الألباب ، فقال : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا : كتاب الله .

(١) سورة الحاقة : الآية ٤٠ - ٤٣ .

وعترتي أهل بيتي » وإنما فعل ذلك لتعلم الأمة أن لا مرجع بعد نبينا إلا إليهما ، ولا معول لها من بعده إلا عليهما وحسبك في وجوب إتباع الأئمة من العترة الطاهرة اقترانهم بكتاب الله عز وجل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فكما لا يجوز الرجوع إلى كتاب يخالف في حكمه كتاب الله سبحانه وتعالى ، لا يجوز إلى إمام يخالف في حكمه أئمة العترة ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إنهما لن ينقضيا أولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » . دليل على أن الأرض لن تخلو بعده من إمام منهم ، هو عدل الكتاب ، ومن تدبر الحديث وجده يرمي إلى حصر الخلافة في أئمة العترة الطاهرة . ويؤيد ذلك ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن زيد بن ثابت قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « إني تارك فيكم خليفتين : كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ... الخ » . وهذا نص في خلافة أئمة العترة عليهم السلام .

وأنت تعلم أن النص على وجوب إتباع العترة نص على وجوب إتباع علي ، وهو سيد العترة لا يدافع ، وإمامها لا ينازع ، فحديث الغدير وأمثاله ، يشتمل على النص على علي تارة ، من حيث أنه إمام العترة ، المنزلة من الله ورسوله منزلة الكتاب ، وأخرى من حيث شخصه العظيم وأنه ولي كل من كان رسول الله وليه ، انتهى كلام السيد (ر) . أقول : وقد نظم الشعراء من المسلمين وغيرهم على اختلاف لغاتهم قصائد متينة فاخرة اشتهرت على مر القرون ، تعطر بها المحافل والنادي ، وينشدها الغادي والبادي ، وترنم بها الموالي والمغالي ، وقد ألف علماؤنا موسوعات كبيرة تتضمن الكثير من أشعارهم وقصائدهم وتراجمهم ، ومن تلك الموسوعات موسوعة الغدير لشيخنا المفضل

الحجة المرحوم الشيخ عبد الحسين الأميني قدس سره ، فلقد كانت موسوعته إحدى مصادر حديثنا .

ومن جملة الذين نظموا واقعة الغدير هو سيدنا ومولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد قال :

محمد النبي أخِي وصنوي	وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يضحني ويمسي	يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي	منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولدائي منها	فأيكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طراً	على ما كان من فهمي وعلمي
فأوجب لي ولايته عليكم	رسول الله يوم غدير خم

(الأبيات بصورة أخرى) . أخرج الإمام علي بن أحمد الواحدي عن أبي هريرة قال : اجتمع عدة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وطلحة ، والزبير ، والفضل بن عباس ، وعمار ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبوذر ، والمقداد ، وسلمان ، وعبد الله بن مسعود ، فجلسوا وأخذوا في مناقبهم ، فدخل عليهم علي عليه السلام فسألهم : « فيم أنتم ؟ » قالوا : نتذاكر مناقبنا مما سمعناه من رسول الله . فقال علي عليه السلام : « اسمعوا مني » ثم أنشأ يقول :

لقد علم الأناس بأن سهمي	من الإسلام يفضل كل سهم
وأحمد النبي أخِي وصهري	عليه الله صلى وابن عمي
وإني قائد للناس طراً	إلى الإسلام من عرب وعجم
وقاتل كل صنديد رئيس	وجبار من الكفار ضخم
وفي القرآن ألزمهم ولائي	وأوجب طاعتي فرضاً بعزم
كما هارون من موسى أخوه	كذلك أنا أخوه وذاك اسمي

لذلك أقامني لهم إماماً
فمن منكم يعادلني بسمهي
فويل ثم ويل ثم ويل
وويل ثم ويل ثم ويل
وويل للذي يشقى سفاهاً
وأخبرهم به بغدير خم
وإسلامي وسابقتي ورحمي
لمن يلقي الإله غداً بظلمي
لجاحد طاعتي ومريد هضمي
يريد عداوتي من غير جرم
ومنهم حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

ذكر طائفة كبيرة من أعلام الإمامية والسنة أنه نصب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً يوم غدير خم بالخلافة قال حسان بن ثابت : يا رسول الله أقول في علي شعراً ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « افعل » فقال يا معشر مشيخة قريش اتبعوها بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية ثم أنشد :

يناديهم يوم الغدير نبهم
وقد جاءه جبريل عن أمر ربه
وبلغهم ما أنزل الله ربهم
فقام به إذ ذاك رافع كفه
فقال : فمن مولاكم ووليكم؟
إلهك مولانا وأنت ولسنا
فقال له : قم يا علي فإنني
فمن كنت مولاه فهذا وليه
هناك دعا : اللهم والٍ وليه
فيا رب أنصر ناصرته لنصرهم
فلما فرغ حسان من هذا القول قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « لا تزال يا حسان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك » .

كانت واقعة الغدير من أشهر الأمور الثابتة عند الصحابة والتابعين ،

ولهذا روي عنهم ذلك نظماً ونشراً ، ويمكن لنا أن نقول : إن ثبوت الخلافة والولاية لعلي عليه السلام عند الصحابة كان كثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند المسلمين .

ومنهم : قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري سيد الخزرج ، قام بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام بصفين وقال :

قلت لما بغى العدو علينا حسبنا ربنا ونعم الوكيل
حسبنا ربنا الذي فتح البصر رة بالأمس والحديث طويل
يقول فيها :

وعلي إمامنا وإمام لسوانا أتى به التنزيل
يوم قال النبي : من كنت مولاً فهذا مولاه خطب جليل
إن ما قاله النبي على الأمة حتم ما فيه قال وقيل

ومنهم عمرو بن العاص العدو للددود للإمام أمير المؤمنين عليه السلام فلقد أشار في قصيدته الجملجية إلى واقعة الغدير ، ومهما حاول العدو كتمان فضائل خصمه فإن الحق قد يطفح من لسانه . قال في خطابه لمعاوية :

معاوية الحال لا تجهل وعن سبيل الحق لا تعدل
نسيت احتيالي في جلتى على أهلها يوم لبس الحلي
إلى أن يقول :

نصرناك من جهلنا يا بن هند على النبي الأعظم الأفضل
وحيث رفعناك فوق الرؤوس نزلنا إلى أسفل الأسفل
وكم قد سمعنا من المصطفى وصايا مخصصة في علي
وفي يوم خم رقى منبراً يبلغ والركب لم يرحل
وفي كفه كفه معلناً ينادي بأمر العزيز العلي ؛

الست بكم منكم في النفوس
فأنحله إمرة المؤمنين
وقال : فمن كنت مولى له
فوال مواليه يا ذا الجلا
ولا تنقضوا العهد من عترتي
فبخبخ شىخك لما رأى
فقال : وليكم فاحفظوه

بأولى؟ فقالوا : بلى فافعل
من الله مستخلف المنحل
فهذا له اليوم نعم الولي
ل ، وعاد معادي أخ المرسل
فقاطعهم بي لم يوصل
عُرى عقد حيدر لم تحلل
فمدخله فيكم مدخلي

إلى آخر القصيدة وهي ستة وستون بيتاً .

ومن شعراء القرن الثاني الذين تطرقوا إلى واقعة الغدير هو أبو
المستهل الكميّ بن زيد الأسدي ، قال في عينته :

نفى عن عينك الأرق الهجوعاً
إلى أن يقول :

وهم يمتري منها الدموعاً

لدى الرحمن يصدع بالمشاني
وأصفاه النبي على اختيار
ويوم الدوح دوح غدیر خُم
ولكن الرجال تبايعوها
فلم أبلغ بها لعناً ولكن
فصار بذاك أقربهم لعدل
أضاعوا أمر قائدهم فضلوا
تناسوا حقه ويغوا عليه

وكان له أبو حسن قريعاً
بما أعىى الرفوض له المذيعا
أبان له الولاية لو أطيعا
فلم أر مثلها خطراً مبيعاً
أساء بذاك أولهم صنيعة
إلى جور وأحفظهم مضيعاً
وأقومهم لدى الحدثان ريعاً
بلا ترة وكان لهم قريعاً

إلى آخر القصيدة .

ومنهم السيد إسماعيل بن محمد الحميري .

فقد ذكر قصة الغدير في كثير من قصائده ومنها قوله :

يا بايع الدين بدنيه ليس بهذا أمر الله

وأحمد قد كان يرضاه
يوم غدير الخم ناداه
وهم حوالبه فسماه:
مولى لمن قد كنت مولاه
وعاد من قد كان عاداه

من أين أبغضت عليّ الوصي
من الذي أحمد في بينهم
أقامه من بين أصحابه
هذا علي بن أبي طالب
فوال من والاه يا ذا العلا

من قصائده :

بين الطويلع فاللوى من كبكب

هلا وقفت على المكان المعشب

ويقول فيها :

قم يا محمد في البرية فاخطب
هاد ، وما بلغت إن لم تنصب
لهم ، فبين مصدق ومكذب
ما كان يجعلها لغير مهذب
ساع تناول بعضها يتذبذب
دينأ ومن يحبهم يستوجب
بدلاً بآل محمد لا يحجب
حوض الرسول وأن يرده يضرب

ويخُم إذ قال الإله بعزمه :
وانصب أبا حسن لقومك إنه
فدعاه ثم دعاهم فأقامه
جعل الولاية بعده لمهذب
وله مناقب لا ترام متى يرد
إننا ندين بحب آل محمد
منا المودة والولاء ومن يرد
ومتى يمت يرد الجحيم ولا يرد
إلى آخر القصيدة .

ومن فرائده القصيدة العينية المعروفة :

طامسة أعلامها بلقع

لأم عمرو باللوى مربع

إلى أن يقول :

بخطبة ليس لها موضع
إلى من الغاية والمفزع ؟
وفيهم في الملك من يطمع ؟
كتتم عسيتم فيه أن تصنعوا

عجبت من قوم أتوا أحمداً
قالوا له : لو شئت أعلمتنا
إذا توفيت وفارقتنا
فقال : لو أعلمتكم مفزعا

صنيع أهل العجل إذ فارقوا
وفي الذي قال بيان لمن
ثم أنته بعد ذا عزمة
بلغ وإلا لم تكن مبلغاً
فعندها قام النبي الذي
يخطب مأموراً وفي كفه
رافعها . أكرم بكف الذي
يقول والأملاك من حوله
من كنت مولاه فهذا له
فاتهموه وحنث فيهم
وضل قوم غاظهم فعله
حتى إذا واروه في لحده
ما قال بالأمس وأوصى به
هارون فالترك له أوسع
كان إذا يعقل أو يسمع
من ربه ليس لها مدفع :
والله منهم عاصم يمنع
كان بما يأمر به يصدع
كف علي ظاهر تلمع
يرفع والكف الذي ترفع
والله فيهم شاهد يسمع :
مولي فلم يرضوا ولم يقنعوا
على خلاف الصادق الأصلع
كأنما أنافهم تجدع
وانصرفوا عن دفنه ضيعوا
واشتروا الضرب بما ينفع
إلى آخر القصيدة وهي أربعة وخمسون بيتاً .

وهناك قصائد فريدة للمتأخرين من العلماء والشعراء منها قصيدة
المرحوم السيد رضا الهندي النجفي التي ألقاها في يوم عيد الغدير
في الحفل الذي أقامه سادن الروضة الحيدرية بالنجف ، المعروفة
بالكوثرية ومطلعها :

أمفلج ثغرك أم جوهر ورحيق رضا بك أم سكر
سأذكرها فيما بعد .

(عيد الغدير)

الأعياد الدينية والوطنية لها أهمية كبرى عند الأمم ، وتهتم لها بمقدار تلك المناسبة من طقوس دينية وعادات وتقاليد محلية وشعبية ، وأصول وقواعد تنسجم مع ذلك العيد .

ومناسبة عيد الغدير كانت ولا تزال ذات أهمية عظيمة عند الله تعالى وعند رسوله وأهل البيت عليهم السلام وبقية المسلمين .

أما الأهمية عند الله تعالى ، فهو يوم تَوَجَّعَ الله فيه علياً بالخلافة والولاية ، ونزل جبرئيل من عند الله مهتماً الرسول الأعظم بالتتويج بقوله عز من قائل : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ .

حتى روى الحافظ أبو سعيد في كتابه (شرف المصطفى) عن أحمد بن حنبل وعن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال - يوم الغدير - : هتفوني ، إن الله تعالى خصني بالنبوة وخصَّ أهل بيتي بالإمامة .

وعلى هذا كان كل من الشيخين : أبي بكر وعمر يهنئ علياً بقوله : « طوبى لك . أو : بخ بخ . أو هنيئاً لك ، أصبحت مولاي

ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، كما ذكره زيني دحلان في الفتوحات الإسلامية والدارقطني كما في شرح المواهب .

وقد روى فرات بن إبراهيم الكوفي عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يوم غدیر خم أفضل أعياد أمتي ، وهو اليوم الذي أمرني الله (تعالى ذكره) بنصب أخي علي بن أبي طالب علماً لأمتي يهتدون به من بعدي ، وهو اليوم الذي أكمل فيه الدين ، وأتم على أمتي فيه النعمة ، ورضي لهم الإسلام ديناً .

واقضى الأئمة الطاهرون نهج جدهم الرسول الأعظم في تعظيم هذا اليوم وكثرة الاهتمام به ، كما روي عن فرات بن أحنف عن الإمام الصادق عليه السلام قال : قلت : جُعِلَ فداك ، للمسلمين عيد أفضل من الفطر والأضحى ويوم الجمعة ويوم عرفة ؟ قال : فقال لي : نعم ، أفضلها وأعظمها وأشرفها عند الله منزلة هو اليوم الذي أكمل الله فيه الدين ، وأنزل على نبيه محمد : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ قال : قلت : وأي يوم هو ؟ قال : إن أنبياء بني إسرائيل كانوا إذا أراد أحدهم أن يعقد الوصية والإمامة من بعده ففعل ذلك جعلوا ذلك اليوم عيداً ، وإنه اليوم علماً ، وأنزل فيه ما أنزل . وكمل فيه الدين ، وتمت فيه النعمة على المؤمنين .

قال : قلت : وأي يوم هو في السنة ؟ فقال لي : إن الأيام تتقدم وتتأخر ، وربما كان يوم السبت والأحد والاثنين إلى آخر الأيام السبعة قال قلت : فما ينبغي لنا أن نعمل في ذلك اليوم ؟ قال : هو يوم عبادة وصلاة وشكر لله وحمد له ، وسرور لما من الله به عليكم من ولايتنا ، فلإني أحب لكم أن تصوموا .

والروايات في هذا الباب كثيرة جداً ، وكانت ولا تزال الشيعة

تجعل هذا اليوم عيداً في العراق وإيران والهند وباكستان وسوريا ولبنان وغيرها من البلاد التي يقطن فيها عدد من الشيعة .

وكانت البلاد المغربية في عهد الأدارسة والفاطميين وغيرهم تحتفل في هذا اليوم سروراً وبهجة وتشارك الحكومة والشعب في ذلك .
ولكن بمرور الزمان وتطور الأحوال أصبح هذا العيد نسياً منسياً في بعض البلاد العربية الإفريقية .

وإنني أعتقد أن الاهتمام بهذا العيد أولى من بقية الأعياد ، وإقامة الحفلات في هذه المناسبة السعيدة أخرى من أية مناسبة أخرى . لأن المناسبة مهمة جداً ، وتسترعي الانتباه والعناية والرعاية أكثر وأكثر .

جيش أسامة ومرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم والتحاقه بالرفيق الأعلى

مما لا شك فيه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يفكر كثيراً في ما وراء الحدود الشمالية لشبه الجزيرة بعد أن أسلم عرب الحجاز ، ولم يعد بينهم على الشرك من يخشى من بأسه وسطوته ، ولم يكن ليطمئن وإلى جانبه أكبر دولة في العالم يوم ذاك تراقب جميع تحركاته ، وتعتبر خطره على المسيحية وعلى وجودها أشد من أخطار اليهودية والدول الأخرى التي كانت تنافسها في بسط نفوذها يوم ذاك .

وظل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقدر لهذه الدولة الكبرى أن تتحرك من ناحية حدودها لداخل الحجاز ، ولكنه كان يؤثر أن يغزوهم قبل أن يغزوه ، وأن يفرض عليهم وجوده وهيئته قبل أن يهاجموه بعشرات الوفهم ، فأرسل سريته الأولى إلى مؤتة وعاد المسلمون منها قانعين بالعودة بعد أن خسروا جماعة منهم وثلاثة من قادتهم الكبار وهم : عبد الله بن رواحة ، وجعفر بن أبي طالب ، وزيد بن الحارثة .

وغزاهم بنفسه في ثلاثين ألفاً حتى بلغ تبوك فآلفاهم قد انسحبوا إلى داخل بلادهم وحصونهم ، ورجع إلى المدينة بعد أن استسلم أمراء البلاد المتاخمة لحدود الحجاز وعاهدوه على أن لا يتعاونوا مع أحد عليه .

ولم يطل بالمسلمين المقام بعد رجوعهم من حجة الوداع حتى أمر النبي بتجهيز جيش لعله من أكبر الجيوش التي عرفتها المدينة من قبل ، بدليل أنه حشد في ذلك الجيش وجوه المهاجرين كأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم من المهاجرين والأنصار كما تنص عن ذلك المؤلفات في السيرة والتاريخ ، وأمر على ذلك الجيش أسامة بن زيد بن حارثة وهو يوم ذاك في مطع شبابه لا يتجاوز العشرين من عمره على أبعد التقادير وفي المسلمين من هو أشد صلابة منه وأكثر مرونة في الحروب وخبرة بقيادة الجيوش ، مما دعا إلى دهشة كبار الصحابة واستيائهم من تأميره عليهم ، وثاقفوا في تنفيذ أوامره بالرغم من تأكيداته المتتالية على تسريح الجيش بقيادته ، واضطر أن يخرج إلى الناس ويحثهم على الخروج والجهاد بقيادة أسامة ، وبدا عليه الانزعاج والتصلب حينما طالبوه بأن يولي عليهم غيره ، وقال لهم : « لعمرى لئن قلتم في إمارته اليوم فلقد قلتم في إمارة أبيه من قبله وأنه لخليق بالإمارة كما كان أبوه خليقاً بها من قبل » .

وفي رواية مشهورة بين المحدثين : أنه كان يقول ويكرر : « انفذوا جيش أسامة ، لعن الله من تخلف عن جيش أسامة » ، هذا وقد بدأ يحس بالمرض وتشتد وطأته عليه بين الحين والآخر .

وجاء في بعض كتب السيرة : إنه كان من جملة الدوافع التي دعت النبي إلى التصميم على إرسال هذا الجيش أن الدولة الرومانية جعلت تطارد وتقتل كل من دخل في الإسلام من رعاياها ، ومن بين من قتلتهم فروة بن عمرو الجذامي ، وكان والياً على معان وما حولها من أرض الشام ، فاعتنق الإسلام وبعث إلى النبي يخبره بذلك ، ولما بلغ خبره الرومان غضبوا عليه وجندوا عليه حملة ألقت القبض عليه وألقوه في أحد سجونهم ، ثم حكموا عليه بالاعدام فأخرجوه إلى محل فيه ماء يدعى

عفراء من أرض فلسطين وأعدموه في ذلك المكان ، ثم صلبوه على خشبة هناك ليكون عبرة لغيره ممن يفكر في اعتناق الإسلام .

وقيل إنه حينما قدم للقتل أنشد :

بلغ سراة المسلمين بأنني سلم لربي أعظمي ودمائي
وخرج أسامة بالجيش إلى الجرف على مقربة من المدينة وعسكر
فيه بينما يتم تجهيزه ، وخلال ذلك كان المرض يشتد على النبي
صلّى الله عليه وآله وسلم ، فبدأت المحاولات لعدم تحرك الجيش من
مكانه وبخاصة بعد أن أحسوا أن مرض النبي يزداد من وقت لآخر
ويشكل خطراً على حياته .

وجاء في طبقات ابن سعد : أن النبي أمر الناس بالتهيؤ لغزو
الروم ، ودعا أسامة وقال له : « سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئهم
الخيول فقد وليتك هذا الجيش فأغر عليهم صباحاً وأسرع السير حتى لا
تسبقك الأخبار إليهم ، فإن ظفرت بهم فأقل اللبث فيهم وخذ معك
الادلاء وقدم العيون والطلائع أمامك » ، وأضاف إلى ذلك أنه لم يبق
أحد في وجوه المهاجرين والأنصار إلا وأمره بأن يشترك في تلك الغزوة .

وقال ابن هشام في سيرته : إن رسول الله استبطن الناس في بعث
أسامة وأخذ الوجع يشتد به فخرج عاصباً رأسه وجعل يحثهم على
الخروج ، ثم قال : « أيها الناس إني أوشك أن أدعى فأجيب ، وإني
تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ، كتاب الله حبل ممدود من السماء
إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ، وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن
يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما » وذكر هذه
المقالة الشيخ المفيد في إرشاده وأضاف إليها أنه قال : « أيها الناس لا
أفيتكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ، فتلقوني في

كتيبة كمجر السيل الجرار ، ألا وإن علي بن أبي طالب أخي ووصي
يقاتل بعدي على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله .

ويبدو من أكثر مواقفه وخطبه بعد رجوعه من حجة الوداع أنه كان
يُعلم بواسطة الوحي بدنو أجله .

ويدل على ذلك ما جاء في كتب السيرة والحديث من أنه استدعى
مولاه أبا مويهبة وقال له : « إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فأخرج
معي الليلة » فخرج معه من جوف الليل ، فلما وقف فيها قال : « السلام
عليكم يا أهل المقابر ليهن لكن ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ،
أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من
الأولى » .

قال أبو مويهبة ، ثم أقبل عليّ وقال : « يا أبا مويهبة إني قد أوتيت
مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة وخيرت بين ذلك ولقاء ربي
والجنة ، فاخترت لقاء ربي والجنة » .

فقلت : بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم
الجنة .

فقال : « لا والله يا أبا مويهبة لقد اخترت لقاء ربي » ثم استغفر
لأهل البقيع ورجع .

وجاء في رواية المفيد : أنه خرج إلى البقيع مع علي
عليه السلام ، وأضاف إلى الحديث الذي ذكرناه أنه صلى الله عليه
 وآله وسلم قال لعلي عليه السلام : « إن جبرائيل كان يعرض عليّ القرآن
في كل سنة مرة وقد عرضه عليّ هذا العام مرتين ولا أراه إلا لحضور
أجلي » ، ومضى المفيد يقول : إنه كان يعتكف في كل سنة في العشر
الأواخر من رمضان ، وفي تلك السنة أعتكف فيه عشرين يوماً .

وسبق له في مكة في السنة الأخيرة التي حج فيها أن قال للمسلمين وهو يخطب فيهم : « لعلني لا ألقاكم بعد عامي هذا » ، وفي مناسبة أخرى كان يقول : « يوشك أن أدعى فأجيب » .

﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين ﴾ (١) .

قيل : يا رسول الله متى أجلك ؟

فقال : « قد دنا الفراق والمنقلب إلى الله وإلى سدره المنتهى والرفيق الأعلى وجنة المأوى » .

فقيل : فمن يغسلك يا رسول الله ؟

قال : « أهلي الأدنى فالأدنى » .

والحديث بتمامه موجود في شرح النهج ج ٣ ص ١٨٩ ، ١٩٠ إلى غير ذلك من تصريحاته وتلميحاته التي يستفاد منها أنه كان يعلم بوفاته .
والسؤال الذي يمكن لأي باحث أن يطرحه في هذا المقام ، هو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما دام يعلم بدنو أجله وبوفاته خلال أيام معدودات ، فلماذا أصر وظل يصصر حتى النفس الأخير على تسريح الجيش إلى ما وراء حدود الحجاز بقيادة أسامة بن زيد ، وهو شاب لم يتجاوز العشرين من عمره ، وهو يعلم بوجود عدد كبير من المنافقين قد تستروا بالإسلام ، وهم من ألد أعدائه وأنكد خصومه ، وهؤلاء كانوا يتحينون الفرصة للعبث والفساد ، وسيجدون الجو مناسباً في حال وفاته ما دام عليّ وآل الرسول منصرفين إلى تجهيزه ودفنه وعامة المهاجرين والأنصار في خارج البلاد بقيادة أسامة بن زيد ، ولماذا ضم إلى هذا الجيش أبا بكر وعمر كما يبدو من مجاميع السيرة والحديث ، وكان حريصاً على اشتراكهما فيه وترك علياً في المدينة ، مع أن تاريخهما معه

(١) سورة القصص : الآية ٨٣ .

في حروبه وغزواته لا يشهد لهما بالبطولات ولا يغنيان في ساعة الشدة عن شيء في حين أن مفتاح النصر والفتح كان بعد النبي بيد علي عليه السّلام في جميع حروبه وغزواته ، ولماذا اختار لقيادة هذا الجيش أسامة بن زيد ، وفي المسلمين كثير من القادة الأكفاء الذين خاضوا المعارك وأداروها بحزم وثبات وخرجوا منها منتصرين ظافرين .

هذه التساؤلات قد تختلج في ذهن الكثير من الباحثين ، وقد أثير بعضها قديماً كما يبدو في شرح النهج ج ٤ ص ١٧٢ ، فقد أدرك قاضي القضاة عبد الجبار المغزلي تفسير الشيعة لاصرار النبي صلى الله عليه وآله وسلم على انضمام أبي بكر وعمر إلى الجيش ، فقال في الصفحة المذكورة : وربما قالوا إنه جعل هؤلاء القوم في جيش أسامة ليعبدوا بعد وفاته عن المدينة فلا يقع منهم توثب على الإمامة ، ولذلك لم يجعل أمير المؤمنين في ذلك الجيش وجعل فيه أبا بكر وعمر بن الخطاب وغيرهما ليتم له الأمر بدون منازع .

أما تأميره على الجيش أسامة بن زيد ، فبالإضافة إلى كفاءته التي تؤهله لذلك فقد أراد أن يرفع من شأن الموالين ويزعزع كبرياء الذين كانوا يتعاضمون ويحاولون أن يبرزوا على غيرهم من الناس لا شيء إلا لأن الرسول كان يقربهم إليه ويتغاضى عن تصرفاتهم لأمر تفرضها مصلحة الإسلام العليا .

وأما خطر المنافقين على المدينة في حال غياب الجيش عنها فلولا أنه كان مطمئناً من هذه الناحية ولو بواسطة وجود علي والبقية من الصحابة وبني هاشم لا يمكن أن يأمر الجيش بمغادرتها .

وروى المفيد في إرشاده عن أهل البيت : أنه قال حينما دعي للصلاة : « يصلي بالناس بعضهم فلاني مشغول بنفسي » ، فقالت

عائشة : مروا أبا بكر ، وقالت حفصة : مروا عمر بن الخطاب ، فقال رسول الله : « اكففن فإنكن صويحبات يوسف » ، وقام مبادراً وهو لا يستطيع أن يستقل على الأرض من الضعف فأخذ بيد علي والفضل بن العباس فاعتمد عليهما ورجلاه تخطان الأرض من الضعف ، فلما دخل المسجد وجد أبا بكر قد سبق إلى المحراب فأوماً إليه أن تأخر عنه ، فتأخر وقام مقامه فكبر وابتدأ الصلاة التي كان قد ابتدأها أبو بكر ولم يبن على ما مضى منها .

وهذه الروايات كلها متفقة على أنه قد خرج بنفسه وهو على أشد ما يكون من الضعف وقد اعتمد على الفضل بن العباس ورجل آخر على حد تعبير عائشة ، وعلى علي عليه السلام كما جاء عن غيرها ، فإذا صح أنه قد أمر أبا بكر ليصلي بالناس كما تزعم عائشة وغيرها ممن روى تلك الطائفة من الأخبار ، فلماذا خرج بعد ذلك وهو بتلك الشدة معتمداً على الرجلين اللذين حملاه إلى المسجد على كتفيهما ، فإن كان يريد تأييد أبي بكر بذلك كما يدعي أكثر أهل السنة ، فيكفيه تأييداً له أمره بالصلاة بالناس وصلاة الناس خلفه ، أما خروجه وهو بهذه الحالة بعد أن علم بأنه قد باشر بالصلاة فهو الذي أثار الشبهة حول تلك الطائفة من المرويات ، ورجح جانب الروايات التي نصت على أنه لم يكلف أحداً ، وأنه حينما علم بأن أبا بكر قد قدم للصلاة خرج ليصلي بالناس بنفسه ، وبالفعل خرج ونحاه عن المحراب ولم يبن على ما مضى من صلاته .

ولما انصرف النبي من تلك الصلاة التي خرج إليها ورجع إلى منزله استدعى أبا بكر وعمر وجماعة ممن حضروا بالمسجد من المسلمين وقد أزعجه عدم انضمامهم إلى الجيش وهو مقيم بالجرف في ضواحي المدينة وقال ألم أمركم أن تنفذوا جيش أسامة ؟

فقالوا : بلى يا رسول الله .

فقال : « لِمَ تأخرتم عن أمري » .

فقال : أبو بكر : إني خرجت ثم رجعت لأجدد بك عهداً ، وقال عمر بن الخطاب : إني لم أخرج لأني لا أحب أن أسأل عنك الركب .

فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « انفذوا جيش أسامة » وكرر ذلك ثلاثاً ، ثم أغمى عليه من التعب ومما لحقه من الأذى لتجاهلهم أوامره .

ومكث فترة من الزمن مغمى عليه فبكى المسلمون وارتفع النحيب من أزواجه وابنته ونساء المؤمنين وجميع من حضر .

ولما أفاق نظر إليهم وقال : « اثنوني بدواة وكف لأكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً » ثم أغمى عليه ، فقام بعض من حضر يلتمس دواة وكفّاً ، فقال له عمر بن الخطاب : ارجع فانه يهجر ، فرجع ، وندم من حضر على ما كان منهم من التضييع في احضار الدواة والكتف فلما أفاق قال بعضهم : ألا نأتيك بدواة وكف يا رسول الله ؟ قال : « لا ، أبعد الذي قلتم ، ولكني أوصيكم بأهل بيتي خيراً » وأعرض بوجهه عن القوم فنهضوا .

وجاء في صحيح البخاري المجلد الرابع كتاب المرض والطب بسنده إلى ابن عباس أنه قال : كان في البيت عند رسول الله رجال فيهم عمر بن الخطاب ، فقال النبي : « هلموا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً » ، فقال عمر بن الخطاب : إن النبي قد غلبه الوجع وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ، فاختلف الحاضرون واختصموا فمنهم من قال : قدموا له ليكتب لكم كتاباً لا تختلفون بعده ، ومنهم من أخذ بقول عمر بن الخطاب ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم

صلى الله عليه وآله وسلم : « قوموا عني » .

وأضاف إلى ذلك البخاري أن عبد الله بن عباس كان يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب .

وروى في المجلد الثالث من صحيحه باب مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسنده إلى سعيد بن جبير أن ابن عباس كان يقول : لقد اشتد الوجع برسول الله يوم الخميس ، فقال : « اثنوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده » فتنازعوا وما ينبغي عند نبي تنازع فقال : ما شأنه أهجر استفهموه ؟ فذهبوا يردون عليه ، فقال : « دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه » وأوصاهم بثلاث : اخراج المشركين من جزيرة العرب ، وإن يجيزوا الوفود التي كانت تأتيه بمثل ما كان يجيزهم ، وسكت الراوي عن الثالثة أو قال : إنني نسيتها .

وروى هذه الرواية ابن جرير في تاريخه ، وابن سعد في طبقاته ، وابن كثير في بدايته ومسلم في صحيحه ، كما رواها البخاري في أكثر من موضع في صحيحه ، ووردت في جميع كتب الحديث عند السنة والشيعة .

ورواها ابن سعد في طبقاته بطرق مختلفة ، ومن جملة من رواها عنهم عمر بن الخطاب نفسه فقد قال : كنا عند رسول الله وبيننا وبين النساء حجاب ، فقال رسول الله : « اغسلوني بسبع قرب ، وأتوني بصحيفة ودواة لأكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً » ، فقال النسوة : اتوا رسول الله حاجته ، فقلت لهن : أسكتن فانكن صواحب يوسف ، إذا مرضن أعينكن وإذا صح أخذتن بعنقه ، فقال رسول الله : « هن خير منكم » .

وجميع الروايات التي وردت حول مرض النبي تنص على أن النبي أراد أن يكتب لهم كتاباً حتى لا يضلوا من بعده ، وكلها تنص على أن عمر بن الخطاب هو الذي وقف في طريق الكتاب ، ولم يكتب بذلك حتى قال : (إنه يهجر في كلامه) أي أنه يتكلم معكم بلا وعي ولا إدراك ، ما أكبرها من كلمة وأشنعها بقيت أصداؤها طوال هذه القرون تروي نقطة الفصل بين ما كان ينبغي أن يكون وما هو كائن من واقع مر تدمي له القلوب .

ويلا شك أن الكتاب الذي أراد أن يكتبه لا يعدو أن يكون تأكيداً لما صرح ولّوح به مراراً من قبل بخصوص استخلاف علي عليه السلام ، وقد فهم عمر بن الخطاب منه ذلك ، كما فهمه كل من كان حاضراً حين ذاك ، ولذلك حال بينه وبين كتابته وقال : (إنه يهجر) .

وفي رواية ثانية عبر بعبارة تؤدي هذا المعنى ، فقال : لقد غلبه الوجع ، ونتيجة ذلك أن فعله وقوله في تلك الحالة كأفعال الأطفال والمجانين وأقوالهم ، وحتى لو كتب الكتاب عند أصحاب هذه المقالة فلا قيمة لكتابه ما دام في حالة غير طبيعية .

لقد أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم سيقولون ذلك وأكثر من ذلك ، ولذا حينما راجعوه بشأن الكتاب قال : « أبعد الذي قلت ! » فعدل عن الكتاب وأوصاهم بثلاث باتفاق المحدثين ، ولكن المحدثين لم يحفظوا من وصاياه إلا وصيتين ونسوا الثالثة على حد زعمهم ، ويلا شك أن الثالثة هي التي أراد أن يكتبها في كتابه ، ولو كانت غير ذلك لحدثوا بها كما حدثوا عن غيرها .

وجاء في أكثر الروايات التي تعرضت لمرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم : إن عبد الله بن عباس كان إذا تذكر ذلك اليوم يتحسر

ويتأسف وأحياناً يبكي لفوات تلك الفرصة التي لو تمت لم يختلف على علي عليه السلام اثنان على حد تعبيره .

والذي أراه أن النبي لو كتب لهم عشرين كتاباً سوف يُحوّرون ويؤولون مضامينها بما يتفق مع مصالحهم ، وقد يذهبون إلى أبعد من ذلك ، وهذا هو الذي دعا النبي إلى عدم الكتابة حيشما أفاق .

وجاء في البداية والنهاية عن الصحيحين : أن عائشة قالت : لقد اجتمع نساء النبي عنده في مرضه فجاءت فاطمة تمشي لا تخطيء مشيتها مشية أبيها ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « مرحباً يا بنتي » ثم أقعدها عن يمينه وسارها بشيء فبكت ، ثم سارها ثانية فضحكت ، فقلت لها : لقد خصصك بالسرار وأنت تبكين تارة وتضحكين أخرى ، فلما أن قامت قلت لها : اخبريني بما قال لك ، قالت : « ما كنت لأفشي سر رسول الله » .

فلما توفي رسول الله قلت لها : اسألك بما لي عليك من حق الا أخبرتي ، قالت فاطمة : « أما الآن فنعم ، لقد أخبرني أولاً باقتراب أجله وأوصاني بتقوى الله والصبر فبكيت ، وفي المرة الثانية قال لي : اما ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين فضحكت » .

وقيل : إنه قال لها في الثانية : « أنت أول أهلي لحقوقاً بي » فاستبشرت بلقاء الله والالتحاق بأبيها في دار الكرامة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

وكان الألم يشتد برسول الله والخطر على حياته يتزايد ساعة بعد أخرى ، ولكن ذلك كله لم يشغله أن يكرر ندائه للناس المرة تلو المرة بالخروج في بعث أسامة والإسراع في إنفاذه ، ويستحث أسامة على الإسراع في التوجه ، حتى قال له أسامة بأبي أنت وأمي أتأذن لي أن

أمكث أياماً حتى يشفيك الله ، فلم يأذن له بالتأخير .

ولما اشتدت به وطأة المرض جعل يأخذ الماء بيده ويقول :
« واكرباه » ، فتقول فاطمة : « واكربي لكربك يا أبتاه » ، فقال : « لا
كرب على أبيك بعد اليوم » .

وجاء في بعض المرويات : إنه قبيل وفاته وجد نفسه نشيطاً وخفت
عنه حرارة الحمى ، فخرج معتمداً على علي عليه السّلام والفضل بن
العباس حتى أتى المسجد ، فأقبل على الناس رافعاً صوته حتى سمعه
من كان خارج المسجد ، فقال : « أيها الناس : سُعِرت النار وأقبلت
الفتن كقطع الليل المظلم ، وإنني والله ما تمسكون عليّ بشيء ، إنني لم
أحل إلا ما أحل القرآن ، ولم أحرّم إلا ما حرّم القرآن ، لعن الله قوماً
اتخذوا قبورهم مساجد » .

فما رجع من المسجد حتى عاوده الضعف واشتد عليه ، فسَمِعَ
يقول : « بل الرفيق الأعلى » ، فعلموا أنه اختار لقاء الله على الحياة في
هذه الدنيا .

وكان عليّ قد احتضنه حينما رآه يصارع الموت ففاضت نفسه
الشريفة وهو إلى صدر علي عليه السّلام كما جاء في رواية ابن سعد
وغيره .

وروى الحاكم في المستدرک بسنده إلى أم سلمة أنها قالت :
والذي أحلف به أن علياً كان أقرب الناس عهداً برسول الله ، ومضت
تقول : عدنا رسول الله غداة وهو يقول : « جاء علي ، جاء علي »
يكررها مراراً ، فقالت له فاطمة : « كأنك بعثته في حاجة » ، فلما جاء
ظننت أن له إليه حاجة فخرجنا من البيت وقعدنا عند الباب وكنت من
أدناهم إليه فأكب عليه رسول الله وجعل يساره ويناجيه ثم قبض رسول الله

من يومه ذلك فكان على أقرب الناس به عهداً .

وكانت وفاته يوم الاثنين كما هو المشهور بين الرواة ، وذهب أكثر الإمامية إلى أن وفاته كانت يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر .

وقال الكليني : إنه توفي لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول ، وقيل : إنها كانت في اليوم الثاني منه ، وقيل غير ذلك .

لقد اختار النبي الرفيق الأعلى على الخلود في هذه الدنيا التي امتلأت بالفتن والجور والطغيان ، وعلى بقائه بين قوم جاءهم بكل ما يقربهم من الله ويصلح أمورهم ويجمعهم على الإيمان بآله واحد وشريعة واحدة ، ودعاهم إلى الجهاد والعدل ، ودفع الظلم والبغي ، وإلى مكارم الأخلاق والرحمة والدفاع عن المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، ولكل ما يوفر لهم السعادة في دنياهم وآخرتهم ، وظل أكثر من عشرين عاماً لم يذق خلالها طعم الراحة ، يجاهد ويناضل لإرساء أسس تلك القيم التي جاء من أجلها ودعا إليها لتصبح إراثاً للأجيال في كل زمان ومكان .

وفيما هو يكافح ويناضل من أجل مستقبل يزخر بكل معاني الخير والرحمة والمحبة ، وإذا بمستقبلهم القريب يتكشف لديه فيراهم وقد ارتدوا على أدبارهم ورجعوا إلى جاهليتهم الأولى ولم ينج منهم إلا مثل حمل النعم كما جاء في رواية البخاري وغيره من المحدثين .

لقد ناشدهم في مرضه وهو يعاني من آلامه ما لا يطاق أن يكتب لهم كتاباً حتى لا يضلوا من بعده كما أجمعت على ذلك كتب الحديث والتاريخ ، فوصفوا كلامه هذا بالهذيان واللغو فيش منهم واختار الرفيق الأعلى مع اخوانه النبيين والمرسلين ، ولفظ نفسه الأخير وهو على صدر علي عليه السلام يناجيه ويلقنه من أسرار الكون وطبيعة الحياة والناس

ألواناً من الأحداث والأزمات .

واتفق المحدثون على أن أبا بكر كان غائباً خارج المدينة حين وفاته ، وإن المسلمين حين سمعوا عويل النساء دهشوا لهذا الحادث بعد أن رأوه قبل ساعات قليلة يخرج فيصلي بهم وعلامة الارتياح والشفاء بادية عليه ، فدخل عليه عمر بن الخطاب فكشف عن وجهه وقال : إن رجالاً من المنافقين يزعمون بأن محمداً قد مات ، وأنه والله ما مات ولكنه قد ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قالوا بأنه قد مات ، والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما رجع موسى وليقطعن أيدي وأرجل رجال زعموا أنه مات ، ولئن بلغني عن رجل من المسلمين يزعم أن محمداً قد مات ضربته بسيفي هذا ، وخرج على الناس شاهراً سيفه يردد مقالته ويهدد ويتوعد .

وفي رواية ابن سعد وابن كثير في البداية والنهاية : أن عمر بن الخطاب دخل هو والمغيرة فكشفا الثوب عن وجهه فقال عمر : ما أشد غشي رسول الله ، وقال المغيرة : مات والله رسول الله ، فقال له : كذبت ما مات ولكنه ذاهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران .

وخرج إلى الناس وهم بين باك وبكية ، وجعل يصيح بين الناس : أن محمداً ما مات ولكنه ذهب إلى ربه وسيرجع كما رجع موسى بن عمران بعد أن غاب عن قومه أربعين ليلة ، واستمر على ذلك مدة من الوقت يهدد ويتوعد كل من يدعي بأن محمداً قد مات ، وسرت مقالته بين الناس في وطأة الذهول والدهشة ، ورؤج لها أتباعه وغزت أذهان العامة من الناس ، واستطاع بهذا الذكاء الحاد والتفكير البعيد أن يشغل الكثير من الناس عن وفاته والتفكير في خليفته الشرعي من بعده ،

واستمر يهدد ويتوعد وينادي بين الناس بأن محمداً قد غاب وسيعود حتى حضر أبو بكر من منزله المزعوم خارج المدينة وتوفر الجو المناسب لاختيار من يريدون ، فدخل أبو بكر على النبي وهو على فراش الموت فنظر إلى وجهه وخرج إلى الناس ، وعمر بن الخطاب ينادي فيهم أن محمداً ما مات ولن يموت ، وأبى أن ينصت لكلام أبي بكر أولاً ثم قال أبو بكر : أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ثم تلا على الناس قوله تعالى :

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَنُ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً ﴾ [آل عمران ٣ : ١٤٤] عندها سكث حيث انتهت مهمته .

وجاء في سيرة ابن هشام : أن الراوي قال : والله لكان الناس لم يعلموا بنزول هذه الآية حتى تلاها أبو بكر ، وفي ذلك دلالة على مدى تأثير مقالته في تلك اللحظات على الجماهير التي أصيبت بالذهول والدهشة لنبا وفاة الرسول ، فلما نادى عمر بن الخطاب بحياته وأنه سيبقى حياً إلى أن يظهر دينه على جميع الأديان ، وابن الخطاب ليس بالرجل العادي الذي لا يحسب لكلامه أحد فقد استطاع أن يسيطر على عدد كبير من الجماهير التي تنفعل بكل فكرة تعرض لها وتستبد بها المحاكاة والتقليد الأعمى ويسقط العقل وسلطانه ، وبخاصة إذا رافقتها بعض المؤثرات كشخصية المتكلم وصرامة رأيه ، والصرامة التي أظهرها ابن الخطاب وهو يتحدث إلى الجماهير المدهوشة ويمنيهم بحياة أعز الناس عليهم تارة ، ويخوفهم بالقتل وتقطيع الأيدي والأرجل إذا لم يقتنعوا بحياته تارة أخرى كان لها أثرها على الذين تملكهم العاطفة الهائجة في مثل هذه الحالات فيتعلقون بالأوهام ، لا سيما إذا كان

فقيدهم من النوع الذي يجوز عليه ما لا يجوز على سائر الناس .

إن عمر بن الخطاب كان أبعد الناس عن التعلل بمثل هذه الأوهام ، ولم يتردد لحظة واحدة في وفاة النبي ، بل كان منذ أن اشتد به المرض على ثقة بأنه سيلقي ربه ، ولذا تخلف عن جيش أسامة وحاول أن يحول دون تنفيذ الجيش ، وحينما طلب النبي دواة وقرطاساً ليملئ عليهم عهده قال : إنه ليهجر حسبنا كتاب الله ، وإذا كان معتقداً بأنه لا يموت فما يضره أن يعهد لأي كان من الناس ، ولا معنى لقوله حسبنا كتاب الله إلا أن كتاب الله يكفيننا بعد موتك فلا حاجة لنا بكتابك .

ولا أظن أحداً يعرف عمر بن الخطاب ، ويحتمل به أنه كان ظاناً أو معتقداً لما يقول إلا بعض الشيعة الذين اتهموه بالجهل بأبسط الأمور ، وقالوا بأن من يجهل ذلك فكيف يصلح للخلافة ، وجماعة من السنة الذين قالوا بأنه أصيب بدھشة أفقدته وعيه من صدمة النبأ على حد تعابيرهم المتكررة في مقام الاعتذار عنه .

إنه كان يعلم هو وغيره من المسلمين أن النبي قد نص على علي بالخلافة أكثر من مرة ، ويعلم أن بعث أسامة في ذلك الوقت بالذات واصرار النبي على تنفيذه على هذا النحو وإنكاره عليه وعلى أبي بكر تخلفهما عن الالتحاق بالجيش إنما هو ليخلو الجو لعلي عليه السلام ، وتتم خلافته في غيابهما بدون منازع ، ويعلم أيضاً أن الكتاب الذي أراد أن يكتبه لهم لا يعدو أن يكون نصاً قاطعاً على خلافة علي من بعده ، ولذلك عارض وقال كلمته التي من أجلها ترك النبي الكتابة .

لقد خاف بعد وفاة النبي وغياب أبي بكر عن المدينة أن يجتمع الناس على علي في تلك اللحظات ، لا سيما وإن أكثرهم لا يحتملها لأحد غيره .

فأراد أن يصرف القوم عما هم فيه ويحوّل تفكيرهم إلى ناحية أخرى ويشغلهم بحديث من هذا النوع لينصرفوا فعلاً عن التفكير في البيعة لأحد ، وقد كان عامة المهاجرين والأنصار لا يشكّون في أن علياً عليه السّلام هو صاحب الأمر بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، كما جاء في شرح النهج ج ٢ ص ٨ - من رواية الزبير بن بكار عن محمد بن إسحاق ، وسأعرض اجتماع السقيفة والتنازع على الخلافة مفصلاً في الجزء الثالث إن شاء الله .

أختم الجزء الثاني من كتابي هذا ، وسيليه الجزء الثالث إن شاء الله والأخير ، في هذا البحث ، ومن الله سبحانه أستمد العون والتوفيق ، وأن يجعله ذخراً لي ولوالدي في يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلّا من أتى الله بقلب سليم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد خير خلقه وآله الطيبين الطاهرين .

تم ذلك في يوم مولد الطهر في الكعبة المشرفة الثالث عشر من شهر رجب الأصم من سنة ١٤١١هـ أربعمئة وأحد عشر بعد الألف ، من الهجرة النبوية .

أقل العباد
حسين الشاكري

فهرس مصادر الكتاب

- ١ - آل محمد : تأليف العلامة حسام الدين المردى الحنفى .
- ٢ - أئمة الهدى : تأليف العلامة محمد عبد الغفار الهاشمى الحنفى . ط القاهرة .
- ٣ - إحقاق الحق : تأليف الحبر الحجة السيد المرعشى النجفى .
- ٤ - أحكام القرآن : تأليف الجصاص .
- ٥ - أخلاق النبي : تأليف ابن حيان الأصفهاني .
- ٦ - الأربعون حديثاً : تأليف العلامة الشيرازي الهروي مخطوط .
- ٧ - أرجح المطالب : تأليف العلامة الأمرتسري ط لاهور .
- ٨ - إرشاد الساري : تأليف القسطلاني ط العامرة - مصر .
- ٩ - الإرشاد : تأليف الشيخ المفيد .
- ١٠ - أسد الغابة : تأليف ابن الأثير الجزري ط مصر .
- ١١ - إسعاف الراغبين : تأليف العلامة ابن الصبان ط مصر .
- ١٢ - الإستيعاب : تأليف العلامة ابن عبد البر ط حيدر آباد .
- ١٣ - أشعار الملوك والخلفاء : تأليف المرزباني .
- ١٤ - الإصابة : تأليف العلامة ابن حجر العسقلاني ط مصر .
- ١٥ - الإعتقاد : تأليف شيخ السنة أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي الشافعي ط القاهرة .
- ١٦ - إعلام الورى : تأليف الطبرسي .

- ١٧ - الأغاني : تأليف العلامة أبو الفرج الأصفهاني ط محمد الساسي .
- ١٨ - أمالي الصدوق : تأليف العلامة الصدوق ط مؤسسة الأعلمي - بيروت .
- ١٩ - إمتاع الأسماع : تأليف المقرئ ط القاهرة .
- ٢٠ - الإنصاف : تأليف القاضي الباقلاني ط دار الكتب - مصر .
- ٢١ - أنيس الجليس : تأليف جلال الدين السيوطي .
- ٢٢ - الأوائيل : تأليف الأديب أبو هلال العسكري ط دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٢٣ - بحار الأنوار : تأليف العلامة المجلسي .
- ٢٤ - البداية والنهاية : تأليف العلامة الحافظ ابن كثير القرشي ط مصر .
- ٢٥ - بشارة المصطفى : تأليف الشيخ الفقيه عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي الطبري ط المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف .
- ٢٦ - البيان والتبيين : تأليف الجاحظ .
- ٢٧ - تاريخ الإسلام : تأليف العلامة الذهبي ط الأعلمي - بيروت .
- ٢٨ - تاريخ الأشراف : تأليف العلامة يحيى بن جابر البلاذري .
- ٢٩ - تاريخ الأمم والملوك : تأليف العلامة الطبري ط مصر .
- ٣٠ - تاريخ بغداد : تأليف الحافظ أخطب خوارزم ط مصر .
- ٣١ - تاريخ بغداد : تأليف الخطيب أبو بكر البغدادي ط مصر .
- ٣٢ - تاريخ الخلفاء : تأليف العلامة السيوطي ط مصر .
- ٣٣ - تاريخ الخميس : تأليف الديار بكري ط مصر .
- ٣٤ - تاريخ دمشق : تأليف ابن عساكر الدمشقي ط المحمودي - بيروت .
- ٣٥ - تنمة الأسئلة : تأليف العلامة فضل الله بن أبو الخير .
- ٣٦ - تجهيز الجيش : تأليف العلامة الدهلوي العظيم آبادي الهندي مخطوط .
- ٣٧ - تذكرة الخواص : تأليف العلامة السبط ابن الجوزي ط الغري .
- ٣٨ - تفسير ابن كثير : تأليف الحافظ ابن كثير الدمشقي .
- ٣٩ - تفسير البغوي : تأليف العلامة البغوي .
- ٤٠ - تفسير الثعلبي : تأليف العلامة الثعلبي مخطوط .
- ٤١ - تفسير الصافي : تأليف الفيض الكاشاني .
- ٤٢ - تفسير الطبري : تأليف العلامة الطبري ط مصر .

- ٤٣ - تفسير العياشي : تأليف العياشي .
- ٤٤ - تفسير القمي : تأليف علي بن إبراهيم القمي .
- ٤٥ - تلخيص المشابه في الرسم : تأليف الخطيب البغدادي ط دمشق .
- ٤٦ - تلخيص المستدرک : تأليف العلامة الذهبي .
- ٤٧ - تميز الطيب من الخبيث .
- ٤٨ - توضيح المقاصد : تأليف الشيخ بهاء الدين العاملي .
- ٤٩ - ثواب الأعمال : تأليف الشيخ الصدوق .
- ٥٠ - جامع الأحاديث : تأليف علامتان الشريف عباس أحمد صقر والشيخ أحمد عبد الجواد - ط دمشق .
- ٥١ - جامع الصغير : تأليف العلامة السيوطي .
- ٥٢ - الجامع المحرر : تأليف العلامة عبد الحق الغرناطي المالكي ط القاهرة .
- ٥٣ - جمع الجوامع : تأليف السيوطي .
- ٥٤ - حق اليقين : تأليف السيد عبد الله شبر .
- ٥٥ - حلية الأولياء : تأليف الحافظ أبو نعيم الأصفهاني ط مصر .
- ٥٦ - الخرائج والجرائع : تأليف القطب الراوندي ط قم .
- ٥٧ - الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية : تأليف شهاب الدين الألوسي .
- ٥٨ - الخصائص : تأليف العلامة النسائي ط التقدم - مصر .
- ٥٩ - الحصال : تأليف الشيخ الصدوق .
- ٦٠ - خلاصة الوفاء : تأليف العلامة السمهودي مخطوط .
- ٦١ - در بحر المناقب : تأليف العلامة الشهير بابن حسنيه مخطوط .
- ٦٢ - دلائل النبوة : تأليف البيهقي ط بيروت .
- ٦٣ - ذخائر العقبى : تأليف العلامة محب الدين الطبري ط مصر .
- ٦٤ - ربيع الأبرار : تأليف الزغشري مخطوط .
- ٦٥ - الرسالة القشيرية : تأليف العلامة عبد الكريم القشيري ط مصر .
- ٦٦ - الروض الأنف : تأليف المؤرخ عبد الرحمن الخثعمي المراكشي .
- ٦٧ - روضة الأحباب : تأليف العلامة أصيل الدين عطاء الله الدشتكي .
- ٦٨ - الرياض النضرة : تأليف العلامة محب الدين الطبري ط مصر .
- ٦٩ - سنن الدارمي : تأليف الحافظ الدارمي ط دمشق .

- ٧٠ - السنن الكبرى : ط حيدر آباد الدكن .
- ٧١ - سنن المصطفى : تأليف الحافظ ابن ماجه ط مصر .
- ٧٢ - سنن النسائي : تأليف الحافظ النسائي ط مصر .
- ٧٣ - السيرة : تأليف علاء الدين مغلطاي ط مصر .
- ٧٤ - السيرة النبوية : تأليف ابن هشام ط الحلبي - مصر .
- ٧٥ - شرح الأخبار : تأليف ابن فياض .
- ٧٦ - شرح العزيزي .
- ٧٧ - شرح نهج البلاغة : تأليف العلامة ابن أبي الحديد المعتزلي .
- ٧٨ - شرف النبي : تأليف الخوكوشي .
- ٧٩ - الشفاء : تأليف الطحاوي والقاضي عياض ط الأستانة .
- ٨٠ - شمس الأخبار .
- ٨١ - شواهد التنزيل : تأليف الحاكم الحسكاني ط بيروت .
- ٨٢ - صبح الأعشى : تأليف القلقشندي ط مصر .
- ٨٣ - صحيح الترمذي : تأليف الحافظ الترمذي ط مصر .
- ٨٤ - صحيح مسلم : تأليف الحافظ مسلم ط مصر .
- ٨٥ - صفة الصفوة : تأليف أبو الفرج ابن الجوزي ط حيدر آباد .
- ٨٦ - الصواعق المحرقة : تأليف العلامة ابن حجر الهيتمي ط مصر .
- ٨٧ - الطبريات : تأليف السلفي .
- ٨٨ - الطبقات الكبرى : تأليف المؤرخ ابن سعد ط بيروت .
- ٨٩ - طبقات الأنوار : تأليف المير سيد حامد الموسوي .
- ٩٠ - العقد الفريد : تأليف ابن عبد ربه ط الشرقية - مصر .
- ٩١ - علل الشرائع : تأليف الصدوق ط المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف .
- ٩٢ - علي من المهدي إلى اللحد : تأليف السيد القزويني .
- ٩٣ - العملة : تأليف العلامة أبو الحسن القيرواني .
- ٩٤ - عمدة القاري : تأليف العيني .
- ٩٥ - عيون الأثر : تأليف ابن سيد الناس ط القدسي - مصر .
- ٩٦ - الغدير : تأليف العلامة الأميني .
- ٩٧ - الغيث المسجم : تأليف العلامة صلاح الدين الصفدي ط مصر .

- ٩٨ - الفائق : تأليف العلامة الزمخشري ط القاهرة .
- ٩٩ - الفتاوى الحديثية : تأليف ابن حجر الهيتمي المكي ط مصر .
- ١٠٠ - فتح الباري : تأليف ابن حجر .
- ١٠١ - فتح المين : تأليف العلامة الترمذي .
- ١٠٢ - فتح الملك العلمي : تأليف السيد أحمد المغربي .
- ١٠٣ - الفتوة : تأليف العلامة ابن المعمار البغدادي ط القاهرة .
- ١٠٤ - فرائد السمطين : تأليف العلامة الحموي ط بيروت .
- ١٠٥ - الفصول المهمة : تأليف ابن الصباغ المالكي ط الغري .
- ١٠٦ - فضائل الصحابة : تأليف الحافظ أحمد بن حنبل مخطوط .
- ١٠٧ - قررة العينين : تأليف قطب الدين أحمد شاه .
- ١٠٨ - قصة كبيرة في تاريخ السيرة : تأليف محمد مهدي المصري ط دار الكتاب العربي .
- ١٠٩ - الكاف والشاف : تأليف العلامة ابن حجر العسقلاني .
- ١١٠ - الكافي : تأليف الشيخ الكليني .
- ١١١ - الكامل : تأليف ابن الأثير الجزري .
- ١١٢ - كامل الزيارات : تأليف ابن قولويه .
- ١١٣ - الكامل في الرجال : تأليف ابن عدي الجرجاني الشافعي ط بيروت .
- ١١٤ - كتاب مكة : تأليف الفاكهي .
- ١١٥ - الكشف : تأليف العلامة جبار الله الزمخشري .
- ١١٦ - كشف الغمة : تأليف بهاء الدين علي بن عيسى الأربلي ط تبريز .
- ١١٧ - الكشف والبيان : تأليف العلامة الثعلبي مخطوط .
- ١١٨ - كفاية الطالب : تأليف الحافظ الكنجي الشافعي ط الغري .
- ١١٩ - الكنى والأسماء : تأليف العلامة الدولا ط حيدر آباد .
- ١٢٠ - كنز العمال : تأليف العلامة المولى المتقي الهندي ط حيدر آباد .
- ١٢١ - لسان الميزان : تأليف الحافظ ابن حجر العسقلاني ط حيدر آباد .
- ١٢٢ - مجمع البيان : تأليف الشيخ الطبرسي ط دار المعرفة - بيروت .
- ١٢٣ - مجمع الزوائد : تأليف الحافظ نور الدين الهيتمي ط مصر .
- ١٢٤ - مرآة المؤمنين : تأليف العلامة المولى ولي الله اللكهنوي .

- ١٢٥ - مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح : تأليف العلامة المولى الهروي ط ملتان .
- ١٢٦ - مروج الذهب : تأليف العلامة المسعودي .
- ١٢٧ - مسار الشيعة : تأليف الشيخ المفيد .
- ١٢٨ - المستدرك : تأليف الحاكم النيشابوري ط حيدر آباد .
- ١٢٩ - المستطرف : تأليف الأبهسي .
- ١٣٠ - المسند : تأليف أبو عوانة ط حيدر آباد .
- ١٣١ - مسند أحمد بن حنبل : تأليف الحافظ أحمد بن حنبل ط مصر .
- ١٣٢ - مسند الطيالسي : تأليف الحافظ الطيالسي ط حيدر آباد .
- ١٣٣ - مشكل الآثار : تأليف الطحاوي ط حيدر آباد الدكن .
- ١٣٤ - مصابيح السنة : تأليف الحافظ محي السنة البغوي ط دار المعرفة - بيروت .
- ١٣٥ - مصباح الظلام .
- ١٣٦ - مطلب السؤل : تأليف ابن طلحة الشافعي .
- ١٣٧ - معاني الأخبار : ط قم .
- ١٣٨ - المعجم الصغير : تأليف الحافظ الطبراني ط المدينة .
- ١٣٩ - المعجم الكبير : تأليف الحافظ الطبراني ط بغداد .
- ١٤٠ - المعرفة والتاريخ : تأليف الحافظ البسوي ط بغداد .
- ١٤١ - المعيار والموازنة : تأليف الشيخ المتكلم أبو جعفر الأسكافي ط بيروت .
- ١٤٢ - المغازي : تأليف محمد بن عمر الواقدي .
- ١٤٣ - مفتاح النجا : تأليف الميرزا محمد خان المعتمد البدخشي .
- ١٤٤ - مقاصد الطالب : تأليف العلامة أحمد البرزنجي ط گلزار بومباي .
- ١٤٥ - مقتل الحسين (ع) : تأليف موفق بن أحمد ط الغري .
- ١٤٦ - المقنع في الإمامة .
- ١٤٧ - مكاشفة القلوب : تأليف أبو حامد الغزالي .
- ١٤٨ - المناقب : تأليف العلامة أخطب خوارزم - ط تبريز .
- ١٤٩ - المناقب : تأليف العلامة الفقيه أبو الحسن ابن المغازلي ط دار الأضواء - بيروت .

فهرس الموضوعات

٥	 مقدمة الجزء الثاني
١١	 كلمة سماحة السيد محمود الهاشمي
١٥	 كلمة سماحة السيد محمد زكي السويج
١٧	 من خطبة لأمير المؤمنين (ع) في الزجر والموعظة والإرشاد
١٩	 ولادة علي عليه السلام في الكعبة
٢٦	 رسول الله (ص) وعلي (ع) خلقا من شجرة واحدة
٢٧	 ألقاب وكنى أمير المؤمنين (ع) ونعوته
٣١	 مقدمة في ذكر مناقب أمير المؤمنين عليه السلام
٤١	 مقتطفات من أحاديث النبي (ص) في مناقب أمير المؤمنين (ع)
٤٤	 نعم الأخ أخوك علي
٤٥	 أحب إخواني إلي علي
٤٥	 مكتوب على باب الجنة : علي أخو رسول الله (ص)
٤٧	 حديث الدار
٥٠	 علي (ع) وصي ووارث رسول الله (ص)
٥٤	 علي مع الحق والحق مع علي
٥٦	 علي مع القرآن والقرآن مع علي
٥٧	 من أحب علياً فقد أحب رسول الله (ص)

٥٨	حب علي عليه السلام
٦١	علي قسيم الجنة والنار
٦٦	علي وحديث الثقلين
٧٠	صعود علي (ع) على منكب النبي (ص)
٧٤	فضائل الإمام علي (ع) ومناقبه
١١١	مرج البحرين يلتقيان
١٢٣	عبادة علي عليه السلام ومناجاته في تهجده
١٢٨	زهد علي عليه السلام
١٣٢	جود علي عليه السلام وكرمه
١٤٠	عشرون حديثاً في علم علي عليه السلام
١٤٥	عدل علي عليه السلام
١٥٢	قضاء علي عليه السلام
١٥٣	١ - ثورة قتل حماراً
١٥٤	٢ - قضاؤه عليه السلام في واقعة ثلاثة سقطوا عن الزبية .
	٣ - في واقعة رجلين يتغديان لأحدهما خمسة أرغفة وللآخر
١٥٥	ثلاثة
	٤ - قضاؤه عليه السلام في خنثى تزوجت برجل فحبلت ،
١٥٧	وتزوج بامرأة فأحبها
١٥٩	٥ - في قضائه عليه السلام في امرأة أنكرت ولدها
١٦١	٦ - قضاؤه في جماعة اتهموا بقتل رفيقهم في السفر ...
١٦٣	٧ - قضاؤه عليه السلام في رد مال استودعه رجلان
	٨ - قضاؤه في رجل تزوج امرأتين ولدتا في ليلة مظلمة
١٦٣	فاشبه ولدهما
١٦٥	شجاعة علي عليه السلام

ليلة الهجرة ومبيت الإمام أمير المؤمنين (ع) على فراش	
النبي (ص)	١٦٧
هجرة علي عليه السلام إلى المدينة	١٧٧
ما ظهر من شجاعة علي عليه السلام في غزوة معركة بدر الكبرى	١٨١
نزول الملائكة	١٩٣
تسمية قتلى علي عليه السلام يوم بدر	٢٠٧
الشهداء في معركة بدر من المسلمين	٢١٠
علي صاحب راية رسول الله (ص) يوم بدر	٢١٢
نبذة من الأشعار في يوم بدر	٢١٣
فرار عمر من العاص بن سعيد	٢١٧
ما ظهر من شجاعته علي (ع) في غزوة بني النضير	٢١٨
ما ظهر من شجاعة علي (ع) في غزوة أحد	٢٢٦
نبذة من الأشعار في غزوة أحد	٢٥٤
ما ظهر من شجاعة علي عليه السلام في غزوة الخندق	٢٥٩
نبذة من الأشعار في غزوة الأحزاب	٢٩٠
ما ظهر من شجاعته عليه السلام في غزوة بني قريظة	٢٩٤
ما ظهر من شجاعته عليه السلام في غزوة خيبر	٣٠٣
احتجاج علي عليه السلام يوم الثوري بفضائله في غزوة خيبر .	٣٢٠
مصادر حديث الراية	٣٢٣
نبذة من الأشعار في غزوة خيبر	٣٢٦
ما ظهر من شجاعته عليه السلام في غزوة ذات السلاسل	٣٣٤
ما ظهر من شجاعته عليه السلام في غزوة حنين	٣٤٤
ما ظهر من شجاعته عليه السلام في غزوة الطائف	٣٦٣
ما ظهر من فضله عليه السلام في غزوة تبوك	٣٦٨

٣٧٧	 فتح مكة
٣٩٢	 علي عليه السلام يكسر الأصنام
٤٠٦	 يوم الغدير
٤١٥	 إكمال الدين
٤١٧	 نزول العذاب
٤٢١	 معاني المولى
٤٣٥	 عيد الغدير
٤٣٨	 جيش أسامة ومرض النبي (ص) والتحاقه بالرفيق الأعلى